

علم البردى

تراث مصرى أصيل

زكى على

رئيس قسم التاريخ

بجامعة القاهرة (سابقاً)

-١٩٩٨-

اهداءات ٢٠٠١

ا.د/ المرحوم زكى على

القاهرة

علم البردى

تراث مصرى أصيل

زكى على

رئيس قسم التاريخ بجامعة القاهرة (سابقاً)

١٩٩٨

تصدير

هذه كلمة عابرة أقولها ، في غير ما حرج ، لأولئك الذيـــــن يتصدون لعلم البردي ويخوضون في متاهاته فأنبههم إلى أن هذا العلـم له خصائصه وأدواته ومصطلحاته الفنية ويتطلب باديء ذي بدء ، معرفة وثيقة باللغة اليونانية وكتّابها وعيون الأدب فيها ثم تاريـخ العصـــر الهيللينستي بالذات في مصر والبلاد المتاخمة والمطلّة علـى الحــوض الشرقي من البحر المتوسط وجزر بحر إيجة والإلمام بالحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية في ذلك العصر والنهضات التي تبت في أرجائه بعد عصر الإسكندر الأكبر . وما أظن أن أي جهد متواضع فـــي قراءة قصاصة بردية منشورة ومترجمة ثم نقلها إلى العربية بذى جـدوى ولا يُعتبر مؤهلا كافيا لصاحبه في الإدعاء بمعرفة أصول علم البـــردي وخباياه . وفي الحق أن هذا العمل المتواضع في تصفح العديد مـن النصوص البردية يُمثل قطرة في بحر متلاطم الأمواج ويُعتبر بمثابـــة الخطوة التمهيدية الأولى التى ينبغي أن تتلوها خطوات أخرى مكملـة ، حتى يمكن التغلب على نوعية الصعوبات التى تعترض الباحث في علـم البردي ولامناص من أن يخوض فيها حتى يستقيم المعنى وتملأ الفراغات (lacunae) ، إن وجدت وقاريء البردي تُكلف بأن يدلى بما يعن له من آراء إزاء جُل الصعوبات التى تواجهه ، ومن ذلك مثـــلا مناقشة الجانب اللغوي والتعرف على مدى صحة ما أدخل على النـــص المنشور من تصويبات ، بحيث يكون في مكنته القدرة على النقـــد والتمحيص وعلى ترجيح الكفة في أي قراءة على أخرى وعدم الانسيـاق وراء أي من الناشرين الأولين ، والبعض من هؤلاء قد إعتر هم فـــى

أغلب الظن لهفة من أجل الإسراع في نشر ما صادفوه ، حبا في إحـراز قصب السبق في هذا المجال ، فجاءت بعض تصويباتهم وقد اعتراهـــا الحدس والتخمين ، وهم أنفسهم يعقبون أحيانا ويتلمسون الأعذار فـــي إنتهاج هذا السبيل ٠

ومن الطريف في هذا المجال أن نذكر أن أي قراءة أولى مما ينشر ويكنى لها بكلمتي (editio princeps) ، كفيلة بـــأن تفتح المجال أمام نفر من الأعلام حتى يقوموا بمهام التنقيح والتصويب ، والتعليق ، أملا في الوصول إلى الحقيقة أو بلوغ غاية الكمال ٠ وقـــد ضربت العديد من الأمثلة على ما جرى في عشرات من الوثائق البردية ذات الأهمية البالغة ، مُبينا الكثير من المظان والسقطات التي تـردى فيها علماء أعلام ، مع أن كل واحد منهم له كعبا راسخ في علم البردي ومن هؤلاء : ڤيتللي و جرنفل و هنت و إدجار و سترمان ٠ وقـــد تلقف نفر آخر من هؤلاء العلماء من أمثال الريخ ڤيلكن و ولهلـــــم شوبارت و هربرت يوتي و ناڤتالي لويس و برادفورد ويلز و جان بنجن وبيير چوجيه و جان شيرر و كلير پريو ، فعرضوا لبعض ما نشـــــر وتناولوه بالتهذيب والتفنيد ، بل والتصويب ، فجاءت محاولاتهم محققة للهدف المنشود ومتوخيه جادة الصواب ٠

وهكذا لم يُعد هذا العلم نهبا ـ ومتاعا للجميع أي ـ لكل من هب ودب ـ وإنما تحتم أن يسبقه إشتراطات خاصة وممارسات طويلـــــة وخبرة واسعة وفضلا عن ذلك يتطلب فراسة والمعية خاصة ٠

زكـــي علـــي

٣ فبراير ١٩٨٥

مقدمـــــة

ان هذا العلم هو بحق توأم لعلم النقوش ، فكل منهما شب وترعرع في بيئة مصرية واحدة ، ثم ان بينهما اكثر من علاقة وثيقة من حيث السمات والكثير من المصطلحات والرموز العديدة المطبقة في كليهما . وهناك بعض الموضوعات التي يمكن اعتبارها بمثابة القاسم المشترك بينهما . على أن علم البردى كان في الحق ندا خطيرا ، فما لبث ان بز زميلــه وأصبحت له الصيحة الأولى والغلبة في مستهل سنى القـــرن العشرين ، فمنذ مطلع هذا القرن تركزت اهتمامات العلماء عليه وأخذ منذ ذلك الحين يضفي بظلاله على علم النقوش بعد ان كان للاخير القدح المعلى طوال القرن التاسع عشر .

وهكذا أخذ البردى يستحوذ ، حثيثا حثيثا ، علــى جل اهتمام العلماء والباحثين في مجال الدراسات الكلاسيكية وذلك بفضل سهولة تداول أوراقه وقصاصاته وإمكان اقتنائها والمحافظة عليها واتساع نطاق المجال الذى كانت تجول فيه وتصول تلك البضاعة ، دون سلطان من أحد . فالناس درجوا على أن يدونوا على صفحات البردى كل ما يدور فـــى خلجات نفوسهم دون خوف ولا وجل ويسرون الى هذه اللفائف

البردية بما يسطرونه إما بأنفسهم او بواسطة الكتبة العنوميين في دور السجلات او على قارعة الطريق اذا كانوا من الاميين او الذين لا يفكون الخط[1] ، فيسطر لهم هؤلاء الكتبة كـل ما يطلبونه في يسر وسهولة بأساليب متعارف عليهـا (Stereotyped) فمن عقود زواج وطلاق وسكوك بيع وشراء وديون ورهون ووصايا وشكايات والتزامات ٠ وبعض هذه العقود كانت تكتب بلغتين هما اليونانية والديموطيقية (bilingual) وكان الناس يحتفظون بصور من هذه العقود لديهم او لدى حفاظ وامناء مختارين وموثوق فيهم وهم hoi syggraphephylakes. وبذلك تكون هذه الصكوك في حرز مكين ٠

---

(١) الأميون هم من يطلق عليهم hoi, agrammatoi أو : ta grammata ouk eidotes

bradews graphontes

انظر ما يلي :

(a) E.Majer Leonard, agrammatoi, Frankfurt, 1913

(b) Rita Calderini, Aegyptus, 30,1950,p.14

(c) Herbert Youtie: Agrammatos, An Aspect of Greek Society in Egypt, 1971, 161 - 176.

على ان المقصود بكلمة بردى (Papyrus) بادىء ذى بدء هو ذلك النبات الذى كان يطلق عليه بالاتينية (Cyperus Papyrus) وخصه بالوصف العالم والفيلسوف اليونانى ثيوفراستوس(Theophrastus) فى كتابه عن تاريخ النباتات Historia Plantarum الجزء الرابع ٨ ، ٣ ـ ٤ ثم اصبح يطلق على مادة الكتابة التى كانت تصنع من لباب سيقانه بعد ان تنقشر الى شرائح . وقد تناول بلينى الاكبر (Pliny) فى كتابه عن التاريخ الطبيعى الجزء الثالث عشر ـ الفصل الثانى ، ٣ موضوع هذا النبات بالشرح والتفصيل نذكر الكيفية التى كان يصنع بها هذا الورق بتقطيع اللباب الى شرائح رفيعة ، يوضع بعضها فوق بعض (خلف خلاف) اى أن البعض منها يوضع افقيا بينما الاخر رأسيا ثم تضغط ويجرى تنعيم سطحها بشىء من العناية ويتوقف على هذا التنعيم جودة الصنف ، فما كان منها ناعماً جدا يصبح هو الأجود أما الخشن فهو الأردأ . وتتبارى المصانع فى الاسكندرية وفى غيرها من بلدان الوجه البحرى فى إعداد أفرخ الورق (Chartae) بأحجامه الكبيرة وتعرضها للبيع فى الأسواق ويجرى تداولها فى مصر وتصديرها

الى الخارج ، ويتهافت عليها الناس فى كل مكان وتحـرص الحكومة على التحكم فى اسعارها ومراقبة تصديرها. وكانت تباع فى شكل لفائف طويلة (Rolls) مؤلفة من لصـق صحائف منها بعضها إلى بعض والجانب الداخلى من هـذه اللفائف حيث تكون الألياف افقية اى متوازنة بطول اللفافة هو الجانب المخصص للكتابة عليه ، افقيا ، ويسمى هـذا الجانب اصطلاحيا (Recto) اى وجه اللفافة امـا الجانب الاخر فيعرف بالظهر اى (Verso) وكـان يستخدم عادة لكتابة العنوان (Address) او التذييل (Docket) من قبل المستلم للرسالة . والكتابة علـى الظهر تكون عادة عبر الألياف .

وفى العالم القديم وبخاصة فى البلاد المطلة علـى حوض البحر المتوسط كان البردى لاجيال عديدة هو مـادة الكتابة المتداولة بين الناس ، يتهافتون عليها ويجلبونهـا من مصر بأغلى الأثمان . ونظرا لأسباب مناخية هى جفـاف الجو فى مصر العليا وفى اقليم الفيوم بالذات بقى محفوظـا تحت طيات الرمال وقد عبث به النمل والحشرات فأتلـف بعض صفحات منه ، أما فى الوجه البحرى وفى الاسكندريـة بالذات فان رطوبة الجو أتت عليه وفتته وما بقى منه فـى

(منديس) وغيرها من المدن في شرقي الدلتا عثر عليه إما محروقا أو تالفا ومتأكدا . والأماكن التي يمكن العثور فيها على هذا التراث النادر ، عديدة ومتنوعة ، من أولاها تلك الاثار المتخلفة عن المساكن والمباني القديمة ، على مختلف أنواعها ، من عامة وخاصة ثم مقابر القدماء واكوام القمامة (Hai Kopriai) التي كان الناس في قديم الزمان يلقون فيها فضلاتهم في محيط المدن التي كانوا يسكنونها وفي القرى المتناثرة على حواف واحة الفيوم شرقا وغربا وجنوبا ثم شمال بحيرة قارون . وهناك مدائن كثيرة في صعيد مصر جادت بأوراق بردية نذكر منها هرموبوليس (الأشمونين) باقليم المنيا وانطينوبوليس (كوم الشيخ عبادة) ثم اكسير نخوس (البهنا) وجزيرة الفانتين باسوان وإدفو (أبوللونوبوليس ماجنا) .

ويرجع الكشف عن هذه المادة الى جهود العلماء الذين قاموا بحفائر في هذه القرى والمدائن ومنهم سير فلندرز بيترى وجرنفل وهنت وكان التوفيق يلازم بعض هؤلاء العلماء عندما يعثرون على لفائف من هذا التراث البردى ويعكفون على فرده ونشره . والفلاحون المصريون كان لهم باع طويل في الكشف عن هذا التراث . ولكن ذلك

كان بطريق الصدفة البحتة ، فهم فى سعيهم وراء الحصول على السباخ فى المناطق الاثرية واكوام التراب كانوا إحيانا يعثرون على لفائف من اوراق البردى ، وما اكثر ما كان يتلف على ايديهم اما بتمزيقه او بتقسيمه وبيعه بأبخس الاثمان لتجار العاديات ، وهؤلاء يبيعونه بدورهم الى نفر من العلماء الاجانب ، وبذلك تتشتت تلك المادة العلمية وتتوزع بين ايدى كثيرة وفى بلدان ومتاحف كثيرة. وكانت موميات الحيوانات المحنطة من عجول وتماسيح وقردة وطيور الايبس (Ibis) (أبو قردان وقد اندثر الان من مصر) فى منطقة هرموبوليس ماجنا (الأشمونين) مركز ملوى بالمنيا - كل هذه الموميات كانت تحشى بطونها وأحشاؤها بأوراق البردى التالفة او التى تقادم عليها العهد ففقدت قيمتها واهميتها ثم كانت هذه الموميات تلف بغشاء من هذه الاوراق وتغطى بطبقة من الجص . وهناك الورق المقوى (Cardboard) الذى كان يستعمل خصيصا لتغطية التوابيت وهو عبارة عن طبقات من البردى تكدست بعد ضغطها فأصبحت غطاءا واقيا لهذه التوابيت والجثث المحنطة المحفوظة فى طياتها . وقد جرت العادة ان هذا الورق كان يعثر عليه مغطى بكتابات مختلفة فى لفائف

طويلة ، بعضها سليم واغلبها فى حالة سيئة . وفى حـــالات نادرة قد يعثر الانسان على أوانى فخارية مختومة بخاتـــم من الطين على فوهاتها كطلاسة وبداخلها اوراق برديـــــة مطوية ، أراد أصحابها الاحتفاظ بها لأهميتها كسجـــلات أو عقود زواج أو بيع ورهن او ما شاكل ذلك . وهناك حـــالات أخرى يعثر عليها الانسان بين اللقى (Finds) مبعثرة، وقد اعتراها البلى والتفتت وعبثت بها الفئران والديـــدان وعملت بها يد الزمان والحدثان فأتلفت أجزاءا منهـــا ، وهكذا يصادف الباحث اشكالا والوانا من هذه المــــادة الكتابية مسطورة بلغات مختلفة اغلبها يونانى ، فيعكف علـى فك طلاسمها وملء الثغرات التى بليت . ولا ريب ان الحظ كان يلعب دوره. فيما يصادفه أو يلقى بين يديه من صحائـف وقصاصات مما هو محفوظ بسجلات المتاحف .

وعلم البردى (Papyrology) يمكن تفسيره على أنه فرع مهم من المعرفة ، متعلق بقراءة ودراسة كل مـا كان مكتوبا على صفحات البردى . وما أكثر الانواع واللغات التى استخدمت فى الماضى وسطرت بها صفحات ومجلدات . فهناك البردى الهيروغليفى والهيراطيقى والديموطيقى ثـــم

اليونانى والآرامى أو العبرى واللاتينى والقبطى والفارسى والعربى - وكل هذا يمثل تراثا فريدا ويشتمل على وثائق بردية تضم بين صفحاتها محتويات وموضوعات لها أهميتها فى حياة الناس فى ذلك الحين ونتعرف منها على طرائق معيشتهم واسلوب الحكم السائد بينهم . ولعل من الخير أن نقصر بحثنا هنا على البردى اليونانى باعتباره اللغة الرسمية التى كانت مرعية طوال فترة الف عام منذ فتح الاسكندر لمصر سنة ٣٣٢ ق.م ، حتى الفتح الاسلامى سنة ٦٤١ م فنتناول بعض العينات والنصوص التى كتبت باليونانية على أوراق البردى وهى لحسن الحظ منوعة ومتعددة الجوانب . وقد اتحفنا العالمان ادجار وهنت بمجموعات وعينات منها فى جزءين منشورين فى مجموعة (Loeb) سنة ١٩٣٢ ، ١٩٣٤ وعنوان الكتابين هو البردى المختار (Select Papyri) وبين طيات هذين الكتابين نجد مختارات من الأوامر والأحكام التى كان يصدرها الملوك البطالمة والولاة الرومان والاباطرة فى شتى المسائل كما نجد احاسيس الناس مصورة فى خطابات وملتمسات وعقود والتزامات فيخرج القارىء او المتصفح لبعض منها بفكرة عن ماجريات الحياة فى تلك الحقبة الطويلة .

وينقسم علم البردى الى شقين اساسيين هما البردى الأدبى (Literary) والبردى الوثائقى (Documentary) وهناك نوع شبه أدبى (Semi-Literary) مثل السبتواجنت (Septuagint) وهو ترجمة الاسفار الخمسة من التوراة والمعروفة بكلمة بنتاتويخ (Pentateuch) وهذا كله كان مدبجا بلغة يونانية شاع استعمالها وعم فى العصر الهيللينى وهى المعروفة بكلمة كوينى (Koine) وأصبحت لغة التخاطب والكتابة المستعملة في دواوين الحكومة والدوائر الرسمية منذ عهد الملوك البطالمة إلى أن جاء الرومان الى مصر فى سنة ٣٠ ق.م ، فحافظوا على استعمال اللغة اليونانية كلغة رسمية الى جانب اللاتينية ، وبقى الوضع على هذا النحو الى أن جاء الاسلام . فى هذا الاطار تتعين الحدود التاريخية لهذه النصوص البردية التى بدأت منذ الغزو الذى اتمه الاسكندر الاكبر للعالم الشرقى فى اسيا ومصر فى عام ٣٣٢ ق.م ثم منذ جاء البطالمة فى عام ٣٢٣ ق.م ، وخلفهم الرومان فى عام ٣٠ ق.م حتى فتح عمرو بن العاص مصر فى سنة ٦٤١ م . بل وما بعد ذلك بقرنين على الاقل كانت اللغة اليونانية هى السائدة الى أن انتصرت عليها

اللغة العربية نهائيا • وهناك نصوص سطرت بلغات أخـرى على مواد غير صفحات البردى أصبح من المتعين على المشتغلين بعلم البردى القيام بدراستها من قبيل عمل مقارنات ، نظـرا لأن موضوعاتها مرتبطة أو قريبة الاتصال بأوراق البـــردى اليونانى • ولنضرب الامثال على ذلك بكتاب الموتـــــى باللغة البيراطيقية وهو فى صميمه ينتمى الى علم العاديـــات المصرية (Egyptology) أو بقصاصة من كتـــاب (Gaius) فى القانون الرومانى او بعقد ديموطيقى من عقود الزواج ينتمى تاريخه الى عصر البطالمة ، ويلقى اضـواء على عقود الزواج اليونانية فى العصرين البطلمى والرومانـــى او بوثيقة لاتينية متعلقة بشأن من شئون العتق او بقائمة من قوائم الحساب وامساك الدفاتر الخاصة بدير من الأديـــرة القبطية او بنقش من النقوش العديدة التى تؤكد حق الايـواء (Heira Asyla) واللجوء الآمن فى احـــــد المعابد المصرية فى العصر اليونانى (Anachoresis) كل هذا يدخل فى نطاق ومجال عالم البردى ـ وعلى الانسـان ان يتناوله بالدراسة لارتباط ذلك بعمله الاساسى ولكنه لن يستطيع بالطبع عمل تلك الدراسة وحده لوجود بعض المشقة فى اللغات المختلفة التى صيغت بها هذه النصوص واصبح من

المتعين أن يستعين بغيره من أولى المعرفة فى مختلف المجالات .

وبصرف النظر عن القيمة التى نوليها لوثائق البردى الأدبى فيما يختص بما لها من أهمية من حيث الخط الذى سطرت به ومبلغ ماله من قدم وتاريخ فى علم البردى وهذا ما يتضمنه علم الكتابة القديمة (Palaeography) ويدخل فى موضوعه ، فإن هذه الوثائق تنتمى الى الأدب . وينبغى ان يعنى بها عالم البردى لأنها ترد فى دائرة اختصاصه وتتصل بعمله . وسواء أكان النص الأدبى ينتمى الى أحد مؤلفات الفيلسوف الاثينى أرسطا طاليس مثل كتابه عن نظام الاثينيين ودستورهم (Constitution of the Athenians) الذى تم الكشف عنه فى قرية فيلادلفيا باقليم الفيوم أم كان عملا أدبيا آخر كشف النقاب عنه فى أسبانيا او فى ايطاليا ، فهذا امر غير ذى بال ، لأن جميع الوثائق التى يتوفر عالم البردى على دراستها ، تتصل من طرف قريب او بعيد باحوال مصر . وهذا موضوع فى غاية الاهمية بالنسبة لعالم البردى الذى ينبغى عليه ان يعنى بكل ما يتصل باحوال تلك البلاد التى جادت بهذه الاوراق البردية ويتعرف على اوضاع سكانها ولغتهم والأعباء التى كانت تلقى

على كواهلهم ووسائل الترفيه والتسلية التى كانوا يسرون بها عن أنفسهم ثم ديانتهم التى كانت تمثل ملغمة وثنيـــــة (Pagan Amalgam) على حد تعبير العالم البريطانـى سير (هارولد إدريس بل) فى كتابه عن العقائد والديانات (Cults and Creeds) ثم العادات القومية المرعية لديهم والنظم القانونية ووسائل التقاضى عندهم من محاكـــم يونانية (Chrematistae) أو وطنية Laocritae أو مختلطة (Koinodikion) ـ كل هذا يمثل بعـض مظاهر الحياة المادية والمعنوية لدى المصريين واليونانيـــن الوافدين الى وادى النيل سواء أكانوا افراد أم جماعـــات ، ولدينا رهط كبير من هؤلاء اليونانيين والأسيويـــــين المتأغرقيـــن .

وإنه لمما يسترعى النظر وجود ذلك العدد الهائل من البردى المتعلق بالقانون والعادات والتقاضى ، فالشعـــب المصرى وصفه العالم البريطانى (إدوين بيفان) مؤلـــف كتاب مصر البطلمية بأنه محب للتقاضى (Litigant) وهذا يدخلنا فى زمرة المشتغلين بالقانون ونطاق البـــردى القانونى (Juridical Papyrology) مما حـــدا بالعلماء البولنديين وعلى رأسهم العالم رافائيل تاوبنشـــلاج

(R. Taubenschlag) إلى إصدار مجلة في وارسو
عاصمة بولندة تتوفر على نشر الوثائق البردية ذات الطابـــع
القانوني (Journal of Juristic Papyrology)
وصدر منها حتى الان نحو خمسة عشر جزءا وقد نشر العالـم
البولندى تاوبنشلاج كتابا ضخما عن القانون في ضوء البردى
(Law in the Light of Papyri) سنة ١٩٥٥ وهـــو
مطبوع في امريكا وجاء حاويا لموضوعات شتى ومؤيـــدا
بوثائق بردية عديدة حتى أصبح مرجعا لا يمكن للباحـــث
ان يستغنى عنه . وقد اخرج نفر آخر من العلماء الألمـان
والهولنديين والفرنسيين كتبا في القانون والقسم[1] وعقـود
الزواج معتمدين في ذلك على الوثائق البردية . ونذكر من
هؤلاء زيته (Zethe) وزايدل (Zeidel) وولف
(Wolff) وبيستمان (Pestman) وافـــرد
العالم الفرنسي اكتاف جيرو (Octave Gueraud)
كتابا جمع فيه عشرات من الشكايات في مجموعة مجـدولا

---

(١) Horkos Basilikos and Horkos Nomimos

القسم الملكي والقسم القانوني في ساحة القضاء في
بردى جامعة هالي Dikaeomata, Halle,
1913.

(Magdika) واعاد نشرها وترجمتها والتعليق عليها بإفاضة وعنوان الكتاب (Enteuxeis) اى الشكاوى وهى من عصر الملوك البطالمة الثلاثة بطلميوس الثالث والرابع والخامس ، وهى تصور أوضاعا فيها شد وجذب بين اطراف من السكان من يونان ومصريين ، تنابذوا وتشاحنوا وتقاضوا امام المحاكم والسلطات المحلية ولم يتورعوا عن ان يبثوا شكواهم الى الملك الذى كان يحيلها بدوره الى الحاكم الاقليمى (Stratègos) ليصلح ذات البين بين الاطراف ، ان أمكن والا فعليه ان يحول الشكوى الى المحاكم المختصة بحسب حالة المتقاضين وجنسيتهم ، وفى هذا الصدد نذكر كتابا مهما عن الاحكام والقوانين التى كانت مطبقة فى الاسكندرية وجاءت نبذ منها فى كتاب الأحكام (Dikaeomata) وبه نتف من عدة وثائق بردية محفوظة بجامعة هالى (Halle) بألمانيا وقد توفر على نشره سنة ١٩١٣ نخبة من العلماء الالمان على رأسهم العالم (الريخ فلكن) (Ulrich Wilcken)

وهذه الحصيلة من اشتات الوثائق البردية ذات الطابع القانونى تمثل ذخرا من المعلومات فى نطاق القانون

واسلوب التقاضي وهى تؤلف شقا مهما للغاية وقائما بذاتـــه وله كيانه فى هذا المجموع الهائل من التراث البردى ٠ ولــم يحدث اطلاقا ان اصبح بين ايدينا وتحت تصرفنا مادة غنية وذات اساليب متنوعة للغاية ، مثلما هو الحال بالنسبــــة للبردى القانونى ، وفضلا عن ذلك فبالاضافة الى القانــــون المصرى القديم السائد فى ارض مصر ، شهدت البلاد نظمـــا قانونية مجلوبة ، كان من أهمها النظم اليونانية واللاتينيـــة وان لم تكن هذه هى الوحيدة من النظم التى عرفتها مصــــر٠ وفيما عدا العالم البابلى والاشورى ، ليس هناك إقليم فـــى العالم القديم نعرف عن الحياة الاجتماعية والاقتصاديــــة السائدة فيه وما كان يجرى بين الناس من أحوال خاصــــة مثلما عرفناه عن مصر البطلمية او اليونانية والرومانيــــة٠ والفضل فيما وصلنا اليه من معرفة وثيقة ، يرجع فى اغلبــه الى علم البردى اليونانـــى ٠

تاريخ البردى وأعمال النشر
الجارية فيه على قدم وساق

يرجع تاريخ البردى الى أواخر القرن التاسع عشر، على أنه من قبل ذلك ظهرت فى المتاحف الأوربية ثمار بعض الكشوف الأولية التى تحققت بطريق الصدفة وكانت اولى هذه تلك الوثيقة المعروفة باسم (Charta Borgiana) وهى منسوبة الى أول صاحب لهذه الوثيقة وتم نقلها من مصر الى ايطاليا فى عام ١٧٧٨ وهى محفوظة الان بمتحف نابولى ٠ وهناك بعد ذلك مجموعة من الوثائق المتصلة بسرابيوم ممفيس وقد توفر على نشر البعض منها العالم الالمانى فلكن فى مجموعة الوثائق من العصر البطلمى Urkunden der Ptolemaerzeit (Berlin - Leipzig (1937) (١٩٣٧) وعينات منها منشورة فى البردى المختار تحت ارقام ٩٩ ـ ١٠٠ ، وفى كتاب مختارات من البردى اليونانى لمؤلفه Milligan (١٩١٠) رقم ٧ ، وما بعده ، والبعض منها منشور فى (ليدن) وتحكى قصة لائذ بمعبد السرابيوم ويسمى بطلميوس وكان يراسله ابوللوبيوس الذى عبر له عن الندم ووخز الضمير لتصديقه تلك الاكاذيب التى كان يحكيها له بطلميوس ٠

ومنذ عام ١٨٧٧ أخذت تتوالى كشوف هائلة مـــن البردى فيما كان يجرى من حفائر فى عدة مناطق منها اقليم الفيوم وهرموبوليس ماجنا وهيراقليوبوليس (أهناسيا المدينة) والواحة الكبرى وبانوبوليس (اخميم) ٠ واخذت هـــذه الكشوف البردية تشترى وظهرت ثمارها فى السوق ووجـــدت لها طلبا فى فيينا (مجموعة الارشيدوق رانير (Rainer) ثم فى باريس ولندن وبرلين ٠ ومنذ ذلك الحين اتجهـــت انظار المؤرخين ورجال الاثار الذين كانت قد بهرتهـــم من قبل النقوش المسطرة على الحوائط والالواح الحجريـــة، الى هذه اللفائف والمجموعات البردية ووجدوا فيها ضالتهـــم المنشودة ٠ وظهر من العلماء الذين عنوا بهذه البحوث العالم (ويسلى) (C. Wessely) ـ فى فينا والعالـــم الريخ فلكن (Ulrich Wilcken) فى برليـــن ولمعت أسماؤهما فى ذلك الحين ٠

وفى الشتاء من عام ١٨٩٠ م بدأت مرحلة جديـــدة عندما اخذت اعمال الحفر والتنقيب تجرى بانتظام ولأول مرة على أسلوب علمى سليم وتم الكشف فيها عن مجموعات مـــن أوراق البردى ولمع اسم عالم بريطانى مختص فى دراســـة العاديات المصرية هو السير فلندرز بيترى (W. ٩. Flinders Petrie) وسميت باسمه مجموعـــه

قديمة من أوراق البردى هي بردى بيترى في ثلاثة اجـــزاء وقد صدرت سنة ١٨٩١ وتحت اشراف جمعية بريطانيـــة عرفت باسم (Fgypt Exploration Fund) لتمويل مشروعات الحفر والتنقيب ، جرت حفائر فى عـــدة مناطق بقرى متناثرة بالفيوم في الشرق والغرب والجنـــوب. ومنذ عام ١٨٩٦ جرت اعمال التنقيب بصفة خاصة في موقـــع بلدة البهنا بالمنيا وكانت تعرف قديما باسم اكسير نخوس (xyrhynchos) واستمر العمل بعد ذلك واضطلع به عالمان جليلان من جامعة اكسفورد ببريطانيا همـــــا جرنفل (Grenfell) وزميله هنت (Hunt) فأخذ يبحثان وينقبان عن البردى بصفة خاصة وبطريقة منظمة وحظيا بالتوفيق وجادت هذه المنطقة بأكداس من البـــردى نشر منها حتى الان نحو خمسين جزءا تحت اســـــم (Oxyrhynchus Papyri) ولا يزال بمتحف ومكتبـة البودليان باكسفورد كميات هائلة يعكف على نشرهـــا الان عالم بريطاني هو الدكتور كولز (Coles) وهو يسيـــر على خطى اساتذته الاوائل وهم جرنفل وهنت وابريل تيرنـــر وغيرهم ، اما الالمان فقد ركزوا اهتمامهم بالحفر في جزيـرة

فيلة وفي هيرا قليوبوليس (Herakleopolis)
وفى مناطق اخرى غيرهما مثل فيلادلفيا حيث قام العالـــــم
الالمانى (Viereck) فيريك بالحفر فيها ونشــــر
مؤلفا عنها فى مجموعة (Der Alte Orient) وصدرت
منذ عام ١٩٠٧ مجموعة من البردى عرفت باسم (Papyri
Elephantine) لناشرها روبنســـــــــــــون
(Rubensohn) ونقب الفرنسيون فى الفيوم فى قريـة
ثيادلفيا (Theadelphia) وصدر للعالم الفرنسى
الراحل بيير جوجيه (Pierre Jouguet) مؤلف
هو (Papyir Theadelphia) وعمل الفرنسيـــون
كذلك فى الحفر والتنقيب فى مواقع اخرى منها تانيـــــس
وافروديتو بوليس اما الامريكان فركزوا اهتمامهم فى كــوم
اوشيم بشمال شرقى الفيوم ونشر العالم بوك (Boak)
وزميله بيتر سون نتائج هذه الحفائر باسم جامعة ميتشيجان
على نهر (Ann Arbor) بامريكا وعمل الايطاليـون
فى كوم مدينة ماضى (Eikosipentaroûros)
تحت اشراف العالم الايطالى فوليانو منذ حين وتعمل العمالـة
الايطالية برشيانى حتى الان فى هذا الموقع كما يقوم بالحفر
فى انطينوبوليس (كوم الشيخ عبادة) بالمنيا عالم ايطالـــى
فى جامعة فلورنسة اسمه مانفريدى (Manfredi)

وهكذا تبارت الهيئات العلمية الاوربية والامريكية في البحث عن كنوز البردى منذ اوائل القرن العشرين حتى الان ويلازمهم التوفيق فى هذه الجهود المتواصلة . وعملت جامعة القاهرة في منطقة هرموبوليس ماجنا (الاشمونيين وتونة الجبل) تحت اشراف الدكتور سامي جبرة وعثرت على مجموعة من البردى الديموطيقي وتم نشره في المعهد الفرنسي مؤخرا بالتعاون بين ناشره الدكتور جرجس متى وزميل امريكى ، كما عثرت الجامعة نفسها في حفائرها في هذه المنطقة تحت اشراف زكي علي والدكتور عبدالعزيز صالح على مجموعة اخرى من وثائق ديموطيقية مزيلة بنبذة يونانية (Bilingual) ووثيقة يونانية واحدة في عام ١٩٥٦ ، ويقوم العالم الالمانى لوديكنز بنشر الجزء الديموطيقى اما الوثيقة اليونانية فنشرها زكى على فى المؤتمر العالمى التاسع لعلم البردى سنة ١٩٦١ فى النرويج [١] وقد كان للفلاحين المصريين بصفة خاصة باع طويل فى الكشف عن ارشيف بردى مهم فى خرابة الجرز (Kerke) وهى فيلادلفيا قديما فبينما كانوا يبحثون عن السباخ في الاكوام

---

(١) وعنوان ذلك المقال

A Prosangelma from Hermopolis Magna

وهو بلاغ الى الشرطة عن ضياع بضاعة وسرقة حمار من صاحبهما .

الاثرية المتخلفة. عن هذه القرية عثروا بطريق الصدفة علـــى
هذا الكشف الهائل وهو ارشيف شخص يدعى زينون Zenon
كان يعمل وكيلا لابوللونيوس وزير مالية الملك بطلميـــوس
فيلادلفوس . وكان زينون هذا يونانيا من اهل كاونـــوس
باقليم كاريا باسيا الصغرى ، عمل في خدمة هذا الوزيـــر
العظيم واقام في ضيعة مساحتها عشرة الاف مـــن الارورات
او الافدنة اليونانية كانت هبة (Dorea) اسبغهـــا
الملك على وزير ماليته هذا ، واحتفظ هذا الوكيل بسجـــل
لجميع مكاتباته فكانت كنزا ثمينا عندما عثر عليه ولكـــن
هؤلاء الفلاحين رغبة منهم في الكسب قسموه فيما بينهـــم
وباعوا اجزاءا منه لمن يدفع اغلى الاثمان وهكذا تفـــرق
هذا التراث بين جهات علمية اوربية وامريكية واحتفـــظ
المتحف المصرى بنصيب كبير ونشر الكاتالوج خمسة أجـزاء
تمثل القسم الاكبر وعدد الوثائق المنشورة فيه ٨٥٠ وثيقة توفر
على نشرها ادجار اما الهيئات العلمية الاخرى فحظيت بقسط
اخر ونذكر منها جامعة ميتشيجان بامريكا والجمعيـــة
الايطالية (P.S.I.) في فلورنسة وجامعة مانشستـــر
بانجلترا (Rylands Library) وجامعة اثينـــا
وجامعة كولومبيا بامريكا - وهكذا تهافت هذه الهيئـــات

وكان اخرها ما نشره العالم البريطاني ت٠ اسكيت (T. Skeat) في الجزء السابع من بردى المتحف البريطاني سنة ١٩٧٢ ٠ وفي سنة ١٩٨٠ قام العالم الهولندى بيستمان (Pestman) في ليدن بنشر جزء من هذا الارشيف ضم عددا من الوثائق الديموطيقية مصحوبة بترجمتها اليونانية كما اعاد نشر وتصويب عشرات من الوثائق اليونانية في هذا الارشيف ٠

قراءة البردى اليوناني
وما قد يصادفه من صعوبات في هذا السبيل

هناك سؤال كثيرا ما يرد على خاطر الباحث في هذا المجال وهو كيف يتصدى الانسان لنشر وثيقة بردية كاملة وما هو السبيل الامثل كيما يتغلب على ما قد يعترضه من معوقات ، اذا ما كانت البردية مبتورة او ممزقة او كانت الكتابة عليها مطموسة او ممحوة ٠ وللإجابة على ذلك نود بادىء ذى بدء ذكر بعض الحقائق الاساسية في هذا الصدد ٠ لقد اصبح التراث البردى في السنوات الاخيرة منذ نحو ستين عاما ، ذاخرا ومتوافرا في المتاحف ولدى الهيئات العلمية وهو في تجدد وازدياد باستمرار ووصل هذا

الى جد يتحير له الانسان ويتشتت له فكره ، فالكثير من الحفائر التي تجرى كل عام في شتى ارجاء مصر وبخاصة في الصعيد حيث كانت المدائن والقرى القديمة ، تكشف لنا بين حين واخر اكداسا منه ، حتى اصبحت المتاحف في مصر وفي الخارج ذاخرة باشتات من اوراق البردى بين أدبي وشبه ادبي ووثائقي . وبات من حق الاخصائيين المصريين ان يلقوا بدلوهم في هذا المضمار والا يهابوا خوض هذا الميدان ، فيتعرفوا بذلك على مكنون هذا التراث الذى يحكى احوال اجدادهم في العصور السحيقة وبخاصة في العصر اليوناني - الروماني - بصورة صادقة . وعليهم كذلك كواجب وطني ان يساهموا في نشر هذه الاكداس البردية ولو بقسط ضئيل نسبيا ، ولكن عليهم في الوقت نفسه قبل الدخول في هذا المضمار ان يتسلحوا بالاسلحة الضرورية . ولا ريب أن من أولاها المعرفة الجادة بقواعد اللغة اليونانية الكلاسيكية من أدب وشعر ، لأنها كانت اللغة الرسمية السائدة والمتداولة في مصر طوال حقبة مهمة امتدت الى نحو الف عام منذ فتح الاسكندر الاكبر لمصر في عام ٣٣٢ ق.م حتى الفتح الاسلامي ٦٤١ م . فكانت اذ ذاك تكتب بها الوثائق الرسمية وتصدر بها الاوامر الملكية والمراسيم وما يبعث به الاباطرة الرومان الى مصر من اوامر وخطابات وما يصدره الولاة

الرومان من تعليمات الى حكام الاقاليم والى الشعب المصرى كما كان الناس يكتبون بها وثائقهم الخاصة من وصايا وعقود ويسجل بها الافراد على مختلف طبقاتهم وطوائفهم ، الأجانب والاهلون على السواء ، أحاسيسهم ويدونون بها عقود الزواج والديون وما عليهم من التزامات وما يبعثون به من خطابات لذويهم من أبناء وزوجات ويبثون فيها شكاياتهم ومظالمهم الى الملك او الحكام الاقليميين ويمسكون بها دفاتر حساباتهم فى الزراعة والتجارة واعمال التشييد والبناء والمصروفات التى يتكبدونها فى شتى المجالات - تلك هى لغة الكوينى (Koine) وهى ليست لغة عامية او لغة السوقة كما قد يتبادر الى الذهن وانما هى لغة أدب وثقافة ترجمت اليها التوراة فى مصر فى جزيرة فاروس بالذات وعرفت هذه الترجمة بالسبعينية (Septuagint) واضطلع بهذه الترجمة سبعون من احبار اليهود ، جلبهم واستدعاهم الملك البطلمى من بلاد اليهودية فعكفوا فى هذه الجزيرة (قلعة قايتباى حاليا) صوب الاسكندرية واتموا مهمتهم على احسن وجه وبارك الشعب اليهودى هذه الترجمة وصبوا اللعنات على من يحاول تغيير شىء فيها وبقيت هذه الاسفار الخمسة مصونة بلا تحريف ولا تزييف . وكانت مسحة لغة الكوينى سائدة وشائعة فى أدب ذلك العصر

الهيلليني وفي وثائقه البردية ٠

وينبغي علينا كذلك ان نزود انفسنا بمختلف المعاجم واهمها المعجم اليوناني في طبعاته الاخيرة منذ عام ١٩٤١ ، وعام ١٩٥٢ وهو المعروف باسم (Liddell and Scott) لورود اشارات به الى الوثائق البردية واستعمال الكلمات في مجموعات البردى المختلفة ٠ وهناك مراجع وموسوعات اخرى لا مناص منها للاسترشاد بها في استكمال هذه الدراسة ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر

1- Preisigke, Worterbuch (3 vols.);
   Namenbuch, Sammelbuch

في عدة اجزاء تصدر تباعا ٠

2- Daniele Foraboschi; Onomasticon Altertum Papyrologieum, 1971.
3- David and Van Groningen, Papyrological Primer, 1946.
4- Eric Turner, Greek Papyrology, 1968.
5- Richard Seider, Palegraphie der Griechichen Papyri (Stuttgart)., 1967.
6- Pape - Benseler, Griech. Eigennamen, 1959
7- Wilhelm Schubart, Palaegraphie, 1925.
8- Naphtali Lewis : L' Industrie du papyrus (Paris); Papyrus in Glassical Antiquity, Oxford, 1974.

تلك هى بعض معالم الطريق والادوات التى ينبغـى التسلح بها . ولأول وهلة يتحتم تحديد نوعية الوثيقة وهل هى قطعة من الادب المنشور من المؤرخ ثوكيد يديس مثلا ، أم من الشعر المنظوم ، من اشعار هوميروس أو الشعراء التراجيديين او الكوميديين او من على شاكلتهم او انها تمثل لونا آخـر، مما يدخل فى صميم الحياة اليومية كالخطابات الوديـة المتبادلة او عقود البيع والشراء او الشكايات والمظالـم او قوائم الحسابات الجارية او الاقرارات والبيانات :

Epistolai,
Entolai, Syggraphai, Enteuxeis,
Hypomnemata, Apographai, Logoi,
Prosangelmata, Prostagmata
Proskynemata etc.

وفى الامكان التعرف على بعض الامارات الدالـة على هذه او تلك من ديباجة الوثيقة او الخاتمة التى تنتهـى بها او من بعض الكلمات والعبارات ذات الدلالة القوية فـى صلب الوثيقة ، فكل نوع من الانواع السالفة الذكر له اسلوبه الخاص ، فان وجدنا مثلا كلمات Chairein فى الاسطر الاولى ثم Errwso, Errwsthai او احدى صيغهما فـى

الخاتمة فالوثيقة عبارة عن خطاب Epistula مما يدخل
فى بند الرسائل والمكاتبات الاخوانية او المصلحيـــــة وان
وجدنا كلمات مثل adikoumai hypo فى صدر الوثيقـة
وكلمة eutychei فى الخاتمة فهذا دليل كاف علـــى
ان الوثيقة تمثل شكاية او ظلامة فى العصر البطلمـــــى
enteuxis وفى العصر الرومانى anaphorion
مرفوعة إما الى الملك البطلمى او الى الوالى الرومانـــــى او
الممثلين المحليين لكليهما . وفى هذه الحالة يتطلب الامـــــر
الرجوع الى ما ورد من اشباه ونظائر فى الكتب الحاوية لمثـل
هذه الشكاوى واهمها كتاب اكتاف جيرو (Octave
Gueraud) وعنوانه الشكاوى (Enteuxeis)
فى العصر البطلمى وبه طائفة منوعة من وثائق البردى وصورهـا
الاصلية فى شتى الموضوعات وعند تصفحها تتكشف لنـــا
الاساليب المرعية فى التقاضى فى مصر . ونجد ما ينير لنـا
السبيل فى سد بعض الثغرات والفراغات (Lacunae)
مما قد يواجهنا فى اى من البرديات المراد نشرها ، إن كانت
تمت لهذا النوع بصلة ما . وفى كثير من الاحوال نجـــد
الحاجة ماسة الى ملء هذه الثغرات التى انتابت ايا مـــن
الوثائق البردية بفعل الزمان او كانت ثقوبا نجمت عـــن
اكل النمل او الديدان او حدثت بسبب التضاريس وعمـــل

الرمال ، وهنا ينبغي ان ننوه بفضل تلك الرمال التي غطت وطمست بلدانا كثيرة على حواف الصحارى في صعيد مصر ، شرقا وغربا وبخاصة في القرى المتناثرة في واحة الفيوم وبلدة اكسير نخوس (البهنسا) بمحافظة المنيا وقد كست الرمال الاثار الباقية والمباني الخربة على طول الزمان فصانتها من عبث ايدى اللصوص ، وحفظت بالتالي هذا التراث البردى من البلى والضياع · وعلى اى حال فالأمر يتطلب حصيلة كبيرة من المعرفة بالأمثلة والنماذج والاشباه والنظائر كيما نستقى منها ما تتطلبه كل حالة على حدة ولذا تعين ان يكون الي جوارنا دائما او في متناولنا اهم المجموعات البردية التي نشرت تباعا ولعل من اهمها بردى اكسير نخوس وقد نشر منه حتى الان حوالي خمسين جزءا او مجلدا ثم بردى تبتونس (قرية في جنوب الفيوم) Papyri Tebtunis وقد نشر منه عدة اجزاء· وبردى فلندرزبيترى في ثلاثة اجزاء وبردى امهرست Papyri Amherst) وبردى كولومبيا وبردى لندن وبردى كتالوج المتحف المصرى وبردى جامعتى ميتشيسجان وييل بامريكا وجامعة ليل (Lille) بفرنسا وجامعة هالى (Halle) بالمانيا وبردى برلين المعروف بالاسم الاتى

.B.G.U وبردى الجمعية الايطالية بفلورنسة وهو المعروف بالاسم الاتى : .P.S.I وفضلا عن ذلك فهناك العديد من الحوليات والدوريات التى افسحت صفحاتها لنشر البردى نذكر منها ما يلي :

1- Archiv fur Papyrusforschungen .
2- Aegyptus, Milan.
3- Etudes de Papyrologie, Cairo.
4- Zeitschrift fur papyrologie und Epigraphik (Koln, Germany).
5- Journal of Egyptian Archaeology (London).
6- Chronique d'Egypte (Brussels).
7- Journal of juristic Papyrlogy Warsaw.
8- American Society for Papyrology.
9- Otto Gradenwitz: Kontrarindex.

وهذا المرجع الاخير للاسترشاد بالمقاطع الاخيرة في التصويب .

وبعد القاء النظرة الاولى على اى من الوثائق البردية المراد التعرف على طابعها العام وانوعية التى تنتمى اليهاء يبدأ الانسان فى قياس طولها وعرضها ثم يقوم بتسجيل هذه الابعاد بدقة ، مع التنويه بوجود هوامش اوعدم وجود شىء منها

ثم يتلو ذلك وصف الشكل العام للوثيقة من حيث اللون وغير ذلك فيذكر ما اذا كان هناك تاكل وكسور او تهشم او شقوق عرضية او طولية وهل كانت الكتابة على وجه الوثيقة وعر الالياف او بعضها ثم نجد العنوان عادة على ظهر الوثيقة ويحمل كذلك بيانا بذيله المرسل اليه بتاريخ وصول الرسالة وموضوعها في اختصار شديد . وينبغي ان يتضمن الوصف العام شكل الحروف واخراج الكلمات وهل هي متصلة (cursive) او جاءت الحروف منفصلة ومفردة (uncial) وهذا النوع الاخير كثيرا ما يرد في الوثائق التي سطرت بها عيون الادب والشعر ونصوص التوراة في الترجمة السبعينية وهناك حروف مميزة واخرى غير مميزة وفي احوال كثيرة يحدث بعض اللبس في قراءتها ونسبة تاريخها . ومن هذه وتلك الحروف الاتية :

η, Γ, π,   Ξ, ξ, N

أما حرف الالف A, α فاحيانا يرد واضحا واخرى يجيء بجرة القلم في ذيل الحرف الذى يسبقه ويرتبط بالحرف الذى يليه (بوصلة legature) حتى لا نكاد نميزه او نتعرف عليه .

ولعل من اهم العقبات التي تعترض قارىء البردى تلك الاختصارات والاختزالات والرموز التي كان الكاتب اليوناني القديم مغرما فيما يبدو باللجزء الي اتخاذ هذه الحيلة ، فكان بين الحين والاخر يعمد الى اثبات الحرف الرابع ا الخامس في الكلمة فوق السطر للدلالة على انه اثر الاختصار ومن الامثلة علىء ذلك ما يلي للتعبير عن كلمة اخ وهي $\alpha\delta\varepsilon^{\lambda}$ او $'A\pi o\lambda^{\lambda}$ للدلالة على اسم $\alpha\delta\varepsilon\lambda(\varphi o\varsigma)$ او $\sigma\iota\tau o^{\lambda}$ للدلالة على كلمة $'A\pi o\lambda\lambda(\acute{\omega}\nu\iota o\varsigma)$ وهو خازن شونة الغلال . وفي كل هذه الاحوال وامثالها نكتفي بان نكمل الكلمة بوضع الحروف المحذوفة او المختصرة بين قوسين مستديرين هكذا ( ) وهناك اختصارات اخرى معروفة ومشهورة نذكر واحدة منها على سبيل المثال وهي $\rho\alpha$ وهذه ترمز الى صاحب مائة اورورات على اعتبار ان الراء هي مائة والالف ترمز الى كلمة aroura اى الفدان اليوناني $\frac{6}{10}$ من الفدان المصرى وتكون الكلمة هي hekatontarouros وترد بكثرة العلامة الدالة على الدراخمة drachma وهي هكذا ⊦ وتكتب بعد صرفها بالحروف بين قوسين مستديرين في صيغة المفرد او الجمع

المضاف اليه حسب السياق هكذا (drachmes) ثم (draehman) وهناك الرمز الدال على السنة وهو هكذا (etos L) وقد يأتى بعده اى رقم مثل

$\bar{\eta}$ $\bar{\iota}$ $\dot{\varkappa}$ λ $\overline{\varkappa\vartheta}$

الخ وقد يأتى بعد ذلك اسم شهر قمرى فى التقويم المقدونى او شهر مصرى فى السنة الشمسية . والحذر كل الحذر ان تقرأ : $\overline{\varkappa o}$ بعد $\bar{o}$ على أنها $\overline{\varkappa\vartheta}$ لوجود استحالة لأن حرف الكاف يمثل ٢٠ أما حرف الأميكرون $\bar{o}$ فيمثل ٧٠ واذا فلابد أن يكون الرقم $\overline{K\Theta}$ هو ٢٩ حتى ولو كان حرف الثيتا مطموسا . وهناك رمز آخر هو هكذا ω̂λ اى منه عند الطرح ورمز اخر يشار اليه بشرطة هكذا / ginetae أى يصير فى حالة التساوى والرمز الدال على النصف هو < والثلث γ' والربع δ' أما التالنتوم وزنا او نقدا فيرمز له هكذا Λ وهو يساوى نحو ٢٤٠ جنيها والدراخمة بها ستة ابلات (obols) والواحدة من هذه الابلات هى والابلان شرطتان = والابلات الثلاثة هكذا 5 .

ولعل من أولى المهام تحديد تاريخ الوثيقة والعصر الذى تنتمى اليه فهى اما بطلمية او رومانية او بيزنطية

وهذا القدر من المعرفة يمكن الوصول اليه من نظرة عابرة الى شكل الخط ومخارج الحروف وانسياب الخط الذى كان لـه طابعه على مختلف العصور ، كما انه من ثنايا النص ومن سياق الكلام يمكن التعرف على العصر والتاريخ الذى تنتمى اليه الوثيقة فان جاء ذكر لاحد ملوك البطالمة واسم ابيه وامه او اخته وزوجته مصحوبا بإحدى الصفات او الكنيات التى كانت تطلق عليه مثل سوتير بالنسبة للملك البطلمى الاول او فيلادلفوس بالنسبة للثانى او يورجيتيس بالنسبة للثالث او فيلوباتور بالنسبة للرابع او إيفانيس يوخاريستوس بالنسبة للخامس او فيلوميتور بالنسبة للسادس ، اصبح الامر هينا . ولدينا مثل رائع على ذلك فى اقدم عقد زواج مؤرخ فى ٣١١ ق . م - ٣١٠ ق . م وهو المنشور فى بردى إلفانتين P. Elephantine, ففيه الكنيات والدلالات الصريحة على تأريخه . وفى الوثائق الرومانية كان يرد احيانا اسم الامبراطور والقابه وصفاته والوظائف التى تولاها او اسم الوالى الرومانى ، إن كان الامر متعلقا بمرسوم او قرار للوالى (diatagma) اريد تبليغه إلى السلطات المحلية لإعلانه ونشره على الملاء فى مكان ظاهر وبحروف واضحة ومراعاة تنفيذه (Poiein) ومن الوسائل التى يمكن ان نستدل بها على اسم الملك البطلمى

وورد ما يدل على ان حكمه امتد الى ٣٨ او ٣٩ سنة وهـــذا ينطبق إما على الملك بطلميوس فيلادلفوس الذى امتد حكمه الى ٣٩ سنة او بطلميوس يورجتيس الثانى الذى امتد حكمه الى نحو ٥٢ سنة على فترتين غير متعاقبتين ، ثانيهما مـــن ١٤٥ ق . م حتى ١١٦ ق . م (تاريخ وفاته) .

ومن الوصف العام لنوع الخط وطريقة اخراج الحروف وصياغة العبارات واختيار الكلمات ومعالجة الموضوع الـــذى دبجه الكاتب يتبين ما اذا كان هذا الكاتب ضليعا فـــى اللغة ام أن صاحب هذه الرسالة امى (agrammatos) ليس له معرفة بفك الخط (analphabet) لجـــأ الى كاتب محترف ليسطر له الخطاب او المظلمة او العقـــد المراد إبرامه . وهناك فى مجال الخطابات ترد عبـــارات تقليدية فى توجيه التحية والخاتمة وهذا مما ييسر علينا ملء الفراغات وتكملة الاجزاء الناقصة ، ان وجدت ، ومـــن الامثلة على تلك العبارات ذات الدلالة نذكر ما يلى :

Εἰ ἔρρωσαι καὶ ἐν τοῖς λοιποῖς κατὰ λόγον ἀπαλλάσσεις, εἴη ἂν ὡς ἡμεῖς θέλομεν. ἐρρώμεθα δὲ καὶ αὐτοί. καλῶς ἂν ποιοῖς μνημονεύων ἡμῶν.

وترجمتها على النحو الآتى : (إذا كنت بخير وكل شيء اخر يجرى حسب المراد ، فهذا ما نبتغيه ونتمنـــاه أما عن انفسنا فنحن بخير ونأمل راجين ان نكون فــــى ذاكرتكم) وترد فى خطابات عديدة عبارات مماثلة وكثيرة ما تشفع بالرجاء الحار فى عمل كذا Kalws an

وهذا يدل على ان الوثيقة التى نحـــن poiesais بصددها ترجع فى اغلب الظن الى القرن الثالث قبل الميلاد او ما بعده بقليل وذلك لأن ارشيف زينون جاء به هــــذا النوع من الاسلوب مئات المرات حتى اصبح مألوفا للمشتغـل بدراسة هذا العصر واستمر مرعيا كذلك فى العصور التاليـــة وعلى ذلك كان ورود عبارات من هذا القبيل فيه كشـــف للطريق امام الباحث .

وقد يستدعى الامر التعرض لأمور شكلية سبـــق أن نوهنا عنها ومن أهمها ضرورة ذكر الأخطاء اللغوية ، إن وجد شيء منها ، مما قد يقع فيه الكاتب الذى دبج هذا النــــص سواء أكان من النصوص الادبية او الوثائقية وتصحيح ما قـــد يرد فى الهجاء او فى النحو او فى الاسلوب كأن يغفــــل الكاتب بعد كلمة ei men, an استعمال الصيغـــة الشرطية ويستخدم بدلها الصيغة الاخبارية indicative) mood).

وعلى العموم فالأمر يتطلب فى جميع الأحوال أبداء كل ما يعن من ملاحظات خاصة باسلوب النص ويندرج هذا كله تحت بند النقد العام للنص (apparatus criticus textual notes) ويشتمل هذا على كل ما يراه الناشر من تعليقات ومقارنات مما يمت للأسلوب واستخدام الكلمات وقواعد النحو والصرف والبيان . ويلى ذلك ترجمة للنص إن كان كاملا او الاكتفاء بالشرح والتفسير لمضمونه إن كان مبتورا او ناقصا . وفى حالة الترجمة ينبغي توخي الدقة التامة والالتزام بالنص ومنطوقة ، فلا نطلق العنان لأنفسنا ونساق وراء الرغبة فى التصرف خشية الوقوع فى اخطاء قد تخرجنا عن الهدف المطلوب . وقد يصادف الانسان فى النص بعض الكلمات ذات الدلالة الخاصة مثل احدى الكلمتين anachoresis او ekchoresis إما فى صيغة الفاعل او المصدر وعندئذ نستطيع ان نستدل من إحديهما على وجود تلك الظاهرة التقليدية فى مصر وهى السلبية والرغبة فى عدم التعاون وذلك بالاعتصام بحرم أحد المعابد المتمتعة بحق الجيرة والايواء (heira asyla) فتسبغ على كل من يلوذ بها حماية ورعاية ولا تستطيع يد الحكومة او احد رجالها ان تبطش به . ويعتبر هذا الاجراء نوعا من الاحتجاج الصامت ازاء تصرف من أحد رجال

الحكومة أو الضيق بالأوضاع القائمة . وقد يستتبع هـــــذا الزحيل من قرية لأخرى فى جناح الليل أو وضح النهار وذلــك فرارا من وجه السلطات . وكثيرا ما هدد الفلاحون ، إمـــا فرادى او جماعات ، باستخدام هذا الحق لكى يرهبوا الهيئات الحاكمة حتى ولو كان الأمر ضد وزير مالية البــــلاد (أبو للوتيوس مثلا) أو رغبة منهم فى ان يحصلوا على حــق. أو ينالوا انصافا من سوء معاملة موظف ما مثل داميــــس (Damis) او لعدم الموافقة على تقدير ضريبة مـــن الضرائب رأوا فيها مبالغة وأرادوا حث السلطات علــــى تخفيضها وتقدموا من جانبهم بتقدير مخفض hypotimesis انظر الوثيقة البردية (P.S.I. 502) .

القسم الملكــى

وهناك موضوع القسم الملكــى (horkos Basilikos) حيث يقسم الفرد بالملك وزوجة الملــك وبالإله سيرابيس وايزيس بأنه يتعهد بالوفاء بشىء ما ولدينا امثلة عديدة على مثل هذا القسم نذكر منها ما ورد فى بـردى تبتونس رقم ٢١٠ حيث يتعهد فلاح يؤدى القسم بدفع الايجـار المستحق على الارض (ekphoris) وقد أقر بأنــــه

تسلم البذور (sperma) من الحكومة وانه يردها مرة ونصف hemiolion وقد جاء في اخر هذا القسم عبارة تقليدية وهي أنه اذا وفى بقسمه يتم له الخير أما اذا نكث العهد فتكون العاقبة هي العكس (ta enantia)

ولدينا مثل اخر اكثر روعة على دقة ما يرد في القسم الملكي من تفاصيل وهذا المثل منشور في أرشيف زينون المنشور في كتالوج المتحف المصري ورقمه ٥٩٢٨٩ وتاريخه في العام ٣٥ من حكم بطلميوس فيلادلفوس اى في عام ٢٥٠ ق. م وفي وهذا القسم يتقدم ضابط سفينة تابعة لوزير المالية ابوللونيوس بحلف اليمين باسم الملك بطلميوس بن الملك بطلميوس وزوجته برنيقة المخلصين (Soteres) وباسم أرسينوى فيلادلفوس الإلهين الاخوين والالهين المخلصين وباسم اجدادهم (goneis) متعهدا بالا ينقل على السفينة اية بضائع مهربة أو تحوم حولها ريبة وبالا يسمح لأحد بإتيان عمل من هذا النوع وبألا يدلس على رجال النكوس والقائمين على حراستها . وفى نهاية القسم وردت عبارة طريفة لها نظائر فيما جاء على نقش من طوه محفوظ بالمتحف المصرى ونصها كالاتي : (ان كل شيء بالنسبة له سيكون على ما يرام اذا حافظ على قسمه والعكس إذا حنث في يمينه) .

εὐορκοῦντι μέν μοι εὖ εἴη, ἐφιορκοῦντι δὲ τὰ ἐναντία.

وهناك قسم قانونى nomimos horkos يطبق فى المحاكم وفى شهادة الشهود وورد فى مجموعة بردى هالـــى (Pap. Halensis) وفيه يقسم الفرد Omnyei بالاله زيوس وزوجته هيرا وبوسيدون على كذا وكذا وكـــان مطبقا فى الاسكندرية وتقضى به الاحكام Dikaeomata المرعية فى محاكم هذه المدينة وهى الاسكندرية .

كلمات أخرى لها دلالاتها

ومن الكلمات المعبرة وذات الدلالة كلمـــــة Philanthropa اى الاعفاءات التى كان يصدرها ملـوك البطالمة بين الحين والآخر وفى شتى المناسبات من قبيــــل الترضيات والمصالحات والمثل الرائع على ذلك ما جاء فــى وثيقة بردية فى مجموعة تيبتونس رقم (٥) وقد صدرت فــى عهد بطلميوس يورجتيس الثانى سنة ١١٨ ق . م لتسويـــة الخلاف بينه وبين زوجته الاولى كليوباترة الثانية وإنهـــاء حرب شعواء انقسمت فيها البلاد على نفسها وقاست الامريـن

من جراء هذه الحرب . وهناك كلمات اخرى بمثابة عناوين على موضوعات اساسية في سياسة الحكم البطلمي وتلك هي :

Kleruchia,

Stathmodosia, Stathmodotes

وهي تنم عن توزيع انصبة من الاراضي على طوائف الجند لتكون بمثابة رواتب عينية لهم وتوزيع مساكن يحلون فيها وهذه وتلك كانت بمثابة عطايا من الملك ، وله ان يستردها متى شاء وتردد العبارة التقليدية الاتية في هذا الشأن :

gar hoi stathmoi Basilikoi eisin

أي ان هذه المساكن ملكية ولا يجوز التصرف فيها بالبيع ولا بالشراء ولا بالاقراض ولا التوريث وكان موضوع إسكان الجند والضباط من مشاة وفرسان سببا في اصدار عدة تشريعات من عهد الملك بطلميوس فيلادلفوس وجاء اغلبها في مجموعة بردى بيستري وفي بردى مجموعة المانية هي بردى جامعة هالى P. Halensis (خطاب الملك بطلميوس فيلادلفوس أنطيوخوس Antiochus ونجم عن هذه الاوضاع عدة احتكاكات بين اصحاب البيوت من المصريين وهؤلاء النزلاء epistathmoi وتقدم بشأنها العديد من الشكايات التي صيغت باسلوب متماثل . وهكذا كانت

أمثال هذه الكلمات ومشتقاتها توحى إلى الباحث نوعيـــــة الوثيقة التي يتصدى للكشف عن مكنونها ثم يتيسر له معرفــة مفردات الكلمات التي يمكن أن يستقيها لملء الفراغــــات الموجودة في النص على اساس هذا السياق فهى إذا بمثابـــة المرشد والدليــــل ".

المصادفات في مجال البردى

ومما لا ريب فيه ان اى دارس من طائفة العلمـــاء المشتغلين بالدراسات الكلاسيكية ممن اتيحت لهم فرصـــة التصدى لنشر وثيقة بردية سواء أكانت ضمن أرشيف معيـــن او جاءت مفردة ، فلابد أن يتملك هذا الباحث شعور غامـر من الحماس والغبطة عندما يسعده الحظ بقراءة نص مــــن هذه النصوص لأول مرة ، وبخاصة اذا كان هذا النص مـــن عيون الأدب اليونانى كشعر هوميروس في ملحمتيــــــه : الألياذة والأوديسيا أو في شعر أحد الشعراء التراجيديين من امثال أيسخيلوس وسفوكليس ويوربيديس أو الشعـــراء الساخرين من امثال أرسطوفانيس أو ميناندر او من احـــد الفلاسفة مثل ارسطا طاليس (كنظام الآثينين ودستورهـــم) وقد يجىء شيء من هذا بطريق الصدفة مسطرا على وجـــه

أو ظهر وثيقة بردية سبق استعمالها في تسجيل حق معلـــوم أو ظلامة معينة وكان الكشف عنها في طيات رمال الصحراء أو في إناء فخارى أو كانت مطوية فى الكثبان الرمليـــة أمدا طويلا وبقيت فى طيات الكتمان أو كانت مدفونة ضمن الانقاض فى الاكوام الاثرية والمقابر القديمة او التـــلال الاثرية الباقية من حطام البيوت القديمة او المعابد او كانت ضمن اللفائف التى غطيت بها تماثيل الالهة المحنطة مثـــل الاله سبك او التمساح بالفيوم او طائر ابوقردان (الابيس Ibis) فى هرموبوليس ماجنا او فى مقارة او كانـــت ضمن توابيت الموتى بعد تحنيطهم ولفهم بصفحات من البردى المستعمل وتغطية هذا كله بكساء من الجص فاذا ضرب الحفار بمعوله في هذا كله تفجرت له صفحات البردى في طيات هـذا الجثمان • وان هذا الشعور بالسرور الغامر عندما يعثر علـى ضالته ليستولى على الانسان كذلك عندما يعثر على نص بردى يجد فيه اجابة شافية عن سؤال ربما طال الجدل حوله واشتـد النقاش بصدده • فالعثور على جواب شاف هو خير جزاء عن هذا الجهد المضنى الذى يبذله الباحث عندما يتوفر ويعكـــف على قراءة بردية غير منشورة • وقد يشعر كذلك بمزيد مـن الغبطة والسرور عندما يعثر بطريق الصدفة البحتة على مـــا

يؤكد فكرة مقررة . وانه لمما يدخل علينا البهجة والسرور أن نعلم علم اليقين ان الكلمة الاخيرة لم ترد بعد في امور كثيرة عن أحوال القدماء وان اتصالنا بالعالم القديم بطريق مباشر لا يزال في حيز ضيق وان هذا لا يزال حتى الان في تجدد مستمر ، فالبردى هو أحد الوسائل التي اتاحت لنا السبيل إلى (الانفتاح) او (الانفراج) على العالم القديم والتطلع الى افاقه البعيدة والمترامية الاطراف . ويرجع الفضل في كل ذلك الى ما نشر من مجموعات تعد بالمئات من اوراق البردى ، جاءت قصاصاتها تحكي لنا في اسلوب مقتضب احيانا ، الشيء الكثير مما كان يجري في العالم القديم في مصر وفي غيرها من البلدان وتصور لنا الوانا من صميم الحياة ومن احاسيس الناس في السراء والضراء وتعرض لنا كل هذا على طبيعته دون تلوين او إيحاء فيه الغرض والهوى .

معالجة البردى وفرده واعداده للنشر

على ان هذا يمثل وجها واحدا من العملة ، كما يقولون ، وهناك وجه اخر ولذا ينبغي علينا ان نقلب النظر فيما لدينا من مادة بردية مما قد يقع بين ايدينا لنرى الوجه

الآخر . وعلينا أن نتذكر كذلك ان المساهمة في إضافة بعض المعلومات الجديدة وابتداع ألوان جديدة من المعرفة له متطلباته ومسئولياته . فالتصدى لدراسة وثيقة بردية غير منشورة ، معناه القبول الضمني باحتمال الوقوع في أخطاء وليس في هذا بالطبع اية غضاضة . فكل انسان معرض للخطأ وذلك بقدر ما يخالجه من أمل في توخي الصواب . ثم ان تصويب اى خطأ لا ينبغي ان يؤدى بنا الى ارتكاب اخطاء اخرى ودأب من البردى انه فرصة متاحة بدرجة أكبر من غيره في ان يرى كيف يمكن لأشد العلماء إخلاصا واكثرهم دقة وحساسية التورط في الوقوع في الخطأ . ومن الخير الا ننساق وراء طائفة من النقاد والغلاة الذين آثروا انتهاج اسلوب فيه شيء من القسوة والضراوة ، فانقضوا كالوحوش الكاسرة على غيرهم ممن نشروا وثيقة بردية ما وكانوا اصحاب الفضل الاول في ذلك النشر المبدئي (editio princeps) فمضوا ينحون عليهم باللائمة لارتكابهم بعض الاخطاء . وما كان ينبغي على هؤلاء النقاد المتشددين ان ينسوا او يتناسوا مبلغ ذلك الجهد والنصب الذى يتكبده كل من يتصدى لنشر وثيقة بردية او اخراج نص منقوش على حجر او على قطعة من الشقافة

(ostraca) او على لوح برونزى tabulis aheneis او على لوح خشبى او قطعة من الجلد او البارشمان فجاء نشر هذا او ذاك فى صورة قشيبة الى حد ما ، وهذه قد تصلح لأن يبدأ منها اولئك الغلاة من النقاد مرحلة تالية فيسلطوا عليها أضواء جديدة ويعملوا على تنقيحها وتنقيتها من الشوائب .

ولدينا فى هذا الصدد قدوة حسنة فيما ذكره العالم الامريكى الراحل هربرت يوتى (Herbert C. Youtie) استاذ البردى بجامعة ميتشيجان فى مقال له عنوانه : Textual Criticism of Documentary Papyri, 1958 .

وفى هذا المقال نجد مناقشات وضاءة تنير لنا السبيل . كما أن هذا العالم القى فى عام ١٩٦٣ محاضرة فى جامعة ميتشيجان عنوانها The Papyrologist: Artificer of Fact أى (أن عالم البردى هو بطبيعته المبتكر للحقيقة ، بل هو مبدعها وصانعها) . ومما لا ريب فيه أن هذا التحذير من الوقوع فى مواطن الخطأ او الزلل هو من قبيل الاعداد والتمهيد للدخول فى وطيس هذه المعركة ، إن صح هذا التشبيه ، وهو أن التصدى لقراءة وثيقة بردية هو بمثابة الدخول فى معركة وعلى ذلك ينبغى علينا ان نتزود لها بالسلاح الملائم لمثل هذه النوعيات من الدراسات . واية وثيقة بردية مما قد

يصادفه الانسان فى احدى المتاحف والهيئات العلمية او يلتقطه مباشرة من طيات رمال الصحراء او من احدى المناطق الاثرية قد تكون واضحة ولا يجد فيها الباحث اية مشقة فى قراءتها لأول وهلة - وفى كثير من الاحوال قد يتطلب الامر بذل شيء من العناية الفنية ، إذا كانت اللفافة مطوية او مبرومة وحولها خيط به خاتم من الطين ، وعندئذ يلزم فرضها وبسطها ، والكشف عن طياتها ثم وضعها بين لوحين زجاجيين للمحافظة عليها من التلف او تناثر بعض اجزائها واطرافها - وهذه مهمة يحسن ان تتم على افضل وجه فى معمل ملحق باحد المتاحف او بقسم الترميم ، يكون به جهاز بخارى مبسط يساعد على ترطيب الياف تلك الصحائف البردية فتصبح بذلك صالحة لفرد طياتها بطريقة آمنة دون ان تتعرض للكسر او التفتت إن كانت هشة - ذلك ان اية وثيقة بردية على سجيتها قد تكون صفحتها إما مطوية أو ملفوفة او مجزومة كالقرطاس او مفضضة اى مجعدة بسبب ظروف تواجدها محشورة بين احداث من الاتربة وخرائب الاثار - وعلى ذلك تطلب الامر تركها على سجيتها فى جو رطب لفترة من الوقت كيما تتاح الفرصة حتى تسترخى اليافها - وهذه تعتبر عملية فى غاية البساطة ، وإن كانت تستغرق بعض

الوقت نظرا لما تتطلبه الضرورة في وضع اللفافة المؤلفة من عدة صفحات متلاصقة ، بعضها فوق بعض ، بين صفحتي فرخ من التشاف المبلل او المرطب وفوقها غلاف وفي العادة يضاف قدر صغير من مادة ما ، كيما نحول دون حدوث اي عفن . وبعد انقضاء ليلة أو نحو ذلك في هذا الجو الرطب يصبح من اليسير إمساك تلك البردية باليد ولمسها بالأصابع بل وتسوية ما قد يكون بها من طيات وثنيات في حوافها واطرافها ، دون خوف من ان تميل اليافها الملتوية الى الارتداد الى الوضع الاصلي الذى اتخذته من قبل . وأن قصاصة البردى في وضعها الملفوف اصلا هي اشبه ما تكون في شكلها وحجمها بقلم الحبر . فاذا ما عولجت على النحو السالف الذكر قد تسفر او تتمخض عن صفحة كاملة . اما كتلة البردى ذات الطيات المتلاصقة وهي التي تشبه من حيث الضخامة حجم جراب النظارة فقد تسفر ، بعد فردها عن وجود ثلاث صفحات او اكثر ، كانت ملفوفة او مطوية او متلاصقة بعضها فوق بعض . وخير وسيلة يمكن اتباعها للمحافظة على النص المسطر عليها من العبث به او ببعض كلماته ، هي بوضع تلك الوثيقة بين لوحين من الزجاج لان الزجاج يفضل اى مادة اخرى شفافه مثل النايلون او الباغة ومع ان الزجاج مادة قابلة للكسر مما قد يعرض البردى

المحفوظتين لوحتين زجاجيتين للخطر وللتلف ، فإنه يبقى لامعاً وشفافاً على طول الزمان . وفضلاً عن ذلك فالبردى فى هذا الوضع يصبح غير قابل للالتصاق به وبعيداً عن أن تصل إليه يد البلى أو تعبث به أى من الحشرات والدواب كالنمل والدود والفئران . وهناك تجارب اخرى تجرى حالياً وهى تبشر بالخير وقد اسفرت عن استخدام غشاء اخر اشبه ما يكون بغطاء من النايلون او مادة حريرية يستخدم فيها الضغط ، فتحفظ هذه الوثائق من ايدى العابثين بها . على أن هذا الاسلوب من المعالجة يتسم بالبساطة نسبياً إذا ما قورن بأساليب اخرى مطبقة فى مواد اشد صلابة وهى قطع الشقافة التى تؤلف علماً قائماً بذاته هو الاستراكولوجى (Ostracology) وهذه الاساليب التى تعالج بها هذه المادة فيها شئ كثير من التعقيد فرواسب الملح على سطح قطع الفخار قد تؤثر على الكتابات المسطرة عليها وهذه الكتابات فى اغلبها عبارة عن خطابات قصيرة او توسلات بالدعاء للالهة (proskynemata) اوايصالات او نحو ذلك . فإذا لم يتيسر ازالة هذه الاملاح والمواد العالقة باستخدام مادة الاسيتون او ما شاكلها فإنها قد تكون قشرات وطبقات خارجية مما قد يتسبب عنه ان السطح المكتوب يعتريه بعض التقشر وانفصال رقائق من هذا

السطح ، ولذا يتعذر معرفة كنة النص المسطر • ومع ذلــك فقد اصبح من المتعين أن نحمي هذا السطح بوضع غشاء مـن مادة البلاستيك وهي لدائنية كاللبان كما نعلم ، وبذلك نحمي هذا السطح بغمس قطع الشقافة في محلول طوال فترة كافيــة من الزمن حتى تذوب تلك الطبقة الملحية من على سطحها •
أما الخشب فله شأن اخر إذ يحتاج الى عملية من التجفيــف البطيء حتى يتسنى قراءة ما سطر عليه • وهناك موميــات عديدة كانت تكسى وتغطى بعد تحنيطها بطبقة جصة قوامها لفائف من البردى من الاكداس في سلال المهملات وقد اصبح تالفا وألقي به في اكوام القمامة وكان مصيره أن اتخـــذ كساءا لهذه الجثث المحنطة وكان أشبه ما يكون بالكرتـون ويحتاج الامر الى شيء من المهارة في نزع تلك الاجـــزاء واللفائف الواحدة تلو الاخرى ، مع الحرص الشديد حتـى لا تتمزق وتضيع معالمها • وهناك مخطوطة مشهورة عرفـــت باسم صاحبها وهو السير شستيربيتي Sir Chester Beatty) وتبين انها تشتمل على احد اناجيل العهــد الجديد ، مع ان هذه المخطوطة عندما وصلت اول الامر الى لندن كان الوصف المبدئي لها لا يعدو كونها عبارة عـــن كتلة من لصاقات بردية تتألف من بضع صفحات قصيـــرة ،

حالتها فى غاية الدقة وينتابها البلى إلى اقصى حد وأطرافهـا بها خيوط منسلة • وكان من اللازم شطر اجزائها بعضها عـن بعض وفصلها الى صفحات • وقد امكن تحقيق ذلك بفضـل المهارة الفنية التى اوتيها خبير المانى مشهور هو الدكتـور إبشر (H. Ibscher) وبذا أمكن التعرف على جزئياتها ومحتوياتها وهى تمثل الاسفار الاربعة الاولى من الانجيل وسفر الأعمال • واعتبر عمل هذا العالم الألمانى أعجوبة محققـة •

وهناك أسلوب اخر فيه من البراعة الفنية الشىء الكثيـر، وهذا من ابتداع خبير نمساوى يسمى أ • فاكلمـان (A. Fackelmann) استدعى للحضور للقاهرة منـذ بضع سنوات وقام بفرد بعض أوراق البردى المحفوظة بالمتحف المصرى وبالمعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة وقد تضمن اسلوبـه بسط اللفائف البردية ، حتى ولو كانت متأكسدة بفعـل الكربون • وقد تمكن من فك كتلة متجمدة من هذه الأوراق، مستعينا فى ذلك بالحرارة المتولدة من مصابيح كهربائيـة واستطاع رفع الحواف والاطراف بتأثير الكهربة الاستاتيكية وهى الكهربة اللاحركية على مادة شفافة هى ال perspex وبذا امكن نزع الطبقات التى كانت تتألف منها هذه الكتلة وفصل اجزائها بعضها عن بعض • وإنه لمما يشوق الانسـان ان يعرف إلى اى حد يمكن ان تستجيب اليه اللفائف المتأكسدة

بالكربون والتى كشف عنها فى هركولانيوم Herculaneum وما تسفر عنه مثل هذه التجربة .

وهناك خطورة قد تواجه الباحث احيانا ويحتاج من اجل التغلب عليها الى شىء كثير من الفراسة والى قدر كبير من المعرفة بمكنونات علم البردى واساليبه وافاقه البعيدة . وهذه الخطورة منشؤها اعمال الزيف ومحاولات التزييف وهذه بضاعة شائعة وينبغى ان يتحرز الانسان من الوقوع فى متاهاتها (فالأنتيكات) على مختلف أنواعها ومواصفاتها ومن بينها البردى بالطبع ، يجرى صنعها وتزييفها . وفى بعض الاحوال يتم هذا فى اوربا نفسها وليس فى مصر وحدها وذلك بقصد الكسب الحرام من جراء تصريف هذه البضاعة المزيفة وبيعها للسائحين الذين يرتادون ارجاء مصر والمناطق الاثرية بصفة خاصة وكذلك للمولعين باقتناء الاثار من الاوربيين وغيرهم . ولابد ان يتوقع الإنسان ان البردى المزيف كان كذلك من بين هذه السلع التى يتهافت الناس على شرائها ، وكان من بين العروض التى تدخل فى هذا النطاق ويجرى دسها ضمن العاديات الاثرية كيما تجد من بين المولعين من يدفع الثمن الغالى او الباهظ من اجل الحصول عليها . على انه

نادراً ما كان يجرى هذا التزييف بقدر من المهارة يكفى لأن ينخدع بها الخبير . وفى مثل هذه الحالات يتعين عليه ان يلجأ الى عدة تجارب وفحوص واختبارات كيمائية حتى يتبين بواسطتها الغث من السمين (مثال ذلك اختبار عمر الحبر) وعليه ان يمتحن بها المعروض من اوراق البردى للبيع للتأكد من سلامتها وخلوها من اى زيف . ذلك ان المزيف ليست لديه من وسائل المعرفة ما يكفى للوقوف على دقائق علم الكتابات القديمة الباليوجرافى Palaeography وعلى الخطوط المختلفة بحسب العصور المتتالية وتغير اخراج الحروف على هذا المدى الطويل ، وليست لديه بالطبع من الدراية والمعرفة العلمية مما يمكنه من سبك ما يخرجه من كتابات وما يحيكه من خطوط . وفى العادة تكون حصيلته وذخيرته من المعرفة بنسخ الحروف الابجدية القديمة واستخدام العلامات والرموز التى كانت مستعملة لدى القدماء محدودة للغاية ، ولذا كان يعمد إلى تكرار نفس المجموعة القليلة من العلامات المتوفرة لديه المرة بعد الاخرى، وهذه العلامات عادة ما تخلط اشكالا كانت شائعة فى مختلف العصور والازمان ، بل وفى مختلف اللغات ، وبذلك تصبح لا معنى لها . ومع ذلك فلم يكن هذا مما يثبط همة البائع، فما عليه فى هذه الحالة سوى ان يسبغ على بضاعته من

الكلمات ما يضفى عليها شيئا من الغموض فينسبها الى نوع من البردى كان شائعا ومنتشرا ألا وهو البردى السحرى (magical papyri) ، ولدى جامعة كولومبينا بنيويورك اثنا عشرة قطعة من البارشمان اشتريت فى الاسكندرية منذ عام ١٩٥٠ لحساب تلك الجامعة بواسطة العالم الامريكى الراحل وليام لين وستزمان W. Linn Westermann) واضطلع بنشرها العالم اليهودى إلياس بيكزمان (Elias Bickermann) بعد وفاة الاول سنة ١٩٥٤ وهذه المجموعة من قبيل الوثائق السحرية الحقيقية التى كتبت بحروف منفصلة (uncial) وبخط جميل سهل قراءته ، ولكن تفسير معانيه يحتاج الى الدخول فى تفاصيل لا قبل لنا بها الان . ومن الحيل التى كان يلجأ اليها اولئك المزيفون استعمال صفحة من البردى القديم تكون خالية من الكتابة او استخدام ظهر (verso) صفحة كتب على وجهها وترك ظهرها خاليا فيسطرون ما يشاءون على هذا الظهر وذلك امعانا فى التمويه . وقد يعمد المزيف الى ترقيع صفحة او لفافة قوامها قصاصات صغيرة - ومع ذلك فحتى هذه اللفافة ذات الرقع وما بها من اثار الكتابة القديمة الظاهرة على الجزء الخارجى ، بينما الاجزاء الداخلية خالية من الكتابة ، ربما نجىء حاوية

لشيء يستحق الذكر . ولدينا لفافتان بهما ترقيع من هذا النوع ، إحداهما وصلت الى باريس عام ١٨٦٨ م والاخشرى وصلت الي لندن في عام ١٨٩٢ وكلاهما يحتوى على قصاصات إضافية من لفافة اخرى طويلة للخطيب الاثيني هيبريديس (Hyperides) وكانت بردية باريس المزيفة تتألف من ثلاثة عشرة قصاصة بينما زميلتها الموجودة في لندن تتألف من قصاصات أربعة .

التمعن في تفسير الكلمات ومخارجها وتاريخ الوثائق البردية .

وتأتي بعد ذلك مرحلة مهمة واساسية ألا وهي التصدى لقراءة بردية ما ومحاولة نسخ كل ما سطر عليها . فإذا كانت الكتابة مدونة بخط فيه سمة التأني والأناقة ، مما يدخل في نطاق ما يعرف بالخط الجميل caligraphy فإن هذه المهمة تصبح ميسرة وليس فيها ما يدعونا إلى أن نهاب هذا العمل او نتوجس منه خيفة او وجلا . ومع ذلك فهناك بعض الامور المتعارف عليها وبعض المصطلحات التي يجب ان نستوعبها ونتفهمها فهما جيدا ، فالكتبة العموميون (hoi grammateis) الذين كان يناط بهم

هذا العمل ويلجأ اليهم عامة الناس من اجل تسطير الوثائق والنصوص باللغة اليونانية في العصر اليوناني - الروماني ،. لم يكن من عادتهم الحرص على تجميع الحروف في كلمات مفردة ، وعلى ذلك اصبح يقع على كاهل القارئ عبء تجزئة تلك الكتابات المتصلة وفصلها إلى كلمات مستقلة وهذه مهمة ثقيلة في كثير من الاحيان وغالبا ما يتورط صاحب هذه التجزئة فيقع في أخطاء بحسن نية . ولعل موالاة القراءة في مثل هذه الكتابات المتصلة وما بها من نصوص يتيح للإنسان القدرة والكفاية التي تمكنه من سرعة الفصل بين الكلمات والتعرف على مداها ومبلغ تداخل بعضها في بعض ومع ذلك فكثيرا ما وقعت اخطاء في مثل هذه الحالات كان يتردى فيها القراء قديما وحديثا . وللتدليل على ذلك نذكر مثلا واحدا هو تلك الكلمة الغامضة ..

حسبما وردت في البردى الذى يضم ارشيف ابينايوس (P. Abinnaeus) الذى نشره العالم البريطاني الراحل (هارولد ادريس بل) في الوثيقة رقم ٦٣ سطر ٢٤ فكانت تلك الكلمة تمثل لغزا حير القراء امدا طويلا وها هو النص الكامل لتلك الجملة كما وردت

προσκγιον πόται (πότε) προσκγιον φησιν

والتقسيم الصحيح لتلك الكلمات هو على النحو الاتى :

πότε προσάγι (προσαγει) δν φησῖν .

ومعناها (متى يستدعى الى المثول امام المحكمة ذلك الرجل
الذى يتحدثون عنه؟) وكلمة prosagein هى مصـــدر
يستعمل كثيرا فى التعبير عن الزج بالناس فى ساحة القضاء
والمثول امامها وكذلك زجهم فى السجون . على ان هـــذا
التقسيم الخاطئ الذى نوهنا عنه بقى امدا طويلا لم يفطـــن
اليه علماء فرنسيون اعلام مثل بيير جوجيه وكـــــولار
(Jouguet Collart) والمان مثل ميتيس Mitteis
وايطاليون مثل ارانجيو رويس Arangio Ruiz
وبريطانيون مثل إريك تيرنر Eric Turner
اما التقسيم الصحيح فقد تنبه اليه العالمان هنت (A. S.
Hunt) وادجار (C.C. Edgar) فى كتاب لهما
من جزئين عن البردى المختار - انظر الجزء الثانـــــى
ص ٢١٨ (سنة ١٩٣٤) .

وهناك صعوبة اخرى اشد مراسا واكثر تعقيـــدا
والسبب فى ذلك ان الكتاب القدماء نادرا ما كانـــوا
يستعملون اى ترقيم او يستخدمون فواصل ، ثم إن هجاءهـم
للكلمات جاء محيرا وتسبب فى كثير من اللبس . وعلـــى
ذلك فهناك وسيلة واحدة لا مناص منها ، وبواسطتهـــا

يتعلم الانسان قراءة البردى ودنه تجىء بالممارسة والتجربة الطويلة . أما اذا بدا أن الخطوط معقدة ومن العسير قراءتها ، فعندئذ يمكن الرجوع الى النتائج التى وصل اليها الناشرون الأولون بقصد التعرف على الأساليب التى استخدموها فى فك مثل هذه الطلاسم . ثم إنه بقراءة نصوص كثيرة ، يستطيع الانسان أن يكتسب شيئا من المهارة والثقة فى النفس والمران فى تصفح ما كتبه على لفائف البردى . وفى هذا المجال هناك عديد من النسخ المطابقة للأصل من مختلف النصوص المنشورة والكثير منها فى حالة جيدة ويمكن للطالب أن يستعين بها ويتخذ منها أنموذجا للاسترشاد به . ومن الأمثلة على ذلك ما يلى :

(١) كتاب العالم الألمانى ولهلم شوبارت :

W. Schubart, Papyri Graecae Berolinenses (1925)

W. Schubart, Einfuhrung in die Papyruskunde, (1918)

(٢) تومسون

E.M. Thompson, An Introduction to Greek and Latin Palaeography, Oxford, 1912.

(٣) احد كتابى الآنسة ميديا نورسا :

Medea Norsa

(a) Scrittura letteraria Greca

(b) Scrutture documentarie

(٤) كتابان للعالم البريطانى إريك تيرنر :

Eric Turner

(a) Greek Papyrology, 1968

(b) Greek Manuscripts, 1971

وعلى الإنسان أن يتأكد ويتقى فى تصفح الأمثلة الواردة فى مثل هذه الكتب ونظيراتها ثم لا يكف عن الرجوع اليها بين الحين والآخر حتى يتعود على الأساليب التى كان القدماء يتبعون بها كلماتهم ويخرجون بها حروف تلك الكلمات فى عجلة ويستخدمون رموزا واختصارات لا حصر لها . وحينما يحاول الانسان قراءة بردية ما ، فمن الخير له ان يجلس بجوار نافذة يكون الضوء منها آتيا من الشمال ثم يستعين بوضع مرآة صغيرة بجانب صفحة البردية وذلك فى مواجهة مصدر الضوء حتى ينعكس ذلك الشعاع الضوئى على النص المسطر وبذلك يضمن بقدر المستطاع وصول ضوء ثابت مسلط على الجوانب المختلفة من تلك الوثيقة البردية . على ان بعض العلماء المشتغلين بقراءة الكتابات والنصوص القديمة (palaeographers) كانـــــوا

ولا يزالون يؤثرون استخدام مصباح كهربائي ذى طاقة أو فلت منخفض ، فيضعونه على مقربة من الوثيقة ، بحيث لا يزيد بعده عنها على بوصة واحدة او نحو ذلك ، وبهذا يسلطون ضوءا سطحيا على النص بدلا من تسليط ضوء مباشر وفي كل الاحوال يحسن استخدام عدسة مقعرة ، بحيث تكون قوة تكبيرها للاشياء في حدود ست مرات ٠ وحتى في الحالات التي يكون فيها الخط المسطر على الوثيقة من السهل قراءته ، فإنه يحسن ان نكون لانفسنا قوائم بالحروف الابجدية بالصورة التي وردت عليها ، وعلى النحو الذي جرى عليه القلم تماما في يد كاتبه القديم ٠ وعلى الطالب أن يصيغ لنفسه نماذج من هذه الحروف الابجدية بدلا من الاعتماد على الكتب المتداولة والاقتباس مما بها من قوائم شاملة للحروف المتعارف عليها وهي تتطور في كتابتها على مدى العصور المختلفة ، ذلك ان العبرة بالحرف الهجائي في صورته النهائية ليست هي التي تعنينا وتستوجب ان نخصها بالدراسة ، وإنما الذى يعنينا في المقام الاول هو الطريقة التي صيغ بها هذا الحرف او ذاك والكيفية التي خرجت بها الجزئيات المكونة له ومعرفة ما اذا كان الكاتب القديم قد عمد الى إخراج الحرف الواحد بجرة واحدة او بجرتين او بثلاث جرات من القلم الذى بيده ، وهل بدأ من اعلى ثم

انتقل بالقلم الى أسفل . ويمكن معرفة الاتجاه الذى اتخـذه القلم بملاحظة النقط الصغيرة التى تتجمع من المداد او الحبـر عند تلاقى القلم وملامسته لصفحة البردية ثم بتتبع بقعة المداد عند توقف القلم وما يتركه من اثر او ذيل عند رفع القلم . وليس من سبيل الى الاستدلال على هذا الاتجاه إلا برسـوخ جرة القلم وسمكها النسبى فى اوضاعها المختلفة عندما تكـون الجرة مستقيمة وفى وضع عمودى او كانت مائلة او منحنيـة وعلينا ان نوالى التساؤل عن الكيفية التى كان الكاتـب يسطر بها حروفه ويخرجها الى حيز التنفيذ ، وهذا يتيـح لنا فرصة البحث عن اشكال الحروف المتماثلة وهى مسطـرة على صفحات البردى، ومعرفة الاسلوب الذى كان يمارسـه الكتبة ويزاولونه فى مختلف العصور. وذلك عندما كانت توكل إليهم مهمة تسطير نص او كتابة ظلامة موجهة الى احـدى السلطات العليا الحكومية ولذا كان يتعين ان يتـم اخراجها فى ثوب قشيب وتدبيجها بخط لائق وبحروف فيها قدر من التأنى والتأنق والجمال . ويمثل هذه القوة مـن الملاحظة يتعود الانسان منذ البداية على ان يستنبط مـن صورة الكتابة دليلا على ماهيتها والعصر الذى تنتمى اليـه وهذا يمكنه من الحصول على قدر من المعرفة بعلـم الباليوجرافى وتفهم النص الذى يحاول قراءته وربط اجزائه

بعضها ببعض .

وقد يكون من نافلة القول ان نصر على ذكر انـــه حتى بالنسبة للباحث الاريب قد تكون اللغة التى صيغـــت بها النصوص المعروضة عليه ، عائقا-الى حد كبير مما يصعب معه تفهمها على الفور نظرا لما قد تحتوى عليه من كلمـــات لم ترد من قبل في اى قاموس او معجم او وردت مرة واحـداة فقط (hapax legomene) وقد ترد عبارات فنيـــة وغير فصيحة وعندئذ يتطلب الامر تفسيرها وتحليلها ثم قـــد يجيء ذكر اسماء شخصيات واماكن ليست معروفة من قبـــل ولم يرد لها اى ذكر فى الكتب المتداولة وهى

Namenbuch, Worterbuch, Eigennamen,
Foraboschi, etc.

وهذه تحتوى على اسماء الاشخاص والكلمات والبلدان وغيـر ذلك من اسماء الملوك والقابهم والاباطرة والكنيات التـــي كانوا يسمون بها . وفضلا عن هذا وذاك ، فالكلمـــــات العادية قد تحمل طابعا ومعني غير مألوف ويكاد القـــارىء لا يدرك كنهة لاول وهلة إما لأن هذه الكلمات جـــــاء هجاؤها بصورة خاطئة او لأنها وردت بهجاء يجعلها قريبة من النطق الذى كان سائدا فى العصرين الهيللنستى والرومانى . وفي القرن الأول من العصر الروماني كانت الحروف المتحركة

ذات الفروق الدقيقة وحروف العلة التى تشكل صوتا واحـدا
بادغام حرفين من حروف العلة (diphthong). مثل
في العصر الكلاسيكي ببلاد اليونان قد اعتراهـــا
التغيير والنقصان الى ما يقرب من خمسة انواع هى الألـــف
الطويلة , ει=αι ثم $\bar{\alpha}$ α, ε دون اى نبـــرة
او حركة وغالبا ما يتبادل هذان الحرفان . وكان حـــــرف
الايوتا (ι) نفسه ينغم كما ينغم الحرفان οι وحرف
اليوبسيلون υ والحرفان υι وحرف الأوميجا ω
وعلى ذلك إصبحت الاخطاء في الهجاء بسبب ما شـــــاب
الحروف المتحركة من تشويه على هذا النحو ، تقابلنا بيـــن
حين واخر في النصوص الأدبية كما نجدها كذلك فـــــــى
النصوص الوثائقية سواء بسواء . ومع ان وجود مثل هـــــذه
الأخطاء في اى نص ادبى او خلوه منها يعتبر عنوانا ودليـــلا
على درجة التعليم التى وصل اليها الكاتب الذى قام بتدبيـــج
الوثيقة او النص ، فليس هذا دليلا مؤكدا على نوعية النـــص
ومفهومه الضمنى . وفي الخطابات الخاصة ، ولدينا منهـــــا
تراث ضخم تناول شتى الموضوعات الانسانية والعلاقات بيـن
الافراد وكذلك في النصوص الوثائقية تجيء مثل هـــــــذه
الاخطاء الهجائية ومعها المدلولات غير المألوفة لحـــــروف
ساكنة ، فينجم عن ذلك كلمات محيرة للبصر ولكنها قـــــد

تستجيب في معناها للأذن ـ ذلك أن التفرقة والتمييز بين اللسان المألوف وهو الذى يعبر عنه حديثا بكلمة demotiki واللسان النقى او الصحيح وهو الذى يعبر عنه بكلمة (kathareuousa) كان على سبيل اليقين قد بدأ في القرن الاول من الحقبة الرومانية ثم ان المعرفة باللسان المألوف المسمى بالديموطيقى قد تؤدى فى الكثير الغالب الى فهم سليم لمعنى اصطلاح ما غير مألوف ، ذلك ان الصياغات اللغوية الغربية وما بها من تخريجاتو ، يجب دائما تفسيرها طبقا لقواعد وسنن مرعية فى تطبيقها .

على ان القارىء لا ينبغى عليه ان يقنع بفهم ما تعنيه مفردات الكلمات الواردة في النص ، وانما يتعين عليه معرفة سياق الموضوع الذى يتناوله النص برمته والهدف المقصود منه بوجه عام ، فهذا اجدى وانفع ، إذ ان معرفة الموضوع المتعلق بنص ما تخدم غرضين ، فهى تساعد على فهم محتويات النص وفى الوقت نفسه فيها شيء من ضمان عدم الإشتطاط فى فهمه . وقديما كان احد علماء جامعة اكسفورد ينصح كل من يأنس فى نفسه القدرة على دراسة نص بردى أدبى خاص بالعصر الكلاسيكى من التراجيديات او الكوميديات الخالدة او من هوميروس بالذات ، ان يحفظ

عن ظهر قلب المؤلفات الباقية من اعمال ذلك المؤلف الذى يدرسه وعليه ان يندمج تماما فى تصفح الأسلوب الذى كان يتبعه مثل هذا الكاتب المسرحي ويتعرف على الكلمات التى كان يستخدمها ويلم باللوازم والحيل التى كان يألفها ومجال الخيالات التى كان يحلق فى اجوائها وان يكون دائما على صلة وثيقة ومعرفة اكيدة بالقصاصات الباقية من اعمال هذا المؤلف واثاره الادبية . فاذا ما واجهت اى باحث وثيقة بردية من النوع الذى يتعرض لاستطلاع البروج وكشف الطوالع (horoscope) ، كان عليه ان يلم بالعناصر الاساسية فى الوثائق البردية التى من هذا النوع وذلك عن طريق دراسة امثلة منشورة ذات صلة بهذا المجال، اما اذا تعرض لدراسة نص عادى ، فيه رتابة كعقد ايجار خاص بقطعة من الأرض او ايصال دال على سداد دين والوفاء بجميع الالتزامات او ايصال بتسلم قدر من البذور (To sperma) او مبلغ من المال كمقدم فى نظير قطع الاعشاب وتنقية الارض Xylokopia and Empyrismos فإنه فى مثل هذه الحالات يصبح فى حاجة ماسة الى معرفة الأساليب والعبارات التقليدية والمصطلحات التى جرت العادة باستعمالها فى مثل هذه الوثائق ذات الطابع القانونى وما تفرضه من التزامات ثم الالمام بالكيفية التى كانت

تصاغ بها مثل تلك الوثائق في مختلف الأزمنة والبلـــدان.
والمطلب الاخير الذى يواجه الباحث هو أن يعطى تاريخـا
للنص الذى يعالجه . وهذا لا يتأتى الابالبحث عن إحـدى
الصيغ المألوفة التى كان الاقدمون يؤرخون بها وثائقهم مثـل
السنة التى يحكم فيها الملك او الامبراطور او اسم الكاهـن
القائم على طقوس العبادة المرعية او اسم القنصل او الوالـى
او وجود إشارة الى موظف كبير او شخصية مرموقة تكـون
سيرتها معروفة لدينا مثل ابو للونيوس (Apollonios)
وزير مالية (dioecetes) الملك بطلميوس الثانـى
الملقب فيلادلفوس او بالاشارة الى تاريخ وفاة الاسكنـدر
ومرور عدد من السنوات على هذا او باستعمال حقبة او تقويم
محلى دورى endiction (كما هو الحال فى مصر فى عصر
دقلديانوس) او بالتعرف على نفر من الاشخاص وطائفة من
الاحداث التى تنتمى الى سلسلة معروفة من الوثائق والسجلات
مثل ارشيف زينون او ارشيف يوكليس خليفة زينـون او
ارشيف ايزيدوس او ارشيف ابينايوس . وقد يكون السند
الذى نعتمد عليه فى تأريخ وثيقة ما ، راجعا الى اعتبـارات
اخرى خاصة بنوع الخط وكتابة الحروف ، منا يدخل فى نطاق
علم الباليوجرافى . ومن هذا نستطيع التعرف على تقديـر
تاريخ تقريبى وذلك بمقارنة الخطوط والكتابات ومراعـاة

الظواهر التي كان يتميز بها الخط في العصر البطلمي عـــن الخط في العصر الروماني او البيزنطي ، وهذه ظواهر وفوارق مميزة ، لها انماطها . ولكي نتعرف على النسق العـــــام للنصوص المختلفة وما بها من حروف ذات خاصية مميـــزة، ننصح بالرجوع الى كتاب صدر حديثا عن المخطوطـــات اليونانية في العالم القديم Greek Manuscripts of Ancient World لمؤلفه العالم البريطاني اريك تيرنـــر (Eric Turner) وقد جاءت به نماذج وامثلـــة رائعة من عيون الادب اليوناني والنصوص والوثائق المشهورة مثل دستور اثينا والترجمة السبعينية (Septuagint) لأسفار من التوراة ، وجميعها موضح بالصور ومزود بالشـــروح المستفيضة والتعليقات مما اصبح لا غنى عنه لأى باحث فـــي نطاق البردى او علم الكتابة والخطوط القديمة في عالم النقوش فيتخذه نبراسا وهاديا له في تكييف الخطوط وتميز بعضهـــا عن بعـــض .

وعلى ذلك اصبح الراغب في قراءة اية وثيقـــة بردية وتفهم ما تحتوى عليه من رموز وعبارات ، في امـــس الحاجة الى الرجوع الى المصادر التي تزوده بالمعلومات عـــن محتويات ومكنونات الوثيقة التي يحاول قراءتها . فـــإن

توافر لديه مجموعة من البردى المختار لإدجار وهنت في جزئين ١٩٣٢ ــ ١٩٣٤ وهى منشورة في مجموعة (Loeb) كان بها وهى تضم أشتاتا من وثائق البردى ويمكن الاسترشاد بها والتعرف منها على الاشباه والنظائر لما يعرض له . وإذا لم يتيسر شيء من ذلك ، فخير وسيلة يمكن ان تتاح للباحث هى ان يسعى الى الحصول على المعاونة المرجوه والمشاركة التى يمكن ان يمد بها اليه اى خبير ضليع فى كل ميدان من هذه الميادين . ثم هناك فرص متاحة تعقد فيها حلقات دورية تجرى فيها بحوث يحضرها نفر من أئمة العلماء للتدارس فى النصوص الصعبة التى نشرت وتمحيص ما جاء عنها من نقد بناء . ولكن هناك مجال واحد من المعرفة لابد فيه ان يعول الانسان على نفسه ، لان هذا هو عمله ودائرة اختصاصه ، الا وهو نطاق علم الكتابة والخطوط القديمة (Palaeography) . وهناك مطلبان على الاقل يجب توافرهما فى المشتغل بهذا العلم : اولهما ان يكون قادرا على قراءة النصوص التى يدرسها ، أى أن يسجل بالضبط ما تحكيه وما ترويه ، وثانيهما ان يتمكن من خلال معرفته بالنصوص المقارنة ، من استنباط احكام سليمة بشأن اى من الحالات التى تعرض له ، فيذكر مثلا الزمان والمكان الذى كتبت فيه ونوع الجمهور الذى وجهت اليه

والطابع الذى تتسم به الوثيقة فى إطارها العام ٠

ولا يلبث من يتصدى لقراءة اوراق البردى ان يدرك ان مهمة فهم النص الذى فى متناوله ليست بالامر الهين ، وان هذا لا ينبغى ان يقتصر على مجرد نسخ الحروف التى امامه ثم محاولة تفسير وترجمة النص بعد نسخه ٠ وبينما عملية النسخ والتفسير تسير جنبا الى جنب ، فان الانسان قد يتعثر ازاء تلك الاختصارات والرموز الت لا نستطيع ان نجد لها سببا واضحا فيما هى عليه من شكل او صورة دست فى ثنايا عبارات واردة فى هذه النصوص البردية وعلى القارىء ان يفك طلاسمها ٠ ولعله من الطريف ان نسوق هنا مثلا على قراءة خاطئة نجمت عن تصور قوس كبير مزدوج على انه يمثل حرف السيجما هكذا - ع مع انه فى هذه الحالة لم يخرج عن كونه اختصارا لكلمة αὐτός فما ابعد الشقة بين الحالتين

انظر مقال العالم الامريكى الراحل هربرت يوتى المنشور فى مجلة الجمعية الامريكية الفلسفية سنة ١٩٦٤ العدد ٩٥ ص ٣٠٦

(H.C. Youtie, Transactions of American Papyrological Association, XCV.

على ان هذا النوع من الاختصارات والاختزالات ليس من اليسير التعرف عليه إذ انه يختلف عن مثيلاته مما يجده

الباحث مسطرا في صور واشكال متعارف عليها او مفسرا (ربما بطريقة خاطئة) ومدبجا في قوائم ذيلت بها مطبوعات مجموعات البردى . ويحسن ان يعد المرء لنفسه قائمة خاصة شاملة على مجموعة من اهم تلك الاختصارات والرموز المتداولة ، على ان تكون هذه مشفوعة بالتفسيرات التي تشرح الاشكال التي استقر العرف عليها . وقد ذكر العالم البريطاني اريك تيرنر في كتابه عن المخطوطات اليونانية امثلة فريدة منها ثم جاء منذ حين قريب عالم فرنسي هو بلانشار (Alain Blanchard) فشرع في إعداد قائمة بالمختصرات وتفسير الاصول التي نشأت منها والخطوط التي كتبت بها . ولدينا مقال طريف للعالمة البلجيكية الراحلة كليربريو (Claire Preaux) نشرت في مجلة الآثار المصرية Journal of Egyptian Archaeology العدد (٤٠) لسنة ١٩٥٤ ص ٨٣ وما يليها ، حللت فيه تحليلا دقيقا وواعيا تلك المشاعر التي كانت تخالج الكاتب المشتغل بتسطير الوثائق البردية وما كان يتملكه من حالة نفسية عندما يعكف على اداء تلك المهمة ولكن عندما يتطور الامر الى ان اختصار ما يصبح مؤديا لمهمة مزدوجة او حتى ثلاثية ، فعلينا والحالة هذه ان نتدبر

الامر ونتلمس وجه الصواب فيما قد يكون عليه اى مـــن هذه الاستعمالات .

وقد تواجه الباحث نفس هذه الصعوبة ، عندمـــا ينتقل من دراسة الوثائق التي سطرت كلماتها بحروف منفصلة (uncialis) وكبيرة ، الى نصوص كتبت كلماتها بسرعة واشتبكت حروف هذه الكلمات على النحو المعروف بالخـــط المتصل (cursive) فبدت اسطرها فى خطوط طويلة ومتعرجة او متمايلة والسبب فى ذلك ان الكاتب سطرهـــا دون ان يرفع قلمه من سطح الورق البردى الذى يدون عليه وعمد فى ذلك الى ربط الكلمات ووصلها بعضها ببعض وهو ما يعرف بكلمة (legatures) وهذا اصطلاح اطلـــق على جرات القلم التى تصل بين عدة حروف او عدة كلمات على حد سواء . ونجم عن ذلك تشويه لأشكال بعض الحـروف من جراء ما أصاب الحروف التى تسبقها او تتلوها من طمس او تحوير . وفى أحيان كثيرة كان يجرى حذف اجـــزاء ربما ظنها الانسان شقا اساسيا من حرف ما ، ومع ذلـــك عمد الكاتب الى الاستغناء عنه كلية . وهناك حروف اخـرى او بعض اجزاء منها ، تجمعت وتكدست بعضها فوق بعـــض وجاءت فى اخر كلمة من الكلمات او التصقت بالمقطـــع

الأول من كلمة تالية . وفضلا عن ذلك فالكلمات نفسها قــد
يعتريها بعض التغير او اي شيء من التعقيد بسبب ما قــد
يتداخل فيها من رموز واختصارات . وحينئذ يتعين علــى
الباحث ان يبدأ بالطبع بمحاولة قراءة الاجزاء السهلة من
النص ويعالج الفقرات التي تبدو اكثر وضوحا من غيرها والتى
يرى ان في وسعه ان يستخرج منها معنى يمكن الاطمئنان الى
سلامته الى حد ما . ثم يشرع بعد ذلك في الانتقال الــى
الاجزاء التى تكتنفها بعض الصعاب او التى استعصى عليــه
فهمها . وهو حين يحاول فك طلاسم اى كتابة خطية من هــذا
النوع ، فى حاجة الى ما هو اكثر من المثابرة والتدريــب
وتسليط العين النفاذة حتى يسفر هذا الجهد عن استجابة النص
الذى يعالجه ويأتى بثمرة ونتيجة مرضية ، يقتنع بها القــراء
ذو العقول النفاذة . ولنضرب مثلا على مثل تلك الصعاب مما
جاء في نص بردى للشاعر الاثيني ميناندر (Menander)
في احدى مسرحياته المسماه (المحب البغيض C-12=299
Misoumenos وهذه الوثيقة منشورة في مجموعة
بردى اكسير نخوس تحت رقم ٢٦٥٦ وجاء فيها البيت الاتى:

ἀλλ' ἐλεεινοῖς ὡς ἔχει

بصورته المقروءة لأول وهلة فى وضوح . ولكن مثل هذه القراءة

لا تجدى ولا تفيد اى معنى ، بل ولا سبيل الى ترجمتهـا .
ولذا تعين بذل شيء من الجهد والتمعن . وقد أسفر هذا عن
أن الحرفين الاخيرين في تلك الكلمة المزعومة ἐλεειvοῖς
وهما الايوتا والسيجما ليسا كذلك وإنما ضاعت بعـض
معالمهما وصحة قراءتهما ان الايوتا هي في الحقيقة راء او
راو (ρ) وان السيجما هي ثاء ((θετα))
وانهما يمثلان الحرفين التاليين بعد الاوميكرون ويؤلفـان
مقطعا قائما بذاته في كلمة تالية هي ὀρθῶς وبذا تصبح
الفقرة كلها مستقيمة وتؤدى المعنى المطلوب ويمكن قراءتها
على النحو التالي ἀλλ' ἐλεεῖν ὀρθῶς ἔχει
ومضمون ذلك ان شخصا ما يستحق بجدارة شيئا من الأسى
والعطف عليه . ومن هذا المثل يستبين لنا ان القراءة الاولى
ليست في الحقيقة هي كل ما يمثل أمام العين من حـروف
مرصوصة حيثما اتفق ، وانما العبرة هي بما يمكن ان يستشفه
العقل ويتقبله الفكر من معنى مستساغ ومعقول . وفي هـذا
الصدد يحق لنا ان ننوه بذلك الجهد الذى بذل في قـراءة
اجزاء مبتورة من الفقرة الاستهلاكية (prologue)
في هذه المسرحية وهي عبارة عن خمسة عشر سطرا من بردية
محفوظة لدى المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة وكان قد عكف
عليها منذ حين قريب عالم فرنسي شاب اسمه بويفـال

(P.Boyval) لدراستها ولكنه لم يتمكن من التعـرف
على كنهها ولا على مصدرها الذى تنتمى اليه ولذلك لجأ الـى
عالم بلجيكى ضليع اسمه جان بينجن (Jean Bingen)
فاهتدى على الفور الى اصلها وتعرف على مؤلفها وهو ميناندر
وكان موفقا فى هذا التصويب • وقد نوه بذلك العالـــم
البريطانى ايريك تيرنر فى مقال له نشر مؤخرا وعنوانــه
The Papyrologist at work, Duke University, Durham, North Carolina, 1973, pp.15-20; 48-49.
وكان لا يزال حتى ذلك الحين كل ما نعرفه من هـــذه
المسرحية الضائعة لا يعدو سوى بضع قصاصات بردية عددهـا
سبعة ، جاء اربعة منها فى مجموعة بردى اكسير نخوس ورقم
احداها ٢٦٥٦ فلما تم العثور على هذه القصاصة اسعفتنا بهذه
الاسطر الخمسة عشرة ممثلة لمطلع هذه المسرحية • ونظـرا
لأن كتابها جاءت مسطرة على ظهر وثيقة سبق استخـدام
وجهها فى تدوين سجل من النوع الوثائقى ولأن نوعية الخـط
كان من يد غير مدربة فضلا عن وجود بضع اخطاء تكـرر
الوقوع فيها ، فأن هذا يدل على ان الكتابة كانت من عمـل
تلميذ يتدرب على الخط وقد امليت عليه من مدرس شـاء
ان يختار لتلميذه هذه القطعة الشعرية • وهكذا حفظت لنـا
المدارس والكتب المدرسية تراثا من النصوص الادبية وكان

لها الفضل في تزويدنا بالعديد من القطع الادبية ، فمن اشعار هوميروس الى هيسيود وابوللونيوس الرودى وبورسيديس ومينانـدر وغيرهم نجد بين الحين والاخر قصاصات بردية. وقد جرت عدة تصويبات على هذا النص وتبارى علماء اعلام في ابداء مختلف المقترحات من اجل تصويب القراءات ، وقد زودنا العالم البريطاني (اريك تيرنر) بترجمة لهذا النص نلخصها فيما يلي : إنه جندى يسمى ثراسونيديس (Thrasonides) هام بحب فتاة تدعى كونستانزا (Constanza) وكانت سبية اشتراها من بين السجينات ولما اصبحت في قبضة يده واقامت في منزله ، اعرضت عنه ونأت بجانبها ولم تستسلم له على الرغم من هيامه بها . وكان في وسعه ان يغتصبها ولكنه اراد ان يكبح جماح نفسه ولا يقدم على فعلة مما يفعله مجنونوا الحب . وعلى ذلك خرج ، من منزله في حلكة الليل واخذ يناجي السماء ويشهدها على بؤسه (ῶ Νύξ) وهو في حيرة من امره ولا يدرى ما ينبغي ان يفعله . وقد جاء في بردية اكبر نخوس المنشورة في اخر مقال تيرنر ص ٤٨ ـ ٥٠ ما يفيد تساؤله عما اذا كان في وسعه ان يعيش في هدوء وسكينة بعدما ألم به من جراء هذا الصد . ومع ان النص الوارد في هذه القصاصة لا يزال يشوبه بعض النقاط التى تحتاج الى

مزيد من المراجعة والتصويب ، خاصة وانها تمثل الجـــــزء الأوسط من الأسطر وتتطلب البدايات والنهايات شيئا مـــن إعادة النظر ، فإن هذه القصاصة قد زودتنا على اى حـــــال باستهلال طريف لإحدى المسرحيات الضائعة للشاعر الاثينـــى ميناندر وعلينا ان نرجع الى المقال المنشور فى المجلـــــة الألمانية التى تصدر فى كولون بالمانيا وعنوانها :

Zeitschrift fur Papyrologie und Epigraphik, Vol. Vl, 1970, pp. 1.

ترميم البردى وتجميع قصاصاته :

وهناك حالات لا ينبغى ان نتردد فى الاستعانـــــة باية خبرة فنية لازمة. فإذا كان المداد باهتا وضاع بريقـــه حتى اصبح من العسير رؤيته وتبين الحروف التى سطرت بـــه او كانت مطموسة لأى سبب من الاسباب ، فما علينـــــا الا ان نستعين بأخذ صورة لهذا النص بفيلم ذى خاصية تعـــرف بدون الحمراء infrared اما اذا كان المداد جامـــدا او صلبا ، فلعل استخدام الاشعة فوق البنفسجية يسفر عـــن نتيجة افضل ، فلا تظهر الثقوب فى البردية على انها نقـــاط من المداد على الصورة المطبوعة ، فيضل الانسان . ولكى نصل الى احكام صادقة من الناحية الخطية ونعرف مدى تقـــــادم

الكتابة ، يحسن ان تكون الصورة مطابقة من حيث الحجم بالنسبة للوثيقة الأصلية اى ان تكون صورة طبق الاصل (facsimile) ولكن فى الحالات التى يتعذر فيها فك رموز الكتابة ، يتعين تكبير الصورة الى الضعف او اكثر بالنسبة لحجمها الطبيعى . ولعل هذا الاجراء يأتى بنتيجة افضل بكثير من استعمال مجهر او تليسكوب ذى عينين نظرا لأن المجهر وما يكشف عنه من رقعة او مسطح ، اذا ما سلط على النص ، لا يسمح عادة بعمل مقارنة سليمة بالنسبة للحروف الاخرى ولا يكشف عما تبقى من اثارها . على ان المجهر قد يكون استعماله مفيدا فى التعرف على ما اذا كانت اية بقعة هى من فعل المداد ام لا ، فإذا كانت تمثل اثرا من اثار المداد ، امكن معرفة الاتجاه الذى كان يسير فيه القلم عندما خط هذا الحرف او ذاك .

والى هذا الحد كنا نفترض ان النص الذى نحاول قراءته بقى فى حالة سليمة ولم يعتوره اى بتر او تمزق ، وعلى هذا الاساس يصدق كل ما قلنا . ولكن الصفحات البردية التى لم تتناولها يد البلى لا تمثل سوى الاستثناء وليست بحال من الاحوال هى القاعدة . وفى الكثير الغالب كان كل ما نشاهده الان فى فترينات المتاحف وصالات العرض بها ،

من صفحات كاملة من اوراق البردى ما هو فى الحقيقـــة الا لصاقات (kollemata) صار تجميعها وتنسيقها مـــن قطع وقصاصات صغيرة من البردى . وهناك بعض أوجه شبـه او قياس بين نص من هذا النوع وبين زهرية يونانية او انية فخارية او قنينة زجاجية ، اشبه بالمشكاة او لوح رخامـــى عليه كتابات يونانية ، وكل هذا ربما كان حصيلة تجميـــع كسرات عديدة ، امكن ضمها ، وعلى ذلك فالمرمم لصفحـــة من البردى ، أيا كان حجمها ، لابد أن يعول على عـــدم الاستعانة بعنصر الابعاد الثلاثة كقاعدة فى التوجيـــــه والاسترشاد فيما يقوم بترميمه واقرب شبه لتلك الابعـــاد الثلاثة المرعية فى ترميم الفخار هو ما نراه فى حالة مخطوط بردى مؤلف من عدة صفحات ، حيث نجد أن صفحـــات الوجه (recto) والظهر (verso) وكذلـــك الصفحات المشتركة لابد ان يضاهي بعضها البعض . علـــى ان اى لفافة بردية معطوبة او اى صفحة ممزقة لا تقـــدم لمرممها سوى نوعين فقط من العون الاساسي وهما عينـــة الالياف (مع الاستعانة فى ذلك فى كثير من الاحـــوال باللون او ثقوب الديدان) ، فتتخذ هذه العينة مقياســـا خارجيا واساسا ماديا ينير لنا السبيل . ثم ان الكتابـــة

المتصلة والمترابطة بحسب السياق وترتيب ورودها علـــى اللصاقات والوصلات هي في حد ذاتها دليل اخر يعتد بـــه ولو أن الانسان قد يجد في بعض الاحيان كتابات مختلفة اما على وجه الصحيفة او على ظهرها ٠ أما اذا كان النـص من طراز غير مألوف او كان لمؤلف جديد ، ففي هذه الحالة يتعين على من يتصدى لنشر مثل هذا النص ان يختـــط لنفسه الاسلوب والوسيلة الكفيلين بتقديم العون له حتـــى يتمكن من تصويب النص تباعا ٠ وعليه ان يعتبر برديتـــه بمثابة نص فريد (وهذا القول يصدق في اضيق نطاق علـــى كل بردية) ثم عليه في اخر الامر ان يستنبط من السيـاق والمضمون بعض القواعد التي يمكن بمقتضاها اعادة تشكيـــل الوثيقة البردية وتوليف اجزائها وضم قصاصاتها ٠

ولدينا بخصوص نوعية الالياف والطراز الذى كانـت تصفف به ، الشيء الكثير من وسائل التوضيح والصور وقـــد نشرها اريك تيرنر في كتابه عن (المخطوطات اليونانية) سنة ١٩٧١ فجاء في اللوحتين الاوليين من الكتاب المذكـور صورتان توضيحتان وقد بدا في اولهما الغشاء الخارجي مـن الالياف الافقية وهي مصففة فوق اشرطة اخرى راسيـــــة او عمودية ٠ وفي اثناء صنع هذه اللفافة البردية المنوه عنهـا

تركت عن قصد مسافات بين الاشرطة او الشرائح الافقية وزميلاتها العمودية وذلك لتوضيح طريقة صنعها [١] . ثم إن المهارة الفنية التى كان يستخدمها صانع البردى فى تصفيفه لتلك الصفحات كانت تتجلى فى وضعه لتلك الاشرطة او الشرائح المنزوعة من سيقان اشجار البردى ، جنبا الى جنب فى دقة متناهية بحيث لا يتداخل بعضها فى بعض ، إذ أن مثل هذا التداخل لو حدث ، لكان من شأنه ان يتسبب فى وجود ضلوع بارزة ونتوءات فى الحواف او فى السطح وقد يحدث ان ينجم عن ذلك بعض الكرمشة او التقلص عندما تجف اللفافة وتنشف تماما . والصورة الثانية الواردة فى كتاب تيرنر عن المخطوطات اليونانية ص ٢ تمثل قطاعا فى جذع او ساق قصبة البردى وتبدو التجمعات السوداء فى الصورة ممثلة للحزم الخاصة بالأوعية فى ذلك النبات الحى ومن حولها الانسجة اللينة . وفى الشرائط المنزوعة من جذع النبات والمستخدمة فى تصفيف صفحة معدة للكتابة على سطحها ، تمثل الحزم الخاصة بالاوعية ما نشير اليه عادة بالالياف وتظهر فى الصورة على شكل خطوط افقية ممتدة

---

(١) انظر كتاب تيرنر ، (المخطوطات اليونانية) ص ٢ وما يليها .

ومتصلة [1] . والالياف بطبيعتها هي الجهاز الوعائي الـــذى يجرى فى ساق شجرة البردى وهو اشبه ما يكون بالاوعيـــة الدموية فى جسم الانسان . وبعض هذه الالياف قد يصـــل الى نهاية الساق ويبلغ نهايته القصوى ، بينما البعض الاخـــر لا يكمل الطريق حتى نهايته . وعلى ذلك يجب علينـــا الا ندهش اذا وجدنا فى صفحة بردية ان احد الالياف انتهـــى عند نقطة ما وتوارى قبل ان يصل الى النهاية . وفى عمليـــة تصنيع البردى ، كان يجرى تصفيف ورص هذه الاليـــاف بطريقة عشوائية ، فأحيانا يضعونها مصفوفة بعضها الـــى جوار بعض كيما تلتحم وتلتئم ، واحيانا اخرى يضعونهـــا مستعرضة ومتقاطعة ثم بالعكس . والنمط او الشكل الـــذى يكون عليه ظهر صحيفة بردية هو الوضع الرأسي بينما وجـــه الصحيفة تتمثل فيه الالياف فى وضع افقي او عرضي . وفـــى الحالات التى يكون فيها لهذه الالياف لون مميز ، فـــان هذا يكون خير عون ، يساعدنا على ملاحظة انماط واشكال الالياف التى من هذا النوع ونستطيع أن نعيد به صفحـــة كاملة دون ما حاجة الى الرجوع الى الكتابة المسطرة .

---

(١) انظر كتاب تيرنر عن المخطوطات اليونانيـــة الصورة رقم ٢ والصفحات ٤ ، ٦٢ من كتاب تيرنـــر عن (البردى اليونانى) .

وهناك عنصر آخر ، قد يكشف لنا السبيل ويقدم الدليل المادى ، ذلك هو الأنموذج والنمط ويدخل ضمن هذا اللون كذلك ، ولو أن هذا المعيار الأخير لا يمكن التعويل عليه كثيرا · ثم من العلامات التى نسترشد بها فى كثير من الأحيان ، تلك الثقوب والخروم التى تنجم عن عبث النمل والديدان وما أكلته من هذه القصاصات · وأى بردية يعثر عليها وهى مطوية او ملفوفة منذ العصور القديمة تتعرض فى الكثير الغالب الى اكل النمل وديدان الكتب التى تعاود الظهور فى هذه الطيات على نحو يكاد يكون متماثلا وعلى مسافات منتظمة وبذا يحدث شيء كثير من التلف مما كان العلماء وتجار الكتب القديمة يجأرون بالشكوى منه وانه لمن سخرية القدر ان تكون خطوط التخريب التى احدثتها مثل هذه الديدان هى المرشد فى اعادة تلك الاوراق البردية إلى صورتها الاولى ·

على أن المشتملات والمضمون الكتابى هو بالفعل فى اغلب الاحوال خير دليل نسترشد به فى تجميع القصاصات والتعرف عليها بضمها بعضها الى بعض · اما من حيث الشكل العام والصبغ المتواترة ، فان العبارات المألوفة التى ترد كثيرا فى صدر الخطابات او فى نهاية الشكاوى والمظالم هى

التى يتوق الانسان اليها ويتطلع للبحث عنها كيما يسترشد بها . والشعر عادة اسهل من النثر فى إعادة تركيب جملة ومقطوعاته الشعرية وخاصة إذا ما عرف الوزن فهذا يعطينا فى الحال طول السطر وما ينتظر من حروف وكلمات يمكن ان يستكمل بها البيت الشعرى المطلوب . ومن حيث الهيكل العام والاطار الكلى فإنه ينبغي علينا ان نعرف كذلك المدى الذى يمكن ان يصل اليه ارتفاع العمود والفراغ المتروك للهوامش العلوية والسفلية . وإذا امكن التعرف على كنه النص والتأكد من نسبته الى مؤلف معروف ، فان المهمة تصبح ميسورة وسهلة المنال . ومن طول السطر في الاجزاء الباقية ، بل ومن عدد الأسطر فى كل عمود ، يمكن حساب عدد الاعمدة وتقدير طول اللفافة التى كان يشتمل عليها المؤلف باكمله او على الاقل الجزء الهام منه . ولو فرضنا ان المؤلف كان من نوع ليست لدينا به معرفة سابقة وأن جميع الاسطر فى اى عمود لم ترد كاملة ، فعندئذ يكون تقديرنا لطول السطر ليس على سبيل اليقين وإنما هو من قبيل الظن . وهناك انواع من عيون الأدب القديم كانت تسطر عادة وتبوب فى اعمدة ذات سعة محدودة . وفى نصوص النثر الخاصة بموضوعات تاريخية او فلسفية أو خطابية ، كان طول السطر يجىء عادة قصيرا الى حد ما ،

بينما في الكتابات الخاصة تجيء الاسطر طويلة جدا وكذلك
الحال في الملتمسات والشكاوى (enteuxeis)والمذكرات
(hypomnemata) أما في مجال الشعر فالبيت السداسي
التفاعيل او الوزن (hexameter) هو أكثرها طولا
ولكن فيما عدا النصوص الواغلة في القدم وفي قصائد الشعر
الغنائي حيث اختلفت الاراء بشأن وحدة الوزن=(colometry
metrical unit) فالوحدة منها عادة هي
طول المقطع الشعرى او القصيدة بأكملها . اما في تلك
النصوص التي تتناول موضوعا ذا طابع وثائقي وتتبع نهجا
معروفا ولها نمط ثابت ومتعارف عليه ، فإنه يصبح من
السهولة بمكان ان نعيد اجزاءها الى الوضع الطبيعي . اما
المؤلفات الادبية التي تشتمل على عناصر تتسم بالتكرار مثل
المناظرات والساجلات والخلاصات من التراجيديات ، فإن
هذه كذلك يمكن ملء الثغرات وردها الى ما كانت عليه
ففي المقدمات والخلاصات (hypotheses) والاستهلالات
والمداخل (prologues) إلى روايات الشاعر يوربيديس
مثلا[1] ، كان عدد القصاصات قب لتجميعها وتوليف اجزائها
بعضها الى بعض ينقص الى ما يقرب من النصف ، فلما تم
نشر هذا الجزء ، انبرى اخرون وساهموا في توفيق وتطبيق
بعض القصاصات الصغيرة حتى تمكنوا من وضعها في مكانها

(1) Papyri Oxyrhynchus No. 2455

الصحيح ونجحوا فى ذلك ايما نجاح ، وكان رائدهم فى ذلك
عدة اعتبارات منها حساب ارتفاع الاعمدة ومدى طول الاسطر
وملاحظة المسافات الخالية فى نهاية كل مساحة ومناظرة . ثم
ان تصميم العنوان وإعداده مصحوبا بالعبارة التقليدية وهى
(وتكون بدايتها على النحو الاتى)
ἀρχή (ἧς, ὧν) οὗ ويتبع ذلك بالطبع ورود السطر
الأول - كل هذه الاعتبارات هى خير عون لنا فى رد بعض
النصوص الى ما كانت عليه . وليس من المستبعد ان نصا
مثل هذا يكون قد اعتراه بعض التمزيق عن قصد فى العصر
القديم ثم القى بقصاصاته فى سلة المهملات واصبح فى مهب
الريح فى اى بلد مثل اكسيرنخوس ثم انتقل لسبب من
الاسباب جزء من هذا النص الممزق إلى مكان اخر بعيدا
عن البلدة الاصلية ولكن امكن العثور عليه فى وقت مختلف
وعلى يد اثرى اخر . على اننا نعرف حالات جرى فيها
تمزيق النصوص البردية المكتشفة بواسطة المكتشفين انفسهم
او بواسطة تجار العاديات وكان هذا بعد الكشف عنها
مباشرة . وعلى ذلك اصبح من المرغوب فيه ان يكون الباحث
ملما ماهية القصاصات الموجودة فى المجموعات الاخرى ، لعل
وعسى ان تكون احداها منتمية الى نص جديد مما يجرى
عنه والعمل على دراسته . وتكرار حدوث شىء من هذا امر

كثير الاحتمال وله نظائره فيما يحدث لكثيرين من المشتغلين بالبحوث الاثرية في ميادين اخرى ، فوجود كسرات من اوانى فخارية او قطع من الثقافة او زهريات مهشمة او قطع متناثرة من اعمال النحت او من الرخام او من التماثيل المحطمة او الخرق البالية من القماش والمنسوجات القديمة الممزقة ـ كل هذا يحتمل وجوده مبعثرا ومتناثرا فى اماكن شتى . وعلى ذلك ينبغى على الباحث ان يتطلع الى كل ما يحيط به مما تسفر عنه الكشوف الاثرية والدراسات العديدة في مختلف الميادين لعله يوفق الى العثور على ضالته المنشودة وسط هذه الاكداس من البحوث والدراسات البردية والاثرية . وهناك احتمال كبير بان قصاصة بردية مهما صغر حجمها قد تساعد فى تكملة نص اخر مبتور او تصحح معنى غير مستقيم . وسوف نسوق امثلة رائعة على ذلك فى الصفحات التالية من شعر سافو فى بعض اوراق البردى التى تم الكشف عنها فى اكسيرنخوس P. Oxy., X, 1231, fragment 1, col. 1 (LL. 19-21)

ونأمل أن يكون فى هذا تحذير كاف لاى باحث قدير ، يأنس فى نفسه القدرة على التصدى لدراسة اوراق البردى، اذ يتعين عليه ان يعنى بدراسة ادق النتف واضالها من هذه القصاصات البردية .

وهناك بعض الامثلة الدالة على مثل هذا التجميع لبضع قصاصات متناثرة تم الاستعانة بها فى تكملة نص منشور وهى امثلة لا تخلو من طرافة ودلالة ٠

أولا ـ فيما يتعلق بلفافة بردية لباكيليديس (Bacchylides) وردت الإشارة اليها فى كتاب باك
Pack, Greek and Latin Literary
Texts, 2nd edition 1965 No. 175.
ونشرت لأول مرة فى عام ١٨٩٧ م ثم ظهرت اربع قصاصات بردية استحوذ عليها معهد الدراسات البردية بجامعة فلورنسة فى عام ١٩٣٩ وقام بنشرها ضمن الاعمال المنشورة فى المجموعة الايطالية بفلورنسة (P.S.I. 1278) ٠

ثانيا ـ هناك نص طبى يرجع تاريخه الى القرن الثالث قبل الميلاد وقد وردت الاشارة اليه فى كتاب (باك) الانف الذكر تحت رقم ٢٤٢ ويمكن ان يدخل فى حساب هذا النص العديد من القطع البردية الموجودة فى المكتبات والمتاحف الاتية : مكتبة جون رايلاندز بجامعة مانشستر ومكتبة البودليان بجامعة اكسفورد وجامعة هيدلبرج بالمانيا والمتحف البريطانى بلندن وعلينا أن نرجع الى تفاصيل

ذلك كله في مجموعة بردى حيبـة (P.Hibeh,II,190)

ثالثا ـ لدينا مخطوط بردى ضخم يضم العديد مـن مؤلفات فيلسوف يهودى لامع هو فيلون السكندرى ويشتمـل هذا المخطوط على قصاصات من اربع كتب لهذا الفيلسـوف وقد جاءت اشارة عابرة لها في كتاب (باك) تحـت رقم ١٢٤٤ ، وهناك ثلاثة اقسام منها ضمن ما نشر مـن مجموعة بردى اكسيرنخوس وارقامها في تلك المجموعة كمـا يلـى :

P. Oxy. 1173, 1356, 2158.

وهناك شطر اخر منها منشور في المجموعة الايطالية P.S.I.1207 والشق الاخير منشور في كوبنهاجن في عـام ١٩٤٢ تحت العنوان الاتى : P. Haun.' 8 =

(Papyri Graecae Haunienses, fasc., I, edited by T: Larsen, Copenhagen, 1942.

رابعا ـ هناك امثلة قليلة اخرى دالة على وثائـق بردية تناثرت اجزاء منها بطريقة عشوائية واصبحت موزعة بين مختلف الهيئات العلمية في اوربا وامريكا ٠ وها نحـن نذكر البعض منها فيما يلى :

Frisk Bankakten I (Sammelbuch, 7515)

Papyri Columbia II, 1, recto 4

Papyri Rylands IV, 586

Papyri Oxy., IV, 802

Papyri Abinnaeus, 42

والجزء العلوى من هذه الوثيقة منشور فى جنيف (P.Gen.,79) بينما الجزء السفلى منها محفوظ بالمتحف البريطانى وتم نشره فى مجموعة بردى لندن

P. London, 422, II, 318.

خامسا - ويأتى فى اخر المطاف بضع امثلة كثيرة من ارشيف مشهور يعرف ببردى زينون (Zenon) وقد وجدت منه إشتات من القصاصات والخطابات والسجلات التى تنتمى لهذا الارشيف ، توفرت على نشرها هيئات علمية وجامعات فى انحاء كثيرة من العالم وكان النصيب الغالب منها منشورا فى خمسة اجزاء من مجموعة الكتالوج بالمتحف المصرى بالقاهرة وحوليات مصلحة الاثار وقام العالم البريطانى ادجار (C.C.Edgar) بنشر الجزء الاكبر من هذا التراث . وهناك مجموعات اخرى من هذا الارشيف الضخم نشرتها جامعة كولومبيا فى جزءين للعالم الامريكى وليام

لين وسترمان (W.L. Westermann) ونشر ادجار مؤلفا حاويا لعدد من هذا الارشيف ، محفوظ بجامعة ميتشيجان بامريكا ونشرت كذلك عشرأت منه في جامعة مانشستر - مكتبة رايلاندر ونشرت الجمعية الايطالية اجزاءا منه فى المجلدات ٤ ، ٥ ، ٦ (P.S.I., vols. IV,VI) وقام مؤخرا العالم البريطاني ت . اسكيت (T: Skeat) بنشر الجزء المحفوظ بالمتحف البريطانى من هذا الارشيف تحت عنوان (P.London Vol.VII,1974) وهناك شق اخر نشر فى اثينا وقام بنشره فى عام ١٩٣٩ العالم الاثينى بيتروبوليس (Petropoulis) ونشرت ليدن بهولندة سنة ١٩٨٠ جزءا من هذا الارشيف حاويا لبعض النصوص البردية الديموطيقية واليونانية واعادت نشر وتصويب بعض ما نشر في مجموعات اخرى وكان هذا تحت اشراف العالم الهولندى بيستمان (P.Pestman,P.L.Bat20) ونجمل القول بذكر اسماء بعض الفرسان الاولين الذين ساهموا بقسط وافر فى نشر هذه المجموعات ونخص بالذكر منهم فيتللى (Vitelli) ورستوفترف (Rostovtzeff) وبيير جوجيه (Pierre Jouguet) واكتاف جيرو (Octave Gueraud) وسير هارولد ادريس بل (Sir Harold Idris Bell) . ولا يزال حتى الان

ينشر تباعا من هذا الارشيف قصاصات بردية فى اعمـــــال المؤتمرات العالمية لعلم البردى فى العشرين سنة الأخيـرة ٠ وهناك ارشيف مماثل لخلف زينون فى إدارة هذه الضيعـــة وهى فيلادلفيا بالفيوم واسمه يوكليس (Eukles) وقـد تردد اسمه كثيرا فى بردى زينون وعلينا ان نرجع فـــى هذا الشأن الى مقال صدر حديثا ونشر فى مجلة بلجيكية :

C. Orrieux:Les archives d'Eucles et La fin de la dorea du Dioecets Apollonios, Chronique d'Egypte, No. 55, (1980) pp. 213 - 239.

أمثلة من التكهنات والاخطاء فى قراءة البردى وكيفيـــة تحاشيهـــا :

سبق ان قلنا إن اولى المهام الملقاة على عاتـــق الباحث المتصدى لنشر وثيقة بردية او نص ايا كان ، تنصب على العناية بعملية النسخ الدقيق والتفسير والشرح لما يقـوم بنسخه أولا بأول ، بحيث تسير العمليتان جنبا الى جنـب ، ثم تأتى بعد ذلك مرحلة ثالثة وهى محاولة بناء هيكل الوثيقة التى نحن بصددها واعادة تركيب جملها وعباراتها حتى يتسق المعنى وتتلاءم اجزاء البردية وتصبح ذات معنى وكيـــان

متكامل . فإذا كان الخط واضحا وأمكن قراءته في يسر وسهولة - وهذا لا يتأتى إلا اذا كانت البردية في حالة جيدة من الحفظ والصيانة ، فسوف ينجم عن هذا ان تسير الامور بمنتهى السهولة والبساطة . اما اذا كانت البردية مبتورة في وسطها او في احد اطرافها وحوافها او ممتلئة بالثقوب او كانت اجزاء منها متناثرة ثم جمعت من قصاصات ضئيلة او كانت الكتابة قد شابتها بعض الشوائب مثل المحو في بعض حروفها وكلماتها او كان سطح البردية قد تغير لونه وبالتالى تعذر فك طلاسم الخط - فعندئذ تصبح نسبة احتمال الوقوع في الاخطاء عاليه . وفي مثل هذه الظروف لا يستطيع الباحث ان يمضى في عمله دون ان يعمد الى كثير من الافتراضات فقد يتصور أن النص هو عقد او التزام بالوفاء بحق او أنه شكوى او مذكرة او مجرد سجل الخ من هذه الافتراضات . وقد يجول بخاطره ان الكتابة المسطرة يمكن قراءتها على نحو او اخر وان الاجزاء الضائعة وهي الفراغات (lacunae) يمكن اقتراح تكملتها حيثما كان . ومما لا ريب فيه ان مثل هذه الافتراضات قد تكون صحيحة بنسبة ٩٩ ٪ وقد تصادف ان تكون مطابقة لكبد الحقيقة فيكون بذلك له فضل السبق . ولكن تبقى هناك نسبة ضئيلة هي ١ ٪ يحتمل فيها الخطأ بسبب ما قد ينشأ

من بعض الصعاب . وعندئذ لا منجاة للباحث من ان يسأل العون من الغير لفك الرموز التي وقف امامها حائرا واغلقت عليه . ولعل السبب في ذلك انه بتمسكه بالافتراضات التي طرأت على باله لأول وهلة ثم مضى في تصورها واستيعابها طويلا حتى اصبحت جزءا لا يتجزأ من تفكيره واتخذها بمثابة القضية المسلم بها فاصبحت بالتبعية حائلا دون ان يرى الحقيقة مجردة وخالصة . والصورة الشائعة جدا لمثل ذلك الخطأ الذى كثيرا ما يقع فيه الانسان ، هي انه من اجل المحافظة على كل الافتراضات التي عنت له في اول الامر ، قد وقع في مطبات بسبب ذلك التحريف والتفسير الخاطيء لما وقع بصره عليه ، فلا امل في ان يحالفه الصواب في قراءة فقرة صعبة او جملة بها محو او فهم عبارة ضاعت بعض كلماتها . ومع ذلك فليس هذا الخلط ناجما فحسب عن تلك الافتراضات الخاطئة من حيث القراءة ، وانما قد يكون منشأ هذا تكوين بعض المزاعم غير السليمة عن طبيعة النص او راجعا الى تصويب بعض الكلمات الضائعة ، بحجة أن في تصويبها في مرحلة سابقة مبرر معقول او مقبول ظاهريا ، ثم اصبح في مرحلة تالية من العسير عليه ان يستبعد هذه المزاعم التي جالت بخاطر القارىء الأول لتلك البردية .

وللتدليل على مثل تلك الاوضاع التى يتردى فيهـــا الانـسان ويقع فى اخطاء من هذا النوع ، نسوق مثلا استقيناه من قصاصات غير منشورة ، جلبت من اكسيرنخوس ، وقـــد امكن تجميع وتصنيف نحو عشرة من هذه القصاصات التـــى سطرت بخط يرجع الى القرن الرابع الميلادى وينتمى فيمـــا يبدو الى احد المخطوطات البردية . وليس سطح هـــــذه القصاصات املسا وانما نزعت القشرة الظاهرية منه فى كثيـر من الاسطر وكان فضلا عن ذلك مليئا بالثقوب من اثار اكـل النمل والديدان . ولكن على الرغم من كل هذه المعوقات فقـد استحوذت هذه القصاصات بالكولوفون (colophon) وهو عبارة عن تأشيرة ترد فى اخر المخطوطة وتكون حاويـــة لاسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه وقد جاء فى هذا التذييـــل اسم الشاعر الاثينى ميناندر (Menander) مصحوبـــا بعنوان مبتور امكن التعرف على الحروف الثلاثة الاولى مـــن هذا العنوان بوضوح وهى على النحو التالى TTA! ΘPA ثم ضاع بعد ذلك اى امل فى التعرف على شىء نظرا لوجـود كسر فى البردية . ومن مجموع هذين المقطعين تجمع لدينـــا عنوان هو Thraitta اى البنت الوافدة مـــــن تراقيا (Thrace) ولكن هذا العنوان لم يرد ضمـــن اسماء الروايات التى صنفها ميناندر ، وإن كان مطابقـــا

للنماذج المستقاة من الصفات المؤنثة التى صنفت بهـــــا
اسماء رواية مثل البنت المحترقة Empimpramene
البنت الحليقة الشعر Epikeiroumene او اسمـــاء
البلدان مثل Samia التى هى احدى الكوميديات الأولـــى
للشاعر ميناندر وقد بقى لدينا منها ٣٤١ بيتا من النصـــف
الاخير من هذه الرواية ومعنى الاسم هو البنت المجلوبة مـــن
جزيرة ساموس • وعلى هذا النسق يمكن ان يستسيغ المــرء
قبول قراءة الاسم (Thraitta) وتفسيره علـــى
انه قد يرمز الى امرأة وافدة من تراقيا • وقد ورد بالفعل
ذكرهذا العنوان فى العدد ٤٢ من مجلة مكتبة جون رايلاندر
بجامعة مانشستر لسنة ١٩٥٩ ص ٢٥٣ هامش (١)•• ونظـــرا
لأن قطعا اخرى من هذا المخطوط قد لوحظ تداخلها مــــع
قصاصات سبق التعرف عليها والتأكد من انها تنتمى لروايـــة
اخرى من مؤلفات ميناندر وهى الرواية المسامه المحـــب
البغيض (Misoumenos) فقد بدا من المحتمل إذ ذاك
ان اكثر من اسم رواية واحدة لميناندر تضمنتها هـــــذه
القصاصات • وكلما تقدم الباحثون فى دراسة هذه القصاصات
اصبح من اليسير معرفة كنهها وتجميعها بعضها الى بعـــض
واحدى هذه القصاصات وهى التى تحمل اسم المحب البغيـــض
بدا انها تمثل رأس عمود كانت تقع فى اسفله تلك التأشيرة

او التذييل المنوه عنه (بالكولوفون) . ولما تأكد صحة هـذا التجميع بفضل التعرف على نص وارد على ظهر تلك البردية وبه جدول شامل لوحدات كسرية ، ثبت على سبيل اليقيـن تتابع ورودها ، فقد اصبح اذ ذاك من الضرورى اعـادة النظر في هذا العنوان المزعوم . وقد اظهر الفحص انـه بدلا من المقطع (itta) في اخر الكلمات الدالـة على العنوان ، أمكن قراءة (ason) وبذلك يكـون الاسم (Thrason) او بالاحرى (Thrason ides) (انظر مجلة معهد الدراسات الكلاسيكيـة بجامعة لندن سنة ١٩٥٤ ملحق رقم ١٧) . ولما كـان (ثراسونيديس) هذا هو بالفعل اسم الشخصية الرئيسية فـى رواية ميناندر السالفة الذكر وهى المحب البغيـض (Misoumenos) فإنه في اغلب الظن هو الاسم الصحيح وبذلك يصبح من المتعين علينا استبعاد اسم Thraitta من بين اسماء الروايات والمؤلفات التى دبجها مينانـدر. وهكذا كانت اعادة الصياغة من الناحية المادية تعتبر ضـرورة ملحة اوجبتها عناصر اخرى لا علاقة له بنص ميناندر وكان من شأنها أن تلفت النظر الى وجود اوضاع غير مؤكدة وغيـر متمشية مع القراءة الاصلية (التى لم يكن اى عنصر فيهـا ليسمح بعمل التصويب اللازم) وان يرشدنا هذا الى ضـرورة

عمل التصويب المطلـــوب ٠

ولدينا مثل اخر على تلك الصعاب التي تعتـــــرض الباحث في علم البردى وتجعله في حيرة من كيفية تفسيـــــر الاحداث التي تجيء في السباق ويجد لها تأويلا سليمـا دون ان يصطدم بما هو معروف عن الاحداث التاريخية وتسلســـل الحوادث والوقائع التاريخية ٠ ذلك ان احدى البرديات فـي مجموعة اكسير نخوس وهي رقم (٢٤٠٠) بدت عندما نسخـــت لأول مرة أنها تحتوى على وصف لسلسلة من الاحداث التـــي وقعت في العشرينات من القرن الخامس قبل الميـــــلاد ونصها كالاتـــي :

(ذلك ان الاقتراح القاضي بقتل جميع السكـــان الذكور من اهل ميتيليني (Mytilene) نجم عنـــه اتهام كليون (Cleon) باتباع اساليب فوضوية تمـت الى الدهماء ٠٠٠ ويسبب اظهار هرقل في مسرحية مثلت فـي عيد لديونيوس ، على ان هرقل مصاب بمس في قواه العقليـة اى (Hercules Furens, C.416 B.C.) قـدم يوربيديس للمحاكمة بتهمة العقوق وانتهاك حرمات الالهـــة ٠٠٠ الخ) فإذا اخذنا الفعلين الدالين على الحدثيـــــن السابقين وهما الاتهام للأول وهو كليون وتقديم الثاني وهـــو

يوربيديس للمحاكمة على انهما بوضعهما هذا فى صيغة المضارع
المستعمل فى سرد الاحداث الماضية على انها جرت فى
الزمن الذى تروى فيه، فان الواقعتين يبدوان وكأنهما ينتميان
الى تصنيف تاريخى وتنسيق لبعض الاحداث بقصد تدعيم
قصة اتهام يوربيديس وتقديمه للمحاكمة ثم يستتبع هذا ربط
رواية هرقل لمؤلفها يوربيديس من حيث التوافق الزمنى بتلك
الاحداث التى جرت فى اثينا فى عام ٤٢٨ ق ٠ م عندما جرى
الاقتراع فى مجلس الاكليسيا على اقتراح مقدم من كليون
ويقضى بقتل جميع البالغين من الرجال فى ميتيلينى ٠ ولكن
الوصول الى مثل هذه النتيجة فيه قلب للاوضاع وفيه كذلك
مخالفة لما نعرفه عن التسلسل الزمنى لروايات يوربيديس٠
وهناك قد يتساءل الانسان عن مدى صحة هذا الربط، ولعل
البحث فى الادب الخطابى ينير لنا السبيل ويكشف لنا عما
كان يجرى فى مدارس الخطابة ، اذ كانت الموضوعات التى
تقدم للطلبة ولعموم الدارسين فى هذه المدارس تصاغ على
هذا النحو من الاسلوب ونوع الاعراب ، فكان فى وسع
الطلاب ان يتناولوها ويخوضوا فيها على سبيل التمرين والتدريب
فاسم المفعول فى الاجرومية اليونانية اذا جاء فى صيغة
الماضى ، كان يستخدم للدلالة على حدث موثوق فى صحته

ويكون قد قام به بالفعل الشخصى المنوه عنه ، بينما الفعل المسند الى فاعل لم يكن يسجل واقعة معينة حدثت بالفعل وانما يصور وضعا هو من نسج الخيال . وفى ضوء هذا التفسير تكون قصاصة البردى هذه ليس لها اى طابع تاريخى ولا مجال لأى تورط فى ربط ما اشارت اليه من احداث ووقائع بعضها بعيد كل البعد عن البعض الاخر من حيث التاريخ الزمنى وكل ما فى الامر هو انها تنتمى الى تاريخ التعليم الخطابى وتحتوى على قائمة بموضوعات ، كان المقصود بها تدريب الطلاب كمادة فى منهاج علم الخطابة . اما وقد عرف نوع الوثيقة البردية والضرب الذى تنتمى اليه ، فقد اصبح من اليسير قراءة الجزء الباقى من الاصل المهشم ، بينما كانت المحاولات المبذولة من قبل تهدف الى ايجاد المراجع والاشارات الدالة على وقوع احداث تاريخية تؤيد وجهة النظر الأولى وتبر ر تسلسل الحوادث واتساقها . والى أن تثبت صحة النظرية التى سقناها من ان ذلك النص البردى هو من نوع التمارين والتدريبات التى كانت تجرى فى مدارس الخطابة ، كانت قراءة هذه البردية مشوبة بشىء كثير من الغموض وغير مستساغة من الناحية العقلية .

وعندما انبرى العالم الامريكى الراحل هربرت يوتى

وهو من اكبر الاخصائيين العالميين فى علم البردى الـــــى تعريف (القراءة) فى اى نص بردى على انها على حـــد قوله (بمثابة التمعن والنظر فيما قد يكون وراء كل تلــك التعقيدات الناجمة عن الكتابة السريعة ومحاولة ادراك المعنى المقصود ومدى تمشيه مع النص فى توافق وانسياب (كـــان هربرت يوتى يفكر اذ ذاك فى الاوضاع التى عليها الوثائق البردية ومدى الصعوبات التى تواجه القارىء المتصدى لهـا . ومع انه عندما طلع علينا بهذه الصيغة لم يكن يفكر فـــى عيون الادب والشعر ، فإننا نستطيع بالمثل تطبيق هـــذه القاعدة على الادب كذلك ، حيث يمكن ان تكون العناصـر الاساسية فيه هى تداعى معانى الكلمات وترابطها ، مـــع ما تتضمنه الاشارات والتلميحات من معانى اضافية . ولعـل الاساس فى بناء نظرية خاطئة منشؤه نوع من القصور فـــى الذوق الادبـــى .

ولدينا لوح خشبى محفوظ الآن بفينا بالنمسا وقـــد وردت الاشارة اليه فى كتاب باك (Pack) ، الطبعـــة الثانية تحت رقم ٢٢٧ وقد سطرت على هذا اللوح فقرة مـــن مقطوعة شعرية للشاعر البرقاوى كاليماخوس Callımachus مقتبسة من قصيدة فى نحو الف بيت تسمى هيكالى Hekaie

وفيها يصف ذلك الشاعر لقاء ثيسيوس (Theseus)
مع ثورماراثون وكيف ان ثيسيوس هذا كان قد قضـــى
الليلة السابقة على هذا اللقاء فى كوخ امرأة عجوز شمطـــاء
تسمى هيكالى . وجاء فى سطرين من هذه الملحمة أو بالاحـرى
شبه الملحمة ، حوار بين الطيور على مختلف اشكالها وانواعها
وهى تصيح وتنصق وكان من بينها غرابان ينعيان فى حلكـة
الليل البهيم وكأنما ينادى احدهما الاخر ولكن لم يطل امـــد
هذا النعاب طويلا . وهاك نص هذين السطرين كما وردا فى
تلك القصيدة تحت رقم (4.10 ، .1)

αἶψα γὰρ ἦλθεν στιβήεις ἄγχουρος. "ἴτ',
οὐκέτι χεῖρες ἔπαγροι φιλητέων"

تلك كانت القراءة الأولى لهذا النص المسطر على ذلــــك
اللوح الخشبى وترجمته على النحو التالى (ذلك انه سرعـــان
ما جاء جار (اى غراب اخر) ينتفض من شدة البــــرد
والصقيع وقال (هلم بنا فلم تعد بعد ايدى اللصوص تنقـــب
بحثا وراء فريستها) وللتعليق على هذه القراءة نسوق مـــا
كتبه عالم بريطانى يسمى ر. بفيفر (R. Pfeiffer)
فى مجلة الدراسات الهيللينية (Journal of
Hellenic Studies)

في عددها الصادر سنة ١٩٥٥ والمرقوم ٧٥ ص ٦٩ وما يليهـــا
حيث قال ما يلي (إني كنت اصر دائما على التشكك فـــي
صحة هذه القراءة وكنت من بين القلة التي تسرب اليهـــا
الشك في ذلك واعتبرنا هذه القراءة وما اسفرت عنه مـــن
معاني وتفسيرات اجمالية نوعا من ضروب الخيالات المزعومة
فلما اعاد الكاتب البريطاني النظر في هذا الموضوع ودقـــق
في صورة ذلك اللوح الخشبي وما سطر على صفحته وجـــــد
ان كلمة ἴτε بمعني (تعالى) يجب العدول عنهـــا
وتصويبها بكلمة بديلة هي ὅτε بمعني (عندما) ومعنـــى
ذلك انه اصبح لا مجال لأى حديث مباشر ينبيء فيه غـراب
زميلا له عن اقتراب نهاية الليل ٠ ثم ان كلمة ἄγχουρος
بمعني جار لا محل لها هنا اذ هي خطأ ظاهر فكتبـــــت
الأوميكرون (ο) بدلا من الألف (α) وبذلـــك
تكون صحة الكلمة هكذا (ἄγχαυρος) بمعنـــى
فجر [1] وهذه الكلمة وردت بالفعل في سويداس Suidas
وعلى ذلك تكون العبارة متضمنة اسلوبا جديدا في التعبيـــر
البياني والافصاح عن تحديد الوقت والزمن ٠ ثم إننا نجـــد

---

(1) = near = ἄγχι + αὔριον =tomorrow

= near the morning, νύξ = (اى الليل)

فيه نوعا من التجديد والعودة الى الصيغة الهومرية التى تعبر عن (مقدم الفجر حالة كونه متربعا على عرشه) . ولعل ما كان لدينا من استعداد لقبول وجهة النظر الخيالية عند كاليماخوس وهو يسبح بنا دائما فى الخيال ويحلق فى تلك الاجواء دون ما حرج هو السر فيما انتاب نفرا من العلماء وحال بينهم وبين عمل التصويب اللازم لفترة من الوقت وعاقهم عن الارتياب فى القراءة الاولى والاتجاه الى القراءة الصحيحة للنقش المكتوب على سطح ذلك اللوح الخشبى .

وقد يتسرب الينا الظن ان الامر يعتبر من قبيل البديهيات فيما نشير اليه من ان مهمة تصويب الكلمات وردها الى ما كانت عليه فى اى نص مبتور واعنى بذلك تحديد نوع الكلمات الضائعة او التى تناولها المحور او عبثت بها الديدان والنمل واكلتها - وكل هذا امر ميسور وممكن فى حالة واحدة وهى أن يكون الانسان ملما بالظروف التى كان عليها النص . والامر لا يعدو شيئا واحدا وهو أن كل ما نستطيع ان نعرفه هو من قبيل الصيغ المألوفة والعبارات المتداولة فى بعض الوثائق ، مثال ذلك تلك الاسطر التى تأتى فى الديباجة الاولى حاوية لبعض الالقاب من صفات (epithets) او انساب (patronymics)

وهي التي كانت تسبغ على الملوك البطالمة والاباطرة الرومان ويساعدنا في هذا الرجوع الى النصوص المماثلة التـي وردت ، في كتاب الكلمات (Worterbuch) الجزء الثالـث لكي نكمل ما ضاع من فقرات في هذا النص .التمهيدى. وهكذا حق علينا الشكر لمختلف ملوك البطالمة وملكاتهم وكذلـك لاباطرة الرومان لأنه بفضل القاب هؤلاء وكنياتهم العديـدة امكننا في كثير من الاحيان تكملة السطور المبتورة فـي النقوش والنصوص البردية على السواء ، بل وتحديد عـرض اى عمود او سطر لم يبق منه سوى اجزاء بسيطة . على ان هذا النوع من التصويب يمثل اداة قيمة في اعطاء شكل ذى بعدين اثنين[1] ، يستعين بهما الانسان في تفسير كنه وثيقـة، اعتورها عطب ما او حتى في تصويب نص ادبي وبخاصة اذا امكن العثور على اقتباس ما ، وكما قلنا من قبل ان التصويب المبني على معرفة طبيعة الوثيقة وكنهها هو بمثابة المجـس الذى نسير به غور مهمة شائكة هي الكشف عن وجود احتمـالات لضم قصاصات ينتمي بعضها الى بعض . واذا صح ان كانـت جميع المسوغات اللازمة لاعادة تركيب الجمل المبتورة في نـص بردى الى ما كانت عليه ، فجاءت مستوفاة تمام ، فإن هناك

---

(١) هما التصويب من ناحية ومعرفة سعة الاسطر وعـدد الكلمات الضائعة من ناحية اخرى

حالات اخرى لم يتبق منها فى الغالب سوى النصف ، ومع ذلك ففى المستطاع ان نستقرى ، احيانا من هذا النص الباقى ، او اقل منه ، معلومات تاريخية وقانونية ذات اهمية بالغة ، ولدينا مثل رائع على ذلك ، نسوقه للتدليل على ان قصاصة بردية ضئيلة لا تعدو سطرين مبتورين ، جاءت حاوية لمعلومات قيمة . ذلك ان الوالى الرومانى الحصيف تيبريوس يوليوس الاسكندر الذى شغل منصب الامارة على مصر من ٦٦ م حتى ٦٩ م . وهو قت من احرج الاوقات التى احاطت بتاريخ الامبراطورية الرومانية عقب انتحار الامبراطور نيرون وتوالى اربعة من الاباطرة على العرش الرومانى سنة ٦٩ م ، قيل ان وظيفة مرموقة هى قائد الحرس البريتورى فى روما اسندت اليه وجاء فى هذه القصاصة البردية كلمة يونانية مبتورة لم يبق منها سوى نصفها فوصفت هذا الشخص على انه كان من قبل ذلك واليا على مصر وها هى تلك الكلمة ἡγεμο[νεύσαντ]ος انظر بردى حيبه (P.Hibeh,II,215) ثم التعليق المستفيض على هذا النص فى موسوعة البردى اليهودى الجزء الثانى تحت رقم ٤١٨ ب ، جـ .

Corpus Papyrorum Judaeucarum vol. II, p. 194 and further notes therein

ومرجعنا كذلك في التعرف على تاريخ حياة هذا الوالي
الالمعي الى مقال طريف للعالم البريطاني اريك تيرنر في
مجلة J. Rom.Stud.XLIV,1954 p 54 والى
كتاب للعالم الالماني فيكتور بور (Victor Burr)
افرده منذ عام ١٩٥٥ لحياة هذا الوالي ومراحل المناصب التي
تقلدها . وقد اتفقت كلمة العلماء على ان هذه النتفة من
المعلومات التي اشارت الى توليه منصب رئيس الحرس
البريتوري عقب ذلك البلاء الحسن الذى ابلاه في المبادرة
الى تنصيب فلافيوس فسپاشيان امبراطورا على روما واعلان
ذلك دون خوف ولا وجل في اول يوليو من عام ٦٩ م . في
ميدان المرماح (الهيبودروم) بظاهر الاسكندرية وجعل
الشعب السكندري وفرقتي الجيش الروماني تقسم يمين الولاء
لهذا القائد الذى كان حاكما على بلاد اليهودية إذ ذاك ،
متحديا في ذلك الامبراطور الجالس على العرش وهو فيتلليوس
فاستحق من فسپاشيان التقدير والتكريم واثره هذا الامبراطور
بالحظوة فولاه اميرا على الحرس البريتوري بالاشتراك مع
ابنه تيتوس (Titus) واعتبر المؤرخون ان شغله
لهذا المنصب اصبح حقيقة مؤكدة ولم تعد تقبل اى تحدى
واصبح هذا النص المصوب كما لو كان كاملا وغير مبتور
لأن الكلمة امنوه عنها وردت في صيغة معروفة ومتداولة وهي

صيغة اسم المصدر فى حالة المضاف اليه وهذا طابع مألـــوف ولا غرابة فيـــه ٠

وهناك حالات اخرى على النقيض من ذلك ، لم يتوافر فيهـا ذلك العنصر الذى تقتضيه الضرورة ٠ وعلى ذلك يصبح فـــى هذه الحالة اى تصويب مجره عمل من اعمال التخمين المتســم بالمجازفة ٠ وفى مثل هذه الوثائق لا سبيل الى تخمين تاريـخ يمكن ان نتوخى فيه الدقة ولا الرقم الحقيقى لاى مبلغ مـــن المال ، اذا كانت الاشارة الى دين او معاملة مالية مـــن اى نوع او حساب (Logos) للمصروفات وما اكثرهـــا ولا سبيل لمعرفة شىء عن اى اسم او كنية له اذا ما كـــان الزمان قد عمل عله فى محوه ، فترتب على ذلك آن يلتبس الامر على القارىء ـ كل هذا القدر من المعلومات ، اذا ضاع شىء منه فى اى من الوثائق البردية ، اصبحت معرفتـــه او محاولة الوصول اليه ضربا من الخيال ، والحال بالمثل فـــى المراسيم الامبراطورية التى اعتراها شىء من البتر او التشويه وعندئذ يقف الانسان مكتوف اليدين امام مثل هذه الصعـاب بل قد يعجز عن تخمين الوضع الذى كان عليه النص ومعرفـة ما كان عليه على سبيل اليقين ٠ وفى مثل هذه الاحوال ينبرى نفر من العلماء فى اوربا وامريكا ، محاولين بذل قصـــارى

الجهد فى سبيل تصويب ما ضاع من النص وبذلك تخرج الاراء متضاربة وتتبلبل الافكار • وها نحن نسوق مثلا مشهورا على وضع من هذا النوع وهو متعلق بموضوع فى غاية الاهمية وهو مرسوم امبراطورى مشهور اصدره الامبراطور كاراكلا (Caracalla) ويعرف بالدستور الانطونينى Constitutio Antoniniana سنة ٢١٢ م وبمقتضاه اسبغ هذا الامبراطور منحة المواطنة الرومانية Civitas Romana على العالم الرومانى برمته (؟) وذلك فيما عدا من اسماهم بالمستسلمين (dediticii) الذين كانوا قد اشهروا السلاح فى وجه روما وحاربوها (pugnare) وقد حفظت لنا اجزاءا من هذا المرسوم بردية منشورة فى مجموعة بردى جيسن (P.Giessen,40,ii) • ولما كانت هذه الوثيقة مبتورة فى بعض اجزائها ، فقد كثرت المحاولات المبذولة فى تصويب ما ضاع منها وتعددت الاراء فى هذا الشأن وهاك فقرة مهمة من هذا النص :

χωρ[ὶς] τῶν [δε]δειτικίων δίδωμι ....

πολιτείαν 'Ρωμαίων

ومعناها (انا الامبراطور امنح المواطنة الرومانية للجميع فيما عدا من اطلق عليهم بالمستسلمين) اى (الذين القوا

السلاح) . وهناك دراسات مستفيضة فى هذا الشأن قام بهـا العالم البريطانى هارولد ادريس بل ثم تبعه كثيرون نذكـر منهم ما يلى :

1- Chr. Sasse: Die Constitutio Antoninisna, Wiesbaden, 1958.
2- A.H.M. Jones: The Dediticii and the Constitutio Antoniniana, Studies in Roman Goverment and Law, 1960.
3- Bradford C. Welles, Etudes de Papyrologie IX (1971) Another look at P. Giessen NO. 40, pp 42 - 54.

وفى مجال الادب وبخاصة فى نطاق الشعر ، قد يصعب الامر وتبعد الشقة فالشعراء (يتبعهم الغاوون) وبضاعتهـم هى اللعب بالالفاظ واستخدام الكلمات ذات المعانى المختلفة يختارونها احيانا بمنتهى الدقة ويوحى بها اليهم بفضل مـا اوتوه من احاسيس مرهفة ، فتجىء عباراتهم مرصوصة بعضهـا الى بعض ومقفاة بالطبع فى اوزان جزلة . ولذلك يصبح مـن النادر ان يدرك الانسان كل او جل ما كان يدور بخلـد هؤلاء الشعراء ومعرفة ما كانوا يختارونه من الكلمـات المنتقاه للتعبير عن احاسيسهم والمعانى الدقيقة التـى يصورونها . وقد سقنا من قبل مثلا على ذلك فيما جاء عنـد

الشاعر كاليماخوس ـ ميكالى) . واوراق البردى التى تم كشفها حديثا حافلة بالامثلة الدالة على ان ما جاء بهـا كتكملة لقصاصات بردية كانت معروفة من قبل ، فلما اسفر عن تأييد لتلك التخمينات والظنون التى طلع بها علينـا العلماء الذين تصدوا من قبل لنشر تلك الوثائق ، وكانـوا فرسان الحلبة في ذلك المضمار بنشرهم الاول (editio princeps) وقد ثبت ان هذا القول جاء مصداقـا بصفة خاصة على شعراء من امثال كاليماخوس وارخيلوخـوس (Archilochus) وعلى شعراء الاغاني وكذلك علـى الشعراء التراجيديين بل انه في حالة كاتب كوميـدى والمعى صريح من كتاب المسرح الا وهو الشاعر ميناتـدر، أثبتت المكتشفات البردية الحديثة ان معظم التخمينـات السابقة كانت في الكثير الغالب خاطئة ، كما انها اسفـرت في احيان اخرى عن مدى العجز عن ادراك اى قصور موجـود او نقص في القراءة الاولى ثم ما لبث هذا القصور ان بـدا فاضحا في ضوء ما تكشف حديثا وما ادركه العلماء مـن تصويب عند مراجعة هذه النصوص على اصولها المحفوظـة بالمتحف المصرى مؤخرا . ومن الامثلة الطريفة على مثـل هذا الخلط في استنباط المعانى من نص جاء في احـدى مسرحيات الشاعر ميناندر وهى المحب البغيض[1] Misoumenos

(1) Misoumenos = The Hated Lover, Korte, 2 45).

ما يستوجب التصويب في ثلاث حروف من الكلمة الاولى حتى يستقيم المعنى والنص قبل تصويبه كان على النحو الاتى :

[μισ]ῶ γυναῖκας ἐντετυχήκως Δημέα

[αἰτ]ῶ γυναῖκά

ومعناه كما يلى (إنى ابغض النساء بعد ان تم اللقاء بك ياديمياس) وبعد عمل التصويب في الكلمة الافتتاحية باعتبارها αἰτῶ بمعنى يطلب او يسأل وفصل السيجما الواردة في اخر كلمة γυναῖκά σ' باعتبار ان هذه الكلمة جاءت مفردة في صيغة المفعول فيصبح النص هكذا αἰτῶ γυναῖκά σ' وبذا يتغير المعنى كلية ويصبح على النحو الاتى : (اما وقد قابلتك انت يا ديمياس فإنى اسألك عنها باعتبارها زوجتى) . وهناك مثل اخر نسوقه هنا من قبيل التحذير من الوقوع في مثل تلك الاخطاء والمحاذير التى كثيرا ما يتردى فيها من يتصدى لتصويب الثغرات الموجودة في بعض اوراق البردى . ففى قصيدة للشاعرة اليونانية سافو (Sappho) جاءت فقرات منها ضمن اوراق البردى التى نشرت لأول مرة فى مجموعة اكسيرنخوس :

P.Oxy. X, No 1231, frag. I Co . I

وقد عرضت (سافو) في الأسطر الوسطى من تلك القصيدة

الي وصف هيلين (Helen) كمثل على الحب الغامـــر وما له من سلطان على صاحبه · وقد جاءت الاسطر الاربعة من السطر ١٨ حتى ٢١ على النحو الاتى دون فصل الكلمـــات بعضها عن بعض :

18. ἀγαρπόλυπερσκο πει[.]α

19. [...]ος [...]ρωπων ελενα [..] νανδρα

20. [........]ιc τον

21. [.......] ϲεβαcτροϊα [..] λεcc [..]

وهاك التصويب المقترح للاسطر الثلاثة ١٩ ـ ٢١ :

19. [κάλ]ος [ἀνθ]ρώπων 'Ελένα [τὸ]ν ἄνδρα

20. [κρίννεν ἄρ]ιστον

21. [ὃς τὸ πᾶν] σέβας Τροΐα[ς ὄ]λεσσ[εν]

ومعنى ذلك (أن هيلين الفذة بين جميع الخلـــق والبشر من حيث جمالها قد اختارته (اى باريس) باعتباره افضل الجميع واحسنهم وهو الذى حطم عظمة طروادة عـــن اخرها) ·

فإذا اخذنا النص القديم على علاته · وجدنـــا ان

المعني غير مستقيم ، وأن ذلك يتطلب الانتقال من هيلين الى خليلها ثم العودة الى هيلين بعد ذلك وان كلمة σέβας بمعنى عظمة وجلال ، قد اطلقت مجازا على طروادة ٠ وعلى ذلك يكون التصويب على هذا النحو قد بدا متسما بشيء من الجرأة والجسارة وصار مقبولا على مضض الى حين ، عندما اتيحت الفرصة لعالم هو الاستاذ (لوبل) (Lobel) الذى كان قد عثر بطريق الصدفة البحتة على قصاصتين ضئيلتين ثبت بعد التمحيص انهما ينتميان الى هذا النص بعينه ٠ وهنا ينبغي ان نعود فنكرر ما سبق ان قلناه وهو ان الانسان عليه الا يستهين باية قصاصة بردية يقع بصره عليها ، مهما ضؤلت فقد تكون مكملة لشيء او فيها اضافة لحقيقة جزئية ، نحن احوج ما نكون اليها ، وفي ضوء ذلك اصبح النص الجديد في السطرين ٢٠ ـ ٢١ على النحو التالي : (١)

20. το[ ]cτον

21. ..αλλ[ ].εβαc .' Τροΐαν πλεοι

وفي واقع الامر يمكن تصويب السطر رقم ٢١ وتكملته على النحو الاتي :

---

(1) P. Oxy. XXI, p. 122

: ..وكذلك يمكن ان نضيف الى السطر السابق رقم ٢٠ ما يلــي :

καλλ[ιποι]ς 'ἔβα'ς Τροΐαν πλέοι[σα]
τὸν [πανάρ]ιστον

وبذلك يصبح المعنى مستقيما هكذا (هيلين التــي هجرت خير الازواج طرا ذهبت عبر البحر الى طروادة ... إننا نكون بذلك قد تحاشينا الوقوع في كثير من الزلـــل واصبحنا في غير حاجة الى الاشارة الى (باريس) حبيــب هيلين ولا الى تغيير الفاعل في الجملة واللجوء الى تسلســل الفكرة من مينيلاوس وهو الزوج المهجور والذى لا جريرة لـه، الى اطفال واباء تخلت عنهم هيلين ولم تكترث بامرهـــم وفوق هذا وذاك لا محل للاشارة الى ذكر عظمة وجـــلال طروادة ومجدها المؤثل ، وقد ضاع كل هذا بسبب هيليـــن وخيانتها . وهكذا بذلت جهود مكثفة في سبيل تصويب هــذه الفقرات وغيرها وكانت بعض هذه الجهود تبوء احيانـــا بالفشل ولكن هذا لم يمنع من الاستمرار في عمل المحاولات من اجل تصويب اى من القراءات المعيبة او الخاطئة الـــى ان كللت الجهود بالنجاح في اخر الامر . وقد نتساءل عما هـــو

السبيل الذى يتعين علينا ان نسلكه كيما نتجنب الوقـوع في مثل هذه المحاذير والتورط في مواطن الزلل • ولكـن للاسف لا يوجد اى جواب شاف واف عن هذا السؤال • وكـل ما نستطيع ان ننصح به هو انه عندما يشرع الانسان فـى محاولة لايجاد صلة او رابطة بين اى من القصاصات البرديـة المبتورة او الممزقة على اساس احتمال وجود فكرة بانها قـد تنتمى الى مخطوطة واحدة ، يتعين عليه ان يحاول الربـط بينها وبين الموضوع العام الذى تتناوله الوثيقة برمتها • وأى تقدم فى هذا السبيل يتطلب عمل افتراضات ، تتلوهـا افتراضات اخرى • وعلى الانسان ان يتحكم فى مثل هـذا السيل من الافتراضات التى تجول بالخاطر ، فلا يتركهـا تسيطر عليه ، وانما يطرحها ظهريا ، متى اتضح له عـدم الجدوى منها ،فمن الخير ان يبادر الانسان الى الاعتـراف بالفشل بدلا من التمادى فيه •

وهناك قاعدة عامة ، اصطلح عليها علماء البردى فـى اوائل مؤتمراتهم الدورية التى تعقد كل ثلاث سنوات فاتفقوا على الاسلوب المرعى فى نقل الاسطر والكلمات والرموز الـى ما يغيب منها وذلك حسبما تجىء فى النص ويكون من اليسير قراءتها ، كما اصطلحوا على كيفية التعبير عن الحـروف

المبتورة والساقطة والرموز والاختصارات وكان الاتفاق قـد تم بين علماء البردى على هذا النظام الذى ابتدعوه منـذ عام ١٩٣١ ونشرت التفاصيل الكاملة لذلك فى مؤلف خـاص عنوانه كالاتى :

J. Bidez - A. B. Drachmann,
Emploi des signes critiques,
ed. 2, Paris, 1938, par A.
delatte et A. Severyns pp 17 ff.

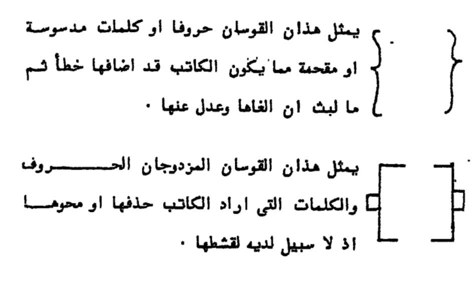
والجدول التالى يفسر تلك العلامات ومدلولاتها :

ạβ̣γ̣δ̣ وهذه تمثل حروفا ابجدية تحتها نقاط للدلالـة على وجود شك جوهرى فى قراءتها او انهـا مبتورة وبقى ذيل من الحرف الدال عليها .

[αβγδ] وتمثل حروفا او كلمات امكن للناشر أو القارىء ان يتعرف عليها ويستقرئها على سبيل اليقين .

< > ويمثل هذان القوسان المحدبان وجود فقـرة او فراغ امكن للناشر ان يصوب هذا الجزء .

(αβγδ) يمثل ما بين هذين القوسين المستديرين معنـى الاختصارات وفك رموزها مثل الدراخمـة ورمزها ⊢ او السنة ورمزها (L= etois)



{ } يمثل هذان القوسان حروفا او كلمات مدسوسة او مقحمة مما يكون الكاتب قد اضافها خطأ ثم ما لبث ان الغاها وعدل عنها ·

[ ] يمثل هذان القوسان المزدوجان الحروف والكلمات التي اراد الكاتب حذفها او محوها اذ لا سبيل لديه لقشطها ·

\αβγδ/ يمثل هذان الرمشان اضافات لحروف او كلمات بين السطور ويتعين اثباتها في السطر بعد وضعها بين هذين الرمشين للدلالة على هذا المعنى ·

وهناك بعض الملاحظات الاخرى التي نسوقها استكمالا للفائدة وتوخيا للاحاطة بالموضوع ، ذلك ان بعض العلماء كانوا يستخدمون في الماضي اسلوبا اخر بوضع جرات قلم او شرط تحت الحروف على النحو الاتي : δ̲ γ̲ β̲ α̲ للدلالة على ان هذه الحروف او نظيراتها جاءت مبتورة ولكن ليس هناك ادنى شك في صحتها · ولهذه الطريقة فائدتها وجدواها ، بل ولا يزال بعض العلماء من امثال (هربرت يوتي) ، استاذ البردى في جامعة ميتشيجان بامريكا يؤيد هذه الفكرة واستمر كذلك حتى وفاته في عام ١٩٨١ وكان

يحيدنها وينتصر لها كأسلوب خاص به في اعمال النشــــر.
ذلك ان بعض الارتباك قد ينشأ بسبب استخدام النقــاط
تحت الحروف وقد يختلط علينا الامر فلا نستطيع التمييـــز
بين استعمالها للدلالة على الترقيم وبين استخدامها للتعبيـــر
عن ضياع حروف او عدم امكان قراءة تلك الحروف . وفـي
المستطاع تحاشي هذا كله اذا لاحظنا ان النقاط الدالـــة
على ضياع الحروف او عدم امكان قراءتها توضع تحــــت
السطر هكذا ـــ.ـــ وفي السنين الاخيرة جرت العادة بـأن
تستخدم الاجزاء السفلية من الاقواس المربعة وهي تمثـــل
انصافها هكذا ⌊ αβγδ ⌋ وذلك للدلالة على ان فقـرة
من النص امكن تكملتها على سبيل اليقين نظرا لتعرفنـــا
عليها من مصادر اخرى .

وفي اخر المطاف جرت العادة بان نتبع النـــص
بديباجة شاملة لجميع اوجه النقد العام ، مضمنين اياها كـــل
ما يتراءى لنا من ملاحظات مع التنويه بالاخطاء اللغويـــة
إن وجدت وعمل التصويبات والمقارنات والاشارة الى نـــوع
الخط وهل هو من قبيل الخط الجميل (caligraphic)
الذى دبجه كاتب متأنق ام انه كتابة سريعة فيها شيء مــن
العبث والاهمال . وينبغي علينا ان نشفع هذا كلها بكلمـــة

عابرة عن الاسلوب اللغوى والمصطلحات المتداولة والعبارات التقليدية ويدخل كل هذا ضمن ما درجنا على تسميته بالنقد الأدبى واسلوبه (apparatus criticus) وقد سبق ان عرضنا لكل ذلك بشيء من التفصيل . ثم نختتم هذا كله بترجمة سليمة ودقيقة للنص إن أمكن ، نتوخى فيها المحافظة على طابع النص فلانتصرف ولا نسترسل وانما يكون راشدنا دائما التمسك بحرفية النص . والترجمة فى حد ذاتها من شأنها ان تكشف عن اى اخطاء او عيوب فى النص . اما اذا كان النص مبتورا فعندئذ لا جدوى من الترجمة وانما نقتصر فى هذه الحالة على ترجمة فقرات او عمل تلخيص لما تتضمنه بعض فقرات من النص .

هذه عجالة رأيت ان اضمنها بعض ما عن لى من الملاحظات استقيتها من خبرتى بالنصوص البردية ومعالجتى لنوعيات مختلفة من تلك الوثائق وهى تمثل اهم ما يعرض له الباحث وما قد يواجهه من صعاب ، سواء فى عالم البردى او فى علم الاستراكولوجى (Ostracology) (علم الشقافة والمسطرات على صفحاتها) او ما هو مسطر على الاخشاب والالواح الحجرية والرخامية والبرونزية مما يدخل فى عالم النقوش .

وقد رأيت ، امعانا في الفائدة أن اشفع هـــــذه الدراسة بنماذج قليلة من أهم الوثائق البردية الاصليـــــة كعينات على نوعية الكتابات الادبية والوثائقية ليتأمل فيهـــا القارىء ويدرك المدى الذى وصل اليه هذا العلم والاطوار التى مر بها حتى جاءت هذه النصوص منشورة في اثوابها القشيبـة واصبحت في متناول الجميع ، تضىء له ولغيره قطاعات مـــن المجتمع المصرى في صدق وامانة وتحكى لنا انات النـــــاس الكادحين وما كان ينتابهم من احوال في افراحهم واتراحهم وتبين لنا نوعية الحكم الذى كانوا يرزحون تحته من عهـــــد ملوك البطالمة واباطرة الرومان على مدى نحو الف عام ٠

وها نحن نختتم هذا البحث بقائمة من الارقام :

$\bar{\alpha} = 1$ $\bar{\beta} = 2$ $\bar{\gamma} = 3$ $\bar{\delta} = 4$ $\bar{\varepsilon} = 5$

$\bar{\sigma} = 6$ $\bar{Z} = 7$ $\bar{\eta} = 8$ $\bar{\vartheta} = 9$ $\bar{\iota} = 10$

$\bar{\kappa} = 20$ $\bar{\lambda} = 30$ $\bar{\mu} = 40$ $\bar{\nu} = 50$

$\bar{\xi} = 60$ $\bar{o} = 70$ $\pi = 80$ ϙ $= 300$

$\bar{\rho} = 100$ $\bar{\sigma} = 200$ $\bar{\tau} = 300$ $\bar{\upsilon} = 400$

$\bar{\varphi} = 500$ $\bar{\chi} = 600$ $\bar{\psi} = 700$ $\bar{\omega} = 800$

$'A = 1000$

ومضاعفات الارقام تكون هكذا على سبيل المثال :

$\overline{\lambda\gamma} = 33$ $\overline{\rho\iota\varepsilon} = 115$

$\overline{\lambda\varepsilon} = 35$ $\overline{\mu\varepsilon} = 45$

قراءة النصوص البردية المنشورة
وما يكتنف ذلك أحياناً من صعوبات

إنها لمهمة ثقيلة تحفها الكثير من المخاطر وتلك هي التي تواجه الناشر الأول لأى وثيقة بردية، فالباحث في هذا المجال عندما يحاول التوفيق بين القصاصات المتناثرة في شتى الكتب ومختلف الموسوعات البردية بقصد استكمال المنشور منها والتوليف بينها وبين نظيراتها او حتى القصاصات المنتمية اليها تواجهه شتى الصعاب. وأخوف ما يخافه الانسان هو التورط عن عجل في عمل تصويبات متسمة بشيء كثير من الخيال ، مما قد يكون صاحب النشر الأول (Editio Princeps) قد تورط فيها وقام بها لأول وهلة عندما وجد ثغرات (Lacunae) دون الرجوع الى النظائر ، والبردى حافل بالثغرات وبه شتى أعمال البتر الكلي والجزئي وعندئذ يعمد الانسان الى إعمال الفكر والخيال ، بقصد البحث عن نظائر من بين المنشور في الموسوعات البردية . وعند عدم التوفيق الى شيء من ذلك يحاول جاهدا سد هذا الفراغ أو ذاك بقياس المسافة التي يشغلها هذا الفراغ أو ذاك بعد الحروف المتوقعة أو المرتقبة في اى سطر من السطور التي بها فراغات ، وهكذا يستطيع استكمال الناقص منها . وفي حالات كثيرة قد يتورط الجهابذة من أعتى العلماء في علم البردى فيقعون في أخطاء عند سد أو ملء مثل الثغرات . ونذكر من هؤلاء جرنفل ، وهنت وإدجار وفيتللى وميديا نورسا وبيير جوجيه وويليام لين وسترمان وغيرهم .

ولعل السبب فى ذلك ان البعض من هؤلاء كان قد تعجل كيما يكسب شرف السبق فى النشر الأول فخرج النص بصورة غير قشيبة ، إلا فى حالة واحدة ، يكون فيها النص كاملا وسليما وهذا فى أغلب الظن يكون فى الحالات النادرة ، فالثقوب والقطوع والتآكل والبتر بفعل الحشرات وعمل الانسان هي سمة بارزة فى علم البردى وشيمة او خصلة طالما شكا منها العلماء وبرموا بهاء. وعلى ذلك لا ينبغى علينا ان نقنع بهذا الناشر الاول الا فى الحالات الكاملة الخالية من أى تصويب ولا بتلك المحاولات العديدة فى تصويب القراءات فى ثنايا هذه الفراغات ، فقد يسير الانسان وراء الناشر الاول دون اى تمحيص فيردد تلك القراءات التى وصلت اليه ، كاملة او منقوصة فيقع فى خطأ مضاعف . ونظرا لأن الكثير من هذه الوثائق قد اعيد نشره مرات ومرات ، فإنه ينبغى علينا ألا نعول الا على النشر الاخير فقد نجد فيه تصويبات تستدعى النظر.ونسوق هنا مثلين رائعين أولهما ورد فى وثيقة بردية منشورة فى كتالوج المتحف المصرى نشرها منذ بضع سنوات العالم الراحل (إدجار) من أرشيف زينون تحت رقم ٥٩٠٧٦ وقد جاء فى أحد الأسطر بها حديث عن عدد من العبيد ، جاءت كنيتهم أو صفتهم فى كلمة بتر الشق الاول منها هكذا ta paidaria [ ] tika وترك (إدجار) تلك الصفة المميزة لهؤلاء العبيد دون تكملة ولكن الناشر اليهودى فى الجامعة العبرية واسمه (تشبريكوفر) فى

كتاب شامل للبردى اليهودى Corpus Papyrorum Judaicarum
الجزء الاول رقم ٤ ، استطاع ان يضوب تلك الكلمة هكـــــذا
Oiketica بمعنى أنهم كانوا نفرا من عبيد مصدرهم الخدمة فـى
بيوت العظماء والالتحاق بهذه البيوتات كوصفاء يشهدون الحفلات
ويخدمون على الموائد ويقدمون الشراب، وليسوا كغيرهم ممن كانوا
يعملون فى قطع الاحجار واعمال الحفر ، وهذا الاستنباط جـــاء
قياسا على ما ورد فى وثيقة اخرى ذكرها تشيريكوفر هكـــــذا
Somata Oiketika بمعنى الرفقاء ـ الجلساء من العبيـــــد
الذين يلتصقون بسادتهم ويؤدون الخدمات لهم كندماء [1]

---

(١) هناك تصويبات اخرى ، جاء ذكرها عرضا فى كتاب صدر حديثا فى عام ١٩٨٣ فى تريير بألمانيـا لمؤلفه رينولد شول (Reinhold Scholl) ص ١٠٠ ـ ١٠١ فاقترح نفـــر من العلماء الاعلام تصويب تلك الكلمة الدالة على وصـــف هؤلاء العبيد على انهم tika (mathe) اى قابلين للتعليم بحسب قراءة ريكمانز (Reekmans) فى مجلـــة Chronique d'Egypte العدد ٤٣ لسنـــــة ١٩٦٨؛ وصوبت فى الموسوعة اليهودية الجزء الاول ص ٤ على انهـا tika (oike) للخدمة فى البيوت وصوبت فى كتاب اسكيت عن بردى لندن الجزء السابع رقم ١٩٤٧ على انها tika (dras) اى انهم نشطون وعمليون وايجابيون وهكذا تفاوتت القراءات وتعددت المعانى التى وصف بهـا هؤلاء العبيد . انظر كتاب Sklaverei in den Zenonpapyri, Reinhold Scholl, Trier, Germany (1983) pp 100-101.

أما المثل الثاني فهو مقتبس من وثيقة بردية اخرى نشرها (ادجار) ثلاث مرات اولاها في حوليات مصلحة الاثار Pap. Edgar No.3 ثم ثانيتهما في كتالوج المتحف المصرى تحت رقم (٥٩٠٠٣) وفي المرة الثالثة نشرت في البردى المختار رقم ٣١ وقد أعيد نشرها كذلك في موسوعة مشهورة تسمى Sammelbuch ورقم الوثيقة (٦٧٠٩) وهى بشأن طفلة سنها سبع سنوات واسمها اسفراجيس (Sphragis) كانت عبدة تباع في اسواق النخاسة اى انها كانت من اهل مدينة صيدا وقد بيعت بعقد مسطر تاريخه سنة ٢٥٩ ق.م. وجاء العقد من صورتين، مستوفيا لجميع الشرائط الواجب توافرها في مثل عقود البيع هذه وفيه ضامن واحد وستة من الشهود وتم البيع لصالح زينون في بلدة تسمى (برتا) في عمان (بلاد ما وراء نهر الاردن). ولما اعيد نشر هذه الوثيقة في موسوعة البردى اليهودى تحت رقم (١) من الجزء الاول عُدل عن وصف هذه العبدة بانها بابلية الاصل كما زعم (ادجار) على اساس اختلاف القراءة في حرف (اللام) كما تصوره ادجار ولكنه (دال) وعلى ذلك كانت هذه العبدة من صيدا (Sidon) أى انها Si -] donion وليست Baby] lonion وهكذا كان الحرف الواحد مدعاة لتصويب هو اقرب الى الحقيقة .

ومن هذين المثلين تتضح الحقيقة الآتية وهى أنه ينبغي علينا ان نأخذ حذرنا دائما فلا ننساق وراء اى من الناشرين الأولين عندما يعمدون الى ملء الفراغات او عمل التصويبات في

الفقرات المبتورة وأن نبحث باستمرار وراء آخر نشر لأي من هذه الوثائق التي بها بتر عرضي او طولي . ومع كل مايتطلبه هذا الجهد في التقصي والبحث من مشقة وصبر وطول اناة ، فإن فيه الأمان ويعتبر قمة البحث العلمي والتوفر على تحقيق النصوص بأسلوب سليم.ولابد ان ننوه هنا بأن هذا يحتاج الى حصيلة وافرة ومعرفة بالتراكيب اللغوية المألوفة في هذا المجال والمصطلحات التقليدية والمتعارف عليها في كتابة العقود والخطابات (epistolography) ثم علم إشتقاق الكلمات وفقه اللغة (Philology) وهذه كلها لا يقوى عليها الا العتاة والفطاحل والجهابذة من اللغويين امثال (هربرت يوتي) وكليربريو وبيير جوجيه وايريك تيرنر ونافتالي لويس وادجار وكالدريني وغيرهم . وهؤلاء جميعا بفضل الممارسة الطويلة وما أوتوه من الخلفية الهائلة التي كانت متاحة لكل منهم ، فرادى وجماعات متآلفة ومتعاونة - كان في وسعهم عمل التصويبات واستقراء ما كان مطموسامن كلمات وما ضاع من اسطر في شتى الوثائق البردية ، بل وما غفلت عنه عيون الناشرين الاولين ، وبذلك ساهموا بقسط وافر في هذا المضمار واكملوا الأجزاء المبتورة في يمين او يسار الاسطر او في مستهل الوثيقة أو في نهايتها وتحقيق تاريخها الضائع او استنباطه من ثنايا بعض الاشارات الواردة في صلب الخطاب او الشكوى او العقد المبتور .

ولا ينبغي ان يقف الانسان ويداه مغلولة الى عنقه وهو يتصدى لقراءة وثيقة بردية ، منشورة او غير منشورة ، فيحتار فى امره إلى ان يوفق بطريق الصدفة للعثور على ما قد يكمل النقص او يتعرف على بعض البينات التى قد تنير له ذلك الطريق الصعب والمحفوف بكثير من المخاطر خشية الوقوع فى الزلل ، ففي تصانيف البردى والموسوعات التي نشرت عينات كثيرة منه ، فيما حفظته لنا الصدف من البلي والتلف ، يجد الباحث الجاد فيها او في ثناياها مادة دسمة ، وان كان بعضها مبتور ، وهذه ترسم لنا شخصيات لها معالمها مثل شخصية أبو للونيوس وزير مالية مصر على عهد الخمسة عشر عاما الاخيرة من حكم بطلميوس فيلادلفوس او شخصية زينون سكرتيره ثم وكيله في ادارة ضيعة كبرى مساحتها عشرة الاف من الارورات (arourae) أو ما يساوى ستة الاف من الافدنة المصرية حديثا أو ترسم لنا صورة قشيبة عن قرية منشأة في الطرف الشمالى الشرقى من اقليم الفيوم او الارسينويتى كما كان يسمى في ذلك العهد القديم وهى فيلادلفيا التى كانت مركزا لنشاط جم فى شتى المجالات وشهدت أعمالا انشائية وعمرانية معاصرة لبناء مدينة الاسكندرية. وترسم لنا وثائق البردى فى أرشيف زينون الخطوط العريضة فى سياسة اقتصادية مرسومة وموجهة طبقها رجل موهوب من الناحية الفنية والاقتصادية والادارية Homo Oeconomicus,Technicus

هو زينون، وبانت اماراتها فيما كتبه وتبادله من رسائل ومكاتبات مع اقرانه المقيمين في محيط الفيوم وقراه او في الاسكندرية او في أجنداتـه.وهكذا تعرفنا على النظم الحكومية المطبقة في بيروقراطية مركزية شديدة وجاءت لنا لمحات عن الاوضاع الاجتماعية والعلاقات الانسانية والحياة المعيشية في هذا المجتمع الريفي والسكندرى على حد سواء ، بل نجد احيانا إشارات الى علاقات عاطفية أو نتف أدبية ومعاملات مالية ونجد كذلك الكثير من العقود الخاصة بالديون وملابساتها وعقود العمل والجهود المضنية التى بذلت من اجل تحسين الزراعات واستنباط اجود المحاصيل والنباتات مثل القمح الذى يتم نضجه خلال ثلاثة اشهر (Trismenos Sitos) وقد وردت إليه اشارة صريحة في خطاب بردى بعث به ابوللونيوس وزير المالية الى عاملة زينون ينوه فيه عن هذه التجربة وما ينبغي عمله لانجاحها وهكذا صور لنا هذا الأرشيف من البردي في أكثر من ألف وخمسمائة قصاصة الوانا من النشاط الجارى فى مصر فى حماس شديد ومنقطع النظير في النصف الاول من القرن الثالث قبل الميلاد وبلغ الذروة في عام ٢٥٢ ق٠م٠ من حيث اعمال الاشادة والبناء فى المؤسسات العمرانية من عامة وخاصة في قرية فيلادلفيا والقرى المجاورة لها ثم في ممفيس ومختلف اقاليم الدلتا .

ولا ينبغي ان يضير هذا البحث في التعرف على الاوضاع السائدة في مصر من خلال ما يجيء تباعا في النصوص البردية المنشورة ، ما يعتوزه من صعاب في تجميع وتصنيف القصاصات البردية المتناثرة في مختلف الحوليات والمجلات ومحاولة استكمال المنقوص والمتبور منها بالتعرف على نظيراتها ومثيلاتها بطريقة او بأخرى ونسوق هنا مثلا طريفا نشر عنه في مجلة بلجيكية تسمى Chronique d' Egypte الجزء ٣٦ والعدد ٧١ لسنة ١٩٦١ صفحة ١٧٩ ـ ١٨٦ وهو خطاب مبتور الى شقين طوليين ورد من مصرى يسمى اونوفريس (Onnophris) الى زينون بشأن قياس ارض مستصلحة بعضها غير منتج والاخر ملحي في عزبة او ضيعة لصاحبها المسمى اندروماخوس (Andromachos) الملقب بلقب معروف وهو (Myriarouros) اى صاحب عشرة آلاف الآرورات. وكانت احدى القصاصتين منشورة بمفردها في مجموعة ارشيف زينون المحفوظة في جامعة كولومبيا بنيويورك (P.Col. Zenon, II, 114j) والشق الاخر وهو الايسر كان محفوظا في ايطاليا بجامعة فلورنسة تحت رقم (P. S. I. VI, 639) وقد استطاع عالم بلجيكي هو (ادموندفان داك) (E. Van, t Dack) أن يتعرف على انتماء الشقين لوثيقة واحدة بفضل تواجد الاسم المبتور الى شقين احدهما وهو الصدر (Andro) في السطر السادس ثم العجز في السطر السابع هكذا (-machos)

وهكذا امكن ضم الشقين فأصبح الاسم (Andromachos) أندروصاخوس خير دليل على هذا الانتماء بين شقي الرحى وساعد على ذلك تلك الكنية التي وصف بها وهي (Myriarouros) اى صاحب العشرة الآف من الآرورات وبذلك كان ينتمى الى طبقة من الاعيان عرفوا باسم (Myriarouroi)[1] .

ومع ان العمل في مجال توفيق الاجزاء المبتورة هو رهن بالصدف البحتة فهو اشبه ما يكون بالنحت في الصخر ويتطلب جهودا مضنية ووقتا طويلا وصبرا شديدا وطاقات من التأني وحسن الاناة مع الاستعانة بالعديد من المصنفات والقواميس المألوفة في اللغة اليونانية مثل النهايات العكسية (Contrarindex) لمصنفه أتو جرادنفتز (Otto Gradenwitz) سنة ١٩٣١ ثم قوائم الاسماء التي دبجها العالم الالماني برايسجكى (Preisigke, Namenbuch) حتى سنة ١٩٢٥ ثم اكملت العالمة الايطالية فورابوشي (Foraboschi) تلك المهمة فزودتنا باسماء الاشخاص كما وردت في المصنفات البردية حتى تاريخ لاحق هو عام ١٩٦٤ .

---

(١) انظر الموسوعة الهولندية (P.Lagduro - Batawa) العدد (٢٠) رقم ٣٨ ص ١٥٧ - ١٦٤ حيث نجد النص وقد اغيد نشره مع دراسة مسفيضة عن الملابسات التي احاطت بذلك وتغيير بعض الكلمات المهمة فيه .

وليس هذا الجهد بمثابة اللعب فى الوقت الضائع ، فقد يسعد
الانسان بالعثور عن هذا السبيل على ما يكمل قصاصة بردية مبتورة
ويكشف اللثام عن مكنونات كانت في وقت ما تمثل لغزا وطلما
لا سبيل الى ترجمته ثم اصبحت بعد التعرف على الاجزاء الناقصة
منها ، تحكي لنا قصة متكاملة عن موظف عام ممن كانوا يشغلون
مناصب مرموقة مثل وزير المالية اى ديوُيكيتس (Dioecetes)
أو مندوب له في احد الاقاليم هو (Oeconomos) أو حاكم
اقليم استراتيجوس(Strategos) أو حاكم قطاع كالاقليم
الطيبى من قنا حتى اسوان ووظيفته هي ابيستراتيجوس
(Epistrategos) وكل واحد من هؤلاء كانت له مهام يباشرها
في مجالات متعددة فالبعض منهم كان يكلف بمعالجة شكاوى المكروبين
والتسرية والتخفيف عنهم واصلاح ذات البين بين الناس وقد جاء
هذا واضحا في وثيقة بردية من مجموعة تبتونس رقم ٧٠٣ ثم
تعقب المخالفين في الاسواق واعمال البيع والشراء والتأكد من
فلاحة الارض حسب الخطة المرسومة سنويا والعمل على ترقيع
الأراضي التي لم تنبت نباتا حسنا وتوفير البذور للمزارعين الى
غير ذلك مما فصلته لنا هذه الوثيقة في اكثر من مائتي سطر.
وما اكثر الانشطة التى كان يباشرها بعض هؤلاء الموظفين في
تعقب الخارجين على القانون او مطاردة العبيد الآبقين أو
المعتصمين بساحات المعابد المتمتعة بحق اللجوء ، (Asylum)
فرارا من مطالبات الحكومة وخوفا من الاعباء والتكاليف

(Lèiturgiae)) أو تعقب المكلفين بمباشرة نوع من
الاختكارات كبيع الزيوت او تقطير الجعة(Beer - Brewer)
وقد نشر العالم البريطاني الراحل سير اريك تيرنر(Sir Eric
Turner) منذ خمسة عشر عاما مقالا طريفا عن قطار جعة
متهم بالاختلاس والتدليس في حسابات الايرادات وكان جزاؤه
أن أمر ابو للونيوس وزير المالية بالقبض عليه وارساله اليه
مكبلا بالاغلال لتجرى محاكمته وعقابه وقيل في صدد ذلك شنقه
(To be hanged) ولكن المقصود بهذه العبارة لم يكن
على حد قول (تيرنر) هو الشنق ماديا او معنويا ونفي ان ينصرف
الذهن الى معنى جذرى كهذا وانما كان ذلك لمجرد توقيع
العقوبة المناسبة عليه.وقد سارع وزير المالية بارسال قاضي يسمى
بيتوس (Petos) الى حيث يوجد هذا القطار المختلس
لمساءلته وتقصى الحقائق ، ثم تنحية هذا المتهم عن العمل واحلال
غيره محله لأنه كان يتسلم كل شهر عددا من ارادب الشعير
لتقطيرها وبيعها للناس كمشروب وطني محبب الى جماهير المصريين
أما اليونانيون فكانوا يؤثرون شرب النبيذ على غيره.وبيع الجعة
كان من الاحتكارت الهامة مثلها مثل بيع الزيوت وقد جاء
تفصيلها في تلك القوانين المشهورة التى اصدرها فيلادلفوس في
سنة ٢٢ من حكمه ثم نقحت في السنة ٢٧ من هذا الحكم في ديوان
ابو للونيوس بالاسكندرية.والبرديات التى حوت هذه القوانين
تعتبر من اعظم واهم الوثائق البردية على الاطلاق وتسمى بالقوانين

الضريبية (Nomoï Telonikoi) وهي على حد قول العالمة البليجيكية الراحلة كلير بريو اساس وطيد ودعامة قوية فى ذلك الاقتصاد المصرى والمكى الموجه (Economie royale dirigée) وهكذا يسعد الانسان بالتعرف على تفاصيل قصة اليمة امت بهذا القطار في عدة مكاتبات، وهي مثل على ما كان يجرى فى الحياة العامة وعلى شدة الرقابة الحكومية وإحكامها حتى لا يفلت احد من قطارى الجعة او من بياعى اللحوم والجزارين اذا باع احدهم الدهن والللية فنافس الحكومة فى بيع الزيوت للناس ويكون هذا عبرة لمن تسول له نفسه ان يستغل نفوذه او يثرى بطرق غير مشروعة بعيدا عن رقابة أولي الامر في الاسكندرية او عين السلطات المحلية .

وهناك حالة طريفة اخرى لها جديتها وكانت الى وقتنا هذا اى في عام ١٩٨٣ (شهر مايو) في طي الكتمان وهي وثيقة بردية مبتورة الى شقين احدهما محفوظ بالمتحف المصرى وغير منشور ورقمه في السجل اليومي ٥١٥٩٧ (Journal d' Entreé) وهو يمثل الجزء العلوى والأيسر أما القصاصة المكملة لهذا النص فهي تمثل جانبا من الجزء الايمن والاسفل وهو يحمل تاريخ هذه الوثيقة والحرفين الاخيرين وهما السيجما والاوميكرون هكذا (So) في الكلمة التى اختتم بها الراسل خطابه وهي كلمة التحية (Errôso) وهذا الشق محفوظ لدى الجمعية المصرية لعلم

البردى ولم يفطن لوجوده احد ثم إنه لم يكن يحمل اى معنى بمفرده اذا ما ترجم . وقد ثبت ان القصاصتين ينتميان لوثيقة واحدة وأن إحداهما تكمل الأخرى على نحو ما هو واضح فى الصورة المرافقة وقد ورد فى الجزء الايسر اسم الموظف الاقتصادى فيلسكوس (Philiskos) وكان قد شغل وظيفته فى السنة الثالثة بعد الثلاثين من حكم. بطلميوس فيلادلفوس وعرف بنشاطه الجسم فى مجال عمله ونطاق نفوذه فى اقليم الفيوم وقد تصدى لمحاولة تهرب فى تقدير (ناولون) عن بضاعة منقولة من اقليم لاخر كان يراد التدليس فى تحصيل الرسم المقرر عليها . وهذه الوثيقة بشقيها قدمها مؤلف هذا البحث وهو زكى على الى المؤتمر العالمى لعلم اوراق البردى السابع عشر والمنعقد فى نابولى بإيطاليا فى مايو سنة ١٩٨٣ وسوف تنشر ضمن اعمال هذا المؤتمر فى العام القادم ان شاء الله وهى تعتبر مثلا رائعا على حالات التيه فى مجال البردى وما يتعرض له الباحث (١) .

---

(١) Acta of International Congress of Papyrology No. XVII, Napoli, Italy, 1983.
وهناك مثل اخر من هذا النوع فى وثيقة بردية رقم ٥٩٨٣١ كانت فيه كلمة (Phrontison) بمعنى اعتنى واهتم بكذا مكتوبة على سطرين، الشق الاول منها Phro فى سطر والمقطع الاخير فى اول السطر التالى ونوعية ذلك من الحالات المألوفة لعالم البردى .

وهناك مثل آخر على ما كان يجرى بخصوص نشر هــذه الوثائق البردية التى شابتها بعض الشوائب وضرورة تعقب كل مــا يحاك حولها من تعليقات ، على أمل امكان تكملة أى ثغرات فيها أو التصويب فيها فلا جدوى من الإعتماد كلية على النشر الأول الذى ربما تم دون تمحيص وجاء (بعبله) كما يقولون ، حاويا لفقرات منقوصة ومهلهلة ، ويتضح هذا من وثيقة بردية منشورة في عام ١٩١٧ فى المجموعة الايطالية (P. S. I.) تحت رقم ٣٢١ ، اضطلــع بنشرها عالم ايطالى جليل يسمى (فيتللى) وقام ادجار بعــد ذلك بقليل بنشر قصاصة اخرى تنتمى اليها وتم هذا فى حوليــات مصلحة الآثار المصرية تحت رقم Papyri Edcar No. I ثم أعاد (إدجار) النشر كاملا للوثيقة بشقيها في عام ١٩٢٥ فــى كتالوج المتحف المصرى تحت رقم ٥٩٠٠١ وبذلك استكملت اوصاف الاشخاص الواردة اسماؤهم وكذلك كنيتهم وأصبح العقد وافيــا . ويمثل دينا نقديا مؤرخا فى السنة الثانية عشرة من حكم الملــك بطلميوس فيلادلفوس أى فى الربيع من عام ٢٧٣ ق.م. وهذا أبكــر تاريخ فى أرشيف زينون على الاطلاق ووجه الصعوبة أن هذه الوثيقة تألفت من قصاصات ثلاثة اولاها (أ) ممثلة للجزء الايســر مــن النص وهو المنشور فى المجموعة الايطالية تحت رقم ٣٢١ أمــا القصاصة رقم (ب) وهى التى نشرها ادجار فى حوليات مصلحــة الآثار تحت رقم (أ) ثم اتبعها بالقصاصة رقم (ج) فهما تؤلفــان جزءا من النص الخارجى لهذا العقد.وهكذا أمكن تجميع بضــع

قصاصات ونشرها في عام ١٩٢٥ على يد إدجار واستخلاص الحقيقة كاملة عن دين نقدى يقدر بأربعة وثلاثين من الدراخمات قدمه شخص يدعى ديونيسيوس لآخر يسمى إيزيدورس ثمنا لنصيب من القمح تم توريده لحساب الملك .

وفى مثل تلك العقود التى كانت تُبرم عادة من صورتين يستطيع الانسان ان يكمل بعض الفقرات الضائعة بالقياس الى نظيراتها فى إحدى الصورتين . والمتعارف عليه فى مثل هذه العقود ان الكثرة الغالبة فيها كانت خاصة بالديون سواء ما كان منها عينا او نقدا وانها كانت تتألف من عدة عناصر اساسية اولها الديباجة ويطلق عليها البروتوكول(Protocol or Preamble) وهذه تحتوى على إسم الملك وإسم أبيه والعبادة الأسرية التى أسبغت عليه ثم إسم كاهن هذه العبادة وكاهنة وحاملة السلة في عبادة ارسينوى تم تأتى بعد ذلك اسماء الاطراف المتعاقدة وكنيتهم وقيمة الدين والربح ويلى ذلك اسم الضامن وضرورة الوفاء بالسداد فى موعد معين ، قد يكون بعد بضعة اشهر او سنة او اكثر او عند الحصاد فى حالة الدين العيني.وهناك الشرط الجزائى وحق التنفيذ على بدن المدين وعلى املاكه في حالة العجز عن الوفاء وفي آخر المطاف تأتى أسماء ستة من الشهود مصحوبة بأسماء آبائهم ومواطنهم وكنياتهم فهم احيانا من تراقيا او مقدونيا او تساليا او ميجارا او جزر بحرالأرخبيل أو من آسيا الصغرى . وكثيرا ما يضطر

الانسان الى اللجوء الى التخمين من اجل سد بعض الثغرات وملء الفراغات وذلك اعتمادا على النظائر وما يحتمل ان يجىء فـــى حالات مماثلة ، وبذلك يكون قد توخى جادة الصواب ولكنه فـــى حالات اخرى قد يقع فى اخطاء مثلما حدث لعالم إيطالى مـــن أعتى العلماء فى علم البردى وهو (ڤيتللى) عندما نشر الوثيقـــة التى أومأنا إليها من قبل وهى المرقومة ٣٢١ فى مجموعة فلورنســـة (P.S.I.) الجزء الرابع وفيه جاء الشق الايسر من الوثيقـــة مبتورا واضطر هذا العالم ان يعيد تصويب هذه الوثيقة فـــى الجزء السادس صفحة IX اعتمادا على النص الذى نشره ادجار من قبل وكان يمثل الشطر الايسر . ومن هذا المثل يتبين ان الوقـــوع فى الزلل أمر هين وميسور فى نطاق علم البردى وقد يكون لذلـــك بعض المبررات التى تشفع عند ارتكاب اى من هذه الاخطـــاء . وأولى بالانسان ان يكون دءوبا وحريصا على تتبع كل ما ينشـــر من هذه النصوص والتعرف عليها فى شتى المصادر التى تكون فـــى متناوله ، لعله يعثر على التصويب الملائم . ذلك ان جهود العلماء متفاوتة ، فالبعض منهم قد يؤثر الاهتمام بالتراكيب اللغويـــة واشتقاق الكلمات وسياق العبارات ومراعاة قواعد فقه اللغـــة ، بينما البعض الاخر يمر على هذا الاسلوب او ذاك مر الكـــرام ويؤثر الاهتمام بالجانب التاريخى او الطابع القانونى فلا يعنيـــه اللفظ وجرس الكلمة وكونها كلاسيكية او بالأحرى هومريـــة أو

هيللينستية ، شعرية او نثرية أو أدبية[1]. وانا لنعرف ان معظم الوثائق البردية كانت تتبع الاسلوب المرعى فى الترجمة السبعينية لأسفار من التوارة (Septuagint of Pentateuch) وان لغة الكيني (Koine) كانت اللغة الشائعة فى ذلك العصر (القرن الثالث قبل الميلاد وما بعده) وهى لغة سليمة وصحيحة ولبست بحال من الاحوال عامية كما كان يظن البعض وإنما هى لغة ، تكلم بها سكان البحر المتوسط قاطبة وجزر بحر

---

(١) انظر بردى ميتشجان من ارشيف زينون الذى نشره (ادجار) وقد جاء فى الوثيقة البردية رقم ٧٧ من هذه المجموعة بعض الاشارات الادبية وترديد ضرب الامثال على حد قول الناس hews to de Legomenon فقيل مثلا : ما لم يكن الشيب قد خط رأس الشاب ، فلا ضير عليه والشيب (Hepolia) لا يعيب اى شاب (Paidarion) ذلك ان زينون كان قد عاب على شاب ممن يرعاهم ويخصهم بالتدريب والاعداد للمباريات أنه تخطى السن المطلوب والمتوقع فى امثال هؤلاء الشبان الذين كان زينون يحبوهم ويحتضنهم ويشجعهم على مواصلة التعليم ويخصص لهم رواتب شهرية ويعد لهم جميع ما يلزمهم من ملابس وأدوات موسيقية وكتب ومدربين خصوصيين.والقصد من وراء ذلك اشتراكهم فى المباريات الرياضية والموسيقية التى كانت تعقد سنويا ، ومن أحرز منهم قصب السبق فى احدى هذه المباريات كان هذا يعتبر كسبا عظيما ونصرا لزينون .

الارخبيل وآسيا الصغرى واصبحت هى اللغة الشائعة فى عصر ما بعد الاسكندر وتداولت بين الناس فى مكاتباتهم ودبجت بها اشعار وقصائد ٠

وقد أتحفنا العالم الامريكى الراحل وهو وليام ليسن بسترمان منذ سنوات كثيرة وبالذات فى عام ١٩٢٤ بمثل على عقد دين عينى كامل او كاد ان يكون كذلك وليس به ثغرات ويرجع تاريخه الى مايو ـ يونيه سنة ٢٥٠ق٠م٠ وهو منشور فى مؤلف لهذا العالم ضمن مجموعة من الوثائق البردية من أرشيف زينون ورقمه فى الجزء الأول ٥٤ وهذا العقد مبرم مع نفر من المستأجرين فى الضيعة الخاصة بوزير المالية ابو للونيوس فى فيلادلفيا وقد اشتمل على جميع العناصر الواجب توافرها فى مثل هذه العقود بين عينية ونقدية وقد افاض الناشر فى شرح هذا النص الى حد ان اعتبره علماء البردى نموذجا يحتذى فى تدبيج مثل هذه العقود ويقاس على بنوده فى سد الفراغات والتعرف على شخصيات الشهود الستة وكنياتهم وهم الذين كانت اسماؤهم ترد فى عقود اخرى مماثلة فى البردى المنشور وغير المنشور على نحو ما فسره لنا العالم البلجيكى كلاريس (Clarysse) فى موسوعة صدرت فى ليدن وتسمى (Pap. Lugd. Bat.) الجزء ٢١ لسنة ١٩٨٣ ٠ ومن مثل هذه الاشتات من القصاصات البردية نتابعها سواء ما كان منها قد تم نشره فى مختلف الكتب والحوليات

والدوريات فى اوربا وامريكا او فى مصر وما كان محفوظا لدى الهيئات العلمية والمتاحف المختلفة ينتظر النشر ، يستطيع الباحث فى هذا المجال ان يستكمل بعض ما غلق عليه فهمه وما شق عليه تصويبه فى الثغرات التى تواجهه فى هذه البرديات التى يروم نشرها واخراجها فى ثوب قشيب بفضل تلك الاشتراطات التى كانت تتضمنها مختلف العقود المنشورة ، سواء اكانت عن ديون نقدية او عينية او كلاهما معا او كانت عقود عمل وتأجير اراضى او رعى للماعز والماشية والخنازير؟ وهذه الاخيرة كانت تمثل تجارة رابحة ومجزية وشاء زينون ان يستثمر فيها رءوس امواله حتى بعد تخليه عن جميع مناصبه وعيشه فى مصر باعتباره اجنبيا مقيما (Parepidemos) كما شاء ان يوصف بذلك الوصف فى العقود التى كان يبرمها أو فى الشكاوى التى كان يرفعها ضد المتعاملين معه والمدينين له وهذه كلها كانت معاملات على أوسع نطاق ، كان يكل فيها الى نفر من الرعاة المصريين او الاعراب او اليونان قطعانا من الماعز والماشية والخنازير لرعيها والانتفاع بلبنها وصوفها ونتاجها وكان يشترط على عملائه شروطا وصفت بأنها كانت مجحفة = Extortionate على حد قول كلير پريو (Claire Préaux) والعالم البريطانى ت . اسكيت فى كتابه عن البردى فى مجموعة المتحف البريطانى Pap. London VII الجزء السابع . وهذه كانت وصمة فى جبين زينون وبسببها فى

اغلب الظن كان الرعاة يعمدون إلى الفرار (Anachoresis)
واللجوء والاعتصام بالمعابد التى كانت تتمتع بحق الجيرة والايواء
وقد ذكر ت . اسكيت أمثلة عديدة على هذا الفرار والتهديد
باللجوء إليه من قبل هؤلاء الرعاة من الاعراب وغيرهم من
المستعربين .

وها نحن نسوق ذلك المثل الرائع على الكيفية التى امكن
بها تجميع وثيقة بردية واحدة من عدة قصاصات متناثرة مما سبق
نشره ، فجاءت منها صورة قشيبة منشورة فى كتالوج المتحف
المصرى ضمن ارشيف زينون ورقمها ٥٩٥٤١ وقد جاءت بها إشارة
عابرة الى موضوع فى غاية الأهمية والطرافة ، ذلك هو تحديد موعد
الاحتفال بعيد الميلاد الملكى ويكنى له بالكلمة اليونانية
(Genethlia) وهى مناسبة كان الناس يحرصون على الاحتفاء
بها وتقديم مختلف الهدايا (epi ta Xenià) الى الملك
من قبيل التكريم له والتعبير عن مبلغ ابتهاجهم بهذه المناسبة
وفى هذه الوثيقة بعث يونانى يسمى نومينيوس خطابا الى زينون
يسأله فيه عما ازمع عليه أبو للونيوس وزير المالية وكان اذ ذاك فى
رحلة تفتيشية يجوب فيها ارجاءا مختلفة من اقاليم الدلتا وكان
مطافه الاخير ينتهى عادة فى فيلادلفيا بالفيوم ، من تحديد المكان
لإقامة هذا الحفل ووصل الخطاب الى زينون وكان فى صحبة
أبو للونيوس ، حيث حط رحاله فى منديس شرقى الدلتا . ويحمل

الخطاب تاريخا مزدوجا بالتقويمين المقدونى والمصرى هو السنة ٢٨ واليوم العشرين من شهر ديستروس [(١)]. ويقابل السابع عشر من شهر امشير ويوافق هذا العاشر من شهر ابريل سنة ٢٥٧ ق.م.

وهكذا تصبح القصاصات البردية المتناثرة غير ذات موضوع ولا جدوى منها ما لم يحدث بمحض الصدفة اى توفيق فى العثور على ما يكمل الاسطر المبتورة وهذا يتطلب بالطبع تعاونا علميا على اوسع نطاق وصلات وثيقة بين علماء البردى فى شتى انحاء العالم ، اذ كيف يمكن التوفيق والاهتداء الى قصاصة بردية محفوظة بمكتبة رايلاندز بجامعة مانشيستر بانجلترا والحصول على صورتها ونصها لتكملة قصاصة اخرى محفوظة فى فلورنسة بإيطاليا ضمن مجموعة (P. S. I.) اى الجمعية الايطالية لعلم البردى بينما القصاصة الثالثة المكملة لهاتين موجودة بالمتحف المصرى.ومن القصاصات الثلاثة استطاع العالم البريطانى ادجار ان يؤلف بينها وينشرها كاملة ، بعد ان كانت القصاصة الموجودة فى فلورنسة

(١) فى خطاب من سوسوس المندوب التجارى فى خدمة ضيعة ابولونيوس (P.Col.II, No.70)الى زينون يستفسر عن موعد الاحتفال بهذا العيد وهل ما سمعه من زميل له عن تأخير الموعد لاسبوع هو صحيح ومن وثيقة اخرى P.S.I. 436 استنبط عالم المانى هو ارنست ماير (Meyer) ان هذا العيد كان يحتفى به فى منتصف شهر ديستروس(Dystros) .

لا تغنى ولا تسمن من جوع وهى بوضعها لا يمكن استخـــــراج اى معلومات مفيدة او التعويل على شىء مما يسوقه هذا النص المبتور، ولذلك اصبح من المحتم الرجوع الى النص الكامل بعد ان صوبـــــه ونشره إدجار فى كتالوج المتحف المصرى تحت رقم ٥٩٥٤١ ومنـــه نستطيع ان نجتلى حقيقة الموقف والملابسات المحيطة بهـــــذا التساؤل عن موعد ومكان الاحتفال بعيد الميلاد الملكي. والسائـــل وهو نومينيوس يود معرفة ذلك من زينون وكان على موعد بأمر مـن ابو للونيوس للقاء به فى ممفيس فى تاريخ معين ولذلـــك أراد الاستفسار عن موعد السفر من منديس الى ممفيس . ويرجع الفضل فى تحقيق هذا النص واخراجه بالصورة المنشورة فى كتالوج المتحف المصرى الى ثلاثة من ائمة علماء البردى الاوائل وهم جرنفـــــل (Grenfell) وفيتللى (Vitelli) وادجار (Edgar) وقد تآلفت جهودهم وكانوا بذلك مثلا على حسن التعاون من اجـــل العلم .

وهناك حالات أخرى دالة على تناثر القصاصات البرديـــة التى جاءت فقرات منها مكملة لبعضها ولكن بطريقة افقية.والمثـل على ذلك خطاب توصية حملة صاحبه واسمه ارتيميـــــــدورس (Artemidoros)الى زينون وقد نشر الجزء العلوى مـــــن هذا الخطاب ضمن مجموعة بردى، زينون المحفوظة بجامعة كولومبيـا بنيويورك تحت رقم ٤٨ وقام بنشره العالم الامريكى الراحـــــل

وليام لين وسترمان أما الشق السفلى من هذا الخطاب وبه موضـــوع
التوصية والخاتمة والتاريخ ثم التعقيب الذى كان زينون يذيل بـــه
رسائله ويلخص مضموناتها فقد نشره مؤخرا زكى على ضمن اعمـــال
المؤتمر العالمى لعلم البوردى الرابع عشر والمنعقد فى لنـــدن سنـــة
١٩٧٤ ثم اعيد نشر الخطاب بشقيه فى ليدن فى موسوعة (.Pap
Lugduno-Bat) العدد (٢٠) تحت رقم ٨٧ وقد صدرت سنـــة ١٩٨٠
ويمثل هذا الشق الاخير مجموعة من الاسطر من ١٦ حتى ٣٢ كمـــا
يجىء التعقيب على ظهر الوثيقة . وفيه يقول اسكلبيادیـــــس
(Asklepiades) وهو الموظف السابق العامل فى تجـــارة
الزيوت فى منطقة ممفيس ، إنه يوصى بحامل هذا الخطاب مؤكـــدا
لزينون انه صديق صدوق له ومواطن حر وقد ارسل مع نفر من رفاقه
من الجند كيما يتسلموا اقطاعات من الاراضى المخصصة لهـــم
(Kleroi) وقد أراد الكاتب ان يتقدم بالرجاء الـــى
زينون كيما يعنى بأمر هذا الشاب بالذات حتى لايضار ولا تصادفه
أية متاعب او تقام فى وجهه العراقيل من قبل الموظفين الموكليـــن
بقياس الأرض (Katametrein) خشية ان تسلم الارض لـــه
إما ناقصة أو يجرى تخصيصها فى أراضى ملحة أو ضعيفة التربة ورخوة
فى معدنها ويحمل هذا الخطاب التاريخ وهو مسطر فى السنة الثالثة
بعد الثلاثين من حكم بطلميوس فيلادلفوس فى السابع والعشرين مـن
شهر توت ووصل الخطاب الى يد زينون فى نفس اليوم وكتب زينون
ديباجته المتضمنه ان اسكلبياديس يوصى بأرتيميدورس راجيـــا

ألا يضار في شيء . والتعرف على شخصية اسكلبيادیس هـــــــذا ليس بالامر اليسير فقد جاء اسمه ضمن اسماء اخرين يحملــــون نفس الاسم وعددهم ١٢ فى قائمة دبجها العالم كلاربــــــــس (Clarysse) وكان ترتيبه الرابع فى هذه القائمة وهــــو يحمل الوصف الآتي الذى عرفناه به على انه عميل في تجارة الزيوت في منطقة ممفيس

(Ho pros tei elaikei genomenos tei kata Memphin (Pros. Ptol. I, 14 77 = Y, 12558; Cap. Col. Zenon 48 + Lond. International C'ongress, 1974, No. 2, pp. 2-3 with a plate and additional notes on Zeno papyri :- Zeitschrift No. 18 (1975), p.314; Pap. Lugd. Bat. XX No. 67 pp. 233 - 235.

والطريف في هذا الموضوع ان هذه الاسطر الاخيرة من رقم ١٦ حتى ٢٢ محفوظة في مجموعة بردية بالقاهرة بينما كان الشق الاخر فــى صدر هذه الوثيقة والمكمل لها محفوظا لدى جامعة كولومبيا بنيويــورك وجاء تجميع هاتين الفقرتين والتعرف على انتماء إحديهمــــا للاخرى بطريق الصدفة البحتة ، فالخط واحد والموضوع متكامـــل والاسلوب متعارف عليه في خطابات التوصية وهي كثيرة ولها نمـط خاص اى انها (Stereotyped) على انه لايزال البحث جاريا عن بضعة اسطر ضائعة في وسط هذا الخطاب ابتداءا من السطر الثامن

حتى السطر السادس عشر وهى نحو سبعة اسطر فقدت ولم يعثـــــر عليها حتى الان ولكن مضمونها لا يمكن ان يخرج بالطبع عــــــن الاطار الذى نـوعنا عنه . وهكذا نضرب مثلا واحدا من عدة امثلة شبيهة على ما يمكن ان تفعله الصدف فى تحقيق النصوص البردية وتصويب قراءتها وما يتطلبه مثل هذا العمل من جهد وصبر ومعرفة وثيقة بما نشر من قبل وما هو مكدس فى مجموعات البردى المحفوظة بشتى المتاحف والجامعات من قصاصات اعتراها البتر وتناولهـــا التشتيت فى النشر.ولابد ان نتحرى ورود الاسماء وكنياتهـــــا والموضوعات التى تخوض فيها تلك الشخصيات أو تكون محــــل عنايتها واهتمامها حتى يمكننا ان نضع تلك القصاصات فـــــى موضعها ونرجعها الى اصولها على قدر المستطاع.ولدينا مثل رائع آخر على ما قد يصادفه قارىء البردى الحصيف والجاد من صعاب بسبب تواجد قصاصات او فقرات من وثيقة واحدة تم نشر اجزاء منهـــا على مراحل وفى مجلدات تنتمى الى موسوعات خاصة بعلم البـــردى وما ينشر بها على مدى سنوات متباعدة . ويجىء الشق الاول مـــن هذه الوثيقة مبتورا ومنشورا فى المجموعة الايطاليـــة (P.S.I.) تحت رقم (٥١ بواسطة ڤيتللى سنة ١٩١٧ وهو ينتمى الى مجموعـــة الوثائق التى وصلت الى مدينة فلورنسة مما تم كشفه من أرشيـــف زينون فى السنوات الاولى بين عامى ١٩١٥ ـ ١٩١٦،وهذا النص الذى يمثل نهايات الاسطر وهو فى حد ذاته لا يغنى ولا يسمن الا فــــى بضع حقائق متناثرة،وترجمته لا تؤلف موضوعا متكاملا . أما الشـــق

الآخر الذى يمثل البدايات التى استهل بها الكاتب تلك الاسطـر
فكان من نصيب المتحف المصرى وقد نشره العالم البريطانـــى
ادجار سنة ١٩٢٦ فى كتالوج المتحف تحت رقم ٥٩٢٤٠ وقد استطاع
ادجار ان يتحقق من انتماء الفقرتين لموضوع واحد بأن طلــب
الى العالمة الايطالية ميديا نورسا مقابلة النص المحفوظ فـــى
فلورنسة فى ضوء الشق المشطور والموجود بالمتحف المصرى وبذلك
امكن التوفيق بين هاتين القصاصتين والتأكد من انهما ينتميـان
لموضوع واحد وان الراسل لهذا الخطاب هو شخص يونانى اسمـه
(Kleanax) فالبد التى كتبت هذا الخطاب واحدة والمغـزى
الوارد فى القصاصتين ينتمى لموضوع واحد،وبذلك استطاع ادجار
التأكد من صحة ما جال بخاطره فى اول الامر فنشر الخطاب على النحو
الذى نورده هنا بشقيه،وتوضح العلامات والاقواس المصوبة هكـــذا
[بين قوسين] الفارق بين الجانب الايمن (الايطالى) والأيسر
وهو المصرى ٠

من هذا النص يتبين أن يونانيا يسمى كليانا كس كان مقيما
فى الاسكندرية وعلى صلات وثيقة بشخصيات مهمة هناك من امثـال
أبولونيوس وزير الماليةوقد تراءى له أن يكتب خطابه هذا الـى
زينون بشأن مهمة ترحيل بعض البغال التى كان قد كلف مندوبين
عنه لشرائها وتسليمها الى زينون كيما يقوم الاخير بإرسالها فـى
صحبة البغال الخاصة بأبولونيوس الى ضيعته بممفيس ٠ وكـــان

القصد من هذه المناورة،كما يتضح صراحة من خطابه،هو تمريرها
في منطقة المكوس على انها بضاعة خاصة بأبوللونيوس وبذلك
يتجنب دفع مكوس التصدير ورسوم العبور من اقليم لآخر . وكاتب
هذا الخطاب يود ان يعرف ما اذا كانت هذه البغال قد وصلت
بالفعل الى ممفيس والكيفية التى تصرف بها زينون فى الأمر .
وفي حالة ما اذا لم تكن قد وصلت فإن كليناكس يتقدم بالرجاء
الى زينون بأن ييسر الامر ويعاون رجاله في تحقيق ذلك .ومن
تأريخ الخطاب بالتقويم المقدونى يمكننا ان نستنبط ان كاتبه
كان مقيما فى الاسكندرية . وهو على الرغم من انتمائه لطبقة
الاثرياء والمقتدرين وما كانت له من صلات وثيقة بشخصيات
مهمة فى الاسكندرية ومنها ابوللونيوس،فلم يجد اى حرج او وخز
من الضمير يحول دون هذا التهرب من دفع المكوس فأراد أن
يدلس على رجال المكوس ويتهرب من دفع المستحق عليه عن هذه
البضاعة المارة من الفيوم الى ممفيس ـ وإنا لنعرف من وثيقة اخرى
فى هذا الارشيف وهى رقم ٥٩٠١٢ أن أبوللونيوس نفسه كان
يدفع الرسوم ويوفى ما عليه بسداد ضريبة المرور وهى المعروفة
باسم (Diapỳlion) اسوة بأى فرد عادى من عامة التجار
ولم يكن ليضيره ذلك فى شىء ولكن فى الحالة التى نحن بصددها
وجاءت الاشارة اليها فى هذا الخطاب فإن بغاله سوف تمر خالصة
ودون اي عناء باعتباره صاحب ضيعتين احداهما فى الفيوم

والأخرى في منفيس.وهذه هي الوثيقة الوحيدة التي وردت بهـــــا اشارة صريحة الى ان ابوللونيوس كانت له ضيعة اخرى(Dorea) في ممفيس وقد ارا: كليباناكس ان يستغل هذا الوضع وأن يعمـــد الى التدليس فبضاعته لم تكن معفاة من دفع ضريبة المكوس والمرورمن إقليم لآخر ولاسند له في هذا الاعفاء اذ ان هذه البغال كانـــت مشتراه ويستحق عليه ان يدفع المكوس عليها وشتان بين وضـــع كليباناكس ووضع البغال الخاصة بأبوللونيوس التي لم يكن مطلوبـــا منها دفع اى مكوس على اعتبار انها تنمى لشخص واحد يمتلـــك ضيعتين في اقليمين متجاورين وان رجال المكوس كانوا يخشـــون الاساءة الى شخصية ابوللونيوس فيغضون الطرف عن اى بضاعـــة خاصة بـه .

وفي مجموعة البردى المحفوظة بالمتحف البريطاني والتـــي نشرها مؤخرا العالم البريطاني ت . اسكيت (T. Skeat) في الجزء السابع من بردى لندن(Papyri London V. VII) رقم ٢٠٥٢ ما يكشف عن قصاصة تمثل الجزء الايسر من خطـــاب مهم كتبه شخص يدعي سوستراتوس الى زينون اما القصاصـــة الاخرى التي تمثل الجزء الايمن فهي محفوظة بالمتحف المصـــرى ويحمل السطر الاخير منها تاريخ ذلك الخطاب وهو السنة التاسعة بعد الثلاثين او السنة الثانية بعد الثلاثين وفي شهر توت وقد طمس الرقم الثاني وهو الثيتا (theta) وكتب فوقه حرف البـــاء

(Beta) واصبحنا في حيرة من امرنا فهل نؤرخ الخطاب في السنة ٣٩ وهي السنة الاخيرة من حكم بطلميوس فيلادلفوس أم في السنة ٣٢ وزاد الطين بلة ان اسكيت يقول أن هناك ثغرة كبيرة تفصل بين هذين الشقين وعلى ذلك اصبح الامر عسيرا ويتطلب ان نعمد الى الحدس والتخمين في ملء هذه الثغرات وهذا محفوف بشيء من المخاطر . ولعل ذكر الاسماء الواردة في هذا النص من سوستراتوس وثيودورس وديمياس وزينون والموضوعات التي تناولها هذا الخطاب وهي عديدة ، تنير لنا السبيل في تحديد السنة التي أرخ بها هذا الخطاب وهي في اغلب الظن السنة الاخيرة من حكم بطلميوس فيلادلفوس .

ولدينا مثل فريد آخر على ما يرد احيانا في صلب الوثائق البردية من اشارات وعبارات تمثل الغازا وتهدف الى ذكرى وقائع واحداث ذات اهمية بالغة كذكرى وفاة الاسكندر الاكبر في الثامن والعشرين من شهر ديسيوس (Daisios) سنة ٣٢٣ ق.م. في بابل وهي حدث خالد علق بأذهان الناس على مدى العصور . وقد اتخذ البعض ذكرى هذا التاريخ سندا في تأريخ وثيقة بردية تمثل عقد دين . وكان السير هارولدادريس بل اول من نشر هذه الوثيقة في عام ١٩٢٤ في مجلة خاصة بعلم البردى تسمى (Archiv fur Papyrusforschung) تصدر في المانيا وكان ذلك في العدد السابع من تلك المجلة ص ١٧-٢٧

وأعيد نشرها في موسوعة مشهورة تسمى (Sammelbuch)
رقم ١٠٢٥ ثم نشرها وعلق عليها عالم بريطاني هو ت. اسكيت
(T. Skeat) في كتابة عن البردى المحفوظ بالمتحف
البريطاني (Pap. London, VII لسنة ١٩٧٤ رقم ١٩٨٦
ص ٨٣ ـ ٨٤ وتحكي هذه البردية قصة عقد دين بمبلغ مائة
دراخمة فضية ، اقرضته امرأة تسمى نيا (Nea) من اهل مدينة
بطلمية الكائنة ببرقة ومعها راعيها وحاميها اى (Kyrios) ،
الى ضابط من رجال الحرس الملكي في الاسكندرية يسمى
إخيديموس (Echedemos) ووصف هذا القرض بأنه كان من
غير ربح اى (Atokos) ، على ان يتم رد هذا الدين فورا
(Para chrema) عند طلبه والتنبيه بذلك في خلال عشرة ايام
ابتداءا من التاريخ الذى تحدده الدائنة فيرد المبلغ كاملا كما هو
(haplen) أما في حالة العجز عن الوفاء برده فنص في العقد
على تغريم المدين بأن يكون السداد مرة ونصف من قيمة الدين
أى (Hemiolion) ثم يسرى عليه حق التنفيذ المباشر كما
لو كان هذا الحق صادرا من حكم قضائي فيجرى التنفيذ على
بدن المدين باسترقاقه وعلى جميع ما لديه من املاك وموجودات
وكذلك على ضامنه أو ضامنيه . وهكذا تحول القرض الحسن الى
قرض عادى ليس فيه ما ينم عن حب الخير واسداء المعروف
للمحتاجين كما ترنمت به اشداق المعلقين، فليس فيه اى نعرة

من الانسانية والرأفة وحب الخير وهى صفات ترد كثيرا فـــــى البردى وغيره من النصوص : Philanthropia Euchrestia Bienfaisance وانقلب الوضع الى قرض عادى شامل للشـــروط التعسفية ومنها ذلك الشرط البغيض المتضمن توقيع الجـــزاء (Penal Clause) ونصه كالآتى

he praxis estō Kathaper ek dikes etc.

وهذا الشرط يتردد فى اغلب عقود الدين ويألفه المشتغلون بعلـــم البردى وكان بمثابة صمام امن للدائن ولكنه فى الوقت نفسه كان مصدر تنغيص ، يقض مضجع المدين ويؤرقه بالليل وبالنهـــار وأصبح كالسيف المسلط على رقبته ورقاب الضامنين معه ، فرادى وجماعات .

والصعوبة التى كانت تعترى هذه الوثيقة الفريدة منشؤهـــا ما ورد فى البروتوكول او المقدمة التى تحمل تاريخ صدورها وهـــو السنة الرابعة بعد الثلاثين من حكم الملك بطلميوس فيلادلفـــوس وفى اليوم الثالث من العقد الاخير من شهر ديـــيوس وقت ان كان القمر فى المحاق وهذا مقدر بالعد التنازلى ويوافق يوم ٢٨ مـــن هذا الشهر.وذكر التعبير عن ذلك فى لغـز هو Tritē phthinontos إشارة الى الشهر وهو يتناقص فى ايامـــه الاخيرة . وهذا اللون من التوقيت لم يرد فى البردى الا مـــرة واحدة وله نظير فريد آخر فى علم النقوش ، نشره العالـــم

الايطالى بريشيا (Breccia) فى كتابه عن النقـــوش (Inscrizione, 164) وقد صوّبه واعاد نشره ب م.فريـــزر فى كتابه عن الاسكندرية فى عصر البطالمة جزء ثان ، الفصـــل الثالث ص ١٧٣ ،قد علق عليه فريزر بإفاضة فى مقال له منشـــور فى مجلة الآثار المصرية(Journal of Egyptian Archaeology) العدد ٤٨ لسنة ١٩٦٢ ص ١٥٠ عن رقم ٧٥ وقال إنه لاداعى لوجـــود اى ريبـة فى ان هذا النقش منسوب الى مدينة الاسكندرية ويشير الى قرار صادر من مجلس البولى ومجلس الديموس بها ففى السطـر الثامن من النقش وردت كلمة الاسكندرية مصوبة فى شقيـــا الاول وعلى ذلك يعتبر هذا قرار صادر عن مجلسى البولى والاحـــــرار الكائنـين بمدينة الاسكندرية فى ذلك الحين (القرن الثالـــث الى القرن الثانى قبل الميلاد) وليس صورة من قرار آخر لمدينـة أخرى كما قال بذلك عالم المانى هوڤلهلم (Wilhelm) فـــى طريحة تسمى (Beitrage) ص ٢٢٣ . والجدير بالذكـــــر أن هذا النقش جاء حاويا فى السطر الرابع على تاريخ مماثـــل تماما لما جاء فى البردية التى نحن بصددها فقيل فى اليوم الثالـــث (من شهر) كان فى المحاق اى فى الحقبـة الثالثة منه وهذا يطابق تماما يوم ٢٨ من شهر ديسيوس، وهذا اسلوب فى تأريخ الاحـــداث لم يكن معروفا فى مصر فى غير هاتين الحالتين الفريدتين . وهذان المثلان يدلان على ان الناس كانوا لا يزالون يحتفظون فى قرارة

نفوسهم بذكرى وفاة الاسكندر ويؤرخون بها وثائقهم ، حتى بعد مرور ٧٢ سنة على وفاة هذا البطل المقدونى فى عام ٣٢٣ ق.م . ويقابل تاريخ هذه الوثيقة عام ٢٥٢ ق.م . ولما كانت وفاة الاسكندر وهو فى ريعان شبابه وقمة مجده وانتصاراته قد هزت مشاعر الناس وآلمتهم فقد حزنوا عليه وعلق هذا الحدث بأذهانهم على مضى الزمان. ومن هنا تراءى للبعض ان يسجلوه فى تاريخ وثائقهم وقراراتهم على النحو الذى أشرنا اليه ، فكان هذا من الحالات الفريدة التى ينبغى ان ننوه عنها .

وفى هذه الوثيقة البردية نفسها المتضمنة عقد دين ذى ستة شهود (Hexamartyros Suggraphe) كانت اسماء هؤلاء الشهود ترد مصحوبة بمحال اقامتهم فى شوارع عدة من شوارع مدينة الاسكندرية المسماة باسم ارسينوى ، تارة بالأميرة ، أو الرحيمة او الكاملة او المأسوف عليها او صاحبة البيت البرونزى تشبيها لها بالالهة اثينا فى وصف أسبغه عليها هوميروس فى الالياذة .

وهناك نوعية اخرى من الوثائق البردية التى تتطلب منا ملء الثغرات فى بعض اسطرها وتحير نفر من العلماء الاعلام فى اختبار الكلمات المناسبة والتى تتسق مع المعنى المراد لذلك على مدى نحو ستين عاما حتى قضت مضاجعهم واخذ كل واحد منهم يدلى بدلوه ويفند آراء الآخرين.وكانت هذه الوثيقة التى نحن

بصددها تمس موضوعا فى غاية الاهمية وهو الاعفاء من ضريبة الملح
(Halike) تنفيذا لأمر ملكى (Prostagma) فى هذا الشأن
لطبقات اربعة من الناس كناهم وزير المالية ابو للونيوس فـــــى
كتاب بعث به الى عامله بالفيوم وهو المسمى زويلوس (Zoilos)
وجاء الكتاب في ستة اسطرننننى الى بردية فى جامعة هالـــــى
بألمانيا تسمى Papyrus Halensis I تبدأ من السطـــر
٢٦٠ حتى ٢٦٥ وهي تنتهى الى عدد من الاحكام (Dikaiomata)
كانت مطبقة في الاسكندرية في عصر البطالمة . والطبقات الاربعة
التى نص عليها هذا القرار هى (١) معلموا الخط (اليونانى) (٢)
المدربون (فى ساحات الجمنازيوم وحلبات المصارعــــة (٣)
الفنانون او المنشدون لترانيم خاصة بعبادة الاله ديونيسوس (٤)
الحائزون لقصب السبق فى المباريات التى تجرى فى الاسكندريـة
فى عيد خمسي يسمى عيد البطالمة (penteeteris) (Ptolemaia)
وانصب هذا الاعفاء من ضريبة الملح التى فرضت على المصرييـــن
واليونانيين بحسب الرأس) على افراد هذه الطبقات أنفسهم وفيل
علـــى (سلالتهم) ثم صوبت الكلمة إلى ذويهم ومساكنيهم المنتميـــن
اليهم وقد اثيرت اشكالات بخصوص اختيار الكلمات لسد هـــذه
الفراغات وكان اعوصها اختيار كلمة تعبر عن طائفة ممن يلوذون
بعبادة ديونيســوس فقيل انهم (Technitae) (اى الفنانين
من ممثلين وموسيقيين وقالت العالمة البلجيكية ما رى تيريز لانچيــه

(M. TH. Lenger) فى سنة ١٩٦٤ انهم Telounous)
اى الذين لقنوا وتشبعوا بمراسم هذه العبادة الديونيسية وجنـــاء
(ب · م فريزر (P. M. Fraser) فى سنة ١٩٧٢ فقال انـه
ينبغى تصويب هذه الكلمة على انها (Nemontes) بمعنـى
انهم المنشدون لترانيم وعبادة ديونيسوس ولربما كان هـــذا
التصويب الاخير هو الأسلم لأن هذه الكلمة تحتاج الى مفعول هـو
كلمة (ta) وما يتلوها (Peri ton Dionyson) أما
التصويبان الاخران فلا يحتاجان الى مفعول وهذا مما يعيبهما · اما
الكلمة الواردة فى آخر السطر رقم ٢٦٤ وهى (ekgonous)
وهى مؤلفة من ثمانية حروف وكانت من تصويب الناشر الاول وهـو
علم من اعلام البردى ويسمى الريخ ڤيلكن ومعه زملاؤه فقد عيـب
عليها انها تشمل السلالات لهؤلاء المعفيين بلا حصر · وهذا غيـر
معقول ولاستساغ فى ان يصدر عن ملك بطلمى هو فيلادلفـوس
شيء من ذلك التعميم وقد اقترح عالم بلجيكى هو تونى ريكمانـز
(Tonny Reekmans) فى مقال له منشور فى مجلة تصـدر
فى بروكسل وتسمى Chronique d' Egypte No.54,1952)
ص ٤٠٦ ـ كلمة من ثمانية حروف هى (Oikeious) بمعنى مـن
يلوذون بهم ويساكنونهم،فهذا الملك البطلمى لا يمكن ان يتـرك
الحبل على الغارب ويسمح بالاعفاء لسلالات لا حصر لها · وقـد
قيل فى صدد هذه الطوائف الأربعة وبخاصة الطبقة الأولى من معلمـى

الخط والمقصود به الخط اليونانى ، ان هذه سياسة تنم عن التحيز للهيلينية فى مصر (Philohellenism) وهى نادرة يمكن ان نستشفها من سياق هذا النص ولها ما يبررها من ملك مقدونى عماده جيش يونانى يساند حكومته وجهاز ادارى بيروقراطى قوامه من المقدونيين واليونانيين . وتاريخ هذه الوثيقة مبتور ولكننا نستطيع ان نستنبطه من الاشارة الى زويلوس الذى شغل منصبا مرموقا كمندوب لوزير المالية أبوللونيوس فى الاقليم الارسينويتى (الفيوم) فى السنوات من ٢٧ حتى ٢٩ من حكم الملك فيلادلفوس اى فى السنوات ٢٥٩ ق م . الى ٢٥٧ ق.م . وهذا هو التاريخ التقريبى لتلك الوثيقة الهامة-وقد تركه المحققون الحديثون دون تحديد . وها هى ترجمة كاملة لنص البردية تحية من أبوللونيوس الى زويلوس قد أعفينا معلمى القراءة والكتابة والمدربين والمنشدين لترانيم ديونيسوس والذين تم لهم احراز النصر فى المباريات التى تجرى فى الاسكندرية فى عيد البطالمة وذلك بحسب ما قضت به الاوامر الصادرة عن الملك، فيعفى جميع هؤلاء هم انفسهم ومن يلوذون بهم من مساكنيهم والسلام. التاريخ فى سنة كذا ....

نصوص من العصر الرومانى

وفى صدر العصر الرومانى فى مصر تتوالى النصوص البردية ذات الصبغة الرسمية مما كان يصدر عن الاباطرة او الولاة من تشريعات وأوامر وتتوالى كذلك شكايات عامة الناس فى جميع انحاء البلاد وهى تجأر بالمطالب والشفاعات . وهذه وتلك قد يعتورها شيء من البلى والتلف فيحتار العلماء فى تفسير مكنوناتها. ويجدر بنا فى هذا المقام أن نعرض بالشرح لبعض منها . ومن هذه الوثيقة البردية المنشورة فى المجموعة الايطالية ورقمها ١١٦٠ (P.S.I.) وكان اول من نشرها فى عام ١٩٣٠ عالمان ايطاليان هما ج . ڤيتللى (G.Vitelli) والانسة ميديا نورسا (Medea Norsa) ثم اعاد نشرها العالم الامريكى الراحل موسيريللو Musurello فى كتابه المشهور (Acta . Alexandrinorun) سنة ١٩٥٤ عن اعمال الشهداء الوثنيين وبهذه الوثيقة فقرات مبتورة فى آخرها جعلت من الصعب التكهن باسم الامبراطور الذى قدم اليه هذا المطلب الخطير من أهل الاسكندرية واعيانها وهل هو الامبراطور الاول اغسطس أم الامبراطور الرابع كلوديوس . وتتألف هذه الوثيقة من ٢٤ سطرا وجاء البتر فى اجزاء منها وهى تضفى اضواءا ساطعة على ماجريات الاحوال فى تلك المدينة وما كان يجيش فى صدور اهلها من تطلعات وآمال مكبوتة وما كان يخالج النفوس لدى جالية مهمة

بين المواطنين السكندريين من مشاعر الأسى والسعى الى تحقيق مطلب ملح وهام وهو استرداد مجلس عزيز عليهم هو مجلس البولى (Boulē) وكانوا قد اوفدوا بعثة منهم للمثول بين يدى الامبراطور وشرح المزايا التى تنجم عن استعادة هذا المجلس والخدمات الجلى التى يمكن ان يؤديها لصالحهم ولصالح الحكم الرومانى ، بل ولصالح عامة الشعب السكندرى (Ho Ochlos) وقد تتاح الفرصة لهذا المجلس فيأخذ بيد الضعفاء والمكلومين والمظلومين الذين لاحول لهم ولا طول اذا ما وقع ظلم على آحاد منهم بواسطة جهاز ادارى ومالى يرأسه موظف كبير هو الاديولوجوس (Idiologos) وهو ثالث ثلاثة يمثلون كبار الموظفين الذين تعينهم روما على مصر ، ابتداءا من الوالى والقاضى الاعظم Dikaeodotes) ثم هذا الباحث والمنقب عن استحقاقات الامبراطور، او تعرضوا لأذى من قبل جباة الضرائب الموكلين بتحصيل المتأخرات وهؤلاء كانوا منتشرين فى ارجاء البلاد يلاحقون فرائسهم ويبتزون ويعصرون هذه الضحايا ظلما وعدوانا.ولم تكن تصرفات هؤلاء (Praktores) سليمة فى كل الاحوال.فإذا ما شعر احد من الناس بأن ظلما وقع عليه ، سارع الى اعضاء هذا المجلس المرتقب حتى يكشفوا عنه هذه الغمة ويرفعوا عنه الغبن . والميزة الثانية اذا ما أعيد هذا المجلس الى سابق سيرته ، أنه اذا اندس أحد فى سلك الشيبية (Hoi epheboi) تطلعا الى الحصول على المواطنة Politeia)

بعد ذلك في سن الرابعة عشرة واملا في الهرب من دفع ضريبة الرأس (Laographia) التى كانت تعتبر وصمة عار في جبين عامة المصريين واليهود ، حالوا دون ذلك متى كان هذا الانضواء بلا سند وكان هؤلاء المنبثون ابناءا لابوين غير متمتعين بهذه المواطنة . وفضلا عن هذا وذاك فإنه اذا ما تقرر اعادة هذا المجلس ودعى الي الاجتماع فانه سيجتمع حتما تحت اشراف الوالي الروماني (Eparchos, Epitropos Praefectus, hegemon tou ethnou : وتلك كلهاهي التسميات التى كان يكنى بها الوالي.وفى ذلك الضمان الكافى بأن الامور سوف تسير على الوجه السليم وتكون تحت سمع الحكومة الرومانية وبصرها . والأمر الأخير الذى تذرع به السكندريون لتأييد مطلبهم هذا أنهم اذا أرادو ايفاد بعثة الي روما لسبب من الاسباب استطاعوا اختيار الاكفاء ، واستبعاد الافاقين والامعات الذين لاخلاق لهم ولا ثقافة عندهم واعتبروا من الصعاليك الذين لا خير فيهم[1] .

---

(١) عرض بوليبيوس (Polybius) للطوائف التى كانت تسكن فى الاسكندرية في اواخر عصر البطالمة وصنفهم الى محاربين ومرتزقة والي يونانيين ومقدونيين والى مصريين وهؤلاء الأخيرون يؤلفون جمهرة ممن اسماهم بكلمة (Ochlos) وردد استرابون في كتابه السابع عشر الوصف الذى كتبه بوليبيوس .

وقد رد الامبراطور على هذا المطلب بأنه سوف يتدبر الامـــر ويوافيهم بالرأى الاخير عن ذلك عندما يحضر الى الاسكندريـــة وبذلك وضع الموضوع على الرف لأن الفرصة لم تسنح لحضوره ولـــم يكن في عزمه الاستجابة الى رجائهم هذا .

ولما كان منطوق هذا النص والكلمات التى صيغ بهـــا والعبارات المنتقاةالتي توسلوا بها والذرائع التى سيقت لاقنـاع الامبراطور ، تكشف عن سريرة نفوس السكندريين في هذه المرحلة في صدر الحكم الروماني وفيها فضلا عن ذلك تلميحات الى امـــور في غاية الاهمية وتمس اسلوب الحكم والسياسة التى اختطتهـــا روما في حكم مصر وكان يعبرعنها بكلمتين(Arcana imperii) وتنطوى على تطبيق مبدأ فرق تسد (Divida et impera) ثم فوق هذا وذاك فيها شيىء كثير مما له علاقة بما جاء فـــى مضمون خطاب الامبراطور كلوديوس الى السكندريين عن موضـــوع مجلس البولي ومطالبة البعثة السكندرية به وتصريح هذا الامبراطور (كلوديوس) بأن هذا المطلب قد فوجيء به وطرح امامـه لأول مرة ولذلك فهو يود امهاله حتى يستفسر من الوالي لوكيـــوس أيميليوس ريكتوس عن جدوى هذا المجلس والتأكد من ان فـــى وجوده مصلحة يحرص الامبراطور على توفيرها خدمة لصالحـــه ولصالح المدينة . وقد تعمد الامبراطور او تناسى الظروف التـــى كانت تحيط بهذا الموضوع اما لبعد الزمن فبين عام ٢٣/٢ ق م .

وقت ان فرضت ضريبة الرأس في عصر اغسطس وبين عام ٤٢ م وهو
تاريخ البعثة السكندرية الى كلوديوس ، حقبة طويلة مدتهـــا
ستة وستون سنة وقد تشفع هذه المدة فيما ادعاه هذا الامبراطـور
من تناسى أو تجهيل أملته عليه الحنكة السياسية ثم ان الاشـارة
الى موضوع ضريبة الرأس كما وردت في النص فيها ما يدل علـى
أن مصر كانت قد خضعت لهذه الضريبة التي فرضها اغسطس فيما
بين العامين ٢٤/٢٣ ق ٠ م ٠ وقد قامت قومة العلماء واحتـدم
بينهم النقاش بشأن مجلس البولى هذا ، حتى تسرب الشك الـى
البعض منهم في تواجده وقال آخرون انه ألغى في عهد بطلميـوس
يورجتيس الثاني ١٤٥ ق ٠ م ٠ ـ ١١٦ ق ٠ م ٠ وظن البعض أنـه
اعيد ايام انطونيوس وكليوباترة السابعة ٥١ ق ٠ م ٠ حتى ٣٠ ق٠م٠
وقيل ان الذى الغاه هو اغسطس وان هذه البعثة كانت تبغى أن
تثنيه عن عزمه اما كلوديوس فقد آثر التخلص بحجة أنه لـم
يعرف لهذا المجلس اى وجود في عهد الاباطرة الثلاثة الذين سبقوه
وهم اغسطس وتيبريوس وجايوس كاليجولا وأنه لا ينوى الحيـدة
عن سياستهم في هذا الشأن ٠ وقد أثير جدل كثير حول هـذا
الموضوع وتضاربت الآراء حتى اصبحنا في حيرة من أمره وقـد
لخص لنا العالم البريطاني سير (هارولد ادريس بل) في عـدة
مقالات نوه عنها العالم الامريكي (موسيريللو) في تعليقه علـى
هذه البردية (P.S.I. 1160) وناقشها من النواحي اللغويـة

والتاريخية والسياسية وكشف عن التكهنات والاستنباطات التـــى تبارى العلماء في عرضها . ومع ان موسيريللو لم يجزم بـــرأى قاطع في أى من هذه المشاكل واكتفى بترجيح رأى على آخر ، إلا أنه كشف النقاب عما كان يثار وما يمكن ان يثار حـــول هذا النص الفريـد .

وفي الاسطر من ٢١ حتى ٢٣ جاء رد الامبراطور الملـقـب بكلمة قيصر في عبارة مقتضبة شملتها تصويبات في عدة كلمات لملء الثغرات وكان هذا من عمل الناشرين الايطاليين وهما ڤيتللـــــى وميديا نورسا وقد ايدهما في ذلك العالم الالماني فيريـــــــك (Viereck) والمعني المستفاد من هذا الرد ان الامبراطور كان في عزمه الحضور الى الاسكندرية والقيام بزيارة تلك المدينـــة وعندئذ يمكنه ان يدلى برأيه في كل هذه الامور ولكن لم يتحقـــق له تنفيذ هذا الوعد . وفي هذه الاشارة عن الوعد بالزيارة مـــا يبعد نسبة هذه البعثة الى كلوديوس وتكاد تكون مقصورة علـــــى اغسطس وهو المعروف بأنه الامبراطور الوحيد الذى كان يشـــار اليه بكلمة قيصر(Kaiser) وحدها دون حاجة الى تعريف بذكر الاسم كاملا . وقد ترجم الشراح والمعلقون الفقرات الكاملة مما ورد في هذا النص ولكنهم اغفلوا الاسطر الناقصة ، مع ان البعـض منها يحتوى على كلمات معبرة مثل العبارة الواردة في السطـــــر السابع عشر من وصف كاتب مجلس البولي وامين السر فيه علـــــى

أنه رجل شريف عفيف النفس وطاهر اليد وفي السطر السادس عشر إشارة الى ضرورة تقديم الحساب والمساءلة عما يتم من تصرفـات وما يصدر عن هذا المجلس من أعمال بعد انتهاء السنة فتجرى عملية (Euthenia) مثلما كان يحدث في أثينا للأراكنـة، السنويين ولعل من الخير ان نورد هنا ترجمة حرفية لهذا النـص مراعين في ذلك ما طرأ عليه من تصويبات وما يتطلبه سيـاق الحديث من إضافات : ـ

.... ينبغي علينا ان نتوخى الحديث بشيء من الافاضة ...... وإني لأقول اذا ، انه سوف يكون من عمل هذا المجلس الاهتمـام بأن اولئك الذين هم على أهبة ان تدرج اسماؤهم في سجـل الخاضعين لضريبة الرأس لا يتهرب احد منهم ولا يسعى لكي يسجل اسمه في السجل السنوى الخاص بطائفة الشبية وهو سجل رسمي فيكون من مقتضى ذلك الاقلال والانتقاص من موارد الدخل العـام (Prosodos) . وسوف يكون كذلك من اولى مهام هـذا المجلس الحرص على بقاء الجالية السكندرية خالية من الشوائـب ونقية فلا تدنس بتواجد اناس في صفوفها من الصعاليك وممـن لاخلاق لهم ولا معرفة او علم لديهم . واذا حدث ان احـدا مـن عامة الناس اثقل كاهله بأعباء لا قبل له بها وفيها مخالفة لمـا جرى عليه العرف والقانون وكان هذا الاثقال من قبل رئيس ديوان الادبولوجوس او احد من جباة الضرائب المتأخرة وهم الذيـن

يغتصرون الناس ويبتذون اموالهم ، فإن مجلس البولي متـــــى
التأم جمعه تحت رياسة الوالي الروماني المعين من قبلك ، سيكـون
في وسعه الاخذ بيد الضعفاء والمكلومين وتقديم العون اللازم لهـم
مع المحافظة على موارد الدولة ومطلوباتها من ان تسلب بواسطـة
هؤلاء الصعاليك . وفضلا عن ذلك فإنه اذا تطلب الأمر واقتضـت
الضرورة ارسال بعثة سياسية (Presbeia) الى ساحتـــك ،
فان المجلس يستطيع اختيار نفر من الصالحين والاثقين ، فـــلا
يبعث احدا من الإمعات ولا يتنحىاحد من القادرين والاكفــاء ،
عازفا عن اداء هذه الخدمة لوطنه .

وعلى ذلك فإننا نرجو ، ملحين في الرجاء أن يســـح
ويؤذن لنا في أن يلتئم شمل هذا المجلس ويتم اجتماعه سنويـا .
وفي نهاية كل عام يجرى الحساب والمساءلةعما تم من أعمال ومـــا
اتخذ من اجراءات ... ويكون اختيار آمين سر المجلس مـــن
العناصر الصالحة وممن تتوافر فيهم السيرة الطيبة واليد الطاهـــرة
..... ويخصص وقت .....
ورد الامبراطور بقوله انه يزمع الحضور الى الاسكندرية وعندئـــذ
يستطيع ان يدلي برأى في مثل هذ الامور .

وهناك جانب آخر يتمثل في بعض الصعوبات التى قـــد
تواجه الباحث والمتصدى لنوعية من الوثائق البردية التى تعـــرض

لموضوع واحد ولكن بعضها له صفة رسمية تأكدت من عنوان الوثيقة
والجانب الآخر ليس له طابع رسمي واقتصر عنوانه على تصويـــــــر
ما جرى في اللقاءات مع الوالي المنوط بحسم هذا الموضوع . علـــى
أن التواريخ وتسلسل الأحداث في هاتين الوثيقتين تنم عن الانتماء
لشيء واحد ثم ان تفسير بعض الكلمات والاشارات التي وردت في
أيهما يحتاج الى شيء من الروية والتمعن والمعرفة بتاريـــخ وروح
ذلك العصر الذى ينتمي اليه هذا النوع من الوثائق . وقد يتطلـــب
الأمر معرفة شيء كثير عن الخلفية التاريخية لكي يجتلي ويتـفهـــم
المضمون من تلك الاشارات العابرة عن موضوعات في غاية الاهميـة.
ومن الامثلة على ذلك الكلمات الاتية (Politeia) بمعنـــى
مواطنة ، (Agoge) بمعنى نظام وسلوك ، (Charis)
بمعنى تعطف ،(Missicii) بمعنى الجند الذين تم تسريحهم
واصبحوا في عداد الجند السابقين ثم (Dikaion) بمعنـــى
الحقوق التي حرص هؤلاء الجند على الحصول عليها . وقد ضاعـــف
من الصعوبات أن هاتين الوثيقتين البرديتين صدرتا في عصر نيرون
سنة ٦٣ م في اثناء ولاية جايوس كايكينا توسكوس (C.Caecina
Tuscus) على مصر وكان إبن مرضعة نيرون ومن أصـــل
خسيس رأراد نيرون ان يوليه على مصر حتى يكون ذنبا مـــن
أذنابه باعتباره ولي نعمته.وقد نشرت الوثيقتان في عام واحـــد
هو عام سنة ١٩٣٩ وقام العالم الامريكي برادفورد ويلـــــــز

بنشـــر (Yale) الاستاذ بجامعة ييل (C. Bradford Welles)
الوثيقة الاولى المرقومة ١٥٢٨ وعنوانها (Immunitas of Roman
(Legionaries في مجلة الدراسات الرومانية (Journal
(Of Roman Studies العدد ٢٨ ص ١ وما يليها وعقب علماء
أجلاء على هذه الوثيقة وهم اولريخ فيلكن في مجلة (....Archiv)
العدد ١٣ لسنة ١٩٣٩ ص ٢٣٧ وفينجر (Wenger) في نفس المجلة
ص ٢٦٢ ووليام لين وسترمان (W. L. Westermann) في مجلة
(Classical Philology XXXVI) لسنة ١٩٤١ ص ٢١ ـ ٢٩ ثـــم
العالم سيجرى (A. Segré) في مجلة الدراسات الرومانية
(Journal of Roman Studies) العدد ٣٠ لسنة ١٩٤٠ ص ١٥٣ ـ
١٥٤ . اما الوثيقة الثانية فقد نشرها عالم فرنسي هو جان شيـــرر
(Jean Scherer) في نفس العام وهو ١٩٣٩ وهي محفوظـــة
بالقاهرة وتحمل رقم (Pap. Fouad No.21) وأفاض "شيـــرر"
في التعليق عليها وقابل بينها وبين زميلتها التي نشرها من قبـــل
برادفورد ويلز في أمريكا . وتتلخص الصعوبات في هذا النـــوع
من الوثائق في ان يضطر الباحث الى عمل مقارنة بين النصيـــن ،
بغية استخلاص المعنى المستفاد وعدم التعويل على احد النصيـــن
فكل منهما يكمل الآخر . ثم ان ثغرة من الثغرات في واحـــدة
منها قد يستعان على تصويبها بما جاء في النص الآخر وهذا هـــو
بيت القصيد في هذه الدراسة المقارنة. والموضوع المطروح فـــي

هاتين الوثيقتين واحد ،وإن اختلفت العبارات التى جاءت فى
مستهل كلمنهما كعنوان • وهو متعلق بالحقوق المدنية التى طالب
بها نفر من الجند المسرحين على مختلف طوائفهم ببن جند كانوا
قد انضووا فى سلك الفرق الرومانية (Legiones) وآخرين
ممن خدموا فى الفرق المساعدة (Auxilia) وكان يطلق
عليهم (Cohortales) باعتبار انهم ينتمون الى كتائب وبعض
هؤلاء كانوا من الفرسان المدججين بالرماح وهناك فى آخر السلم
من كانوا قد خدموا فى الاسطول كمجدفين • وقد ضاق الوالى
تبسكوس ذرعا بكل هؤلاء عندما تكتل فريق من هذه الفرق
وتقدم اليه بطلبات خاصة بالمنح التى كانت تسبغ على المجندين
متى سرحوا تسريحا كريما (Honeste Missicii) فيحصلون
على المواطنة الرومانية وعلى الانعامات الاخرى (Charites
Beneficia =) وكان حكام الاقاليم قد انكروا عليهم ذلك
وكلفوهم بأعباءهم منها براء ومتمتعون بحق الإعفاء ولأول وهلة
طالبهم الوالى بأن يتفرقوا ويتقدموا اليه فرادى اى كل لوحده
(Choris kae choris) بشكاياتهم وان يكتب كل فريق
منهم مطلبه وبعين المكان الذى ينتمى اليه وقد وعدهم بالنظر فى
مطلب كل فئة على حدة ووعدهم كذلك باتخاذ كافة الاجراءات
التى تكفل لهم بالا يضايقهم احد (me enochlein) ووجه
اليهم النصح بان ينصرفوا الى عملهم والا يركنوا الى التكاسل

والتقاعس عن العمل = (me geinesthae argoi)

وهو كفيل بعد ذلك بأن أى أذى لن يصيبهم او يلحق بأحد منهم =

(hina metheis kopous parasche)

وقد يشق على الانسان ان يقابل بين النصين بقصد التعرف على أوجه الشبه ونقط الاختلاف وهذا يتطلب استقراء النصين والتعرف على الألفاظ التى استخدمها الشاكون فى صورة محضر اللقاء بينهم وبين الوالى وفى الصورة الرسمية التى حصلوا عليها وبها تفاصيل ما جرى بينهم وبين الوالى كى يطلعوا ذويهم عليها بعد عودتهم الى بلدانهم ثم نشفع كل هذا بدراسة تلك الاجابات المقتضبة التى وجهها الوالى اليهم والنصائح التى زودهم بها .

والدراسة التى قام بها العالم الفرنسى جان شيرر عن بردية فؤاد رقم ٢١ ألقت ظلالا من الشك على تفسير بعض المعانى التى استنبطها العالم الامريكى برادفورد ويلز من دراسته لبردية جامعة (ييل) رقم ١٥٢٨ ووضحت بعض الغامض من عباراتها . وقد اقترح جان شيرر أن الموضوع المثار عن المواطنة الرومانية ومطالبة هؤلاء المحاربين القدماء بالحصول عليها ، كان قد سوى فى نفس اليوم الذى سوى فيه موضوع هؤلاء الجنود المشار اليهم على أنهم ينتمون الى الفرق الرومانية (Legionaries) كما جاء فى بردية جامعة (ييل) وان المسافة او الفراغ الموجود فى السطر الحادى عشر من تلك الوثيقة قبل كلمة (Eipon)

بمعنى قال ، كانت تحتوى على اسم الوالى وهو بالتأكيـــــــد (توسكوس) وفى وثيقة بنزدى فؤاد رقم ٢١ جاء فى الاسطر ما بين ١١ - ١٤ ما يفيد ان توسكوس هذا كان يكرر ما سبق ان قالــه فى بردية جامعة (بيل) فى السطر ١٧ وما يليه . وقد عـــرض العالم (سيجرى) (Segré)لتفسير المعنى الذى انضوت عليه كلمة عارضة وهى (Agoge) فى ضوء السياق الوارد فـــى هاتين الوثيقتين ونفى أن معناها السلوك (Discipline) كما ظنه (براد فورد ويلز) وانما هى تقابل الكلمة اللاتينيـــة (Actio) أى المطلب الذى تقدم به أولئك الجند . وفـــى رأى (سيجرى) أن من كناهم (برادفورد ويلز) من هـــؤلاء الجند بالمنتمين الى الفرق الرومانية وسماهم (Legionaries) ليسوا كذلك وما هم الا محاربون قدماء تم تسريحهم من الفـــرق والاورط وتزعموا المطالبة بالحقوق المشروعة لأمثالهم وكان الوالـــى (توسكوس) فى كلا الوثيقتين يتحدث الى نفس الاشخاص ويؤكد نفس المعانى من ضرورة الالتزام بالنظام العسكرى وعدم التجمهـــر، والنتيجة التى خلص اليها هى انه ينبغى على كل فريق ان يذهـــب الى مسقط رأسه ويخلد الى السكون وينصرف الى عمله بلا تعطـــل أو تقاعس (Hekastos eis ta eidia kai me geisthe argoi) وتلك هى النصيحة التى تتناسب تماما مع الوضع القائم فى ذلـــك الحين وتنطبق على المحاربين القدماء الذين رأى الوالى أنـــــه

يجدر بهم أن ينصرفوا إلى اقاليمهم وينكبوا على مباشرة اعمالهم فالبطالة أمر غير مستساغ ولا تليق بهم . وهذا الاسلوب في النصح يتفق مع امثالهم ولا ينطبق بحال ما على الجند العاملين.ولعل (برادفورد ويلز) كان له بعض العذر فيما ارتاه ، لأنه لم يكن قد وصل الى علمه عندما نشر وثيقته هذه ، ما جاء في ثنايا بردية مماثلة هي بردية فؤاد رقم (٢ ، فتسرب اليه الظن ان الجنود المنضوين في فرق الجيش وهم الذين كناهم بكلمة(Legionaries) هم جنود عاملون مع انهم ليسوا كذلك.وربط النتيجة التي وصل اليها الوالي (توسكوس)بالواجبات الخاصة المنوطة بالجند العاملين ، وبذلك ورط نفسه في استنباط معاني لا داعي لها ثم عرج على الاستشهاد بما جاء في مقال العالم البريطاني السير هارولد ادريس بل في موسوعة كيمبردج سنة ١٩٣٤ ص ٢٨٦ وما جاء في كتاب العالم الفرنسي ليسكيه (Lesquier) عن الجيش الروماني في مصر وهو المنشور سنة ١٩١٨ صفحات ٢٣٢ ـ ٢٤٣ . ولسنا ندري هل كان هؤلاء المحاربون القدماء يعملون لحسابهم ام كانوا موفدين من قبل زملائهم ومن كانوا على شاكلتهم ممن كانوا يقيمون في صميم الريف وفي ارجاء الخورا (Chora) وكل مصر هي خورا بالنسبة لمدينة الاسكندرية . وان صيغة القرار والصورة التي اخذوها بعد ان دبجوها من الاصل لا يمكن ان يكون المراد بها ان تستخدم لاغراض خاصة بالدعاية وانما هي في رأى (سيجرى) اسلوب مرعي ، فالمحاربون القدماء

يمموا شطر الوالى ولاحقوه فى الاسكندرية وفى مركز قيادته فى رمل المدينة (Megale atrium) على مدى بضعة ايام (أربعة) وتمكنوا من عرض مطالبهم وانه كان يعنيهم فى الصميم ويهمهم جدا ان يعودوا الى الخورا وقد تسلحوا وتزودوا بصورة من القرار الرسمى الذى أصدره الوالى Antigraphon (hypomnematismou) كيما يبرزوه ويواجهوا به حكام الاقليم والهيئات الرسمية المحلية . وما نظن انه كان يعنيهم ابرازها لاخوانهم وزملائهم فليس هناك جدوى من ذلك .

وهذا الرأى يعارض تماما ما ذهب اليه فينجر (Wenger) فى ص ٢٧٦ ، ص ٣٨٢ . واذا صح ان هؤلاء المحاربين القدماء كانوا يعملون بوصفهم مندوبين وممثلين عن اخوانهم وزملائهم فان هذا ينطوى على حالة من العصيان والتذمر على حد ما قاله وسترمان (Asebes Pragma)وفيه عدم ولاء وتآمر لا يمكن السكوت عليه (Hẹ systasia) وكان قصد الوالى فى حديثه فى اللقاء الاول مع هؤلاء المحاربين القدماء لا يعدو لفت أنظارهم الى مراعاة النظام العسكرى وهو ان يتقدم كل فريق بمطلبه وحده (Choris kae Choris) بوصفهم من المحاربين القدماء وهذا ما فعلوه ونوهوا عنه فى السطر الحادى عشر من بردية جامعة ييل ، منفذين لنصيحة الوالى واكدوا ذلك له عندما سألهم هل فعلتم ذلك فقالوا بالايجاب (نعم فعلنا)

وفي رأى (سيجرى) ان عقد مقارنة بين النصين الواردين ، احدهما في بردية ييل رقم ١٥٢٨ والآخر في بردية فؤاد رقم ٢١ ، انما يكشف عن ان صورة اللقاء مع الوالى (Antigraphon Entychias) ما هي الا بمثابة بروتوكول (Protocal) تراءى لجندى ماأن يقتبسه مستعينا في ذلك بالنص الرسمي من البروتوكول الخاص بالوالي[1] . وهذا واضح جلى من الصيغة التي دبجت بها الوثيقة ومن الاخطاء العديدة التي اتسمت بها . ولعل اولئك المحاربين القدماء عندما عادوا الى أوطانهم في ريف البلاد وجدوا من الحكمة ان يزودوا انفسهم بصورة فيها تفاصيل ما جرى في اللقاءات العديدة وبصورة أخرى من القرار الرسمي (Antigraphon hypomnematismou) ممهورة بإمضاء كاتبها . ويؤيد هذا الرأى ما جاء في آخر وثيقة بردى فؤاد رقم ٢١ من وجود بضع حروف عددها تسعة قبل كلمة دالة على الإصطلاح بالكتابة وهي (egrapha) بمعنى أنني (فلان) قمت بكتابة وتسطير هذا.واستنادا الى هذه المقدمات خامر (سيجرى) الاعتقاد بأن هؤلاء المحاربين القدماء عندما أعوزتهم الحيلة مع حكام الاقاليم ، عولوا على ان يلجئوا الى الوالي ويتقدموا اليه بمطالبهم وشكاياتهم ضد حكام الاقاليم

---

(1) Ulrioh Wilcken, Archiv fur papyrusfor, XIII, 2, 237.

الذين كانوا قد تجاوزوا حدودهم واشتطوا في معاملتهـــــم ازاء هؤلاء الجند من المحاربين القدماء ولم يحترموا الامتيازات المقررة لأمثالهم.على ان الوالي استجاب لوجهة نظرهم وطمنهـــم بأنه كتب بالفعل الى حكام الاقاليم ، آمرا إياهم بعدم التعـــرض لهم والحيلولة دون اقامة العراقيل او المتاعب في وجوههـــــم

Line 8 : (hina medeis kopous paraschei)

وبذلك حسم الوالي الموقف .

وليس من قبيل الإستطراد ان نسوق هنا مثلا دالا علـــى وجود رباط من نوع ما بين كل من هاتين الوثيقتين وهما برديـــة فؤاد رقم ٢١ وبردية جامعة بيل رقم ١٥٢٨ وبين وثيقة برديـــة اخرى محفوظة ضمن اوراق بردى برلين (B. G. U. III) رقم ٧٤٧ وجاءت اشارة اليها في كتاب نشره العالم الالمانـــى الضليع في علم البردى وهو الريخ فيلكن وهو (Chrestomathie,35) وهذه الوثيقة جاءت من قفط وتحمل تاريخا هو العام ١٣٩ م . وفيها شكوى صارخة من الحاكم الاقليمي (Strategos) ضد نفر من المحاربين القدماء المتمتعين بالمواطنة الرومانية ويساندهـــم جماعة من السكندريين لأنهم غير طيعيـن ولا ينفذوا للحاكـــم امرا ولا يستجيبوا لتعليماته.وفضلا عن ذلك فقد كشفوا النقـــاب عن نواياهم واعلنوا عصيانهم وانهم ليسوا ممن يدخلون في طاعتـــه وبذلك أصبحوا عقبة كأداء في سياسة الحكم في هذا الاقليـــم .

وكان هناك بالطبع اتجاه عام وطبيعي من قبل حكام الاقاليم والمحافظين (Strategoi) للعمل علىتضييق نطاق تلك الامتيازات المخولة لأمثال هؤلاء المحاربين القدماء والتقليل من أهميتها أو عدم الاعتداد بها . ونجم عن هذه الروح رد فعل في الإتجاه المضاد وهو حرص المحاربين القدماء على توكيد حقوقهم فيما كانوا يتمتعون به من امتيازات واثبات ذلك بشتى الطرق وادى هذا بالطبع الى وجود نفور واحتكاك بين الطرفين ، فحكام الأقاليم كانوا ينظرون الى هؤلاء المحاربين القدماء على أنهم يمثلون عنصرا متمردا وعاصيا ولا يمكن ان تسلس لهم قيادة وفضلا عن ذلك فإنهم كانوا على الدوام مثلا سيئا لغيرهم .

واذا اردنا ان نتفهم كنه الحقيقة ونتعرف على اسباب السخط الذى كان يشكو منه اولئك المحاربون القدماء ويقض مضاجعهم ويؤرقهم الى حد الوقيعة بينهم وبين الحكام الاقليميين فإن العالم الفرنسي جان شيرر في تعليقه على البردية رقم ٢١ في مجموعة فؤاد قد افاض في تبيان ذلك وأن الامر لم يقتصر على حقوق المواطنة الرومانية التي منحوا اياها نظرياعند التحاقهم بالفرق الرومانية ولكنه كان صوريا وبقي تنفيذه فعليا بعد التسريح ، بل هناك انعامات وامتيازات اخرى تدخل في نطاق Charites =beneficia)وحق الزواج (conubium) ثم يأتي بعد ذلك حقهم في الاعفاء من الاعباء وإثقال كواهلهم

بشتى التكاليف التى كانت تفرضها الحكومة على ألا شريـــــاء والأعيان . (Euporoi) ويبدو ان مطالب هؤلاء الجنـــود السابقين كانت عادلة ولذلك استجاب الوالى كايكينا توسكوس لها ووعد بالتنفيذ الفورى لها وكتب الى حكام الاقليم كيما يراعـــوا تطبيقها كاملة وغير منقوصة وقد ارادوا التمتع بكل هذه الحقـوق تلقائيا ودون اتخاذ اى اجراء يضطرون فيه لتقديم دبلومـــات عسكرية او شهادات وهم يريدون كذلك الا تقتصر هذه الحقـــوق عليهم انفسهم بل تكون مكفولة لابنائهم . وعندما افتى الوالـــى وقال جملته المشهورة فى السطر الخامس عشر مطمئنا هـــؤلاء المحاربين القدماء بأنه كتب بالفعل الى حكام الاقاليم كيمـــا يطبق عليهم الانعام الامبراطورى كاملا وغير منقوص (Hina he: charis holokleros .... hymin terethe)
وجب علينا أن نتمعن فيما تتضمنه هذه الفقرة.فليست المواطنـة الرومانية بالمبرر الكافى لاستخدام كلمة (Holokleros) وإنما لابد ان ينصرف الذهن الى بعض الامتيازات العملية ، فيمـــا يتعلق بمراتب الشرف والاعفاء من الاعباء والالتزامات الماليـة أو توزيع أنصبة من الاراضى . وهذه كلها مزايا ناجمة عـــن الحصول على المواطنة الرومانية والاستمتاع بما تتضمنه مـــن مزايا ، ينكرها عليهم حكام الاقاليم (Strategoi) الذيـــن كانوا يمثلون عصب الجهاز الادارى وتوفر فيهم استمرارية الحكـم الرومانى .

إستقبال الإمبراطور فسباشيان في الأسكندرية في ضوء ما ورد في ثنايا بردية مبتورة هي بردية فؤاد رقم (٨)

إنه لدينا من الوثائق البردية المبتورة عدد كبير ينتمي الى العصر الروماني والكثير منه متصل بالحياة العامة وله طابع رسمي . ولعل من بين هذه الوثائق قصاصة بردية مشهورة ولا يزيد عدد أسطرها عن ٢٢ سطرا ولكن الاسطر السبعة الاولى منها مبتورة للغاية ولا تعدو بعض الكلمات في كل سطر من هذه الأسطر الاولى ، عن كلمتين او ثلاثة وجاء في السطر الثاني الاسم الثنائي للوالي الروماني وهو تيبريوس الاسكندر (من يوليه ٦٦ م حتى ٦٩ ـ ٧٠ م) وكان الفضل في نشرها لأول مرة راجعا الى العالم الفرنسي الراحل بيير جوجيه (Pierre Jouguet) . ورقم هذه الوثيقة المنشورة في مجموعة بردية تسمى Pap. Fouad) هو ثمانية وتاريخها يرجع الى اكتوبر-نوفمبر سنة ٦٩ م أو اوائل عام ٧٠ م وتحكي وصف لقاء جماهري وشعبي لزائر كريم إلي الاسكندرية هو فلاڤيوس ڤسباشيان وقد اشتعل حماس الجماهير المحتشدة :ـ

(Hoi ochloi .... peri pollon athroisthenton)

فهللت وكبرت لمقدم ڤسباشيان الذى كان قد ارتقى أريكة العرش الروماني بفضل جهود هذا الوالي الحصيف ومناصرته له

في تبوئه هذا المنصب السامي. ذلك ان تيبريوس يوليــــوس الاسكندر كان لماحا واريبا ونهازا للفرص. ويبدو انه قـــد راهن على الحصان الرابح ، فلما اقحمته الظروف في معتـــرك الاحداث العالمية ، كان سباقا الى الخوض في مضمارها بكـــل ما يملك ، مغامرا بمستقبله ، بل وبحياته. وقد عمل في الســـر متواطئا مع ڤسباشيان قائد الجيش الروماني في بلاد اليهودية ، متوخيا الكتمان التام ومنتهجا خطة بارعة اكسبته مركزا مرموقا. وكانت مسألة تخابره مع ڤسباشيان وتلقيه رسالة سرية منـــه متضمنة استطلاع الرأى وأخذ المشورة عن مدى التأييد الممكـــن تلقيه من مصر في حالة ترشيح ڤسباشيان امبراطورا بدلا مـــن فيتيليوس الجالس على العرش في روما وتنفيذ الخطة التي وضعهـا زميلهما موكيانوس الحاكم والقائد الروماني على الشام ، فرصـــة سانحة لاحت له في الافق فرحب تيبريوس الاسكندر بها علـــى الفور ولم يتبوان لحظة واحدة . وسرعان ما نفذ ما عقد العـــزم عليه فجمع جمهرة الشعب السكندرى (Plethos) أو (Ochlos) وحشدها في ساحة الهيبودروم (Hippodrome) او المرماح وضم اليها قوات الفرقتين الرومانيتين المعسكرتين في ظاهـــر الاسكندرية وجعل الجميع يقسمون يمين الولاء لڤسباشيان وينادون به امبراطورا في الفاتح من شهر يوليه سنة ٦٩ م واعتبر هـــذا اليوم بمثابة يوم التولية (Dies Imperii) في حكـــم ڤسيان وكان هذا القسم (Sacramentum OR Conjuratio)

إيذانا ببدء عصر جديد هو عصر أسرة الفلاقيين ونهاية لعهد الأباطرة الأربعة وهم من أسرة اليوليين ـ الكلوديين (أغسطس ـ تيبرس ، جايوس كاليجولا ثم كلودبوس)٠

أما عن مدى تقدير الأثر المباشر لهذه الاحداث في نفوس السكندريين فكان واسعا ، فقد علت أهميتهم وتملكتهم نشوة النصر باعتبار أنهم هم الذين أخذوا زمام المبادرة في أيديهم وإنبروا، يهللون ويكبرون ، فرحين بما حققوه وما نالوه من منزلة مرموقة ، شاركتهم فيها بعد قليل في الخامس عشر من شهر يوليه سنة ٦٩ عاصمة شرقية أخرى هي انطاكيا وسبقتها في يوم ٣ يوليه بلاد اليهودية في إعلان ڤسپاشيان امبراطورا ، جريا وراء الاسكندرية التى كانت هي السباقة وصاحبة الفضل الأول على ڤسپاشيان٠ وتزودنا الوثيقة البردية المبتورة التى أومأنا اليها ، بما جرى بعد ذلك في الاسكندرية في أواخر عام ٦٩ م أو أوائل عام ٧٠ م عند مقدم ڤسپاشيان وزيارته لمدينة الاسكندرية وفي صحبته الخبر اليهودي يوسيفوس في رحلته هذه وقد قوبل بالتهليل والتكبير وأسبغت عليه شتى الألقاب ووصفت لنا الأسطر الأخيرة من هذه البردية حماس الجماهير وترحيبهم بهذا اللقاء السعيد الذى هل فيه الامبراطور عليهم بطلعته ونادوا به مخلصا وفاعلا للخير وإبنا لأمون (السطر ١٦) والشمس الطالعة (سطر ١٣)[1] .

---

(1) Zeitschrift fur pap.-Epig. II (1973),L.3 : tous Romaious (Koenen & R.Coles), p. 235.

(Soter, Euergetes) ودعوا له بأن يحفظه الالـــــه سيرابيس ويباركه ويبقيه لهم ثم شكروا الوالى على اتاحة هـــذه الفرصة لهم . هذا هو مضمون ما جاء فى هذه الوثيقة التى اعيــد نشرها وتصويب ما جاء بها من ثغرات على مدى الاربعين سنـة الاخيرة وتضاربت بشأنها الاقوال. ونسبت خطأ الى اعمـــال الشهداء السكندريين وهى لاتمت لذلك بأية صلة [1] . ولعلهـــا كانت على حد قول بييرجوجيه ، صورة مقتبسة من سجل رسمـــى Hypomnematismos شاء احد الافراد ان يدبجها لفرض مـا ، أو لعلها كانت محاورة جرت بين عدة اطراف ، صورها كاتبهـا من اقوال متواترة أو من بيان احد شهود العيان .

فى غمرة سرور السكندريين ونشوتهم عند لقاء الامبراطور الذى تصوروه صنعية من صنائعهم ، هالوا عليها شتى الالقـــاب والكنيات التى وردت فى ثنايا هذه الوثيقة المبتورة وذات الاثنين

(١) بردية فؤاد ٨ ، نشرها لاول مرة عالمان فرنسيان همـــا بييرجوجيه واكتاف جبرو سنة ١٩٣٩ وعلق عليهـــا موسيريللو سنة ١٩٥٤ ثم فيكتوربور (Victor Burr) وعشرات من ائمة العلماء ولكن بييرجوجيه كان فارس تلك الحلبة فنشرها عدة مرات فى (Melanges Ernout) ثم في (Domination Romaine) سنة ١٩٤٧ ونشرت فى الموسوعة اليهودية Corpus pap. Judacarum II, 418 (a) pp. 190-193; Z.C.E. II, 1973, p.235 by Koenen and Revel Coles.

والعشرين سطرا في مجموعها . ومع كل ما يعتورها من قصور وما جاء في بعض اسطرها من نتف ، فإن دلت على شيء ، فإنما تدل على ما أصبح لمصر من اهمية بالغة في هذا السباق الدولي وهذا المعترك السياسي وبرهنت على ان من كان يستطيع الاستحواذ على هذا البلد وهو مصر ، كان في وسعه التحكم في مصائر الامور في روما ، بل وفي سائر ارجاء الامبراطورية برمتها وتوجيه مستقبل الاحداث فيها على النحو الذي يروق له . وهذا كسب عظيم بالنسبة لمصر . وقد نوه بذلك المؤرخ الروماني تاكيتوس (Tacitus) في اكثر من مجال ، فذكر ان مصر هي مفتاح البر والبحر (Claustra terrae ac maris) وجاء هذا في كتابه الثاني عن الحوليات (Annals) فقرة ٥٩ ثم عاد فألمح الى هذا المعنى في كتابه الثاني عن التواريخ (Histories) فقرة ٨٢ وقد جاء فيها أن فسپاشيان وصل الى الاسكندرية وهي مفتاح مصر (Claustra Aegypti) في شهر نوفمبر من عام ٦٩ م . والمعروف أن فسپاشيان زار الاسكندرية وأن حشودا هائلة من جماهيرها هللت وكبرت لمقدمة ، فرحة مستبشرة على نحو الوصف الذي ذكرته هذه القصاصة البردية وان هذا الحدث تم في اواخر اكتوبر او نوفمبر من عام ٦٩ م وعلى ابعد تقدير في اوائل صيف عام ٧٠ م وان هذا الاستقبال كان حارا وأطنبت الجماهير

فى التهليل والتكبير بمقدمه . وقد ذكر المؤرخ تاكيتوس فـــــى كتابه الثانى من التواريخ (فقرة ٧٩) شيئا عن الواقعة الاولـــى التى كشف فيها تيبريوس يوليوس الاسكندر النقاب عن نوايـــاه وأهدافه من الارتماء فى احضان ڤسپاشيان عندما حشد رجــــال الفرقتين الرومانيتين المعسكرتين فى قلاع الاسكندرية (ta epitagmata) فى اول يوليه من عام ٦٩ م وجعل هؤلاء الجند والجماهير المحتشدة تقسم يمين الولاء للإمبراطور الجديــــــد ، ڤسپاشيان ، فكان هذا الحدث مباغتة مذهلة ، دهش لها العالـــم الرومانى كله . وقد اصبحت هذه الحقيقة مؤكدة وعلما بهـــــا بحسب الوقائع التى تلت بعد بضعة اشهر وحكتها لنا تلــــك القصاصة البردية فى مجموعة فؤاد رقم ٨ على نحو سافر فذكرت ان تيبريوس الاسكندر جمع جماهير الشعب السكندرى وتوجه علـــى رأسهم فى حشد هائل الى ساحة الهيبودروم او حلبة السبـــــاق (النزهة)لاستقبال الامبراطور الجديد وتقديم التحية له بالتهليـــل والتكبير (Eucharistoumen)سطر ١٧) وقد هل عليهم كالشمس بطلعته Helios ho anatellwn , L.13 فنادوا به مخلصا Soter) إياهم ومنقذا لهم وجلابا للخير (Euergetes) فهو السيد عليهم وهـــو الامبراطور (ho kyrios kae Kaıser) وهـــو إبـن آمـــون (Ho Ammwnos uios (L.16) وها هم يبتهلون الى الههـــم سيرابيس كيما يحفظه ويبقيه للسكندرين . ولم ينـــو أن

يتوجهوا بالشكر للوالى الذى اتاح لهم هذه الظروف المواتية .

والذى يعنينا هنا هو ان نؤكد أن هذه الوثيقة بحالتها الراهنة لا تزال محيرة ، على الرغم من كل الشروح التى عرض لها انكتاب والمعلقون ومنهم فيكتور بور (Victor Burr) في كتيب له عن تيبريوس يوليوس الاسكندر ص ٦٠ ـ ٦٥ ثم الهوامش ص ١٠٢ ـ ١٠٥ [(١)] وقد عرض لهذه الوثيقة العالمان اليهوديان تشيربيكوفر وفوكس فى الجزء الثانى من موسوعة البردى اليهودى رقم ٤١٨ (أ) كما عرض لها العالم الامريكى الراحل هربرت موسيريللو فى كتابه عن اعمال الشهداء الوثنيين ص ٣٠ ـ ٣١ . وقد اعيد نشر هذه الوثيقة عدة مرات بفضل جهود العالم الفرنسى الراحل پييرجوجيه وادخل عدة تصويبات لسد الفراغات بها املا فى ان تلقى مقترحاته هذه القبول لدى العلماء فنشرت فى عام ١٩٤٠ (Melanges Ernout) La Dominatio Romaine + تم نشرها هذا العالم الفرنسى نفسه فى كتيب صدر فى الاسكندرية تحت العنوان السابق Dominati ص ٤١ ـ ٤٤ .

---

(١) جاء تقريظ بالالمانية لهذا الكتيب فى مجلة Chronique d' Egypte) العدد ستون سنة ١٩٥٥ ص ٢٩٨ ـ ٤٠٢ لمؤلفه (Horst Braunet) وقد عرض فيه لبعض التصويبات المقترحة وفندها .

وقد أراد العالم الامريكي الراحل هربرت موسيريللــو
أن يربط بين ما جاء في هذه القصاصة البردية المبتورة مــن
معلومات متناثرة وبين ذلك الادب الشعبي المتواتر عن الزعمــاء
السكندريين الذين انبروا للدفاع عن قضايا مدينة الاسكندريــة
وتقديم الشكاوى ضد اليهود وما ارتكبوه من سوء المعاملــة
للسكندريين ، لدى الاباطرة وكان اغلب هؤلاء الزعماء يشغــل
وظائف مرموقة اهمها رياسة مؤسسة الجيمنازيوم او زعامة النوادى
والجمعيات في الاسكندرية وهؤلاء الجيمنازياركيون كان يعتــزون
بمؤسسة الجيمنازيوم وملحقاتها من اروقة وخلافه ويعتبرونهــا
معقلا للهيللينية ومحل اعتزاز وفخار لليونانيين جميعا فكانــت
المنبت الذى يتخرج فيه المواطنون الصالحون [1] . وفي اثنــاء
مثول هؤلاء الزعماء امام الاباطرة كان البعض منهم من امثــال
ايزيدورس ، يتطاول على المقام السامي ويغلظ له القول ويحــاج
في لجاجة وكانت تفلت احيانا من السنتهم الفاظ نابية فيهــا
اساءة وتعريض بسمعة الاباطرة فيلقون بسبب ما فرط منهــم
من هفوات حتفهم وتكرر هذا في عهد الامبراطور جايوس كاليجولا
ثم في عهد كلوديوس وتراجان وهادريان وكومودوس. وقــد درج

---

(١) انظر كتاب العالم الفرنسي ديلورم (Delorme) عــن الجيمنازيوم وقد نشر في عام ١٩٦٠ .

السكندريون على تخليد ذكرى هؤلاء الابطال الذين خــــروا صرعى وحرصوا على نشر محاضر هذه اللقاءات العاصفة مــــع بعض التحوير والتغيير فى عباراتها · وكان القصد من وراء ذلك اظهار هؤلاء الزعماء فى مواقف بطولية وحض الناس على كراهيـة الحكم الرومانى الجائر وكذلك مناهضة السامية على اعتبار ان اليهود لقوا حظوة لدى الرومان الذين اظهروا شيئا من التعاطــف والتكريم لزعماء اليهود من امثال اجريبــا الاول واباحوا لهــم التمتع ببعض الامتيازات فيما يختص بمباشرة الطقوس الدينيــة والعادات التى تمسك بها اليهود فى حياتهم الخاصة والعامــة · على أنه لا يزال الشك يتسرب الى كثير من العلماء فى ان تلك القصاصة البردية رقم ٨ فى مجموعة بردى فؤاد كانت حقا تنتمــى إلى أعمال الشهداء الوثنيين وهى لا تمت بصلة الى ذلــك الادب الشعبى السكندرى وانما هى سجل مقتبس ، يحكى وصــف ما جرى فى حفل استقبال الامبراطور فسباشيان او هى بالأحــرى تصوير عابر لذلك الاستقبال الحار الذى قوبل به الامبراطور عند مقدمه الى الاسكندرية عن طريق شديا (Schedia) وكان فى ركابة الحبر اليهودى يوسيفوس الذى كان قد تنبأ لــه بأنه سيتولى عرش الامبراطورية قبل اول يوليه بنحو ستة أشهــر ، فلما تحققت هذه النبوءة اصبح يوسيفوس متمتعا بحظوة بالغــة لدى الامبراطور الذى اغدق عليه بعض المنح واسكنه فى بيتــه

في روما ورتب له معاشا ثابتا .

ومن بين التصويبات التي ادخلت على هذا النص نذكر تصويبين مهمين احدهما للعالم الالماني (فيكتور بور) لسد الفراغ في الاسطر ٧ - ٩ من هذا النص وهو على النحو الاتي : -

[to Baros tes hegemonias anagkaios hypod]
us ho autokrator m [e keleuei eis] ten
plin.

أي أن أعباء الرياسة التي تولاها اضطرته ومنعته بوصفه امبراطورا ان يحضر الى مدينة الاسكندرية من قبل ....
ولكن پيير جوجيه صوب بعض كلمات السطر الاخير هكذا أي انه دخل المدينة عن طريق شيديا اى الابراهيمية وهناك تصويبات اخرى جانبية تباينت فيها الاراء[1] ولكن المعنى العام واضح فالسكندريون بتحريض وتوجيه من الوالي تيبريوس يوليوس الاسكندر ، كانوا قد اسرفوا في اغراق المديح على هذا الامبراطور الذى اعتبروه من صنع ايديهم ولكن سرعان ما ندموا على ذلك فقد قلب لهم ڤسپاشيان في الفترة القصيرة التي اقامها

---

(١) تناول العالم الامريكي كينن (Ludwig Koenen) في جامعة متشيجان وزميله ريفل كولز Revel Coles في جامعة اكسفورد هذه الوثيقة بالتصويب في بعض فقراتها عندما كانا يقومان بتصويرها في المتحف المصرى في السنوات الاخيرة ونشر ذلك في احدى المجلات العلمية التي تخص البردى وما يعتريه من تصويبات .
(Zeitschrift 1973), Orsolina Montevecchi Qegyptus 61 1981, pp.155.

بين ظهرانيهم ، ظهر المجن واخذوا من جانبهم يرددون الاعازيج التي يسخرون بها منه فرموه بالدانقي أو السحتوتي والفخاني وساءت علاقته بشعب الاسكندرية ولم يفلح ابنه تيتوس في اصلاح ذات البين بين الطرفين وعلى اى حال فهذه الوثيقة على الرغم مما اعتراها من تصويبات ، لها اهميتها البالغة وكثيرا ما يشار اليها . وهي جديرة بأن تلقى المزيد من البحث والتعليق ، أملا في الوصول الى كنه الحقيقة بكبدها . وأنّى لنا ذلك والوثيقة بحالتها الراهنة من شأنها ان تجعل مثل هذه التصويبات مجرد تخمينات اقتضتها ظروف الحال .

بردية كولومبيا رقم ١٢٣ (Apokpimata)

ونختتم هذا البحث بعرض ما جرى فى شأن وثيقة بردية ذات طابع ادارى وقانونى فى مصر الرومانية ، اعتراها تفنيد وتصويب فى أكثر من موضع ولقيت اهتماما عالميا بالغا فى السنوات الاخيرة والقيت بشأنها بحوث مستفيضة فى المؤتمر العالمى السادس عشر المنعقد فى كولومبيا بنيويورك سنة ١٩٨٠ تلك هى الوثيقة المرقومة ١٢٣ من مجموعة بردى كولومبيا وقد نشرها العالم الامريكى الراحل وليام لين وسترمان سنة ١٩٥٤ واشترك معه ارثر شيللر (Arthur Schille) فى معالجة الجوانب القانونية فى هذه الوثيقة وهى تتألف من ثلاثة عشر بندا وعدد أسطرها ستون سطرا وهى عبارة عن صورة من تلك الاجابات التى اصدرها الامبراطور الليبى الأصل سبتميوس سيفيروس (Septimius Severus) بشكل مقتضب وتسمى (Apokrimata) أى احكام واجابات (Responsa) وقد اعلنت على الملأ فى رواق ملحق بمبنى الجيمنازيوم بالاسكندرية فى السنة الثامنة من حكم هذا الامبراطور فى اثناء مقامه فى الاسكندرية وقد امتد الى اكثر من عام ١٩٩ ـ ٢٠٠ م وكان صدورها فى اليوم الثامن عشر من شهر برمودة والايام التالية فيما يظن . وقد عرض نفر كبير من العلماء الاوربيين والامريكيين الضليعين فى علم البردى والمتمرسين فى النواحى القانونية الى تصويب بعض القراءات والتعليق على مكنون

هذه الاحكام ومدلول بعض الكلمات المهمة ذات الدلالة الخاصة مع شرح علاقة هذه الموضوعات بالنظم التى كانت سائدة فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى وقد جرى كل هذا التصويب والتنقيح فى السنوات القليلة التى تلت النشر الاول مباشرة ففى عام ١٩٥٥ انبرى العالم الامريكى الراحل هربرت يوتى (Herbert Youtie) وزميله ارترشيللر الى اعادة نشر هذه الوثيقة مصوبة فى مجلة (Chronique d' Egypte No. 60, July 1955, pp. 327 - 345.)

وكان هذا فاتحة طيبة لعدد من الابحاث والتصويبات الهامة وبذلك امكن استنباط مختلف المعانى التى غابت على وسترمان وزميله شيللر . ولذلك اصبح من المتعين علينا الاخذ بالتصويبات والتفسيرات التى خلص اليها اولئك المعقبون مع عدم التعويل على القراءة الاولى فى عدة فقرات من هذا النص . ولما كانت هذه الوثيقة قد صدرت فى الاسكندرية فى مستهل القرن الثالث الميلادى باللغة اليونانية ، فالملاحظ انها جاءت خالية من اى من المحسنات اللفظية او العبارات الادبية ، بل ان بها الشيء الكثير من الاقتضاب والتعمية ـ ولعل هذه سمة الوثائق ذات الطابع القانونى وهى دائما تتوخى الدقة فى اختيار الالفاظ وانتقاء المعانى ولذلك فإن دراسة مثل هذه الوثائق تحتاج الى المزيد من التمعن والصبر وتتطلب معرفة وثيقة بالاوضاع السياسية التى

كانت سائدة فى مصر فى القرنين الاولين الميلاديين من حيث اسلوب الحكم الرومانى واختصاصات نخبة من كبار الموظفين الرومان النوفدين او المبعوثين من روما وعلى رأسهم الوالى وهو من طبقة الفرسان (Equites) وكان ينتقيهم الامبراطور بنفسه ويكل اليهم تصريف الأمور الداخلية فى مصر وتوجيه السياسة العمرانية والدفاع عن حدود البلاد وحفظ الأمن وتحصيل الخراج السنوى (Annona) ٠

والوثيقة التى نعرض لها الآن صدرت باللغة اليونانية كما قلنا وهى لغة السكان فى مصر فى ذلك الحين وليس فى هذا تناقض مع الحكم الرومانى واللغة اللاتينية السائدة فى العالم الرومانى الغربى ٠ وكان نشرها على ملأ من الناس فى مكان عام هو الرواق (Stoa) الملحق بمبنى الجيمنازيوم (Gymnaseum) وهو احد المبانى العامة بمدينة الاسكندرية ومركز النشاط الثقافى والرياضى ورئيسه يعرف بالجمنازيارك (Gymnasiarchos) وهو يمثل شخصية لامعة فى الاسكندرية ذات مقام مرموق فى روما وازاء الاباطرة ٠

هبط سبتميوس سيفيروس على مصر بعد نحو سبعين عاما من انقضاء ثورة اليهود فى عهد الامبراطورين تراجان وهادريان وقد أراد اصلاح بعض ما أفسده الدهر وما نشب من احقاد وأصدر العديد من الاحكام والقرارات التى اراد بها اصلاح ذات البين

وتصويب الاوضاع الفاسدة وتصفية الاحقاد الدفينة . وليس فـــى وسعنا معرفة ما اذا كانت رغبته فى الاصلاح صادرة عن عطـــف ورغبة أكيدة فى الانصاف أم أن ذلك كان مجرد اجابات عــن استفسارات وتساؤلات من هيئات وافراد . وقد رؤى ان تصاغ هذه الاجابات فى صورة احكام صارمة ودقيقة لا تحتمـــل أى تأويل أو مشقة فى التفسير واصبحت قرارات ملزمة وواجبـــة التنفيذ . وعلى ذلك اتاحت لنا دراسة هذه القرارات فرصـــة فريدة من اجل التعرف على اسلوب هذا الامبراطور فى الحكـم وقدمت لنا خلفية عن الاوضاع التى كانت سائدة فى مصـــــر واسلوب الولاة فى الحكم ومدى ما كان لهم من اختصاص ادارى ومالى وقضائى بين مدنى وجنائى . وفى بضع الاحكام التـــــى اشتملت عليها هذه الوثيقة تعرفنا على امهات المسائل الخاصـــة بالسياسة الدينية وفرض الاعباء دون الاعفاء منها حتى ولـــو كان الناس من الضعفاء والمرضى بشروط لا هوادة فيها وقـــد صدرت هذه الاحكام فى شتى المناسبات وعلى مراحل ايــــام ثلاثة من شهر برمودة خلال العام الثامن من حكم الامبراطور وكانت هذه الايام هى الثامن عشر ثم الواحد بعد العشرين والثانى بعــد العشرين بحسب التصويب الذى طلعت به علينا الآنسة فيجنـــر فى هامش فى مقال لها عنوانه (E.P. Wegener, Entolai of Mettius Rufus, Eos XL VIII Symbolae).

وقد قيل إن الامبراطور والزمرة المحيطة به والتـــي يتمثل في عقدها مجلس بلاطة الخاص الذى كانت تصدر عنـه هذه الاحكام بعد استعراض جميع الظروف والملابسات ـ كانـوا يعرفون اللغتين اللاتينية واليونانية تماما ، ويتكلمونها بطلاقة ، فلا عجب ان صدرت هذه الاحكام بهذه الصورة القشيبة : علـى أنه لا يمكن الجزم عما اذا كانت قد صدرت مترجمة عن اصـل لاتيني ام صيغت مباشرة باللغة اليونانية وهي اللغة السائـدة في مصر الرومانية منذ صدر عصر البطالمة وبقيت مرعية فـي الدواوين الحكومية في عصر الرومان ، الى ان جاء الامبراطـور دقلديانوس في اواخر القرن الثالث الميلادى فحاول تغيير هـذا الوضع المتناقض (Paradoxical) وفرض اللغـة اللاتينية وجعلها هي اللغة الرسمية . وبعد إصدار القـرارات كانت تأخذ طريقها الى النشر على الملأ في مكان عام فتعلن فـي رواق الجيمنازيوم وقد صحب الامبراطور في بطانته شخصيـة مرموقة تسمى جايوس فلفيوس بلوتيانوس (Gaius Fulvius Ploutianus) وهو صديق الامبراطور ورفيق صباه وزميلـه في مسقط رأسه وهي بلده لبدة (Leptis Magna) بليبيا وكان يشغل منصبا مهما هو رئيس الحرس البريتورى فـي روما ويعتبر هذا قمة في السلك الوظيفي (Cursus Honorum) وقد نوه عنه الامبراطور في احد الاجابات على سؤال عـن

موضوع شائك لم يشأ الافصاح عن كنهه (الاسطر ٥) ـ ٥١) ولعل هذا الامر كان متعلقا بشئون السياسة العليا او كان ينطـــوى على خيانة عظمى ، تورط فيها شخص ما يسمى كومون ، وكـــان المراد ان يجرى التحقيق فيها ، مع مراعاة السرية التامـــــة ، وكانت هذه التهمة كما أفصح عنهاالنص تنطوى علـى عمل به شيء من الجرأة والجسارة ولذلك رؤى أن يوكل الى الوالى تحقيق شق منها ، اما الشق الآخر فترك أمره الى رئيس الحرس البريتورى الآنف الذكر . وفى هذا التكليف المزدوج معنى خاص ، نظـــرا لخطورة التهم الموجهة ، ويمكن ان نستشف من هذا،المغزى والمرمى الذى قصد اليه الامبراطور من توزيع هذا الاختصاص بين الوالـــى ورئيس الحرس البريتورى ثم الرغبةالأكيدة فى أن يتم القصاص العاجل .

والرواق الملحق بالجيمناريوم كان اصلح مكان لاعلان تلك القرارات وانسب بقعة يتجمع فيها الناس بين حين وآخر نظـــرا لأنه كان في متناول الجميع ولذا كان اختياره موفقا وتم فيـــه اعلان تلك القرارات طبقا لما جاء في النص فى السطريـــــن الثانى والواحد بعد العشرين على النحو التالى :

(Protethentwn , and Proetethe)
اشتقاقا من الفعل اليونانى (Protithemi) بمعنـــى يعلن على الناس ، وذلك على اعتبار ان هذا الرواق كـــــان عبارة عن مبنى مسقوف ، يرتاده الفلاسفة والحكماء والشعـــراء

والرياضيون وكانت تعقد فى أبهائه الندوات وفيه ملتقى الجميع.
ومن أولى المسائل التى ينبغى ان يعرض لها الباحث وينبرى لمعالجتها بشىء من الافاضة ، تلك اللغة اليونانية المقتضبة التى صيغت بها هذه الاجابات وروعى فيها توخى الاختصار الشديد .
وقد سبق ان المحنا الى ما قبل فى هذا الصدد من احتمال أن تكون هذه الاجابات والقرارات قد وضعت اصلا باللغة اللاتينية ثم ترجمت بعد ذلك الى اليونانية واعلنت على الناس على هذا النحو . وهناك احتمال اخر غير مستبعد وهو انها صدرت اصلا باللغة اليونانية من الديوان الامبراطورى المختص بذلك . وينبغى علينا كذلك التعرف على هوية اولئك الاشخاص الذين وجهت اليهم تلك الاجابات وهل كانوا مجرد أفراد أو جماعات أم كانوا يمثلون هيئات من الموظفين المحليين ممن أرادوا الاستيثاق من شرعية التصرفات التى يعتزمون الاقدام عليها؟ ثم علينا كذلك التعرف على كله هذه الموضوعات المطروحة ، وهل كانت ذات طابع ادارى بحت أم انها تدخل فى نطاق القانون الجنائى والقانون المدنى . وقد يتساءل الانسان عما اذا كانت هناك تفرقة فى المعاملة بين الناس وهل كانت الحكومة تكيل للمصريين بكيل ولليونانيين ولليهود بكيل اخر وهل كان مجلس البلاط الامبراطورى يتم عقده برئاسة الامبراطور بصفة شكلية ثم تصدر القرارات باسم هذا المجلس ام ان الامبراطور كان

يتقمص فى شخصه القانون وتصدر عنه وحده القرارات . وبالطبع كان فى ذلك التصرف يَجُب سلطة الوالى الرومانى فى ولايته ، وهل كان العرف يقضى بأن يفتى الامبراطور فى جميع المسائل المطروحة على بساط البحث برأيه الخاص ، غير آبة بالحدود الفاصلة بين القانون الادارى والمالى والجنائى ولا بالاجراءات الادارية المعتادة . وقد تجول بالخاطر كل هذه المسائل ولكن الاجابة على أى منها برأى قاطع ، تنطوى على شىء من المخاطرة لأن السند فى ذلك يعتمد على الحدس والتخمين وعلى شواهد وأدلة تشوبها مفارقات . والرأى السائد بين المؤرخين والفقهاء فى القانون الرومانى ان الادارة المصرية فى العصر الرومانى طوال القرون الثلاثة الاولى كانت تتخذ من اللغة اليونانية لغة رسمية سائدة فى دواوين الحكومة . ولعلنا نلمح لأول وهلة فى هذا الوضع شيئا من التناقض والغرابة ولكن الرومان أجازوا ذلك عن طيب خاطر ، لأن اللغة الشائعة فى الشق الشرقى من العالم الرومانى الذى سادت فيه معالم الحضارة الهيللينية كانت اللغة اليونانية بلهجتها العامة المعروفة بلغة الكوينى (Koine) وهى اللغة التى ترجمت بها اسفار من التوراة وعرفت بالترجمة السبعينية (Septuagint) وكانت تصدر بها القرارات (edicta, diatagmata, decreta, prostagmata) ويجرى بها التخاطب بين الحاكم والمحكوم فى ارجاء الشرق وبين الرومان واليونانيين والأسويين المتأغرقين وهذه هى اللغة

التى كانت شعوب الشرق قاطبة تفهمها وتجيد الكلام بها وتتـذوق الشعر وعيون الادب وفنون المسرح التراجيدى والكوميدى بها [(١)]

أما عن الاشخاص الذين وجهوا هذه التساؤلات إلى الامبراطور فإن البعض منهم كان يحمل اسماء يونانية بينما البعض الآخـــر كان من المصريين الصيمين وهناك قلة تسمت باسماء رومانيـة ٠ وهؤلاء كانوا إما افرادا أو جماعات وفيهم الغرباء أو الاجانـــب الذين وفدوا الى مصر ٠ على ان الغالبية العظمى من هذه التساؤلات كانت موجهة من أفراد ، بينما القلة منها تقدم بها نفر مـــــن الناس وهذه هى الاسئلة المرقومة بالبند الثالث والسادس والعاشر ٠ والطابع المميز فيها انها كانت تخص موضوعات ادارية اكثـــر منها قانونية وذلك بحسب المحتويات التى اشتملت عليهـــــا وفى بعض الاحيان كانت هذه الاسئلة ترد لا بالذات وانمـــا بالواسطة فيستعمل فيها كلمة (dia) للدلالة علـــى ان شخصا ما كان ينوب عن امرأة كلفت ابنها بالتقدم بالســـؤال نيابة عنها ٠ وفى حالة اخرى تقدم ابن نيابة عن والده المســـن

(١) انظر المقال الرائع عن الادب والمجتمع فى البردى لمؤلفه روبرتـس (C. H. Roberts) وهو منشور فـــى عام ١٩٥٢ فى مجلة سويسرية تسمى

(Museum Helveticum Vol. 10, pp. 264-279.)

وفى بعض الحالات لم تتضح العلاقة بين السائل والجهة التى كان يتصدى للدفاع عنها او التحدث باسمها ٠

اما الموضوعات التى عالجتها تلك الاجابات فهى طريفة ومتنوعة ومختلفة تماما فى طبيعتها وصياغتها ثم إن البعض منها كان يتناول امورا شديدة التعقيد مما يدخل فى صميم القانون والالتزامات والبيوع والرهنيات ، بينما البعض الآخر يتميز بالطابع العام ، وجاءت الاحكام بشأنه مصاغة فى غاية البساطة. وهناك امور تمس القانون الخاص والقليل منها له علاقة بأحكام القانون الجنائى او القانون الادارى البحت ٠ وعلى اى حال فالدارسون للقانون الرومانى الفوا اعتبار مثل تلك الاوامر الواردة فى هذا النص البردى بمثابة اجابات على اسئلة لها مساس بالقانون الخاص وبذلك تكون هذه الاجابات قد صدرت عن هيئة قانونية ملحقة بديوان الامبراطور ثم انتحلها لنفسه ٠ وعلى العموم فالوثيقة البردية المرقومة ١٢٣ من بردى جامعة كولومبيا تمثل فى مجموعها سلسلة من الاوامر ذات الصبغة العامة والطابع الشمولى وتضم مسائل قانونية وادارية وجنائية وجاء بها تنويه عن عقوبات (Zemiae) فى السطرين ٦ ـ ٧ موقعة على افراد من بين السكندريين او المصريين دون ذكر للاسباب والظروف التى دعت الى ذلك ، ولعلها ظروف سياسية بحتة متعلقة بالانحياز الى جانب (نيجر) (Niger) خصم

سبتميوس سبفيروس ٠ وفي كثير من الاحيان كانت المسائل تبدو متداخلة ومتشعبة الى حد انه لم يكن من اليسير الفصل بينها ، فقد يقدم سؤال ما ولكن الاجابة عليه تكون ذات طابع اداري وجنائي في الوقت نفسه او تجمع بين القانون المدني والجنائي. ٠ وما نظن ان الامبراطور أو الهيئة القضائية في مجلس بلاطه كانت تأبه كثيرا بما اذا كان الموضوع المعروض ذا صبغة ادارية بحتة ام ان له صبغة مدنية وجنائية في الوقت نفسه. والمسألة التي كانت محور البحث ومثار الجدل هي : هل الموضوع المطروح على بساط البحث ، يستحق عرضه على الامبراطور والعناية بفحصه بعد اجراء البحث والتقصي عنه ام لا ٠

وتدل تلك الوثيقة على أن السلطة الادارية في مصر كان صبرها لا ينفد ابدا وانها لم تكن تضيق ذرعا بالاسئلة بل على العكس كانت ترحب بها فيما يبدو ثم تجيب عليها ولكن في اقتضاب شديد ٠ وهكذا كان كل سؤال وجواب من هذه الاسئلة التي بلغ عددها ثلاثة عشرة ، يمثل مشكلة جاء حلها على نحو ما ٠ وبذلك تفتحت امام اعيننا آفاق رحبة وواسعة تطلبت مزيدا من البحث والتحرى قبل اصدار القرار الاخير بشأنها ٠ على ان بعضا من الاشكالات كان من اليسير حله ، بينما البعض الآخر كان يعتريه التعقيد ولذا رؤى تركه مؤقتا دون حل ، والملاحظة العامة هي ان معظم هذه المسائل كانت تتطلب

دراسات مستفيضة وعمل تحريات على اوسع نطاق وتعكس اوضاعـا ضاق بها الناس ، فلجئوا الى الملاذ الاخير وهو ساحة الامبراطـور ولكن بعض الاجابات التى صدرت عنه كانت تنم عن الرفـض التام والصـد القاطـع •

وهكذا زودتنا هذه الوثيقة بلمحات عن المجتمع المصـرى والسكندرى والطبقات المتعددة الاجناس فى هذا الكيان ، وهـى تعرض مشاكلها وما التبس على افرادها من امور وما ألم بهـا من صعاب ، فلجأ الناس الى الامبراطور ، يطلبون احيانـا الصفح ويتلمسون السبل لرفع العقوبات الموقعة عليهـم أو الخلاص من الاعباء (Leiturgiai) ويتدرعون بشـتى المعاذير الشكلية كالامراض الطارئة او حالات الضعف والعجـز او الفقر والعوز • وهناك حالات اخرى تقدم بها افراد نيابـة عن نسوة اردن مباشرة تحصيل استحقاقاتهن والاضطلاع بمبامهـن وفى بند قصير جاء فى الاسطر ٤٠ ـ ٤٤ بدت رغبة خبيثة فـى التملص من الوفاء بالضرائب العينيـة المستحقة للدولة واستبدال ذلك بسدادقدر مساو من العملة النقدية فبدلا من القمـح (Pyrcs) أرادوا السداد نقدا (Argyrikon) وهذه عملية كان يكنى لها بكلمة استبدال (Adaeratio) ولكن الامبراطور فطن لمغزى هذه الحيلة فقد يترتب عليها فتح البـاب الى سوق سوداء ومتاجرة فى هذه السلع العينية اذا ما شحـت

وقد أجاب الامبراطور على هذا التساؤل بالرفض في حـــزم واصرار وبذلك صد اولئك العابثين والمستهترين بالقواعـــد المألوفة في جباية الضرائب والسياسة السيتولوجية (Sitologia) المرعبة في مصر الرومانية (١) .

وهناك بند مهم عن الكهانة وتحريم انتقالها عن طريـــق الام وفي هذا البند جانب وسترمان الصواب فقرأ الكلمة الثانية فيه على انها (Genomenas) ولكن هذه القـــراءة معيبة وقد صوبها (يوتى) على انها (Tas Heirosynas) وبذلك انقلب المعنى في هذا البند رأسا على عقب وكان هـــذا التصويب من جانب (يوتى) عملا بارعا وتصويبا سليما شكـــل فيه الحروف الباقية بطريقة دلت على سعة الاطلاع والمعرفـــة وقضى الامبراطور بأن الذين من طبقة ek metrwon genous وهم الذين ينتسبون لأمهاتهم لا يجوز لأحد منهم أن يشغل منصبا من مناصب الكهانة (٢) .

---

(١) اقرأ المقال المنشور في مجلة بولندية في وارسو تســمى Journal of Juristie Papyrology Vol. IV. العدد الرابع سنة ١٩٤٨ عن السياسة السنتولوجية لمؤلفـــه زكي علي .

(٢) انظر مقال (يوتى) المنشورفي Le Monde Grec تخليدا لكليربريو سنة ١٩٧٩ وموضوعه Apatores:Law versus Custom in Roman Egypt.

وقبل ان ننهى هذا البحث ، ينبغى ان ننوه بما نشـــــر حديثا حول هذا الموضوع عن بنود هذه الوثيقة وما اثير حولهـــــا من شكوك ومعميات فقيلت عنها بحوث فى مؤتمرات عالميـــــة ونشرت مقالات مستفيضة لعلماء اعلام من امثال نافتالى لويس

(1) R. Katzoff, The Intended use of P. Columbic, 123.

(2) D. Norr, Aporemata Apokrimaton. From Proceedings of the XVI th. International Congress of Papyoology pp. 559-604.

(3) Naphtali Lewis, The Imperial Apokrima, Revue Internationale des Droits de l'Antiquité, Tome XXV, 1978, pp. 261-278.

من وحى البردى
عقود الزواج فى العصرين البطلمى والرومانى من تاريخ مصر

ما أطرف هذا الموضوع الخاص بعقود الزواج ، سواء ما
كان منها مؤرخا فى العصر البطلمى أو العصر الرومانى فى مصر
وما كان يتفرع عنها من التزامات وحقوق لدى كل من الزوج
والزوجة على السواء وقبل الاخرين . وكانت الدولة من جانبها
ترعى هذه الحقوق وتصونها فلا ينبغى ان يغتات أحد الطرفين على
حقوق الآخر . ذلك ان التقليد المرعى منذ صدر عصر البطالمة
نص على عدد من الاشتراطات الواجبة على كل من الطرفين وقضى
بمراعاة سلوك معين هو الخلق السليم بعينه ، فلا ينبغى على كل
من الزوج والزوجة ان يحيد قيد شعرة عن ذلك وهكذا اصبح
السلوك الشخصى لكل منهما خاضعا للرقابة ونص صراحة على تبادل
حسن المعاملة والرفق واللين وعدم الخشونة فى المعاشرة . وكان
الشرط الاساسى فى كل عقود الزواج هو البائنة أو الصداق
(Pherne = Proiks) مقدرا بعدد من الدراخمات أو
التالنتات [١] أو بالملابس والمجوهرات وأدوات الزينة وقد يبلغ
ثمن هذا كله الفا من الدراخمات كما هو وارد فى اقدم عقد
زواج مؤرخ فى مصر مما عثر عليه فى جزيرة فيلة أو إلفانتين
ونشره عالم يهودى اسمه روبنسون (Rubensohn) اى إبن

(١) التالنتوم الواحد به حوالى ٦١٣٠٠ دراخمة او نحو ٢٤٠ جنيها
ويختلف بحسب نوعيته من فضة او نحاس وهو وزن كذلك .

روبين تحت رقم (١) فى هذه المجموعة التى تحمل الاسم الاتـــى :
(Papyri Elephantine) سنة ١٩٠٧ م · وقد يصل رقـــم
الباشنة الى بضعة دراخمات وعندئذ تسمى من قبيل التصغيـــــر
(Phernarion ·) وهذا بالنسبة لذوى الدخل المحدود ولرقيقى
الحال · أما بالنسبة لاسترداد تلك الباشنة فى حالة ثبوت الادلـــة
على وجود خلاف بين الطرفين لم يستطع الوسطاء كحكم بين الطرفين
فى تسويته او بسبب تورط من قبل احدهما فى سلوك مشين ادى الى
الطلاق وفصم عرى تلك العلاقة الزوجية (Dialysis, repudium
(divortium فإن قاعدة التنفيذ صريحة وواجبة الأداء الفورى
كعقوبة (He praxis esto...katheper ek dikes)
فترد الباشنة إما بحالتها haplen أو مرة ونصف hemiolion أو
مضاعفة · وهناك الضمان الكافى من اجل هذا السداد فيكـــــون
التنفيذ على ما لدى الزوج من املاك ومنقولات سواء فى البـــر أو
البحر وإن تعـذر ذلك يكون التنفيذ على شخصه وبدنــــــــه
(dia autou OR ek autou) أى بحبسه حتى يوفى مـــا
عليه ويصبح حق التنفيذ هذا ملزما فى اى مكان وزمان تســـرى
الزوجة أو من يساندونها او يتصدون لنصرتها ، ابراز عقـــــد
الزواج هذا أو تلك المشاركة الزوجية التى انفصمت عراهـا ·

لعة أقدم عقد زواج فى مجموعة بردى إلفانتين رقم واحد :

ان تاريخ هذا العقد يرجع الى عام (٣١١ ـ ٣١٠ ق·م · وبذلك
يكون اقدم عقد زواج يونانى من حيث نوعه وتاريخه ولغته الرصينة

التى دبج بها وأهمينه ترجع الى انه يتصدر جميع وثائق البردى المؤرخة من النوع الوثائقى ، مما وصل الى علمنا . وقد كان روبنسون هذا صاحب الفضل فى النشر الاول (Editio Princeps) لهذه الوثيقة ولفت انظار القراء الى ذلك الطابع اليونانى الصميم المتوخى فى صياغة هذه الوثيقة ثم الى جنسية المتعاقدين وهما من اليونانيين الاصيلين او الخلّص فكلاهما حر المولد ومن ذوى الحسب والنسب ثم اشار الى أن المصطلحات المستعملة ذات اصالة وتتجلى من ثناياها روح ابوية اظهرها والد العروس فى ضمان المسكن المناسب لابنته وفى معاونته فى توفير ذلك . وقد حرص هذا العقد على التوكيد بأن ديمتريا وهى العروس ، حرة المولد (Eleuthera) ، شأنها فى ذلك شأن بعلها المسمى هيراقليديس . ومما هو جدير بالذكر انه ورد بهذه الوثيقة شىء كثير عن تلك الضمانات والاشتراطات التى ينبغى الحرص عليها فى سبيل تنظيم الحياة الزوجية الاسرية بين الطرفين المتعاقدين.وجاء هذا واضحا جليا فى السطرين السادس والثامن وما يليهما،وكل هذا ينم عن الرغبة الاكيدة فى توفير العيش الهنىء والهادىء.وفى ثنايا هذا كله جاءت عبارات دالة على الحنان والعطف المتبادل ونجد صدى خافتا لهذه الروح فى الوثائق المنشورة فى مجموعة بردى اكسير نخوس عن الزواج والعلاقات الزوجية ثم يتوارى هذا الشعور كلية فى تلك العقود الزوجية المبرمة فى العصر الرومانى ولكنها تعود فى

الظهور تحت تأثير المسيحية [١] . وقد جاء من ذلك عبارات تنم عن العطف والحنان والمحبة التي ينبغي ان يكنها كل طرف نحـو الآخر ، وهناك عبارات اخرى توجب طاعة المرأة لزوجها ولـزوم بيتها وعدم الخروج منه الا بإذن منه وحتمت تنفيذ اوامره حسب ما يقضي به القانون . والفقرة الاولى من هذا العقد تضمنت تاريخه فذكرت أنه صدر في عهد كان فيه الاسكندر الرابع الرضيـع (وابن الاسكندر الاكبر من زوجته الفارسية روكسانا) ملكـا على مصر وكان فيه بطلميوس (بن لاجوس) واليا على البـلاد بوصفه ساتربا (Satrapeuontos) أو (Satrapes) أى مرزبانا ثم اصبح فيما بعد يلقب ببطلميوس سوتير(Soter) اى المخلص والمنجي والمنقذ واعلن نفسه ملكا على البلاد بعد عـام ٣٠٥ ـ ٣٠٤ ق م . واستقل بمصر واسس دولة البطالمة التى عمـرت نحو ثلاثة قرون حتى عام ٣٠ ق.م فخضعت مصر لروما ودالت دولـة البطالمة . وفي الظروف والاحوال العادية كان عقد الزواج ، شأنـه شأن غيره من العقود ، يودع لدى احد الشهود ، وبذلك يطلق علـى هذا الشاهد ، حارس العقد والامين عليه (Syggraphophylax)

---

(١) نوه العالم الالماني الريـخ فيلكن بهذا المعنى في مقال لـه نشر بالعدد الاول من مجلة البحوث البردية التى تصـدر في برلين Archiv fur Papyrusforschung Vol.I, P. 490; Harold J.Bell, A Repudium From Hermopolis, dated 586 A.D., Eos XL VIII, 1, (1956) PP. 175-179.
وهو عقد طلاق من العصر البيزنطي .

ولكن في الحالة التي نحن بصددها كانت صورة رسمية منه تحفظ لدى كل طرف من الطرفين وجاء هذا المعنى صريحا في السطر الخامس عشر على النحو الاتي : ـ (وليكن لهيراقليديس ولديمتريا الحق في الإحتفاظ بالعقد فيكون في حوزة كل منهما بنفسه) ومن سياق هذه الجملة اتضح ان العقد لم يودع لدى اى حارس من بين الشهود كما جرت العادة : وقد انبرى قس بريطاني اسمه جورج ميلجار . (George Milligan) في عام ١٩١٠ الى نشر هذا العقد مصوبا في كتابه المعنون (مختارات من البردى اليوناني Selections From The Greek Papyri وصدّر به كتابه هذا حاملا رقم (١) مثلما نشره من قبل روبنسون في بردى إلفانتين سنة ١٩٠٧ تحت رقم (١) كذلك .وفي عام ١٩٣٢ اعاد العالمان البريطانيان هنت وادجار (Hunt & Edgar) نشر هذا العقد وصدّرا به كتابهما المعنون البردى المختار (Select Papyri) جزء اول في مجموعة (Loeb) وفي عام ١٩٤٦ قام عالمان هولنديان هما م . داوود وفان جرونجن (M.David & Van Groningen) باعادة نشر هذا العقد والتعليق عليه في كتابهما المعنون : (Papyrological Primer) الصادر في ليدن بهولنده وهو النص المرقوم (٢٥) في هذا المؤلف وهكذا تواتر النشر والتعليق على هذا العقد . وقضى هذا العقد بأن يعقد هيراقليديس الزواج من يونانية حرة اسمها ديمتريا

واستخدم الفعل اليونانى (Lambanei) فى هذا الصدد اى انـه اخذها وتسلمها كزوجه شرعية له من ابيها المسمى ليبتينيـــس (Leptines) ومن امها المسماه فيلوتيس (Philotis)

ولعل الاصرار على هذا الإجراء من حيث التسليم والتسلم كـــان المقصود به ان يحمل معنى كريما فهو قد تسلمها من ذويها واقــرب الناس اليها كأمانة وينبغي عليه ان يصون الامانة ويحافظ عليهـــا وقد أقر الزوج بأنه حصل على بائنة قيمتها الف دراخمة فضيـــة وهي عبارة عن ملابس(Himatismos) وأدوات زينــــة (Kosmos) مما حملته في جعبتها الى زوجها • أما اذا حدث اى خلاف او عدم توافق وشقاق مما يهدد استمرار الحياة الزوجية ، فإنه ينبغي على الطرفين ان يركنا الى حكم مؤلف من ثلاثـــة من الرجال العدول الذين لابد ان يرضى عن اختيارهم كل طـــرف من الطرفين • ويلتزم كل جانب بما يستقر عليه رأى هذا الحَكَم الذى كان من سلطته ان يوقع العقوبة على الجانب المسيء وبذلك يصبح هذا الحكم ملزما للطرفين طالما انهما ارتضياه ليكون فيصلا واذا ثبت أن الزوجة هي المدينة فإنها تحرم من بائنتها وإذا تبين ان الزوج هو المعتدى ، فإنه ينبغي عليه ان يرد البائنة مـــع توقيع غرامة عليه بدفع الف دراخمة اخرى على سبيل العقوبـــة ويعتبر حكم محكمة التحكيم هذه نافذ المفعول ومشمولا بالنفـــاذ الفورى كما لو كان قرارا صادرا من محكمة • وينفذ هذا الاجـراء

حينما يتواجد الطرفان. وحسبما يتراءى لأحدهما ان يبرزه ضـــد الآخــــر .

وإنا لنؤثر هنا تزويد القارىء بترجمة كاملة لهذا العقـــد حتى نتبين ما جاء به من اسلوب طريف ونتعرف على مـــدى حرص الاقدمين على صيانة الحياة الزوجية بوضع جميع الضمانات وإتخاذ كل الاحتياطات وبذلك لبسوا لكل حالة لبوسها . (فى السنة السابعة إبان حكم الإسكندر بن الإسكندر ملكا وهى الموافقة للسنة الرابعة عشرة من ولاية بطلميوس ؛ ساتربا وفى شهر ديوس [(١)] . ابرم عقد الزواج بين هيراقليدس وديمتريا ، وبمقتضاه يتخـــذ هيراقليديس من ديمتريا من اهل (جزيرة) قوص (Kws) زوجة شرعية له ووالدها هو ليبتينيس(Leptines) من اهل قـــوص وامها فيلوتيس (Philotis) . والزوج والزوجة كلاهما حـــر المولد . والعروس جلبت معها ملابسها وادوات زينتها بما قيمتـــه الف من الدراخمات . ويتعين على هيراقليديس ان يـــبـــرود ديمتريا بكل ما يليق بها من اللوازم الخليقة بامرأة حـــرة (او كريمة) وسوف يعيشان سويا فى المكان او المسكن المختـار والمفضل ، طالما كان هذا يحظى بالقبول لدى ليبتنيس وهيراقليديس وذلك بعد ان يتم التشاور والتفاهم المشترك بينهما . واذا ضبطت ديمتريا وهى تأتى امرا اذا (اى منكرا) وترتكب إثما يلحـــق

---

(١) هذا اسم شهر مقدونى يقابل فى التقويم المصرى شهـــر توت = ٢٩ اغسطس .

العار ببعلها (أى رجلها) وهو هراقليديس ، فينبغى ان تحرم وتجرد من جميع ما كانت قد جلبته معها . على انه يتعين على هراقليديس ان يقيم الحجة والدليل المثبت لذلك الاتهام ضد ديمتريا ، وذلك فى حضور ثلاثة من الرجال ممن يرتضيهم ويوافق عليهم الطرفان (اى الزوج والزوجة) . ولا يجوز لهراقليديس أن يجلب امرأة اخرى ، يسكنها فى منزله ، فيخدش بذلك شرف ديمتريا ، كما لا يحق له ان ينجب اطفالا من امرأة اخرى غير زوجته أو ان يلحق بديمتريا اى ضرر من الاضرار ، مهما كانت الأسباب فى ذلك . واذا ما تبين ان هيراقليديس قد ارتكب اى عمل من هذه الاعمال (المشينة) واستطاعت ديمتريا ان تثبت ذلك عليه وتدينه امام ثلاثة شهود من الرجال ، ممن يرتضيهم الطرفان كذلك ، فان هيراقليديس يكون ملزما بأن يرد لديمتريا باثنتها البالغة الفا من الدراخمات وهى التى كانت قد احضرتها معها . وفضلا عن ذلك ينبغى عليه ان يدفع على سبيل التعويض والغرامة مبلغا اخر قدره الف دراخمة من العملة الفضية التى تحمل صورة الاسكندر (أو المسكوكة فى الاسكندرية) .

وليكن حق التنفيذ فى يد ديمتريا وحماتها ممن يعاونونها ، كما لو كان حق التنفيذ هذا امرا صادرا من اجراء تم آخر الامر بالطريق القانونى ، فيجرى تنفيذه على بدنه وشخص هيراقليديس وعلى جميع املاكه فى كل من البر والبحر (أى ثابتا كان أو منقولا) . وليكن هذا العقد بعينه نافذ المفعول وله حجيته فى

جميع الظروف والاحوال ، حيثما يتراءى لهيراقليديس ابـــراز هذا العقد ضد ديمتريا او حسبما ترى ديمتريا بدورها ومعها مــن يعاونونها في سبيل تحصيل حقوقها واستحقاقاتها ، ان تبرزه ضــد هيراقليديس كما لو كان هذا الإتفاق مبرما فى ذلك المكان الذى تواجدا فيه . وليكن من حق كل طرف من الطرفين : هيراقليديس وديمتريا ، الاحتفاظ بصورة من هذا العقد فى حوزته سواء بسواء ، وليكن من حق كل منهما كذلك ابرازه واستخدامه ضد الآخــر . وها هم الشهود وعددهم ستة : كليون الجيلى (أى من اهل مدينــة جيلا فى صقلية) وانتيكراتيس التيمنى (أى من اهل تيمنوس الواقعة على سفح جبل فى قلب اسيا الصغرى فى الجنوب الغربى من أنقرة) وليسيس التمنى وديونيسيوس التمنى وارسطو ماخوس من برقــة واريسطو ديكوس من جزيرة قوص) .

والملاحظ ان عقد الزواج هذا كتب بلغة يونانية رصينــة وهى أشبه ما تكون بلغة القرن الرابع قبل الميلاد ، وهى تنتمــى إليه اصالة وهى تخالف لغة البردى الذى ينتمى الى القرون التاليــة من الثالث والثانى والاول قبل الميلاد وهذه كلها كتبت بلغة عرفت باسم الكوينى(Koine) اى اللغة الشائعة والمشتركة وهــى ليست بحال من الاحوال لغة عامية كما تبادر الى ذهن البعــض فلغة الكوينى هى اللغة اليونانية التى ترجمت اليها اسفار مــن التوراه فى صدر العصر البطلمى (على عهد بطلميوس فيلادلفوس)

وعرفت باسم السبتواجنت (Saptuagint) وقد شاعت هذه اللغة وتداولت بين الناس وكتبت بها اوراق البردى وهي لغة سليمة جاءت بها خطابات ادبية وعبارات صيغت بلغة رصينة واسلوب رفيع .

وقد يروق للانسان ويشوقه دائما ان يعرض لموضوع الزواج في مصر على عهد اليونان بشيء كثير من التفصيل والاسهاب ،نظرا لما لهذا الموضوع من صلة وثيقة بأخص الامور الانسانية واهمها على الاطلاق ، الا وهي علاقة الرجل بالمرأة بإتمام زيجة . (Gamos) قد تكون موثقة او غير موثقة (Eggraphos + Agraphos) أو عمل تزاوج (Epigamia) أو معاشرة زوجية وهي اشبه ما تكون بالزواج العرفي الآن . والزواج بين المواطن الحر (Astos) والحرة (Aste) وبين الغريب (Xenos) والاعجمي أو بين مواطن حر واخرى غير حرة ـ كان من شأنه ان ينشأ عنه مجتمع مختلط من اجناس وعشائر ، تتفشى فيه الفوارق وهذا يؤدى في كثير من الاحيان الى علاقات متوترة وخلافات متأزمة قد تصل الى ساحات المحاكم والقضاء او التحكيم وينتهي الامر بالطلاق وانفصام عرى هذه العلاقة الزوجية غير المتكافئة . وقد يكون السبب في كل ذلك سوء سلوك احد الطرفين او عدم القدرة على الوفاء بما على احد الطرفين من التزامات وضمانات واجبة الاداء أو تردى الزوج او الزوجة في علاقات جنسية غير مشروعة ترتب

عليها انجاب اطفال غير شرعيين (Teknopoiein) وعندئذ يحق فصم هذه العلاقة الزوجية وفضها اما بالحسنى او بمقتضى الشروط المنصوص عليها في المحظورات واللاءات التي نص عليها العقد وحرمها على كل طرف(١)

وفي الادب اليوناني السائد اذ ذاك في بلاد اليونان ما يؤيد ما جاء في الوثيقة البردية التي نحن بصددها وهي المرقومة (١) في مجموعة بردى إلفانتين ، فها هو الشاعر الكوميدى الآثيني مينا ندر (Menandros) (٣٤٢ ـ ٢٤١ حتى ٢٩١ أو ٢٩٠ ق.م. وهو احد اقطاب الكوميدية الحديثة في بلاد اليونان وقد ذاع صيته في مصر وغيرها من بلاد الشرق ، ففي بعض رواياته ومسرحياته وبخاصة المسرحية المساة (ديسكولوس) (Dyscolos) اى الشخص الفظ الغليظ القلب ، عرض لموضوع الزواج وما كان يترتب عليه احيانا من تعقيدات ومشاكل ، صورها لنا على المسرح الآثيني بطريقته الساخرة وتناول ما كان يجرى بين الابطال والبطلات من حوار وجدل وذكر من الشرائط والقيود في هذه العلاقة الزوجية ما هو مطابق لما جاء في بردية إلفانتين رقم (١) ونوه عن البائنة باعتبارها الشرط الاساسي الواجب الاداء ، وما اتخذ من ضمانات كيما يُوفى بها اذا لزم الامر . وفي حالة العجز عن الاداء ، كان يحق القصاص والعقاب تلقائيا وبلا اجراءات . ثم انه اعتبر الاخلال بقواعد الشرف من قبل احد الطرفين شيئا

(١) Repudium (Bilateral) Or divortium = divorce (Unilateral) Or dialysis.

جوهريا في فصم عرى العلاقة الزوجية . ولهذا الشاعر الآثيني مسرحيات اخرى ، فُقد وضاع الكثير منها وتبلغ في مجموعها نحو مائة مسرحية ، ولكننا نعلم اسماءها والمغزى في بعضها بفضل تلك النتف والاجزاء الباقية منها وهى تمثل فى بعض الاحيان الثلث أو الثلثين او نحو ذلك . والذى يعنينا فى هذا المقام هو مسرحية (ديسكولوس) بالذات وهى التى تم الكشف حديثا عن قصاصات بردية منها ، محفوظة بالمتحف المصرى ولا يزال يجرى تصويب القراءات فى بعض اجزائها بواسطة نفر من العلماء البريطانيين امثال ايريك تيرنر (Eric Turner) والبلجيكين امثال جان بينجن . (Jean Bingen) والهولنديين أمثال بيستمان (Pestman) وقد ترجمت في السنوات الاخيرة نصوص من هذه المسرحية بواسطة الزميل الاستاذ الدكتور عبد الله المسلمى.واذا ما تصفحنا هذه الترجمة وقابلناها على الاصل تبين لنا مدى التقارب في وجهات النظر وفي توارد الخواطر بين ما كان يجرى فى اثينا وما كان يتم فى مصر في وقت مقارب للتاريخ الذى تم فيه عقد الزواج المنشور في بردى الفانتين رقم (١) . وهناك العديد من مسرحيات ميناندر الاخرى مس بعضها موضوع الزواج وما كان ينشأ عنه من خلافات بين الزوجين ، وها نحن نذكر اسماء بعض هذه الروايات (١) الحبيب البغيض (Misoumenos) (٢) ساميا (Samia) (٣) المرأة المحترقة(Empimpramene) (٤) المرأة الحليقة لشعورها مقاصيصها (Perikeiromene) (٥) المرأة التى تهوى اللعب على

القيثارة (Katharistes) . وهكذا صيغت اسماء مسرحيات
اخرى مما صنفه هذا الشاعر وكان متداولا قراءته وتمثيله في مصر
في العصر الهيللنستي لأنه كان يروق للناس ويصادف هوى في
نفوسهم . والطريف في هذه المسرحيات ان الكثير منها جاءت به
اشارات متناثرة الى عقود زواج او عروض بالزواج لم تصادف هوى
لدى والد العروس او انكار لبنوة طفل مولود من جانب الزوج لأنه
شك في عفة زوجته الخ ذلك . وأهم من هذا كله ان شروط الزواج
في مسرحية (ديسكولوس) جاءت مطابقة ومتماثلة مع ما تعرفه
عن عقد الزواج بين هيراقليديس وديمتريا وليس هذا من قبيل
الصدفة وانما كان هذا هو العرف السائد في عصر متقارب بين
ما كان يجري في مصر وفي اثينا ، فالفارق الزمني بسيط ويتراوح
بين خمس او ست سنوات اى بين ٣٠٦ ـ ٣٠٥ ق.م.تاريخ مسرحية
ديسكولوس و ٣١١ ـ ٣١٠ ق.م . تاريخ عقد زواج هيراقليديس من
ديمتريا.وعلى ذلك كانت خلفية الصورة في الحالين متماثلة
والشروط التي وردت في عقد زواج هيراقليديس من ديمتريا كانت
تمثل ما جرى عليه العرف بين اليونانيين المقيمين في مصر وفي
اقصى الصعيد (اى في اسوان) واخوانهم من سكان أثينا
والعالم اليوناني قاطبة . وعلى ذلك يكون عقد الزواج المبرم في
جزيرة فيلة من تخوم اسوان مرددا للأصداء الجارية في بلاد اليونان
وفيه ما يعكس عرفا متداولا في العالم اليوناني . ثم ان القوم
الذين تعاقدوا على ابرام هذه الزيجة كانت فيهم عراقة وهم في

الواقع من اليونان الخلّص واسماؤهم تنم عن ذلك فهراقلبديس ينتمي الى الاله هرقل وديمتريا تنتمي الى الالهة ديميتر الرابضة في الوسيس وفيلوتيس [1] الام معناها الصدوقة او حمامة السلام.
وهم عندما عقدوا العزم على ابرام هذه الزيجة كانوا بالفعل يرددون اصداءا سمعوها في اثينا او شاهدوها على المسرح الآثيني وتأمل المشاهدون في معاني كلماتها وفي الاشكالات التي كانت تثار عندما يأتي رجل بخيل وفظ ومنطوى على نفسه فيصد من جاء لخطبة ابنته ويرفض زواجها من شخص محب لها ومتيم بها وكان اسمه سوستراتوس (Sostratos) ويفضل عليه شخصا اخر هو ابن لزوجته من رجل اخر كانت قد تزوجته من قبل زواجها من هذا البخيل وانجبت من زوجها السابق ذلك الخطيب . وهناك حالة اخرى عرضها الشاعر ميناندر في احدى مسرحياته وذلك عندما تكشف للزوج خيانة زوجته وان الابن الذى ولدته ليس من صلبه ولا يشبهه وعلى ذلك قرر ان ينكر بنوة هذا المولود وبالتالي رفض الاعتراف به وعندئذ تأزمت العلاقة بين الزوج والزوجة واعتبر هذا التصرف من قِبَل الزوج بمثابة اهانة بالغة بالنسبة لزوجته . وازاء ما لحق بها من عار ، لم يسعها الا ان ترحل من بيت الزوجية وتغادره على الفور ولكنها اصرت على ان تطالب برد بائنتها ، التي اعتبرت في هذه الحالة من حق الزوج بحكم العرف والقانون ولا محل لطلبها هذا فالاوضاع المسلم بها لا تنطبق

---

(1) Philotis - Philistikos = Reconciling =
أى حمامة السلام .

عليها ، طالما انها خانت العهد وارتكبت امرا منكرا وهى فى حكم المرأة الناشز التى يسقط حقها فى البائنة وكذلك فى النفقة فلا يحق لها أن تطالب بأى نفقة فى الشريعة الإسلامية .

وهناك عقود زواج اخرى لم تقدم فيها الزوجة اى بائنة على الاطلاق ، مع ان البائنة كانت تعتبرها المرأة بمثابة الضمان (Eggyesis) أو بالأحرى هى صك الامان (Pistis) على حد قول العالمة البلجيكية الراحلة كليربريو (Claire Preaux) فى مقال مشهور لها عن ميناندر وعقود الزواج ، نشر فى مجلة بلجيكية سنة ١٩٦٠(Chronique d' Egypte No. 35, pp.223 (وفيه عددت المؤلفة كل اوجه الشبه ومجال المفارقات بين ما جاء فى ميناندر وما ورد فى عقد الزواج فذكرت ان كلمة (Lambanw) بمعنى يأخذ او يتخذ ، هى الكلمة الاصطلاحية التى استعملها ميناندر مثلما استعملت كذلك فى عقد هيراقليديس على ديمتريا عندما قيل إنه تسلمها من ايدى والديها وهما الاب ليپتينيس والام فيلوتيس . وقد عقبت (كليربريو) على ذلك بذكر تفاصيل كثيرة عن البائنة وأشارت الى الضمانات والحقوق المشروعة لكل طرف من الطرفين ازاء الآخر . ولسنا ندرى كيف يكون الحال عند عدم وجود بائنة ثم ينشب خلاف فى العلاقة الزوجية ، وهل يكون التنفيذ فى هذه الحالة مقصورا على بدن الزوج والقصاص منه بالحبس ؟ ذلك موكول

لظروف الحال . تلك بعض الاوضاع وغيرها كثير مما كان يرد في العقود ويتردد صداه في مسرحيات (ميناندر) التي كانت تعرض في اثينا وتلقى الاعجاب الشديد من المشاهدين من عامة الآثينيين والاحرار في العالم اليوناني . وقد نالت اقبالا شديدا كذلك في مصر عندما مثلت على المسارح في الاسكندرية وفي بلدان الفيوم وفي اكسيرنخوس وفي المناطق الاخرى التي كان يتركز فيها اليونانيون في العصرين البطلمي والروماني . وتدل القصاصات البردية المختلفة التي تم الكشف عنها مؤخرا من مسرحية (ديسكولوس) وهي محفوظة الآن بالمتحف المصرى وقد اشار اليها ايريك تيرنر ، على مدى انتشار وذيوع هذه المسرحية. وهناك غيرها وهي المرأة المحترقة لميناندر . (Empimpramene) (Menandrou تم العثور على اسمها في مدينة اكسيرنخوس في جوف الصعيد وقد عولج هذا الموضوع باسهاب في مقال لمؤلفه زكي على منشور سنة ١٩٥٧ [1] . ويكفي هذا دليلا على مدى اقبال الناس وتعشقهم لمشاهدة هذه المسرحيات في شتى

---

(1) Title of A Lost play of Menander from Oxcjrynchos by Zaki Aly, Etudes de Papyrologie No.VIII, pp.163-167.

وقد جاءت اشارة الى ذلك في مؤلف للعالم البريطاني السير اريك تيرنر في كتاب صدر له حديثا عن المخطوطات اليونانية . (Greek Manuscripts) (197); (Papyrologist at Work), p. 48, عن الحبيب المهجور ـ مقال لايريك تيرنر Misoumenos.

أرجاء مصر في القرن الثالث قبل الميلاد وما بعده طوال العصرين البطلمي والروماني . وان الملابسات التى كانت تــرد في هذه المسرحيات عن الزواج وما كان يشوبه من مفارقات لمها كان يروق للناظرين ويمس شغاف قلوبهم فى التأسى للحبيب المهجور الذى يناجي الليل وحبيبته راقدة في مخدعها وهى تصده (١) . ومما لاريب فيه ان الشروط التي كانت ترد فى هذه الابيات الشعرية لميناندر ما هي الا صدى وترديد صحيح لما كان يجرى في الحياة العامة وما كان مطبقا في عقود الزواج من شروط والتزامات ، لا مندوحة عنها حتى تطمئن قلوب الطرفين المتعاقدين .

ومن قبيل المقارنة نسوق، هنا ترجمة لعقد زواج طريف آخر وقد نشر لأول مرة في مجموعة بردى تيبتونس (Papyri Tebtunis) تحت رقم ١٠٤ وتاريخه يرجع الى صدر القرن الاول قبل الميلاد اى في عام ٩٢ ق.م . وقد اعيد نشره فى البردى المختار (Select Papyri) رقم (٢) ونصه كما يلى (انه في السنة ٢٢ وفي الحادى عشر من شهر امشير تقدم فيلسكوس (Philiscus) بن ابو للونيوس وهو من طبقة

(١) ايريك تيرنر (Papyrologist at Work)
عن الحبيب المهجور لميناندر (Misoumenos)

السلالة الفارسية من الجيل الثاني باعلان انه يقر ويعترف لأبوللونيا (Apollonia) المسماة كذلك كيلاوثيس (Kellauthis) وهي ابنة هيراقليديس الفارسي ومعها اخوها وراعي مصالحها أبو للونيوس انه تسلم منها نقدا في صورة عملة نحاسية قدرها تالنتان وكذلك مبلغ اربعة الاف من الدراخمات (وهذه كانت تساوي ٣٥ دراخمة فضية) وذلك على سبيل الصداق أو البائنة المتفق عليها ، على ان تحفظ صورة هذا العقد لدى ديونيسيوس.وجاء في صلب العقد ان ابو للونيا قبلت ان تعيش في كنف زوجها فيلسكوس وأن تطيعه مثلما تطيع الزوجة زوجها وان تكون املاكها مشتركة وشائعة بينهما ويكون على فيلسكوس ان يزود زوجته (ابو للونيا) بجميع ما يلزمها من ضروريات وملابس وكل متطلبات المرأة العروس ، سواء أكان مقيما في بلده او متغيبا في الخارج وذلك في حدود المستطاع . ولا يحق لفيلسكوس ان يتخذ لنفسه زوجة اخرى غير أبو للونيا ، كما لا يحق له ان يستحوذ على خليلة أو حبيب أو ينجب اطفالا من امرأة أخرى ، طوال الفترة التي تكون فيها أبو للونيا على قيد الحياة ، ولا يحق له ان يقيم في مسكن آخر ، لاتكون فيه أبو للونيا سيدة وصاحبة الأمر والنهي ولا يحق له طردها أو توجيه اهانة لها أو إساءة معاملتها أو التصرف في شيء من أملاكها مما قد يلحق الضرر بصالح أبو للونيا واذا ثبت أنه ارتكب شيئا من مثل هذه الحماقات أو عجز عن أن يزودها بالضروريات أو بالملابس

أو بأى شيء مما سبق ذكره ، فإن فيلسكوس يصبح بعد ذلـــــك ملزما بأن يغرم ويرد لأبوللونيا باثنتها او مهر صداقها البالـــغ تالتين وأربعة الآف من الدراخمات البرونزية . وبالمثل لا يجوز لأبو للونيا ان تقضى الليل أو النهار خارج منزل الزوجيـــة دون إذن من فيلسكوس بالموافقة على ذلك . ولا يجوز لها ان تتخـــــد عشيقا من شخص آخر أو تسيء الى كرامة البيت المشتـــــرك أو تسبب لزوجها اى شيء يشينه بارتكاب اى عمل يكون فيه مـــا يسيء اليه باعتباره زوجها . واذا تراءى لأبو للونيا من تلقـــاء نفسها ان تنفصل عن فيلسكوس وتفض تلك العلاقة الزوجيـــــة (أى ان العصمة تكون بيدها) ، فإن فيلسكوس يكون ملزمـــا برد الباثنة لها كما هى (اى بدون زيادة عليها) = (Haplen) خلال عشرة أيام من تاريخ طلبها . واذا لم يقم برد الباثنة فـــى الموعد المحدد ، فإنه يغرم بدفع الباثنة مرة ونصف اى ١٥٠٪ = (Hemiolion) والشهود ستة كلهم من المقدونيين من طبقـــــة السلالة . وقد ذكرت اسماؤهم مصحوبة بأسماء آبائهـــــــم (Patronymics) من قبيل التعريف بهم . وقد اودع هــــذا العقد لدى ديونيسيوس بوصفه حارس العقد ثم تلى ذلك اقرار مـن فيلسكوس انه استلم المبلغ وانه قام بايداع العقد القانونـــــى والنافذ المفعول لدى ديونسيوس .

وهكذا يحكي لنا هذا العقد الطريف تفصيلات مسهبة ويفصل لنا نوعا آخر من الاشتراطات فى سداد البائنة ، شهدنا مثلها فى عقد دين لسيدة من برقة تسمى نيا (Nea)[1] اقرضت ضابطا فى الحرس الملكي البطلمى مائة دراخمة كتين واشترطت رد هذا الدين كما هو من غير ربح عند طلبه خلال عشرة ايام واذا لم يتحقق ذلك يرد مضاعفا • وهذا العقد الذى تم بين فيلكوس وأبوللونيا اشترط فيه ان تكون العصمة بيد الزوجة وان من حقها ان تطلب الطلاق وقتما تشاء ومن حقها كذلك ان تسترد بائنتها ، كاملة غير منقوصة ، واذا لم يستجب زوجها الى ذلك المطلب ويوفيه خلال عشرة ايام وهو يمثل المبلغ المحددة ، حقت عليه الغرامة بدفع البائنة مرة ونصف ، وهذا امعان فى التنفيذ الحال المباشر • أما الشهود الستة وايداع العقدوتسجيله لدى طرف ثالث ، فهذه كلها أمور وضعت كضمانات كيما تكفل تنفيذ العقد وتضمن شرعيته وحجيته •

تشابه الأوضاع الزوجية فى مصر الرومانية :

إن أغلب الاشتراطات العرفية فى مصر البطلمية كانت مطبقة بحذافيرها فى مصر الرومانية وروعى فى ذلك منتهى الدقة

---

(1) T. Skeat Papyri London, Vol. VII, No. 1980, Dated 31 St. August., 252 B. C.

حتى لا ينجم عن زيجة زائفة من الزيجات اى حقوق سياسية مترتبة على عقد من هذه العقود • وفضلا عن ذلك كانت عقود الزواج ، بل وعقود الطلاق كذلك تسجل في ديوان عام بالاسكندرية يرأسه شخص يسمى بروتارخوس (Protarchus) وهو في الوقت نفسه رئيس محكمة سكندرية تسمى كريتريون (Kriterion) في صدر العصر الروماني وفيها كانت تبرم جميع الاتفاقات وتعقد المصالحات ثم تجرى انواع مختلفة من التسويات (Sygchoreseis) ولدينا من هذه وتلك عينات وأمثلة رائعة ، تم اعادة نشرها بشكل قشيب في موسوعة البردى اليهودى ، الجزء الثانى الصادر سنة ١٩٦٠ (Corpus Papyrorum Judaecarum) تحت ارقام ١٤٢ ، ١٤٣ الخ وهكذا كان هذا الموظف يشغل في اغلب الظن منصب الموثق العام الذى ينبغى ان توجه اليه تلك الوثائق ذات الصبغة القانونية والصفة الرسمية ، كيما تصبح في الوقت المناسب نافذة المفعول وملزمة للطرفين المتعاقدين ، أما ما عداها فغير ملزم (Akyros) والحال بالمثل في شأن الوصايا التى تخص اليهود والتى كان ينبغى ايداعها لدى ديوان خاص باليهود يسمى ارخايون (Archeion) كيما تحظى بمثل الحق الذى كان للوصايا المتعلقة بغير اليهود والتى كانت تبرم حسبما قضت به الاحكام الرسمية ومتطلباتها•ولدينا نص طريف جاء في الدستور الذى وضعه اغسطس وسنه كيما يكون ساريا ومعمولا به في ديوان الاديولوجوس (Idiologos) وهو البند المرقوم (٧) في

هذه المقننة (Gnomon) الشهيرة وترجمته كما يلي (الوصايا التى لم تبرم بحسب هذه القواعد والاحكام الرسمية تصبح باطلة وغير ملزمة) ٠

وفى عقد زواج [1] اتفق فيه الطرفان على ان يعيشا حياة مشتركة مدى الحياة وهما من رقيقى الحال وقد ابرم فى صدر الحكم الرومانى اى فى سنة ١٣ ق٠م ٠ ومع ذلك جاء شاملا لأغلب العناصر التى تضمنها اقدم عقد زواج مؤرخ فى مصر البطلمية وهو رقم (١) من بردى إلفانتين هذا مع اختلاف بين فى بعض الصيغ والعبارات ولكن المضمون واحد ، فالزوج لا ينبغى عليه اساءة معاملة زوجته ولا يحق له أن ينجب اطفالا من اى امرأة اخرى غير زوجته ولا يجوز له ان يخدش شرفها ولا يجلب الى بيت الزوجية اى مرأة اخرى ليسكنها فيها تحت ستار ما وهى زوجته فى السر ٠ أما الزوجة فهى بدورها ملزمة بمراعاة قواعد معلومة لا ينبغى ان تحيد عنها او تتخطاها ، فلا يصح لها ان تخرج من منزلها او تغيب عنه دون الحصول على اذن مسبق من زوجها ولا ينبغى عليها ان تتورط فى اى علاقات غرامية أو جنسية مع الغير ، مما يمس شرف بعلها او زوجها ٠ ومع

---

(1) B.G.U. 1052, dated 13 B.C. = Select Papyri, Hunt and Edgar No.3 LL.6-7 and Johnson, Roman Egypt . p. 293.

ان الباثنة كانت ترد فى عقد الفانتين مضاعفة على الجانب الخاسر ، فإنها كانت ترد فى الوثيقة المنشورة فى مجموعة برلين والمؤرخة فى عام ١٣ ق م . (من الحكم الرومانى) مرة ونصف أى (Hemiolion) وهكذا نكاد نسمع فى صدر العصر الرومانى صدى ما كنا نسمعه فى صدر العصر البطلمى وهذا دليل على ان التقليد استمر مرعيا طوال العصر البطلمى حتى جاء الرومان فحافظوا على هذا المضمون ، بل إنهم اشترطوا تسجيل هذه العقود فى ديوان بروتارخوس وقد سجلت فيه بالفعل سلسلة من العقود المنشورة فى موسوعة بردى برلين ، الجزء الرابع وهى التى اعيد نشرها وتنقيحها والتعليق عليها بإفاضة فى موسوعة البردى اليهودى ، الجزء الثانى وها هى ارقام تلك البرديات :ـ ١٤٢ ، ١ ، ١٤٣ ، ٢ ، ١٤٤ ، ٢ ، ١٤٥ ، ٢ ، ١٤٦ ، ٢ ، ١٤٨ ، ١ ، ١٤٩ ، ٢ ، ١ . وكان بروتارخوس فى جميع هذه الحالات يعنى بتوثيق اتفاقات وتسويات ومصالحات بين مدينين وبين متخاصمين ومتقاضين . وبعض هذه العقود كانت مع مرضعات عملن بأجر شهرى قدره ثمانى دراخمات وخدمن طوال فترة سنة أو سنة ونصف . وقد نص فى هذه العقود على التزامات معينة ، يؤديها كل من اخل بشروط هذه العقود او تقاعس عن الوفاء بما قضت به من واجبات . ولذلك وجدنا جميع الاطراف يحرصون على تسجيل هذه العقود بما فيها من عقود الزوجية فى ديوان هذا الموظف السكندرى ، حتى يمكنهم إذا لزم الامر ، المطالبة بتنفيذ نصوصها

فى حالات التقصير من جانب أحد الطرفين المتعاقدين . ثم ان هذه الادارة التى كان يشرف عليها بروتارخوس والتى قامت بتسجيل هذه العقود ، لم تكن مقيدة بأى اعتبارات مكانية ، فسواء أكان أحد الأطراف من اليهود مقيما فى حى الدلتا وهو الحى الرابع فى الاسكندرية أو فى الحى الثانى أو فى حى آخر من الأحياء الخمسة التى انقسمت اليها مدينة الاسكندرية ، بينما كان خصومه مقيمين فى حى مجاور ، فهذا أمر ليس بذى بال وليس له أى اعتبار عند بروتارخوس الذى كان يسارع بإبرام العقد على اى حال من اجل ضمان تنفيذ بنوده فى حالات التقصير أو عدم الوفاء بالسداد .

وننتقل الآن الى ترجمة عقد الزواج المسجل فى ديوان بروتارخوس والذى جاء تاريخه معاصرا لتلك الاتفاقات التى نوهنا عنها والتى يرجع تاريخ بعضها الى نفس العام الذى سجل فيه عقد الزواج وهو الثالث عشر قبل الميلاد والموافق السابع عشر من حكم أغسطس : ـ

(الى بروتارخوس من ثيرميون (Thermion)

ابنة ابيون ومعها راعيها (Kyrios) المسمى أبوللونيوس إبن خايرياس (Chaereas) ومن ابو للونيوس بن بطلميوس (نعرض الاتى) إن ثيرميون وأبوللونيوس بن بطلميوس اتفقا على ان يرتبطا معا بحياة مشتركة بينهما . ثم ان أبو للونيوس

المذكور وهو ابن بطلميوس يقر ويعترف بأنه تسلم من ثرميـــون يدا بيد من البيـت ، بائنة صغيرة هي عبارة عن قرط من الحلقان الذهبية زنته ثلاثة من الارباع ، كما تسلم (كذا) من الدراخمات الفضية . ومنذ الآن يكون على أبوللونيوس بن بطلميوس ان يزود ثيرميون باعتبارها زوجة شرعية له بجميع ما يلزمها من الضروريات والملابس بحسب ما تسمح به موارده المالية[1] (Kata dynamin twn hyparchontwn) وعليه الا يسيء معاملتهـــــا ولا يطردها من منزله ولا يوجه اليها اية اهانة ولا يجلب اليهـــا زوجة أخرى ، وإلا فإنه سوف يغرم على الفور برد البائنة ومعهـــا زيادة تقدر بالنصف (Hemiolia) ، مع ضرورة أن يكـــون حق التنفيذ على بدن أبوللونيوس بن بطلميوس وعلى جميــــع ممتلكاته وما لديه من موجودات ، كما لو كان هذا الحكم صـــادرا من محكمة . ويتعين كذلك على ثيرميون ان تقوم بتأدية جميــــع واجباتها نحو زوجها حسبما تقضي به الحقوق التي تتطلبها الحيـــاة المشتركة بينهما ، فلا ينبغي عليها ان تتغيب عن المنــــزل ، لا بالليل ولا بالنهار ، دون علم زوجها أبوللونيوس بن بطلميـــوس ، ولا ينبغي عليها ان تأتي عملا تشين به حياتهما المشتركـــة ولا

---

(١) ان هذا التيسير مطابق لما جاءت به تعاليم الاســـــلام الحنيف من توخي المعاني الانسانية والمعايير المعقولـــة مصداقا لقوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعهـــا) صدق الله العظيم .

ان تتسبب في الحاق شيء من الضرر بهذه الحياة المشتركة ولا يجوز لها ان تعاشر رجلا آخر كخليلة له ! والا فانها متى ثبت عليها انها ارتكبت شيئا من هذه الحماقات وأدينت بذلك بعد عمل المحاكمة اللازمة ، فعندئذ ينبغي ان تجرد من بائنتها . وفضلا عن ذلك فالطرف المذنب يصبح عرضة للقصاص بدفعه الغرامة المقررة [١] . صدر هذا في السنة السابعة عشرة من حكم الامبراطور قيصر في اليوم العشرين من شهر فارموثي أى برمودة وهو الموافق كذا من عام ١٢ ق.م . [٢]

على أن هذا العقد بحالته الراهنة لا يزال في حاجة الى مزيد من الدراسة والتحليل مع المقابلة والمقارنة بينه وبين غيره من عقود الزواج التي صدرت قبله وبعده ، وذلك من حيث الأسلوب واللغة التي صيغ بها ثم الاشتراطات الواجبة على الطرفين. ومما هو جدير بالذكر ان هذا العقد روعى فيه انه توخى النهج المتبع والقاضي بإلزام كل طرف من الطرفين بأن يسلك الطريق القويم وألا يسيء بحال ما الى الطرف الآخر ، لا باليد ولا

---

(١) لم يفصح النص في هذه الحالة عن مبلغ تلك الغرامة المنوه عنها واكتفى بالنص على أنها عقوبة حسب المقرر المعتاد . فما هو المقصود بكلمة غرامة وما مقدارها ولماذا جاءت معماة هكذا انها على اى حال عقوبة مقررة من نوع ما
(to horismenon prostimon)

(٢) جونسون (مصر الرومانية) ص ٢٩٢ ورقم ١٨٢ =
B. G. U. 1052.

بالإشارة أو التلميح وان يتم الاحتكام فى حالة وجود أى خلاف وأن يعاقب المسىء برد البائنة مرة ونصف أى ١٥٠٪ ثم فضلا عن ذلك يدفع الغرامة المعتادة · وانا لنعرف أنه فى العصور الرومانية كان الزوج اذا ما طلق زوجته دون سبب معقول (Choris eùlogou aitias) ففى هذه الحالة يكون على الزوج ان يدفع غرامة وقد جاء هذا المعنى فى وثيقة بردية من مجموعة المتحف البريطانى (Pap. London,V,No.1711,1.42) وتاريخ هذه الوثيقة سنة ٥٦٦ - ٥٦٧ م ·

وللعالمة الايطالية (اورسيلينا مونتفيكى Orsolina Montevecchi) الاستاذة بجامعة ميلانو بإيطاليا ، دراسات مستفيضة فى موضوع عقود الطلاق وقد نشرت منها ستة وعشرين عقدا فى مجلة ايطالية تسمى ايجبتوس (Aeqyptus) وتصدر فى ميلانو وجاء ذلك فى العدد السادس عشر لسنة ١٩٣٦ ص ٢٠ وما تليها وقد عرضت فى ص ٧٧ لموضوع الغرامات ولكنها أغفلت فى هذا المقال ذكر اى شىء عن هذا الشرط وهو الطلاق (دون سبب معقول)وهو شرط كان ينبغى توافره فى حالات الطلاق حتى ينجو الانسان من دفع الغرامة المقررة · (Dicha hoias depote aitias) ومعنى هذا وجود شرط قاطع وهو عدم وجود سبب على الاطلاق وهذا هو تفسير تلك العبارة اليونانية وفى هذه الحالة نفرض على الزوج غرامة لا نعرف ، كما قلنا ، طبيعتها ولا السر فيها ولا مدى المعقولية فى تقديرها · وقد تناولت

العالمة الايطالية ، أورسولينا مونتفيكى ، ضمن عقود الطلاق التى عرضت لها بالشرح والتفصيل ، وثيقة بردية منشورة في موسوعة البردى اليهودى ، الجزء الثانى وهى المرقومة ١٤٤ والمؤرخة فى العاشر من شهر مارس سنة ١٣ ق م . وهى تمثل عقد طلاق بائن جرى توثيقه فى ديوان بروتارخوس بالاسكندرية ضمانا لتنفيذ الشروط الواردة فى صلبه وكان هذا بين امرأة يهودية تسمى أبوللونيا ابنة سامباثيون (Sambathion) وبين رجل يسمى هرموجينيس (Hermogenes) بن هرموجيتيس . وقد صيغ عقد الطلاق هذا فى بضع عبارات مألوفة فى الوثائق والعقود التى من هذا النوع والتى تنتمى الى العصر الهللينستى . ومن الغريب انه ليس بها أى أثر للتشريع (الموسوى) عن الطلاق. وها هى العناصر الاساسية الواردة فى صلب هذا العقد (١) الاتفاق على فصم عرى الزواج بايقاع الطلاق (٢) رد البائنة المتفق عليها وهى تمثل مبلغا زهيدا يقدر بستين من الدراخمات الفضية . وفى هذا دليل قاطع على ان الطرفين كانا ينتميان الى عائلة متواضعة أو فقيرة (٣) الغاء وابطال الزواج مع النص على عدم شرعية أية مطالبات مترتبة على عقد الزواج الذى انفصمت عراه (٤) الغرامة العينية المقررة To horismenon Prostimon) كعقوبة مع الالتزام بالوفاء بها وقد جاءت الاشارة اليها فى السطرين ٣٦ ـ ٣٧ من تلك الوثيقة وكانت توقع عند مخالفة شروط العقد . وفى هذا الصدد يحسن الرجوع الى ذلك البحث

المستفيض الذى دبجته العالمة الايطالية (مونتفيكى) عن عقـــود الطلاق ومضامينها فى مجلة ايجبتوس (Aegyptus) العـدد السادس عشر لسنة ١٩٣٦ ص ٢٠ وما بعدها وذلك كيما نتعرف على ما بينها من اوجه الشبه او المفارقات والتباين فى الشـــروط والاوضاع السائدة فى مصر ٠ ونظرا لأن عقد الطلاق هذا كـــان مسجلا لدى ديوان بروتارخوس فى الاسكندرية فالغالب على الظـن ان هذا التسجيل لدى سلطة سكندرية كان المقصودبه ان يكـــون كفيلا وضمانا وبمثابة الضمان بضرورة تنفيذ جميع الإشتراطـات الواردة به ، شأنه فى ذلك شأن جميع الوصايا التى كانت تصاغ حسب الاجراءات الرسمية وإلا اصبحت باطلة وليست لها اية حجيـــة ٠ ولما كان هذا هو العرف والتقليد المتبع فى الوثائق فإن هـــذا ينطبق على عقود الزواج والطلاق وهى اهمها ثم على الوصايـــــا وماشاكل ذلك ٠ والملاحظ ان أبوللونيا هذه وهى المرأة اليهودية بدت فى هذا العقد ومعها حاميها وراعيها وهوخالها موصوفـــــا بالصفة الدالة على تلك الرعاية وهى (Kyrios) وهـــذا اجراء غير مألوف فى التقليد والعرف اليهودى ، لا فى عقـــود الزواج ولا فى عقود الطلاق وانما كان هذا اجراءا مرعيا دائمـــا فى العقود التى تبرم بين اليونانيين. وقد أقرت فى عقد الطلاق هذا بأنها تسلمت بائنتها المقدرة بستين من الدراخمات وأنهـــا بذلك قد أخلت سبيل مطلقها هيرموجينيس ٠

ومن الحالات الغريبة فيما يختص بعقود الزواج وابرامهـا وأمر تسجيلها فى دواوين الحكومة ومكاتبها ما ذكرته العالمـــة الامريكية هسلمان (E.M.Husselman) بجامعة ميتشجـــان عن أمر وثيقة بردية من العصر الرومانى منشورة فى مجموعـــة بردى ميتشجـان (Michigan Papyri, V) سنة ١٩٤٤ وهى المرقومة (٣٤٠) . وقد جاء فى السطرين ٢٤ ـ ٢٦ ما يدل علـى وجود زيجة ما تمت بين طرفين بتعاقد مزدوج أى بعقدين احدهمـا صاغ باليونانية والآخر بالمصرية او بالخط الديموطيقى وأن كـلا العقدين تم تسجيلهما فى احد الدواوين ودور السجلات الاقليمية (Ta Grapheia) وكان المشرف على ديوان منها مسجـل (Nomographos) ويعمل تحت امرته عدد من الاعـــوان والمساعدين والسكرتاريين الذين يقومون بتدبيج مثل هـــذه الوثائق إما باللغة اليونانية أو بالخط الديموطيقى ، حسبما يرتضيه الطرفان المتعاقدان . ومن المؤكد ان احد هؤلاء الاطراف كان مصريا وهذا هو السبب فى ان العقد جاء مزدوجا ، فاللغة المصرية المتداولة بين المصريين اذ ذاك كانت هى الديموطيقيـــة وهى لغة وخط جاءت به عقود زواج كثيرة نشرهـــا العالم الالمانى (لوديكنز) ونشر بعضها الآخر العالم الهولنـــدى بيستمان(P.W. Pestman) فى كتابه المشهور :

(Marriage and Matrimonial Property in Ancient Egypt , Leiden, 1961.

وتطالعنا وثيقة بردية منشورة فى مجموعة بردى رايلاندر (Pap. Rylands, II,No.154=Select Pap.,1,4) وتاريخها في عهد نيرون سنة ٦٦ م ببيان عن عقد زواج طريف لما جاء به من معلومات تفصيلية ودقيقة مما يمس صميم الحياة الزوجية ويعبر عن الأحاسيس والآمال المرجوة التى يتطلع اليها الاطراف الوارد أسماؤهم وهم الزوج والزوجة ووالدها من رغد العيش فى عش الزوجية بعد أن وفر والد الزوجة للزوج سبل العيش فمنحه رقعة من الأرض مساحتها عشرة آروورات وثلاثة أرباع كائنة بزمام باكياس بالقطاع الهراقليدى بالفيوم كيما يفلحها ويجنى ثمارها للصرف على البيت المشترك . والأمر الغريب فى هذا العقد أنه قدر احتمال فشل هذه الزيجة ورسم لكل حالة لبوسها وأوجب القصاص من الزوج برد الأرض خالية من أى التزامات أو حقوق عينية او نقدية وكذلك رد البائنة وباقى متاع الزوجة . والغريب فى هذا العقد أن والد الزوجة قدر ما تتعرض له الحياة الزوجية من هزات وخلافات أسرية قد تعصف بها وتفرق بين الطرفين ، فاتخذ الحيطة لكل ذلك وعين ما ينبغى على الطرفين عمله اذا حدث طلاق وفراق . والزوج يسمى خايريمون (Chaeremon) ابن أبوللونيوس وله من العمر ٣٤ سنة وهو فارسى من طبقة السلالة (Epigone) وفى وسط انفه آثار جرح وهو يقر ويعترف لوالد الزوجة واسمه سيسويس (Sisois) بن بيتيسيس (Peteesis) البالغ من العمر ٧١ سنة وبحاجب عينه

اليسرى آثار جرح ، انه تسلم من صهره البائنة وقدرها مائـــة دراخمة من العملة الفضية المسكوكة واتخذ من ابنته المسمـــاه ثيساريون (Thaisarion) زوجة شرعية له كما تسلم أشيــاء أخرى من ملابس وهى عبارة عن ردائين أحدهما ابيض اللون والآخر نرجسي وخمس عباءات وأواني نحاسية وامتعة اخرى.وعلى ذلــك اصبح من حق الطرفين (الزوج والزوجة) أن يعيشا حياة زوجيــة هنيئة ، لا لوم ولا تثريب عليهما في قضائها . ونص في العقــد على ان يتعهد الزوج بفلاحة الارض المقدمة له على سبيل الهبــة فيقوم ببذر البذور ويجنى الثمار وينعم بخيرات هــــذه الارض للصرف على الحياة المشتركة مع زوجتــه .

والشق الثاني في هذا العقد يتعرض لاحتمال وارد وهـــو عندما يدب الخلاف وتتحتم الفرقة وعندئذ يتم الطلاق ســـواء أكان المتسبب هو الزوج بأن قام بطرد زوجته أو أن خايريمـــون تركت منزل الزوجية بمحض اختيارها وفى هذه الحالة تعتبـــر ناشــزا . وعندئذ يتعين على الزوج أن يرد الارض لصاحبها وهـو والد الزوجة أما في حالة وفاته فترد الى الزوجة نفسها . وفضـــلا عن ذلك ينبغي على خايريمون ان يرد البائنة على نحو فـــورى وعاجل اذا كان الطرد للزوجة قد وقع من قبل الزوج أما فـــى حالة انتقال الزوجة وتركها لمنزل الزوجية من تلقاء نفسهـــا وبمحض ارادتها فإن رد البائنة وباقى ما لديها من امتعة ينبغــى

أن يتم خلال ثلاثين يوما من تاريخ الطلب . وفى السنة التى يتم فيها الانفصال ويحدث الطلاق يكون توزيع ريع الارض على النحو الآتى فيجرى التقسيم بين الطرفين بحصول خايريمون على نصيب يتناسب مع عدد الاشهر فى سنة الطلاق التى قضاها فى عش الزوجية مع ثيساريون ويتسلم والد الزوجة الباقى من هذا الريع عن الاشهر الباقية وذلك بعد سداد جميع المطلوبات المستحقة للحكومة بما فى ذلك الدين عن ثمن البذور. واذا حدث ان كان والد الزوجة متوفيا ، يؤول هذا النصيب الى المطلقة والى من يعاونونها . وقد نص فى آخر هذا العقد على أن يكون حق التنفيذ مكفولا للزوجة على بدن خايريمون وعلى جميع املاكه كما لو كان هذا الحكم صادرا من حكم محكمة .

هذا مثل فريد حكته لنا تلك الوثيقة البردية فى صراحة ودقة ولم تترك شيئا من الاحتمالات لآية مظنة فقدرت ما ينبغى عمله فى حالات الوئام والخصام على السواء بطريقة عملية .

وفى وثيقة بردية اخرى [١] نشرت حديثا ضمن اعمال المؤتمر العالمى السادس عشر لعلم البردى المنعقد فى نيويورك ١٩٨٠ وجاء النشر سنة ١٩٨١ فى عدة صفحات ٢٣٩ ـ ٢٤٨ وقد حوت هذه

(١) نشر هذه الوثيقة لأول مرة زكى على فى اعمال المؤتمر تحت عنوان

(Petition to a strategos (1981).

هذه الوثيقة شكوى مرفوعة الى الحاكم الاقليمى فى ليكوبوليس (اسيوط) من زوج ضد تصرف عشوائى من قبل زوجته عندما توترت العلاقات بينهما فأخذت الزوجة تكيد لزوجها . وهذه الشكوى مؤرخة فى ٢٣ أكتوبر عام ٢٢١ م ومقدمة من بطلميوس بن ثيودورس وهو من الجنود القدامى الذين استوطنوا فى اقليم ليكوبوليس (اسيوط) ضد زوجته المسماه.هيلينا ابنة مايوس من قرية أبيون فى الاقليم الاكسيرنخى وكانت مالكة وشريكة بحق النصف فى إرث (Kleronomia) ويبدو أن خلافا دب بينهما فإنتهزت فرصة غياب زوجها وانشغاله بعمل من الأعمال وباعت الأرث كله دون علم زوجها أو إذن منه واعتبر الزوج أن هذا التصرف ينطوى على جشع وطمع واغتصاب + Bia) . (Harpage + Pleonexia وبكل هذه الصفات جرم تصرف زوجته ولم يتورع عن وصف صنيعها هذا باللصوصية واعتبرها ناشزا وبالتالى لا حق لها فى البائنة . وفى ختام شكواه الى الحاكم الاقليمى طلب رد ما سلبته زوجته إما بسداد الثمن أو بإعادة الأرض خالية من آية ضرائب .

ولعل هذه الزوجة ارتأت ان لديها ما يبرر تصرفها هذا ، حرصا منها على أن تحصل على بائنتها التى خولها لها القانون فآثرت اتخاذ هذا الطريق الذى تنكبت فيه السبيل بإقدامها على عمل

عشوائي . ونحن نعرف ان القانون والعرف يضمنان للزوجة الحصول على باثنلتها حتى من خزانة الدولة (Phiskos) وان حق التنفيذ مكفول لها على املاك زوجها . وها هي قد غافلت زوجها (choris emou) سطر (١٠) الذى كان مشغولا بعمل ما بعيدا عنها ، فباعت التركة التي كانا يملكانها مناصفة . ولم يرد في النص اية تفصيلات عن كنة هذا البيع وهل هو صورى ام برهن أو ائتماني . ويبدو من سياق الحديث في الشكوى ان العلاقة بين الزوج والزوجة قد ساءت الى حد ان هذه الزوجة تركت عش الزوجية بمحض اختيارها ووصفها زوجها في سطر (١٠) بأنها هربت (Apelthousa) فكانت بذلك تستحق الوصف الآتي (Hekousiws Apallassomene) اى خرجت بمحض ارادتها ولم يطردها زوجها . ونحن نعرف ان عقود الزواج كانت تنص صراحة وفي كثير من الاحيان على عدم السماح للزوجة بترك المنزل دون اذن صريح من الزوج لا بالليل ولا بالنهار وعلى ذلك تعتبر هذه الزوجة ناشزا عندما تركت عش الزوجية بمحض اختيارها [1] وبالتالي انكر عليها بائنتها . وهناك عقود زواج كان ينص فيها صراحة على الميقات الذى ينبغي فيه على الزوج رد البائنة لزوجته اذا كانت الزوجة قد غادرت مسكنها بمحض اختيارها وطالبت برد بائنتها وعندئذ كانت المدة المسموح بها

---

(1) Papyri Rylands I, 154 = Select Papyri, I, No. 4, (dated 66 A. D.).

ثلاثين يوما من تاريخ الطلب . وقد يتساءل الانسان عما اذا كان الشاكي لم يرد البائنة وان الزوجة اعتقدت أن من حقها استرداد بائنتها بالطريق الجبرى وهو ببيع نصيب زوجها في الإرث او تلك الملكية المشتركة بحق النصف. والقانون خول للزوجة في جميع الاحوال حق التنفيذ على بدن الزوج وعلى جميع أملاكه كما لو كان هذا حكما صادرا من محكمة . وهكذا يتضح أن هيلينا قد تورطت بتصرفها العشوائي تحت مظنة احقيتها في بائنتها وهذا متروك لتقدير السلطات في التعويض عن الضرر الذى لحق بالزوج .

وإنه لمن الصعوبة بمكان أن نحدد في جميع الأحوال نوعية الزواج طوال العصرين البطلمي والروماني ونتعرف على ما اذا كان الزواج المبرم جاء مطابقا للقوانين الوضعية وذلك في بلد سادت فيه تقاليد متوارثة ومتأصلة منذ العصر الفرعوني وتفشت فيه ظاهرة الجمع بين اكثر من زوجة وهو الأمر الذى يكنى في المراجع بكلمة (Polygamy) جنبا الى جانب الزواج من أمرأة واحدة وهو ما يعرف بكلمة (Monogamy) وفيما يختص بتعدد الزوجات علينا ان نرجع الى الكتابين الآتيين :

١ ـ تاوبنشلاج القانون في ضوء البردى ص ١٠٢ ـ ١٠٣

٢ ـ إردمان W. Erdmann, Die Ehne in Alten G riechenland, pp. 87.

وبحسب ما جاء في كتاب ديودورس الصقلي كان الكهنة ورجال الدين في مصر هم الذين كان يتعين عليهم الالتزام بنظام الزوجة الواحدة ، بينما الآخرون كانت لهم مطلق الحرية في اختيار اكثر من زوجة . على ان المؤرخ اليوناني هيرودوت قال ان نظام الزوجة الواحدة كان يمثل الوضع السائد في مصر وأن القانون كان يحتم مراعاة ذلك . ولكن مدى دقة العبارة التي رددها هيرودوت في هذا الشأن لا تزال موضع شك وريبة ، فهناك مصادر اخرى عديدة امكن منها الاستدلال على ان تعدد الزوجات كانت له اماراته المنتشرة في كل بقعة من أرجاء مصر وعلى مدى كل العصور . على ان حق التزاوج وهو المعرف باسم (Epigamia) بين اليونانيين والمصريات كان مباحا ومطلقا ونادى به الشاعر السكندري ثيوقريتس في بلاط بطلميوس فيلادلفوس في اشعاره الراعوية ، داعيا اليونانيين في بلاد اليونان بقوله (هلموا الى مصر ففيها ملك سخي وفيها نساء جميلات وانضووا في جيش هذا الملك (بلبس وارتنداء الكاكي) فهذا الملك خير من يجزل العطاء) وقد ثبت ان هذا الحق في التزاوج بين عناصر غير متجانسة كان منحة من الامبراطور هادريان (المتهلن) مسبغة على سكان مدينته الجديدة التي أسسها في محافظة المنيا واطلق عليها انطينوبوليس (Antinoupolis) وهي كوم الشيخ عبادة الآن وكان تأسيسها في عام ١٣٠ م وكان الامبراطور في زيارة لمصر ركب فيها

النيل وغرق حبيبه انطينوس (Antinous) فصمم علـــى أن يخلد ذكراه بتأسيس هذه المدينة الحرة (Polis) التي كانت رابعة المدن فى مصر : نقراطيس ـ الاسكندرية ، بطلمية ثـــم انطينوبوليس [1] . وكان هذا الحق محرما من قبل على المواطنين الاحرار من سكان المدينتين : نقراطيس وبطلمية . وفي مقننـة الاديولوجوس وهي المسماه جنومون (Gnomon) بنود كثيـرة مسطرة باليونانية ومطبقة في مصر بمنتهى الدقة وهذه البنود هـــي الموقومة ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، وقد جـاءت بها تعليمات وتوجيهات ، تنظم العلاقات الزوجية بين مختلـف الطوائف التي كانت تعج بها المدن والريف في مصر . ومن هذه البنود يستطيع الانسان أن يستشف عدة حقائق من أولاهـــا أن الزواج بين المواطنين الاحرار (Astoi) وبين المصريات كان يعتبر غير متكافىء وبالتالي غير مشروع أى (Iniusta Matrimonia) بينما كان الزواج بين الرومان بالـذات وبين المصريات محرما الا في حالة اولئك المصريين الذيـــن خدموا فى الاسطول الرومانى كمجدفين مدة خمسة وعشرين عامـا فى ميسينوم بايطاليا وحصلوا بعد تسريحهم تسريحـا كريمـا (Honeste Missicii)على المواطنة الرومانية فى آخر المدة

---

(١) أ . هـ . م . چونس A.H.M. Jones, Cities of the Eastern Roman Provinces 1937).

فأصبحوا رومانا (بالصناعة وليس بالطبيعة) فأمثال هؤلاء الرومان كان مسموحا لهم بالطبع بالزواج من المصريات . وقد جاء هذا المعنى صراحة في بند من المقننة هو رقم ٥٢ ونصه باليونانية كالآتي : (Romaiois exon Aigyptian Gemai) وكان هذا البند مثار اشكال على اثر تصويب خاطىء أدلى به عالم فرنسي يهودى هو ثيودور رايناخ (Theodore Reinach) مقترحا اضافة كلمة لا (Ouk) وبذلك قلب المعنى رأسا على عقب وقد انبرى له عالم فرنسي آخر هو اندريه بيجانيول - (André Piganiol) في مجلة سويسرية تسمى : (Museum Helveticum) العدد العاشر الصادر في يوليه سنة ١٩٥٣ ففنده الرأى القائل باضافة أداة النفي وسخف هذه الفكرة واعتبرها من الأعمال الفاضحة وخلص الى قوله بأن الجملة اليونانية بوضعها الحالى صحيحة وهى فى حالة الاثبات وليس النفى[1] . أما الزواج الصحيح والشرعى والذى يطلق عليه (Iusta Matrimonia) فهو الذى كان يتم بين الرومان الاصيلين بعضهم مع البعض . وعلى ذلك كان هناك نوعان من الزواج : - احدهما قانوني ومعترف به وهو المسطر (Eggraphos Gamos) والثاني غير مسطر (Agraphos Gamos)

(١) انظر ص ١٩٩ من مجلة متحف هلفيتكوم

Museum Helveticun, Vol. X, 1953.

وهو زواج يتم بمجرد الموافقة والرضا على معاشرة يكنى لها بإحدى الكلمتين الآتيتين ومشتقاتهما (Synerchomai, Synelthein) والزواج الشائع والمعروف بالسطر كان يطلق عليه كذلك (Syggraphe Synoikisias) حسبما ورد في الأسطر الاولى من عقد الزواج في إلفانتين رقم (١) الذى نشره روبنسون واعتبر نموذجا من حيث الصياغة وتوخى العدالة في المعاملة بين الطرفين المتعاقدين . على ان عقود الزواج بوجه عام سواء ما كان منها مسطرا او غير مسطر ، كانت تنطوى على اتفاقات خاصة بالمعاشرة الزوجية والمشاركة في الحياة (Koinonia) مع التوافق والرضا في الاغراض (Homologia) ويتم هذا الارتباط الوثيق بين عناصر مختلفة منها مواطنون احرار ومواطنات حرات (Astoi, Astae, Eleutheroi, Eleutherae) ومنها الاجانب (Perigrini) والمصريون والمصريات (Aegyptioi - Aegyptiae) وفي الكثير الغالب كان يترتب على هذا الزواج المختلط او المشترك انجاب أبناء وذرية (Ta Tekna) وهنا تتعقد الامور في تبعية هؤلاء الابناء وهم احيانا يتبعون الجنس الاقل منزلة في حالة الزواج غير المتكافيء وفي حقوق الارث والمنزلة الاجتماعية [١] .

(١) لدينا مقال طريف للعالم الامريكي هربرت يوتي H. Youtie عن ابناء كناهم بنسبتهم الى امهاتهم (Apatores) وهو منشور في مؤلف ضخم عنوانه (Le Monde Grec) تخليدا لذكرى كليربريو ، سنة ١٩٧٨ .

وعقود الزواج بأشكالها المختلفة من حيث الصياغة باللغة اليونانية أو بالخط الديموطيقي تستوجب المقارنة وتستأهل منا عمل دراسة متأنية لتبيان أوجه التشابه والاختلاف وتنوع المفارقات في الاسلوب والغاية وهذه في حد ذاتها مهمة شاقة وعسيرة ، لأنها تتطلب أول ما تتطلب ، المعرفة الوثيقة بالخط الديموطيقي مع الالمام باللغة اليونانية . وقلما يتوافر هذان الشرطان في شخص واحد حتى يتيسر له عمل هذه الدراسة المقارنة. ويذكر في هذا المجال اسم عالم هولندى هو بيستمان (P, W. Pestman) المشرف على اصدار موسوعات في علم البردى تسمى
(Papyrologica Lugduno - Batava)
وقد صدر منها حتى الآن ٢١ جزءا وقد توافرت له معرفة بالديموطيقية وباليونانية وهذا كسب عظيم .

والدراسة المقارنة للقواعد التي تضمنتها مثل هذه العقود لابد أن تكشف عن نواحي مهمة في حياة هذا المجتمع المصرى الخليط بأمشاجه وقطاعاته المختلفة وتظهر لنا بشكل سافر ما كان يجول بخواطر الناس عندما ازمعوا على عمل هذه الارتباطات المقدسة وسعوا الى ابرام هذه العقود بلا خوف ولا وجل . والناس عادة درجوا على أن يحيطوا علاقاتهم الزوجية بسياج من السرية التامة ، معتبرين اياها من الأمور التي تدخل في صميم حياتهم الداخلية وتخص شئونهم الحيوية ، اذ أن الزواج رابطة انسانية

سامية ، حرص المجتمع في كل العصور على ألا تنغصم عراهـا وأحاطها بجميع الضمانات التي تكفل بقاءها واستمرارها . ومن أجل هذا وجدنا هذا الفوج من الاشتراطات والقيود والضمانات التي استرعت الأنظار في اغلب العقود بصورة أو بأخرى . وقد جاءت الاحكام الواردة في العقود الزوجية طريفة وحاسمة ، لا لبس فيها ولا مجال لأى تأويل ، ولذلك راق لكثيرين من العلماء ان يعقدوا مقارنات بينها وأن يستخرجوا منها أوجه الشبه والاختلاف . وكان بالطبع للعقد القديم المؤرخ في عام (٣١١ - ٣١٠ق.م) مما نشره روبنسون في كتابه عن بردى إلفانتين رقم (١) القدح المعلى ، اذ جاء شاملا وجامعا لسلسلة من الأحكام التي لم يكف العلماء على مدى سنين طويلة ان يعقدوا مقارنات بينها وبين عقود الزواج الاخرى في تواريخ متعاقبة ، بعضها ينتمي للعصر البطلمي وبعضها الآخر للعصر الروماني . ولم يحل دون ذلك ان الصيغ اختلفت وان الاشتراطات تباينت . وها نحن نسوق بعض الملاحظات التي ذكرها العالم البريطاني الراحل السير ايريك تيرنر (Sir Eric Turner) استاذ البردى السابق في جامعة لندن وقد ذكر في كتابة عن (البردى اليوناني) المنشور سنة ١٩٦٨ ص ١٣٢ - ١٣٣ انه من المجدى عمل مقارنة جادة بين ما ورد في وثيقة إلفانتين رقم (١) عن عقد زواج بن هيراقليديس وديمتريا وبين العديد من عقود الزواج الاخرى ولدينا من هذه ثلاثة نماذج اولاها عقد الزواج المنشور في موسوعة Sammelbuch)

تحت رقم ٩٢٦٤ وينتمي لأواخر القرن الثاني الميلادي وثانيهـــا في (Negotia 17 plus Pap. Rylands IV,612) وثالثهما مما نشره العالم الايطالي ارانجيورويس (V. Arangio-Ruiz) في مجلة سويسرية (Museum Helveticum) العدد العاشر لسنة ١٩٥٣ ص ٢٤٠ وعنوان هذا المقال (Les documents du Droit Roman) - حيث عرض فيه لبردية في مجموعة ميتشجان العدد ٧ رقم ٤٣٤ وهي عبارة عن عقد زواج تــــم نشره سنة ١٩٣٩ وحظي باهتمام رجال القانون وكان موضوع البائنة وضمان الحصول عليها يأتي في المقام الأول والشروط والاحكـــام الخاصة بها كانت تعتبر قاعدة اساسية في هذه العقود . وممـــا يؤكد هذا المعنى أن الحكومة الرومانية في مصر كانت حريصـــة كل الحرص على أن تضمن للمرأة حقوقها في هذه البائنة وتكفلت صراحة بأن يكون لهذه البائنة حق التنفيذ الحال والمباشر مـــع الاسبقية على غيره من الحقوق (- Protopraxia) وفـــي مرسوم الوالي تيبريوس يوليوس الاسكندر الذى حكم مصر مـــن ٦٦ حتى ٧٠ م وأصدر مرسومه هذا في يولية سنة ٦٨ م جاءت فيه فقرة مهمة تضمنت ان الدولة تضمن للمرأة الحصول على بائنتهـــا من بيت المال (Phiskos) وما هي ترجمة هذا النص : -

(ذلك أن البائنات التي تخص الغير والتي ليست في حـــوزة الأزواج ولا في قبضتهم ، قد قضى في أمرها الاله أغسطس والــولاة بأن ترد من بيت المال للزوجات اللائي ينبغي المحافظة علــــى

حقهن الثابت والمقرر فى أن يتمتعن بحق التنفيذ الحـــــال المباشر). (Protopraxia) وذلك اسوة بما يجرى عليـــه الحال فى الديون الملكية · ويبدو ان هذه الفقرة الواردة فـــى قرار الوالى تيبريوس يوليوس الاسكندر وهى الخاصة بالبائنات ، كانت منقولة حرفيا من مقننة مالية أو لائحة خاصة بالمطالبـــات المالية ، مثل لائحة الاديولوجوس أو مقننته التى ورد فيها عـــدة بنود هى المرقومة ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٦ ثم ٣٦ وفيها ما ينظم التصـــرف فى البائنات وردها فى كثير من الاحوال للزوجات او مصادرتهـــا لصالح بيت المال فى حالة الوفاة ثم فى حالات اخرى متعلقة بالسن بالنسبة لكل من الطرفين عند الزواج (١) .

عقـود الطـــلاق :

هذا موضوع سبق ان عالجته العالمة الايطالية اورسولينـــــا مونتيفيكى بإفاضة فى عددين من مجلة (Aegyptus) وضربت عدة امثلة على مثل هذه العقود وما فيهامن شروط بإخلاء طرف الزوج من مطلقته بعد تسلمها البائنة وما جلبته من حلى وخلافه وانهـــا أبرأت ذمتها منه بعد ان اصبح حرا ، يحق له الزواج من اخـرى· وعقود الطلاق هذه لا تقل طرافة عن عقود الزواج اذ يقر فيهـــا الطرفان انه قد فض العلاقة الزوجية التى كانت بينهما ويتعهـــد

(1) Sir Eric Turner, Journal of Roman Studies 1954, pp. 60 - 61.

الزوج المطلق برد ما جلبته العروس من حلي وخلافه وما قدمته من أموال على سبيل البائنة ولدينا عقد منشور في الموسوعة الالمانية (B.G . U. No.1103) وتاريخه في العام الثالث عشر قبل الميلاد أى في عهد الامبراطور اغسطس وقد اعيد نشر هذا العقد في البردى المختار (Select Popyri No. 6) وفيه يقرر كل من زويس (Zois) ابنة هيراقليديس ومعها اخوها بوصفه الحامي والنصير لها ويشترك في ذلك انتيباتر (Antipater) بن زينون أنهما انفصلا وفصما العلاقة الزوجية التى كانا قد أبرماها في العام ١٧ من عهد الامبراطور اغسطس وقد تسلمت الزوجة جميع مستحقاتها التى كانت قد جلبتها معها كبائنة من ملابس وخلافه بما قدرت قيمته بمبلغ ١٢٠ دراخمة وتسلمت كذلك قرطا ذهبيا . وسوف يصبح عقد الزواج منذ ذلك الحين باطلا ولم يعد من حق أى من الطرفين ان يتخذ أى اجراءات ضد الآخر من أجل المطالبة بأى تعويض عن هذه البائنة أو المطالبة بالطاعة ، على أن يكون من حق الزوجة المطلقة الزواج ممن تشاء ، كما يكون من حق الزوج أنتيباتر ان يتزوج امرأة اخرى متى شاء ودون أن يكون في هذا أية مسئولية على أحد . وبالاضافة الى حجية وقانونية هذا الاتفاق ، فان اى طرف يخل به سوف يعرض نفسه للتعويض عن الاضرار التى قد تلحق بالطرف الآخر ودفع الغرامة المقررة . وتقر (زويس) انها تسلمت يدا بيد من مسكنه الاشياء التى

جلبتها معها على سبيل البائنة من ملابس وخلافه وبذلك يصبح عقد الزواج منذ ذلك الحين كأن لم يكن [1] .

هذا واحد من الامثلة على عقود الطلاق وهناك امثلة اخرى مشابهة نذكر منها ما يلي :

(1) Papyri Oxy. 266 = Select Pap. No.7. وتاريخه ٩٦م

(2) Papyri Grenfell 11, 76 = Select Papyri No. 8.

(3) B.G.U. 975 (dates 45 A.D · وتاريخه ٢٠٥ ـ ٢٠٦ م

(4) H.I.Bell and Rees, Repudium from Hermopolis Eos XLVIII, 1 (dated 586 A.D.).

ولعل خير ما نختتم به هذا الموضوع هو أن نسوق هنا نبذة عن عقود الزواج عند اليهود ، كما رواها لنا الحبر اليهودى يوسيفوس فى كتابه الذى هجا فيه الزعيم المصرى والمواطن اليونانى آبيون وهو خصمه اللدود (Contra Apionem Vol. II, section 199) فقال فى معرض كلامه عن القانون السائد لدى اليهود وامتداحه له وردا على التساؤلات عن ماهية قوانين اليهود الخاصة بالزواج وما هو كنهها ، إن هذا القانون أو الناموس لا يعترف بأيه علاقة أو رابطة جنسية بين الرجل والمرأة سوى ما كان منها رباطا طبيعيا وهو الزواج بينهما ، على أن يكون القصد من ذلك الرباط هو انجاب الاولاد والعمل على

---

(1) B.G.U. No. 1103, dated 13 B.C.; Johnson Roman Egypt No. 181, p. 292.

بقاء الذرية . وقد حرم هذا القانون اللواط (Sodomy)
واعتبره من الامور البغيضة التي تشمئز منها النفس وأوجب
العقوبة على مرتكبيها بالقتل . وفي هذا القانون أمر لليهود ،
بأنهم عندما يعتزمون اختيار الزوجة الصالحة لا يعولوا على
الاهتمام بموضوع البائنة ولا يتأثروا او ينبهروا بمقدارها فعند
اختيارهم لا ينبغي ان يقيموا لها اى وزن . ولا يجوز لليهودى أن
يخطف امرأة بالقوة ولا أن يغريها ويغرر بها عن طريق الغش
والخداع . وينبغي على الانسان ان يتقدم بخطبة العروس من
الشخص المخول له أن يقدمها في ليلة الدخلة (Ekdosis)
الى ايدى من ليس محرما عليها الزواج منه بحكم القرابة[1] .
والمرأة بحسب ما جاء في القانون الذى سنه سيدنا موسى لليهود
(بوحي من عند الله) هي في كل الأمور اقل شأنا ومنزلة من
الرجل[2] ، وبمقتضى ذلك ينبغي عليها ان تكون خاضعة للرجل
ولكن ليس هذا من اجل اذلالها او التحقير من شأنها وإنما كي
تسلس له قيادتها وتكون طوع اشارته ، ذلك ان الله منح سلطة
الأمر والنهي للرجل وخوّله اياها . ومن العقوق وعدم التقوى
اغتصاب زوجة رجل آخر . وأى شخص يرتكب مثل هذا الجرم
الذى هو الزنابعينة ، تكون عقوبته الموت دون رحمة ولا شفقة .

---

(١) الزيجات الممنوعة بحكم صلة القربى والرحم والرضاعة مذكورة في سفر اللاوين (Levi. XVIII, 6)

(٢) سفر التكوين (Genesis, III, 16)

سواء أكان هذا الاغتصاب لعذراء مخطوبة لشخص آخر أو كان عن طريق الاغراء لامرأة متزوجة.والقانون يأمر الناس ويحضهم على تنشئة جميع الذرية والنسل سواء من الذكور ام الاناث ويوجب السهر على تربيتهم ويحرم على المرأة أن تعمد الى الاجهاض او تحاول التخلص من الجنين بأية وسيلة ، عندما يكون هذا الجنين نطفة ولا يزال في الشهر الثالث من الحمل. وتعتبر المرأة التي عمدت الى شيء من ذلك متهمة بارتكاب جريمة قتل وانها قاتلة للنفس التي حرم الله قتلها الا بالحق وهي اذا ما ارتكبت هذه الفعلة الشنعاء تكون قد قتلت روحا بريئة وانقصت بذلك الجنس البشري .

ويحسن بنا في هذا المقام ان ننوه ببعض المراجع الهامة التي يمكن الاسترشاد بها في موضوع الزواج بصفة عامة ، وذلك بخلاف العديد من النصوص البردية التي قدمت لنا المادة الاولية اللازمة (Data) في صراحة تامة وبلا مواربة،ومن ثناياها يمكن ان نستقي المعلومات الأساسية ونستنبط الحقائق عما كان يجري في مختلف الأوساط وها هي اهم المراجع :

(1) R.Taubenschlag, The Law of Greco - Roman Egypt in The Light of the Papyri 332 B. C. - 640 A. D., Warsaw 1955, pp. 101 - 130.

(2) Johnson, Roman Egypt (1936), pp. 292 - 293.

(3) F. Bozza, Il matrimonio nell' diritto dei papiri dell, epoca Tolemaica, Aegyptus, Vol. 14, p.205 ff.

(4) Orsolina Montevecchi, Ricerche di Sociologia nei documenti dell' Egitto Greco - Romano, II, Aegyptus, Vol.16, p. 3 ff.

(5) Wolff, Marriage Contracts.

(6) Sir Eric Turner, Greek Papyri 1968, pp. 132 - 133.

******

من مقننــة الايديولوجـــوس (Gnomon)

هذه بضعة مواد قليلة من نصوص بردية شاملة لثمانية مـــن بنود ذلك الدستور الذى قننه أغسطس ليكون ساريا فى مصـــر الرومانية وطبق بمنتهى الشدة والصرامة الى ان جاء العرب الــى مصر فى منتصف القرن السابع الميلادى وهذه البنود هى المرقومـة بالثالث والثلاثين والرابع والثلاثين والخامس والثلاثين والســادس والثلاثين والسابع والثلاثين والثامن والثلاثين والتاسع والثلاثيـــن ثم الاربعين وجميعها مسطرة بالخط ذى الحروف المفـــــردة (Uncial) على نحو ما كانت تكتب به النصوص الادبيـــة والرسمية • وهذه البنود تمثل صفحة من البردية الأصلية المحفوظـة الآن بمتحف برلين (الشرقية) ونحن إذ نورد هنا ترجمـــة عربية لها ، نود ان يستثيغ القارىء نوعية هذا الاسلوب فــــى حكم الرومان لمصر والمجالات التى استرعت انتباه الاباطـــرة الرومان.البند ٣٣ : (لا يجوز للمرأة الرومانية ان توصى عـــن غير طريق ما أطلق عليه الزواج بطريق الشراء (Coemptio) وقد صودرت كذلك الهبات المسبغة بعد الوفاة وهى التى اجرتها امرأة رومانية لصالح رومانية قاصر)

البند ٣٤ : (يصرح للجنود سواء فى اثناء تأديتهم للخدمـــة العسكرية او بعد تركهم اياها ، أن يوصوا اما بوصية رومانيـــة أو بوصية يونانية • ولهم أن يستخدموا ما يروق لهم من العبـارات

فى صياغتها . على انه ينبغى على كل واحد مراعاة ان تكـــون الوصية الى أحد من بنى عشيرته ، ممن تتوافر فيه الأهليـــة لقبول تلك الوصية) .

البند ٣٥ : (الجنود الذين توفوا فى اثناء الخدمة العسكريــة دون ان يتركوا وصية ، يحق لأولادهم ولذوى قرباهم ان يصبحـــوا ورثة لهم ، على شريطة ان يكون المطالبون بهذا الارث مـــن نفس الجنسية) .

البند ٣٦ : (الاشخاص الذين ارتكبوا جرائم قتل او جرائـــم أشد وصدر حكم بادانتهم ، وكذلك الذين ارتكبوا جرائم مماثلة ثم آثروا الذهاب الى المنفى بمحض اختيارهم ، صودرت اموالهم . ومع ذلك فان اولادهم يحصلون على عشر هذه الاموال ، ولزوجاتهم أن يستردذن بائناتهن بعد تقويمها ، نقدا . ووافق سيدنـــا الامبراطور انطونينوس على ان يترك لنفس المحكوم عليـــه (واحد على اثنى عشر) من أمواله) .

البند ٣٧ : (أولئك الذين خالفوا الاوامر (Prostagmata) الصادرة من الملوك او لم يطيعوا منشورات الولاة بأن قامـــوا بعمل غير مطابق للقواعد المرعية ، عوقبوا بفرض غرامة تعـــادل ربع املاكهم او نصفها فى بعض الحالات او كلها فى حالات اخرى .

البند ٣٨ : (الأولاد الذين يولدون ثمرة زواج بين مواطنـــة (aste) ورجل مصرى ، يظلون مصريين ، على ان يكون لهم حق الارث من كلا الابويـــن) .

البند ٣٩ : (المواطن الرومانى او المواطنة الرومانية التـــى تعاشر معاشرة زوجية (Synerchesthai) شخصا متمتعــــا بالمواطنية (أى astos) أو شخصا مصريا ، وكـــان ذلك عن جهل بحقيقة الأمر ، فإن الاولاد يتبعون الجنس الأدنـى مرتبـة) .

البند ٤٠ : (كل المنازعات المتعلقة بالأشخاص الذين حصلــوا بدون وجه حق ، على المواطنية (أو المواطنة) السكندريـــة ، اصبحت الآن من صميم الاختصاص القضائى للوالى) .

وإنه لمن الخير أن نورد هنا بعض التعليق على البند المشـهور رقم ٣٨ وهو المتعلق بموضوع الزواج المختلط ويرتبط هذا بمـــا جاء فى البنود الآتية ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ثـم ٥٧ ويعلق العالم الايطالى ريكوبونو فى كتابه عن الجنومــون أو المقننة ص ١٧٤ - ١٧٥ بقوله أن هذا البند هو بداية سلسلـــة متفرقة من البنود الخاصة بالعلاقات الزوجية والاختلاط المشتــرك بين اشخاص من مختلف الجنسيات والمنزلة (Personae disparis Condicionis) مع ما قد يترتب على كـــل ذلك من نتائج قانونية ناجمة عن مثل هذه الروابط من انجـــاب ذرية او نسل.ويمكن تقسيم هذه الروابط على النحو الآتـى : -

(١) رومانى مع مواطنة حرة Romanus + aste
(بند ٣٩) .

(٢) رومانى، مع مصرية Romanus + aste

(البنود ٣٩ ، ٤٦ ، ٥٢) .

ويدخل ضمن هؤلاء الرومان اولئك الجنود المسرحـــــون (Missicii) البندان ٥٣ ، ٥٤) .

(٣) رومانية مع مواطن حر Romana + Astos

(البند ٣٩) .

(٤) رومانية مع مصرى Romana + Aegyptius

(البنـد ٣٩) .

(٥) مواطن حر مع مصرية astos + Aegyptia

(البنود ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨) .

(٦) مواطنة حرة مع مصرى aste + Aegyptius

(البندان ٣٨ ، ٤٧) .

(٧) مواطن حر مع احدى ساكنات الجزر (نسيوتية) (astos + Nesiotis) (بند ٤٨) .

(٨) عتيق لأحد السكندريين مع مصرية Libertus Alexandrinorum+Aegyptia) (البند ٤٩)

(٩) عتيقة لمواطن مع مصرى liberta astou + Aegyptius

(البند ٥٠)

(١٠) ابن من سورى عاشر مواطنة حرة ، مع مصرية Son of a Syrian and Aste + Aegyptia) (البند ٥١)

(١١) أحد سكان مرسى مطروح مع جنسية اخرى ليست من اهــل مرسى مطروح Paraitonii + allo Phyloi (بند ٥٧)

(١٢) أحد سكان مرسى مطروح مع مصرية

Paraltonius + Aegyptia (بند ٥٧)

وبحسب ما جاء في البند ٣٨ ، اصبح أبناء المواطنــــة الحرة التي انجبت من مصرى ، مصريين ، وذلك طبقا للشـــرط الواجب توخيه في ضرورة مراعاة ان تكون تبعية الابن لأحـــد الأبوين الاقل جنسا وهو ما يكنى له بالآتـــى : ـ deterioris parentis personam; hettoni genei

وكان هذا الاجراء تطبيقا للمبادىء التي وردت في قانــــون مشهور يسمى بقانون مينيكيوس (Lex Minicia) وتطبيقا كذلك للروح القومية المرعبة في التشريعات التي توفـــر على اصدارها الامبراطور الروماني الأول اغسطس ، فيما يختـــص بأحوال الزواج • على أن هؤلاء الأبناء الذين احتفظوا بقوميتهم المصرية ، كان في وسعهم الانتفاع بميزة لابأس بها ، وهي حـــق الارث من كلا الجانبين : الأب والأم •

تلك لمحات عابرة في موضوع الزواج الذى أولته الحكومـــة الرومانية جل عنايتها نظرا لما يترتب عليه من نتائج تتعلـــق أولا بضريبة الرأس (Laographia) وبمسائل اخـــــرى سياسية ومدنيـــة •

صكوك الدين في البردى
شروطها والالتزامات المترتبة عليها وما قد يتبعها من رهون

كانت عقود الدين ، بل والعقود بصفة عامة ، حتى ما كان منها خاصا بالزواج ، سمة بارزة في الحياة السائدة في مصر على عهد اليونان والرومان . وكانت هذه وتلك تسطر اما باللغة اليونانية أو بالخط الديموطيقي ، ويجرى تسجيلها احيانا في الدواوين المحلية (Grapheia) أو في ديوان عام بالاسكندرية وذلك حرصا من اصحاب المصلحة فيها على ضمان تنفيذ كل ما جاء بها من قيود والتزامات على المدينين وعلى الازواج فيما يخص البائنة (Pherne = Proix) الواجبة الأداء للزوجة عند انفصام العقد او الاخلال به (بردى الفانتين رقم (١) لناشره روبنسون سنة ١٩٠٧ م) أما فيما يتعلق بالديون النقدية (Argyrikon) أو العينية (Sitikon) فالشروط والقيود من اجل الوفاء بها في مواقيتها كان يجرى النص عليها صراحة وبلا مواربة . وهكذا توافرت جميع الضمانات بين المتعاملين من دائنين ومدينين ، بل وبين البائعين والمشترين (Prâsis = Wnē) . وقد حرص اليونانيون كذلك على ابرام هذه العقود والمحافظة عليها في حرز مكين وذلك في نطاق التعامل مع مختلف الافراد والهيئات الحكومية وغيرها . وكانت هذه تشمل اليونانيين ، فرادى أو جماعات كما

شملت المصريين على السواء من عمال وحرفيين وكتبة ومقاولين وملتزمين وزراع وصناع . وكان أهم هذه العقود وأقدسها بالطبع يتمثل في عقود الزواج والطلاق [١] وكذلك في عقود الدين والمعاملات الخاصة بالأجور والتعهد بإنجاز شتى الاعمال الزراعية في مواقيت معلومة واصلاح الاراضي وتسوية رقعتها وضم المحاصيل ورعي الاغنام والماشية والماعز والخنازير والالتزام بتوريد الجرار المصنوعة من الفخار (Keramia) ، مما كان يلزم لتعبئة النبيذ من الكروم وحفظ الزيوت على مختلف أنواعها . وهناك عقود خاصة بتسويق المحاصيل والقيام بعمليات تجارية على أوسع نطاق وأخرى خاصة بجباية الضرائب على مختلف أنواعها وبخاصة ضريبة السدس او العشر وهي المعروفة باسم (Apomoira) وكان الالتزام بجباية الضرائب عموما امرا اولته الدولة في العصر البطلمي جل عنايتها ونظمته بإجراء مزاد علني وسنوى بالنسبة لكل ضريبة ووضعت سننا من القواعد الصارمة وجاءت هذه مفصلة في كتاب حاوى لكل هذه القوانين الخاصة بالتزام جباية الضرائب (Nomoi Telonikoi) على عهد بطلميوس الثاني الملقب فيلادلفوس وكانت الدولة تبرم هذه العقود مع من يرسو عليه اكبر عطاء في هذا المزاد السنوى ويمثل الدولة في ذلك موظف كبير هو ممثل وزير المالية ويحمل لقب اويكونوموس

---

(١) تحدث القرآن الكريم عن عقد الزواج بأنه هو الميثاق الغليظ وله قداسته وحرمته .

وله أعوان منبثون في كل مكان حتى لا يفلت او يدلس أى ملتـزم
أو شريك أو متضامن فيضيع على الدولة موردا مهما من ايراداتها .
ويبلغ الأمر فيما يختص بالعقود أنه حتى في غرس بعض النباتـات
مثل النبات الزيتي المسمى الكيكي (Kiki) وهو المستخدم
في الاضاءة وفي صناعة الصابون والتنظيف والدهون والعطور ، كان
هذا الغرس يتم بناءا على عقد به دين بسيط ، فيعطى الشخـص
بضع دراخمات على سبيل الاجر المقدم في نظير قيامه بهـذا
الغرس (eis ten phytian) وبذلك يصبح هذا المبلـغ
دينا في عنقه حتى يوفى ما عليه من العمل الموكول إليه ، وهنـاك
عقود كثيرة جدا مزدوجة اى مكتوبة بلغتين وهذه تسمـى
(Bilingual) وتجئ مسطرة باللغة اليونانية ومشفوعـة
بالخط الديموطيقي الذى كان يتعامل به المصريون في هذا العصر .
وفيها يقر الافراد بتسلم مبالغ زهيدة من الدراخمات في نظيـر
تعهدهم بالقيام بأعمال معينة في مجال الزراعة واصلاح الاراضـى
وهذه كلها عمليات كان يشقى فيها الفلاح المصرى وأغلبها مـن
أجل تسوية الارض وتنقية ما بها من (قلاقل) الطوب والأحجـار
ثم قطع الاعشاب واقتلاع جذوع النباتات ويكنى لكل عملية منهـا
باحدى الكلمات الاصطلاحية الاتية : (Empyrismos) =
حرق الجذور ، (Ylokopia) = قطـع الاعشـاب ،
(Botanismos) = تنقية الحشائش والأعشاب . ولدينـا
امثلة كثيرة في وثائق البردى على مثل هذه العقود وقد قام العالـم

الهولندى بيستمان (Pestman) باعادة نشر بعض منهـــا في كتاب صدر له حديثا فى عام ١٩٨٠ ضمن موسوعة مشهورة تسمى (Papyri Lugduno = Batava) (العدد العشـــرون)

وقد صدّر كتابه هذا بعدد من الوثائق البردية المزدوجة مترجمـــة الى الايطالية وها هى ارقامها ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، وكـــان البعض من هذه العقود من أجل حفر الخنادق في الأراضي المستصلحة وعمل المصارف العرضية والرأسية فيها (eis diachoma) .

على أن الكثير من هذه العقود الخاصة بالديون كان مـــن أجل البذور التى حرصت الدولة على تزويد الفلاحين بها من اجـــل زراعة الأرض في مواقيت معلومة ثم ضمان استردادها عند موســـم الحصاد مرة ونصف (Hemiolion) وهذا النوع من الديـــون كان يكني له بصفة عامة بأنه من اجل البذور (Peri Spermatôn). وكان الطلب على البذور شديدا وملحا ، ومن اجل هذا كانت الدولة حريصة من جانبها على توفيرها وانتقـاء الجيد منها ثم تقديمها للمزارعين في مواقيت معلومة على سبيـــل الاقراض العينى اسوة بما تفعله الجمعيات التعاونية الزراعيـــة وبنوك الائتمان الزراعي في مصر فى الوقت الحاضر . وفى هـــذا الاجراء الضمان لتحقيق فائدة مزدوجة وهى من ناحية : التيسيـــر على الفلاحين ثم جنى الفائدة عند الحصاد مائة وخمسين فى المائـــة أى مرة ونصف مما سبق ان قدمته الدولة لكل واحد منهم . وللعالمة

البلجيكية الراحلة كليربريو (Claire Préaux) مقال منشور في هذا الصدد عنوانه القرض العيني والنقدي من اجل البذور (Pret de ble et d' Argent, Chronique d' Egypte No. 50 (July 1950), pp.277-282.
وهذا البحث الطريف عن عقد دين جاء مسطرا على قطعة من الشقافة (Ostrakon) وتضمن بضع اشتراطات على المدين وفيه تحديد لنوعية ما ينبغي تسليمه عند الحصاد عوضا عما تسلمه من قبل من بذور القمح أو الشعير أو النبات الخضرى كتقاوى البرسيم وتسمى بالزريع اليوم الى غير ذلك ، مما كانت الدولة تقدمه للمزارعين في المواقيت المناسبة (Peri kairou) وكانت اللهفة شديدة بين الناس من اجل الحصول على هذه البذور والبحث عنها في كل مكان [1] (Zetein) . وبعض هذه القروض كان يقدم من غير ربح أي (Atokos) بينما كان البعض الأخر وهو الغالب بربح أي (Entokos) وعلى ذلك كان الدين يوفى اما كما هو أي (Haplen) أو مرة ونصف (Hemiolion) ويلتزم المزارع بأن يرد

(١) انظر (Edgar : Pap. Cairo Zenon 59814,59815 من أرشيف زينون ـ مجموعة كتالوج المتحف المصرى لناشره ادجار واكتاف جبرو برقم ٥٩٨١٥ عن زويلوس وكان يشغل وظيفة مرموقة هي (Oikonomos) وهو يجرى البحث في ارجاء اقليم الفيوم عن انواع البذور لتزويد باناكستور بها قبل فوات الاوان متعللا ببعض المعاذير في عدم العثور على ما يلزم منها .

الدين من القمح الجيد حسب الاتفاق فيراعى أن يكون نظيفا وغير مخلوط وجديدا اى من محصول العام التالى مباشرة . وقد وردت هذه الضمانات صريحة ، ليس فيها أى لبس هكذا :

(Pyros, neos, katharos, adolos
apo panton)

وتمثل هذه الايصالات والعقود اقرارات من الجانبين المتعاقدين بما تم عليه الاتفاق والتراضى فهى اذا (Homologiael Syggraphae = Sygchoreseis) فيقرر المستلم لهذه السلع أو تلك المبالغ بأنها دفعت من أجل تحقيق الأغراض المنصوص عليها فى الاتفاق فى صراحة وبلا مواربة ، فهى إذا دين يستحق سداده فى مواقيت معلومة . ولعل عقود الدين وعقود الزواج والطلاق ، كانت أهم ما يبرم من هذه الاتفاقات ، لأنها تمثل أحوال الناس فى أخص شئونهم فى الحياة الدنيا وهى بذلك اكثرها حيوية واعظمها اهمية . ثم انها تمثل كذلك التزاما واجب الأداء فى حالات الدين طبقا للشروط المنصوص عليها اما بصفة عاجلة (Parachrema) عند طلبها دون امهال أو مماطلة وبلا تلمس أى من المعاذير مهما كانت أو بعد فترة معينة ، قد تمتد الى بضعة أيام (عشرة مثلا) أو بضعة أشهر أو بضع سنوات . وكانت هذه الديون ترد نقدا ، اما فى شكل عملات من الدراخمات البرونزية أو الفضية أو ما يساويها حسب الاتفاق المبرم مع حساب فرق العملة (Agio =Apallage)

ولدينا مثل على ذلك جاء مفصلا في وثيقة بردية منشورة في المجموعة الايطالية (P.S.I.) رقم ٣٨٩ ويرجع تاريخها الى عام ٢٤٣ - ٢٤٢ ق . م . (أى فى صدر حكم الملك البطلمى الثالث الملقب يورجيتس (Euergetes) . والمبلغ المقترض هو ١٥٠ دراخمة فضية يقابلها عند السداد ٤٤٥ دراخمة برونزية موزعة على اقساط شهرية (Ta epiballonta) قيمة كل منها خمسة وعشرون من الدراخمات النحاسية أو البرونزية وتسدد ابتداءا من شهر ابيب من العام الخامس فى حكم هذا الملك . وقد كانت هذه العقود تنص على ان يكون السداد اما من المدينين الاصليين أو من الضامنين ، آحادا وفرادى أو جماعات ، ذكورا أو اناثا ويسمى الضامنون eggyoi أو Bebaiwtai وهؤلاء يمثلون عنصرا مهما فى عقود الدين لأن المرجع كان اليهم فى آخر المطاف. وهناك بند مهم آخر يمثل ركيزة فى معظم هذه العقود وهو خاص بشروط التنفيذ فى حالة العجز عن الوفاء بالسداد فى المواقيت المتفق عليها وهو يعتبر شرطا جزائيا يكبل صاحبه بأغلال ويحد من حريته [1] . ومطلعه كالآتى etc (he de praxis estw)

---

(١) لدينا كتاب بالالمانية فصل لنا الظروف والملابسات التى تحيط بهذا الشرط الجزائى وما يتضمنه من عقوبات Studien Zur praxis der Stipulationskl-ausel by Dieter Simon, Munich, 1964.

والترجمة التقليدية لهذا النص كما يلي (وليكن حق التنفيذ على فلان أو اى شخص يقوم مقامه ، على بدنه او بدنهم وعلى الضامنين له وعلى جميع املاكهم ، إما على واحد منهم او عليهم جميعا مثلما هو الحال فى الديون الملكية) . وفى حالات اخرى كان ينص على أن يكون القصاص واجب الأداء على (فلان) فورا إما بتحصيل الدين كما هو دون ربح أو مرة ونصف . وقد ورد فى السجلات المنشورة من المجموعات المختلفة من اوراق البردى شتى الأمثلة على مختلف النوعيات وتعد هذه بالمئات وتنتمى الى كل من العصرين البطلمى والرومانى كما وردت الشكايات (Enteuxeis) الناجمة عن أى قصور أو عدم وفاء أحد بسداد هذه الديون فى مواقيتها أو عن الاشتطاط فى تحصيل الربح وقد بلغ فى بعض الاحيان ٦٪ فى الشهر بدلا من ٢٪ فى الشهر كما كان مقررا فى العصر البطلمى ، ١٪ . فى الشهر فى العصر الرومانى وبذلك اصبح لدينا صورة واضحة عن نوع صارخ من الربا الفاجش (Usury) الذى كان يتردى فيه بعض المرابين . والمثل الرائع على ذلك جاء فى وثيقة بردية نشرها وليام لين وسترمان فى مجموعة بردى زينون المحفوظة بجامعة كولومبيا بنيويورك وهى رقم (٨٣) وبها بعض التفاصيل عن شكوى مرفوعة الى الملك بطلميوس الثانى من شخص يدعى (أنتيباتر) ومعه زوجته (سيمون) ضد مرابى كبير يسمى (نيكون) وفيها تفاصيل مسهبة عن الاساليب الملتوية التى كان

يلجأ اليها نفر من المرابين فيبالغون تارة في الربح وتارة اخرى يبدلون في الصيغ المبرمة بما يتفق مع صالحهم وجشعهم وقـــد يعمدون الى تغيير العقود واستبدالها بأخرى من قبيل التهرب مـن الوقوع في المسئولية فيرتكبون بذلك إحدى هذه الحماقـــات

(1) Novatio inter easdem personas =
تجديد العقد مع نفس الاشخاص

(2) Novatio inter novas personas =
تجديد العقد مع اشخاص جدد.

وهذا التجديد مع نفس الاشخاص او اشخاص جدد كـان لتجنب التورط في مخالفة صريحة خاصة بالربح . وكان مصيـــر هذه الشكوى أن وصلت الى المحكمة اليونانية المسماة خريماتستاى (Chrematistae) لأن العقد كان مدونا باللغة اليونانيــة ولأن اطراف النزاع والمتعاقدين في هذا الدين كانوا مـــن اليونانيين . وقد نظرت القضية وقدمت شهادتان مكتوبتان مـن شاهدى عيان لاثبات انكار المتهم او الخصم (Antidikos) وهو نيكون (وكان ذلك في العام الثاني من حكم بطلميـــوس الثالث أى في عام ٢٤٥ ق.م . حسبما جاء في احدى الشهادتيـــن المقدمتين لساحة المحكمة [١].

---

(١) احدى هاتين الشهادتين محفوظة الان بالمتحف المصـــرى اما الاخرى فسبق أن نشرها ادجار وهي محفوظة الآن بالمتحف البريطاني وقد اعاد نشرها زكي على مصوبة في مجموعـــة بردية تسمى Papyri Lugduno - Batava, (1980) Vol, XX, No. 21, pp. 105 - 107.

والظاهرة المرعية فى عقود الدين انها كانت دائما تشفع بأسماء ستة من الشهود ومن هنا كانت كل واحدة منها تسمى (Syggraphe Hexamartyros) أى أن العقد له ستة من الشهود المقرين بما فيه . وبمقارنة اسماء هؤلاء الشهود فى عدة وثائق بردية تتضح الحقيقة الآتية وهى أن العنصر الغالب فى هؤلاء الشهود كان من اليونانيين اما القلة فكانت من المصريين ومن أولا هم أنوسيس (Anosis) الكاتب المشهور فى قرية فيلادلفيا واليد اليمنى لزينون . وكانت اسماء هؤلاء الشهود ترد مصحوبة باسماء آبائهم مع ذكر جنسياتهم وفى أحيان كثيرة كنياتهم ووظائفهم أو مراتبهم العسكرية ومحال اقامتهم .وعلى ذلك كانت اسماء هؤلاء الشهود اذا ما تكررت ، تزودنا بمادة علمية وفيرة ، نستفيد منها فى دراسة علم الاسماء (Nomenclature) ويسعد بها الباحثون والدارسون فى علم الاجتماع (Sociology) وعلم السلالات (Ethnology) . وهكذا توفرت لنا أمثلة عديدة فى ارشيف زينون وفى ارشيف خليفته يوكليس (Eukles) وفى ارشيف ليون لأسماء رهط مخلط من اجناس بشرية عديدة ، نذكر منهم على سبيل المثال وليس الحصر ، أولئك المقدونيين والتراقيين والتساليين والكرتيين والميجاريين والكلورنثيين والبرقاويين والروديين والكيريين (Karians) والفرس وغيرهم من جزر بحر الأرضبيل او بحر إيجة ومن عدة اقاليم بآسيا الصغرى . والتعرف على اسماء كل هؤلاء و أسماء ابائهم

وكنياتهم والوظائف التي كانوا يتقلدونها والفرق العسكرية التي ينتمون اليها ـ كل هذا يعتبر في حد ذاته كسبا عظيما في مجال البحث العلمي ·

ودراسة هذه الوثائق التعاقدية ، وما تكشف عنها من التزامات ، وصلت لنا في عقود مبرمة وفي مجالات متباينة ، تجلت فيها الصراحة مع الدقة المتناهية بين الاطراف المعنية لها جدتها وطرافتها ، وبخاصة من الناحية القانونية عامة وقانون الالتزامات خاصة (Obligations) وما له من القواعد التطبيقية في مصر على النحو الذى سنه التشريع البطلمى ووضع احكامه في صورة اوامر = (Prostagmata, diagrammata) لتنفذ في شتى الملابسات والزم بها كل طرف من الاطراف المتعاقدة ، ينفذها بلا هوادة على الابدان وعلى الاملاك في حالات العجز عن الوفاء بالسداد في المواعيد المتفق عليها · وهناك نصوص لم تغفل عن ذكر التعويض عن الاضرار To blabos = blabe التي قد تلحق بالدائنين في حالات القصور والعجز عن الوفاء والسداد في المواعيد المنصوص عليها صراحة في صلب هذه العقود · وكانت هذه قاعدة سارية في الديون الأهلية والديون الحكومية على السواء ، فكان ينص في بعض الحالات على ان تكون هناك اسبقية في السداد (Prwtopraxia) أسوة بما جرى عليه العرف في الديون المستحقة للخزانة الملكية

(Lows Pros Basilika) وقد شغف بهذا كلـــــــه
رجال القانون من امثال العالم البولندى رافائيل تاوبنشـــــلاج
(R. Taubenschlag) فى كتابه عن القانون فى ضوء وثائق
البردى ص ٢٩٢ ـ ٣١٧ وفى مقالات اخرى عديدة منشورة فـــــى
مجلة تصدر تباعا في وارسو وتسمى(Journal of Juristic
Papyrology) وقد اتحفنا عدد من زملاء هذا العالم ومنهم
الانسة أنا سفيدرك (Anna Savedreck) وجوزيـف
مودرزفسكي وهو صاحب المقال المشهور عن الاوامر الملكية فـــــى
علم البردى فى العصور الثلاثة ، البطلمى والرومانى والبيزنطى (١) ،
بألوان مختلفة من هذه المعاملات وما كانت تتمخض عنه مـــــن
الزج بالمدينين في السجون علي يد الموظفين المكلفين بـــــداد
المتأخرات وعلى رأسهم البراكتور (Praktor) الذى كـــان
في أحيان كثيرة يعتصر الناس ويظلمهم ويسوق المدينيين الـــى
سجن خاص به يسمي Praktoreion)فيرسفون فيه الـــــى
أ ن يوفى أقارب المدينيين سداد ما على المسجونين مـــن ذوى
قرباهم ·

ولدينا مثل رائع على عقد دين من نوع خاص نشره مؤخرا
العالم البريطاني ت · إسكيت (T. Skeat) في مجموعة

(١) Josef Modrzejewski, The Prostagmata in the Papyri, Journal of Juristie papyrology Vol.V., Warsaw, 1951.

بردى زينون المحفوظة بالمتحف البريطاني(Pap. London,VII)
تحت رقم ١٩٨٦ وفي هذا العقد قدمت سيدة تدعى نيا (Nea)
بعد أن وفدت الى الاسكندرية من بلدة بطلمية ببرقة ، قرضـــا
الى ضابط يوناني يسمى إخيديموس (Echedemos) وكـــان
يعمل في الحرس الملكي بالاسكندرية وبلغت قيمة هذا القـــــرض
مائة دراخمة فضية وكان هذا فيما يبدو من نوع القرض الحســـن
(Eranos) اذ أنها لم تذكر شيئا عن المطالبة بـــأى
ربح في هذا الدين وانما اصرت على ضرورة أن يكون الســـداد
بعد المطالبة بذلك حسب رغبتها بعدة أيام (قيل عشرة أيــــام)
واذا لم يتحقق ذلك وجب السداد الفورى مع تطبيق اللوائــــح
المعمول بها في حالات العجز عن الوفاء حسب العرف الجارى ٠

وقد أشار العالم الالماني (روبرخت) (Rupprecht)
في مقال نشره في عام ١٩٦٧ في مجلة تصدر في ميونخ بألمانيـــا
في طريحة من الطوائح التي تصدرها ميونخ (Munchener
Beitrage) عالج فيه موضوع الديون بصفة عامة والـــم
بجميع نواحيها سواء ما كان منها متعلقا بالديون النقديــــة
(Geld Daneia) أو العينية (Natural Daneia)
بربح أو من غير ربح ٠ وقد استنبط من ثنايا بندين هما الخاصان
بالربح والشرط الجزائي وتوقيع العقوبة الجثمانية،أن هذه العقــود
كانت خالية من أى شعور منطوى على حب الخير أو العطــــف

على الغير فليس فيها أى دليل على توخى الجانب الانسانـــــــى (Philanthrc pia) ولا Euchrestia أو bienfaisance
وأكد هذا المعنى بقوله ان بنود هذه العقود لا تنطوى على وجـــود أى رغبة فى تقديم قرض حسن أو أخذ بيد المعوزين ذوى الحاجات. وسياق الكلام فى أغلب هذه العقود يوحى بذلك . والبند الخـــاص بالتنفيذ وفيه الشرط الجزائى والتهديد بالعقوبة ينم عن شىء مـــن الغلظة والفظاظة لأن التنفيذ فى حالات العجز كان يقع علـــــى ابدان المدينين ومعهم الضامنون ويعرض اشخاصهم للإسترقـــاق . وعلى ذلك لا يوجد اى مسوغ على الاطلاق للقول بأن هذه العقـــود كانت بنودها تنطوى على شىء من العطف أو الرحمة بالغير وانما هى قيود واغلال فى عنق المدينين . وهنا يجدر بنا أن ننوه بـــأن الوالى الرومانى تيبريوس يوليوس الاسكندر الذى كانت لـــــــه الإمرة على مصر فى فترة عصيبة هى اواخر حكم نيرون وحكـــم جالبا من عام ٦٦ حتى ٦٩ م اصدر قرارا مشهورا فى ٦ يوليــــه سنة ٦٨ م عقب انتحار نيرون بفترة قصيرة وسطر هذا القـــرار على واجهة معبد فى بلدة هيبس (Hibis) أى مدينــــة المحراث المكرسة لآمون فى الواحة الخارجة بالاقليم الطيبـــــى والاسطر الاربعة عشر من هذا القرار (Diatagma) جاءت فى وثيقة بردية نشرها العالمان تسوكر وفيريك F.Zucker&Viereck فى مجموعة بردى برلين (B. G. U. Vol. VII, No.1563) وفى سياق هذا المرسوم عرض الوالى لموضوع التنفيذ على أبـــدان

المدينين وحبسه بصفة قاطعة وقصره على املاك المدينين وضامنيهم وأموالهم واعتبر هذا الاجراء مفخرة وحسنة من حسنات هذا الوالى وجاء هذا التحريم على النحو الآتى : -

(كيما تكون اجراءات التنفيذ فيما يختص بهذه الديون ، على الاملاك وليست على الابدان) وفى هذا كفاية عن تحرير البدن من رق الاستعباد بسبب عبء الديون واقرار بحق مهم من حقوق الانسان فى العصر القديم .

حسم الخلافات من أضابير البردي وأرشيفاته بالطريق العرفي كلون من ألوان التقاضي بين الخصوم في سداد الديون

ولدينا مثل رائع على ذلك تحكيه قصة دين لزينون على فيلون الخباز ، وقد طال الامد على سداد هذا الدين وتسوية ارباحه وتداخلت عناصر أخرى فى تضخم هذا الدين وسداد بعض رأس المال ثم تطور الأمر فى النهاية الى اللجوء الى السلطات القضائية والتحكيم من أجل تسوية هذا الدين بعد أن ضاق زينون ذرعا بهذا المدين المماطل والمشاغب . وقصة هذا الدين بجميع ملابساتها قد حكاها لنا العالم (ادجار) فى حوليات مصلحة الآثار العدد (٢١) صفحات ٨٩ ـ ١٠٩ تحت عنوان (Papyri Edgar No. 65 - 66) وذلك فى السنة الرابعة من حكم بطلميوس الثالث (يورجتيس الاول) . وتعتبر هذه قضية كبرى ظلت عالقة على مدى طويل امتد لاكثر من اربعة عشر عاما عن دين (Daneion) اقرضه زينون لفيلون وهو الخباز فى بلاط أبو للونيوس وزير مالية الملك بطلميوس فيلادلفوس . وكان الاتفاق المبدئى ينص على ان يتم خصم الراتب الشهرى المخصص لهذا الخباز ، سدادا لأرباح هذا الدين ثم طرأت ظروف عقّدت الموضوع ، منها تصرفات كل من الطرفين وحساب اجور خادمات او ثمن عبدتين اشتراهما زينون

من قبل المدين ثم خدمات اخرى كانت زوجة المدين واسمها (مايأندريا) (Maiandria) تؤديها في حياكة بعض الملابس والعباءات التي تقوم بنسجها لحساب زينون ، على أن يخصم ثمن ذلك كله من الدين الأصلي أو من أرباحه .
وهناك حقائق اخرى ، جانبية وكثيرة ، يمكن ان نجتليها من مطالعة بنود السداد أو من المطالبات التي تقدم بها زينون لاثنين من المحكمين او المحاسبين وهما زينيس (Zenis) وديودورس (Diodorus) وكانا كلاهما مكلفين من قبل شخصية موموقة تسمى (خريسرموس) (Chrysermos) وهو أحد قواد فرقة من الجيش ، ممن كان الجند يتسمون بأسمائهم وكان معينا للفصل في هذا النزاع باعتباره من الأعيان المقيمين في ضيعة له (Dorea) بالقرب من فيلادلفيا . وكانت هذه الشخصية تحظى بنفوذ وجاه كبير في عهد ملوك ثلاثة بطليموس فيلادلفوس وبطليموس يورجتيس وبطليموس فيلوباتور (P. S. I. 513 "252 B. C.")
ولما تقدم فيلون بالشكوى الى خريسرموس هذا ، أحال الأخير هذا الأمر الى محققين هما زينيس وديودورس كيما يجريا البحث التمهيدي في مدى صحة اقوال الشاكي ويبلغانه بعد ذلك بما يسفر عنه البحث وما خلصا اليه من نتائج : وكان قرارهما كالآتي (١) يتعين على زينون التقدم ببيان تفصيلي عما يدعيه من حقوق له في ذمة فيلون طبقا لما تم الاتفاق عليه بين الطرفين

(الدائن والمدين) (٢) أما بخصوص الاتهامات التي يرميها كل طرف في وجه الآخر ، فينبغي على كل منهما أن يتبادل القسم (Horkos) على صحة ما يقوله دون حنث في قسمة هذا الذي يؤديه في ساحة معبد السرابيوم بالاسكندرية . وفي الأعمدة الاربعة المسطرة على وجه هذه الوثيقة البردية بيان تقدم به زينون بتفاصيل المبالغ المستحقة له قبل فيلون ثم ختم هذا البيان برفع مذكرة للقاضيين المكلفين بالتحقيق في هذا الموضوع يرجو فيها ضرورة التعجيل برفع تقرير من قبلهما الى خريسرموس) حتى يحسم الامر في هذا النزاع وبذلك يتمكن زينون من الإنصراف الى حال سبيله والرحيل عن الاسكندرية الى ريف البلاد في فيلادلفيا بالفيوم فلا يتعطل عن عمله اكثر من ذلك بسبب عناد فيلون واصراره على إطالة أمر النزاع ، وبذلك حيل بين زينون وبين العودة الى مباشرة مهامه ورعاية مصالحه في موسم مزدحم بالعمل وهو فصل الحصاد وعصر النبيذ ومتطلبات ذلك تستوجب المباشرة الشخصية .

وهناك بعض التفاصيل عن موضوع هذا الدين نسوقها على النحو الآتي : -

تم ابرام العقد الخاص بهذا القرض في السنة السابعة بعد العشرين من حكم بطلميوس فيلادلفوس الموافقة ٢٥٩ ق.م . وقتما كان زينون يقوم بمهمة أمين سر وزير المالية (أبوللونيوس)

قابعا في الاسكندرية وملازما لرئيسه في رحلاته التفتيشية فـــي أرجاء الدلتا واقاليم الصعيد وعلى ذلك لم يكن قد اتخذ مـــن اقليم الفيوم مقاما دائما له كمشرف على ضيعة (أبو للونيـوس) وكخلف لباناكستورالذى لم ترق ادارته لشئون ضيعة أبو للونيـوس في فيلادلفيا لدى سيده ، فنحاه الى ممفيس ووكل الى ذلـــك الرجل القدير (زينون) مهمة الاشراف على تلك الضيعـــة المترامية الاطراف (٠٠٠ر١٠ أروورات) = وهذه افدنة يونانية وعلى انشاء قرية نموذجية هي فيلادلفيا كمركز لهذه الضيعـــة. ويبدو ان فيلون كان اذ ذاك يعمل كذلك في خدمـــة (أبو للونيوس) بوصفه كبيرا للخبازين أو أحد الخبازيـــن الملقبين (Sitopoioi) وقد كانت الماهية أو الراتـــب المربوط له في حسابات ودفاتر (أبو للونيوس) هي ما قيمتـــه خمسون دراخمة في الشهر وذلك في مستهل العام ٢٨ من حكـــم فيلادلفوس ثم خفض هذا الرقم الى ٧) دراخمة ونصف ولكننـــا لا نعرف سببا لهذا التخفيض . ويعتبر عمله في خدمـــة (أبو للونيوس) من الأعمال الخاصة وليست من اعمال الدولـــة. والشيء الذى يدعو الى الغرابة أنه لم يرد في هذا النص ذكـــر أى شيء عن وظيفة فيلون هذا ولا عن طبيعة عمله - ولعله ممـــا قد يهدينا الى تعرف شيء عن ذلك أو تلمس أى بادرة عـــن نوعية المهام الموكولة اليه والى زوجته أنه قد جاءت اشارات الى استخدامه لخادمات أو من هن في مرتبة العبيد وكن يتسميـــن

بالاسم الآتـي (Paidiskai)[1] . وفي أغلب الظـن كـان فيلون يستخدم هؤلاء النسوة اللائي كن في مرتبة العبيد فـي تقديم العون له في عمله كخباز فكن يقمن بالعجين مثلا او بطحن الغلال ونخل الدقيق وما الى ذلك مما يتصل بصميم عمله كخباز . وقد جاء في وثيقة اخرى من مجموعة البردى المختار التي نشرها (ادجار) في حوليات مصلحة الآثار المصرية ورقمها (٤٤) أن زوجة فيلون وتسمى مايأندريا (Maiandria) كانـت تنسج الملابس وتحيكها لحساب زينون ولا تتقاضى ثمنا لذلـك وانما يدخل هذا في حساب تلك المديونية الشائعة . ونظـرا الى عدم وجود أى دليل على ان فيلون كان مشتغلا باعمال النسيج أو حياكة الملابس فالغالب على الظن ان زوجته هي التي كانـت تقوم بهذا العمل من قبيل كسب المودة وتوثيق العلاقات بيـن زوجها وبين زينون . والغالب على الظن كذلك أن فيلون هـذا كان خبازا بارعا ولدينا قصاصة بردية مبتورة ولا يزيد عـدد أسطرها عن ثلاثة وهي غير منشورة وبها إشارة عابرة الى فيلـون

---

(١) انظر الكتاب الصادر في المانيا سنة ١٩٨٣
Sklaverei in den Zenon papyri
عن العبيد وأنواعهم والأسماء التي كانوا يتسمون بهـا وهـي : Paidia, Paidiskai, Somata
ومؤلف هذا الكتاب هو دينهولدشول (Reinhold Scholl) ثم مرجعنا الى كتاب وسترمان عن الرق في مصر W. L. Westermann, Slave - System in the Ancient World, 1955.

والى صنعته التى كنى بها وهى الخباز (Sitopoios)
وبذلك امكن حسم الموقف ولم نعد نرتاب فى أمره.وهناك
اشارة اخرى جاءت فى الوثيقة رقم ١٥ من هذه المجموعة وقد
ذكر فيها شخص يدعى فيلون حاملا هذا اللقب صراحة . وعلى
ذلك نستطيع القول إن فيلون هذا هو الشخص المدين لزينون
بمبالغ طائلة من المال وان هذا الدين كان عالقا على مدى
سنين طويلة أى إلى اكثر من أربعة عشر عاما ، وأنه أى فيلون
كان اما طحانا او خبازا بارعا منضويا فى خدمة ابو للونيوس ويسير
فى ركابه أو يعمل فى قصره وبلاطه بالاسكندرية ويمكننا
أن نستنبط مما جاء فى الاسطر من ١٠٨ حتى ١١٤ ان هذه
القضية تطلبت أمدا طويلا تغيب فيه زينون عن عمله الخاص
فى مباشرة زراعته واعمال حصاده وعصر نبيذه فى نطاق
فيلادلفيا وأن التحقيق لم يجر فى فيلادلفيا وانما فى الاسكندرية
بدليل أخذ القسم فى سيرابيوم الاسكندرية وتسبب عن ذلك
تعطيل مصالح زينون على النحو الذى شكا منه فى ظلامته
وأومأنا إليه من قبل .

أما عن تلك الشخصية المرموقة التى قدمت اليها تلك
الشكوى وهو المسمى (خريسرموس) (Chrysermos)
فلعله هو نفس الشخص الذى أشار اليه بلوتارخوس فى معرض
حديثه عن حياة كليومينيس (Cleomenes) بند ٣٦ ، ١

ولعله كذلك هو نفس الشخص الذى جاء ذكره في وثيقة بردية
من المجموعة الايطالية فى ارشيف زينون وهى (P.S.I.,513)
ثم في بردية اخرى من مجموعة ما جدولا رقم ٢٨ وهى التى اعيد
نشرها بواسطة العالم الفرنسي أوكتاف (جيرو) (Octave
Gueraud) رقم ٦٠ من كتابه عن الشكايات
(P. Enteuxeis) حيث نجد اشارة الى خريسرموس
هذا فى السنة الرابعة من حكم بطلميوس فيلوباتور ، مالكا
لضيعة يعمل فيها نفر من المزارعين (Georgoi) من السكان
فى قرية كامينوى (Kaminoi) وهكذا وجدنا في وثيقة من
بردى قرية ماجدولا في اقليم الفيوم ما يدل صراحة على ان
ضيعة كبرى كانت في حوزة خريسيرموس الذى قال عنه العالم
الفرنسي (ليسكيه) (Lèsquier) وانه كان يحمل
لقب المواطن السكندرى (Alexandreus) وانه هو
الصهر الملكي للملك Syggenes basilews
(Ptolemaiou ورئيس بلدية الاسكندرية Exegetes)
ورئيس نقابة الاطباء (Epitwn Jatrwn) ورئيس
اكاديمية الاسكندرية وهذا كله بحسب ما جاء في نقش
مشهور عثر عليه في جزيرة ديلوس.[1] وفى رأى آخر أن

---

(1) Dittenberger, O. G. I. S., 104
(epistates tou Mouseiou).

(خريسرموس) الذى نحن بصدده .كان أحد الاحفاد فى هـــذا البيت الكريم وهذا مجرد احتمال قد يروق للانسان ان يتصوره ولكن ليس فى مكنتنا الجزم برأى قاطع فى نوعية الوظيفة التى كان يشغلها اذ ذاك عندما عرض عليه النزاع المستحكم بين فيلون وزينون وهكذا تبدو عدة اسئلة عالقة دون أن نجد اجابة صريحة عليها ، فلماذا توجه اليه فيلون بالشكوى وماهى الصفة التى كانت مسبغة عليه حتى يحق له النظر فى هذه الشكوى وبأى حق كان له أن يعين قاضيين من قبله للتحقيق فى هذه الاتهامات . وقد يظن ان تصرفه هذا كان بوصفه وزيرا للمالية (Dioecetes) ولكن هذا بعيد الاحتمال لعدة اسباب منها ان موضوع القضية ليس مما يمس صالح الدولة فى شىء وفضلا عن ذلك لا يدخل موضوعها فى صميم اختصاصات وزير المالية ولعل الأمر ينجلى قليلا اذا حددنا محل اقامة فيلون وهو طرف فى هذه الشكوى فإذا علمنا انه يتخذ محله المختار فى الإسكندرية حيث يقيم بحكم عمله فى خدمة وزير المالية أبو للونيوس كخباز مسئول عن كل ما يتعلق بالخبز ، فان هذا لا يغنى ولا يفيد فى التعرف على مركز خريسرموس وعلاقته بموضوع كهذا . ولكن اذا جاز لنا ان نتصور ان فيلون كان مقيما فى الريف وله مصالح ومحل اقامة فى فيلادلفيا او ما حولها ، ففى هذه الحالة يكون من حقه ان يتقدم بشكواه الى حاكم الاقليم الذى يتبعه ايا كان اسمه . وهناك امثلة عديدة على حالات مماثلة ذكرها

لنا (اكتاف جيرو) فى كتابه عن الشكاوى . ونظـــرا لأن الوثيقة البردية المنشورة فى المجموعة الايطالية(P. S. I.) رقم (٥١٣) جاءت بها اشارة فى أسطرها الأخيرة الـــى (أن (خريسرموس) كانت له ضيعة استوطن فيها بعض الجنـــود التابعين له بوصفه قائدا ويتسمى باسمه اولئك الجند حيثمـــا كانوا (Eponymous Commander) فالاحتمال قائم بأنـــه ربما كان فى ذلك الحين حاكما على اقليم ممفيس أو علـــى اقليم آخر مجاور لذلك ، شأنه فى ذلك شأن آجينور Agenor) الذى كان حاكما مشهورا على الاقليم الأرسينويتى (الفيـوم) وعندما ترفع اليه الشكاوى كان يحيلها على الموظفين المحليين (Epistatae) ويوصيهم بعمل التسوية والتصالح الـلازم ان امكن والا فلتحال القضية الى المحاكم المختصة اذا تعـــذر تسوية الخلاف بين الاطراف المتنازعة .

وعندما أمر (خريسرموس) هذا كلا من زينيـــس وديودورس بإجراء الفحص التمهيدى ومواجهة الطرفين المتنازعين والنظر فى المستندات المقدمة ثم رفع تقرير بما يسفر عنـــه هذا البحث كانت لدينا سابقة وحالة مماثلة مع الفارق الشديـد عندما امر أبوللونيوس وزير المالية قاضيا يسمى بيتون (Peton) بأن ينتقل لفحص المخالفات التى وقع فيها بايس (Pais) وهو صانع الجعة ومعه امين الصندوق واذا ثبت الاتهام الموجـــه

الى احدهما فليرسل الى أبو للونيوس مكبلا كيما يعاقب وقبـــل كيما (يشنق) (.to be hanged) وقام العالم البريطانـــي السير تيرنر (Eric Turner) في مقال طريف له بتفسيـــر هذا على انه لا يعدو مجرد ان يساق المتهم للعقاب وانكـــر فكرة الشنق هذه [1] فليس لها نظير في العقوبات التي ذكـــرت في قوانين الضرائب (Revenue Laws) - وقام هـــــذا القاضي بهذه المهمة الخاصة بتكليف صريح من وزير الماليـــة وعكف على سؤال جميع الاطراف المعنية في موقع عملهم ثـــم تقصى الحقيقة في موضوع يخص الخزانة العامة ويتعلق بموضـــوع الاحتكارات في تقطير الجعة وبيعها · ولما كنا لا نعرف كنه اللقب الذى اسبغ على هذين المحققين وهما زينيس وديودورس ، اذ لـــم يرد في ألنص اية اشارة الى شيء من ذلك ، فالأمر يستدعـــى توصيف عمل هذين الرجلين ، وليس من المستبعد أن يكـــون الاحتمال قائما بأنهما كانا من فئة القضاة : ـ (hoi Kritai) أو (Chrematististai) المكلفين بسؤال الاطراف المعنيـــة وعمل حوار ومساءلة في مواجهة الطرفين · وفي اغلب الظـــن أنهما لم يكونا من قبيل اولئك الرؤساء المحليين (Epistatae)

(1) Peton, Chrematistes, P. Ptol.III, 8002; P. Cairo Zenon, 59202, 5,7; p.Michigan Zenon 39, 1; Eric Jurner, The Hanging of a brewer, American Studies in Papyrology, Vol. I, 1966, pp. 79-86; P.Columbia Zenon 34, Claire Preaux, Les grecs en Egypte, pp. 39 - 40. P.C.Z. 59204.

الذين تردد ذكرهم في بردى (ما جدولا) وفي كتاب الشكاوى
لاكتاف جيرو وظهروا بصورة بارزة في ثنايا النصوص البردية
الواردة في هذا الكتاب وهم ممن كان يحال اليهم النظر في
الشكاوى والظلامات فيبعث بها حكام الاقاليم حتى يجرى
التحقيق وتتم محاولة تسوية الخلاف وعمل التصالح بين الاطراف
المتخاصمة فهذا خير وأولى (Malista dialysis autous,ei de^me)
واذا لم يتيسر ذلك فترد القضية للحاكم الاقليمي كيما يرسلها
بدوره الى المحكمة المختصة Aposteilein eis Chrematistes
ومع أن زينون استعمل في شكواه كلمة اصطلاحية كان يستخدمها
قضاة محكمة الخريماتستاى عند النطق بالحكم وهي كلمة قضائية
(Sygkrinein) فليس هذا بدليل قاطع ولعله أصر على
استعمالها من قبيل الايحاء والرغبة في سرعة استصدار قرار حاسم.
على أن هذين المحققين لم يكن من شأنهما اصدار حكم نهائي
وانما اقتصرت مهمتهما على وضع توصيات معينة تكون ملزمة
لكلا الطرفين.وبعد ان تلقى القبول ويرتضيها ويقرها كل طرف،
يرفع الامر الى خريسرموس للتصديق على ذلك.وكانا قد خلصا
بالفعل الى وضع كانت فيه المسائل المختلف عليها قد صغيت
وانحصرت في شقين (١) مسائل متفق عليها بين الخصمين (٢)
مسائل اخرى لا يزال الخلاف محتدما بشأنها ووجهات النظر
فيها متباينة ، بل ومتعارضة . أما عن الشق الأول المتناول
المسائل المتفق عليها والتي ارتضى الطرفان قبولها ، فإنه يحق

لنا أن نستنبط من ذلك ان دور (خريسرموس) اقتصر على اصدار الامر الى فيلون بتسوية الحساب والوفاء بالمبالغ المطلوبة على النحو الذى ارتاه كل من زنيس وديودورس . أما عن المسائل الاخرى التى كانت محل خلاف وتعارضت بشأنها وجهات النظر واشتد التضاد عليها ، فأمرها حسم بالقسم الذى جرى في معبد السرابيوم بالاسكندرية . والمعنى المتضمن فى هذا القسم أن كل طرف أكد للآخر على انه لن يضايق زميله فى أى أمر مما اختلفا عليه ، لا فى الحاضر ولا فى المستقبل وبذلك يكون الوسيطان قد نجحا فى اقناع كل طرف من الطرفين على القسم بالتنازل عن أى من المطالب الاخرى واسقاط الاتهامات وابرام صك يؤكد هذا التنازل Syggraphe (Apostasiou وهذا اجراء متبع فى احوال كثيرة وردت تفاصيلها فى بردى لندن (P.London VII, 1954, L.4) وفي بردى حيبه (P. Hileh,. 96,) ونوهت عن ذلك كليربريو فى كتابها عن اليونان فى مصر ص ٥١ هامش ٥ ولم يبق بعد ذلك التصالح الا أن يرفع الامر الى (خريسرموس) للتصرف فى اوراقه حسبما يراه فإما أن يصدق على هذا الحكم أو يأمر باجراء تكميلى آخر . وفى أغلب الظن ان (خريسرموس) لم يجد بأسا من اصدار الامر الى فيلون بأن يسدد الدين ويسوى حسابه على الأسس التى تم الاتفاق والتراضى عليها .

واذا ألقينا نظرة عابرة على البيان الذى تقدم به زينون ، فإننا نجد فيه تداخلا وزجا بأمور عارضة ، مما جعل من العسير فهم سير الدين وطرق السداد وهى تارة بالحجز على راتب فيلون البالغ خمسون دراخمة شهريا فى اول الامر ثم جاء مخفضا بعد ذلك الى ٥ر٧) دراخمة وقد تم الحجز بالفعل في الاشهر الاولى ثم توقف بعد ذلك لفترة بلغت أكثر من سنة ونصف وتارة اخرى كان يخصم ثمن عباءات وأردية حاكتها لزينون زوجة فيلون وهكذا كانت لزينون بخلاف الدين الاصلى معاملات اخرى مع فيلون وهذه كلها خضعت لنفس الوضع الذى كان عليه الدين الاصلى . ويبدو أن فيلون كان يحاول التملص بفصل هذه المعاملات الجانبية عن الدين الاصلى ، بينما كان زينون يحاول من جانبه ادماج هذا فى ذاك وتطبيق مبدأ الربح السائد والمعمول به فى مصر البطلمية وهو ٢٤٪ سنويا تم حسب هذا على أساس ٢٥ ٪ باعتبار ان ٢٪ فى الشهر كان لابد ان يضاف اليها الايام الاضافية المعروفة بأيام النسىء (Epagomene)

أما شروط الدين الاصلى وهى التى تعنينا فى الصميم ، فنصوصها بالطبع كانت واردة فى عقد الدين المبرم وهو المعروف بأسم (Syggraphe deneiou) ولكن لسوء الحظ لم يرد فى هذه الشكوى نص هذا العقد ، ولابد انه كان مدرجا فى

الصورة النهائية للشكوى ، لأن ما لدينا هو مسودة فقط ٠
ولسنا نعرف هل كان هذا الدين موقوتا بفترة معينة أم كان مطلقا ، مع أن العرف السائد هو تحديد الفترة الزمنية وتعيين تاريخ السداد وشروطه ٠

ولدينا مثل رائع آخر على عقد دين ، توافرت فيه جميع الشروط والضمانات ، ذلك هو النص المبتور الذى نشره لأول مرة ج ٠ فيتللى (G. Vitelli) فى المجموعة الايطالية برقم (٣٢١) (P.S.I.) سنة ١٩١٦ ثم امكن لحسن الحظ ملء الفراغات فيه وتصويب المبتور فيه بفضل ما عثر عليه فى مجموعة المتحف المصرى وقام (٠ ادجار ٠) بنشر النص الكامل له وصدّر به مؤلفه العظيم فى كتالوج المتحف المصرى تحت رقم (٥٩٠٠١) فى سنة ١٩٢٥ وبذلك اصبح فى ميسورنا ان نتناول بالدراسة والتحليل عقدا متكاملا تبدأ سطوره الاولى بالديباجة المألوفة التى تحمل فى طياتها التاريخ التقليدى واسم الملك واسم ابيه والكاهنات فى العبادة الأسرية ٠
ويرجع تاريخ هذا العقد لعهد مبكر من حكم بطلميوس فيلادلفوس وهو عام ٢٧٤ ـ ٢٧٣ ق ٠ م ٠٠ وقد ورد فى هذا العقد شروط هذا الدين البالغ قدره ٢٤ دراخمة ٠ وهذا العقد يعتبر مثلا على نوعية عقود الديون وهى كثيرة ومنوعة ، بعضها عينى وبعضها الآخر نقدى ومنها ما كان برهن وما جاء خلوا من أى

التزامات بالسداد في مواقيت معلومة . ومع أن الباحث في مثل هذه النصوص البردية يواجه صعوبات جمة في حالة البتر الجزئي أو النصفي إما عرضا أو طولا ، فإننا لحسن الحظ امكننا الحصول على النص الكامل والمصوب بفضل جهود عالم بريطاني هو إدجار وبذلك اتيحت لنا فرصة ذهبية في ان نتعرف على جزئيات وتفصيلات واشتراطات مما كان الدائن يحرص على ان يضمنها في هذا العقد . وعقود الدين قد تختلف في إشكالها وتفاصيلها بحسب ما يروق للدائن ان يكبل مدينه بضمانات أو يترك الحبل على الغارب فيجعل دينه بمثابة القرض الحسن (Eranos) ويترك للمدين حرية التصرف في رد دينه حسبما يتراءى له عند طلب الدائن استرداد دينه كما هو الحال في دين قدمته سيدة تسمى نيا (Nea) من برقة الى احد ضباط الجيش واسمه إخيديموس (Echedemos) في الاسكندرية وكان هذا الدين بمبلغ (١٠٠) دراخمة فضية وتاريخه في عام ٢٥٢ ق.م . واشترطت الدائنة أن يرد الدين من غير ربح في خلال كذا يوم (١٠) من تاريخ طلبها برده واذا لم يتحقق ذلك يكون من حقها ان تسترده فورا محملا بعب ، تقليدى هو مرة ونصف (Hemiolion) ويكون لها حق التنفيذ على جميع املاك المدين[1] . ويبرز وسط

---

(1) Papyri London, Vol.VII, No. 1986, by T. Skeat, (1974) A. D.

كل هذه الديباجات بيان الدين في حد ذاته ، وهو الموضـــوع الاصلي ، مصحوبا باشتراطات ذات اركان ثابتة ، وان تكررت بصور مختلفة ، ولكن عناصرها الاساسية معروفة ، والشـــــرط الاساسي يقضي بضرورة النص على اسم كل من الدائن والمديـن واسم والد كل منهما وجنسيته ومرتبته العسكرية ، ان كـــان ينتمي إلى احدى الفرق العسكرية او كان منضويـا في احـــدى المجموعات التابعة لأحد القواد العسكريين . ويلي ذلك تاريـخ الدين بالسنة والأشهر المقدونية أو بغيرها من السنة المصريـــة أو بكليهما معا ثم يذكر مقدار الدين الاصلي مقدرا بالدراخمات عددا بالارقام وبالكلمات أو عينا بالارادب ، مصحوبا بالربـح الشهرى وتاريخ السداد بعد بضعة أشهر أو بضع سنوات أو فـــي وقت الحصاد أو عند الطلب . واذا لم يتحقق السداد فـــــي المواقيت المنصوص عليها في صلب العقد اصبح من حق الدائـن أن يضع يده على بدن المدين أو يستوفي حقه من جميـــــــع املاكه وما لديه من موجودات (ta hyparchonta) مرة ونصف (Hemiolion) على أن حق التنفيذ هـــــذا (He praxis) كان مكفولا بحكم القانون للدائن ، يطبقـــــه بالطريقة التي تروق له ويراها مناسبة بحسب ما جرى عليــــه العرف في الديون الملكية (Pros ta basilika) ويلي هذا كله النص على تعيين الكفيل واختيار الضامـــــــن (Engyos) لهذا المدين . أما الفقرة التالية في هــــذا

العقد فقد نصت على أن يصبح العقد نافذ المفعول وله حجيته أى (Kyria) فى أى مكان يبرزه فيه صاحبه أو حيثما يسلمه او يقدمه للسلطات المحلية في أى مكان يختاره ٠ وفى آخر المطاف تأتي اسماء ستة من الشهود وكلهم فى هذا العقد بالذات كانوا من التراقيين.وفن ورد اسمه كاملا ، ذكرت رتبته العسكرية ٠ وصاحب هذا العقد كان من الضباط في فرقة تسمي افرادها باسم قائدها وهو دينون (Deinon) واسم الدائن ديونيسيوس بينما كان المدين ويسمي ايزيدورس موصوفا بأنه من اصحاب الاقطاعات العسكرية وممن ينتمون الى قائد يسمى ليكوفرون (Lykophron) .وهكذا تميز هذا العقد بأكثر من ميزة فهو قديم وعريق في القدم إذ يرجع الى السنة الثانية عشرة من حكم فيلادلفوس (٢٧٤ - ٢٧٣ ق ٠ م) ٠ ثم ان المتعاقدين والشهود من طبقة العسكريين ٠ وشروط هذا العقد تشبه من أوجه كثيرة عقد زواج مشهور يرجع تاريخه الى (٣١١ - ٣١٠ ق ٠ م.) وهو المنشور في بردى إلفانتين بواسطة عالم يهودى يسمى (Rubensohn) أى بن روبين (Papyri Elephantine I) وفى كليهما من حيث الصيغة والعبارة والاشتراطات وجه شبه كبير ، يستوجب دراسة مقارنة وتحليلا لأسلوب الصياغة والحرص على ضمان الحقوق وردها لذويها بكل وسيلة كاملة غير منقوصة ٠ ومما يسترعى النظر أن هذا العقد لم يرد فيه اسم زينون على الاطلاق ، نظرا لأنه

ليست لدينا أى معلومات تذكر عن الفترة الأولى من حياة زينون قبل العام ٢٥ من حكم بطلميوس فيلادلفوس . والعقد الذى نحن بصدده يمثل اقدم وثيقة فى ارشيف زينون (٢٧٤ - ٢٧٣ ق.م.) ، نشرت نتفة منه فى المجموعة الايطالية تحت رقم ٣٢١ والشق الاول منه محفوظ فى بردى ادجار المنشور فى حوليات مصلحة الآثار المصرية فى العدد (١٨) لسنة ١٩١٨ ص ١٦٢ (Pap. Edgar No.I "Annales,XVIII) ثم أعيد نشر النص بشقيه كاملا فى كتالوج المتحف المصرى سنة ١٩٢٥ تحت رقم (٥٩٠٠١) . والعقد مبرم بين شخصين يونانيين والشهود كلهم من التراقيين الذين كانوا يعملون ضباطا وحائزين لأنصبة من الاراضى . أما الدائن فهو ضابط فى فرقة عسكرية تنتمى لقائد يسمى (Deinon) ويحمل اسما شائعا ومحببا وهو ديونيسيوس أما تاريخ هذا العقد فهو السنة الثانية عشرة من حكم ملك عظيم هو بطلميوس الثانى . والنص الذى نشر لأول مرة فى عام ١٩١٦ بواسطة العالم الايطالى ج . فيتللى (G. Vitelli) تحت رقم ٣٢١ ص ٦١ - ٦٣ (P.S.I. Vol.IV) مبتور فى احدى صورتيه المنشورتين فى هذه المجموعة . وقد ساعدتنا الصورة الثانية من العقد وهى التى نشرها (ادجار) على تصويب الفقرات الاولى الضائعة فى بضعة اسطر فى الصورة الاولى المنشورة فى المجموعة الايطالية ثم استطاع (ادجار) ان ينشر النص الكامل فى كتالوج المتحف

المصرى ويصدر بها هذا العدد الاول سنة ١٩٢٥ تحت رقم ٥٩٠٠١
ذلك انه في الشهر المقدوني المسمى بيريتيوس (Peritios).
من العام الثاني عشر من حكم بطلميوس الثاني جاء ديونيسيوس
وهو الدائن فأقرض زميلا له يسمى ايزيدورس وهو كذلك من
رجال الجيش الحائزين لنصيب من الأرض والتابعين
لقائد يسمى ليكوفرون (Lykophron) ، مبلغا زهيدا
قدره (٢٤) دراخمة واشترط ان يرد هذا المبلغ مع الفائدة
القانونية في شهر مقدوني آخر هو ارتيميسيوس (Artemisios)
من العام التالي اى العام الثالث عشر من حكم بطلميوس فيلادلفوس
وبذلك كانت مدة هذا الدين اربعة أشهر أو نحو ذلك • وهذا
المبلغ المقترض كان ثمنا لقدر من الغلال المملوكة للحكومة
تعويضا عن تسلمه لهذه الكمية التي ربما كان حصوله عليها من
قبيل استعمالها في البذور • وكان في تقدير المدين ان يرد
ما حصل عليه في وقت الحصاد وهو قريب • ونظرا لأن العقد
كان محفوظا في فيلادلفيا فتفسير ذلك ان قرية بيتوس
(Pitos) التي ورد ذكرها في النص ، كانت بلا ريب
واقعة في الطرف الجنوبي من الاقليم الممفيتي وبذلك كانت
متاخمة الى حد ما من الإقليم الارسينويتي • وفي رأى العالم
(ادجار) أنها ربما كانت محل خرابة أبويت (Abwit)
حاليا.والطريف في هذا العقد ان الفقرة الخاصة بمقدار الربح
(Tokos) ذكرت صراحة وبلا أية مواربة وجاءت

مطابقة للقانون السائد اذ ذاك فورد فى السطرين ٨ - ٩ ما يلي (ان الربح يبلغ دراخمتان فى كل مئتين واحــــد (مائة) عن كل شهر) وبذلك يكون الربح السنوى ٢٤٪ باعتبار ان الربح فى الشهر الواحد ٢٪ وليس فى هذا ربح باهظ أوربــا (Usury) على نحو ما جاء فى عقد دين منشور فى مجموعة بردى كولومبيا رقم ٨٣ وقام بنشره وليام لين وسترمان اذ كــان الربح ٦ دراخمات فى كل مئتين أى ٧٢ ٪ فى السنة وتعــرض الدائن واسمه نيكون الى توجيه تهمة الربا الفاحش ضده فـــى شكوى تقدم بها أنتيباتر نيابة عن زوجته سيمون الى الملـــك بطليموس فيلادلفوس طالبا فى شكواه تحويل هذا الموضوع الـــى محكمة الخريما تستاى للفصل فى هذا النزاع وفى جريمة اخـــرى هى حبس ابن حر لهم (Pais) دون مسوغ وقد سبقـــت الإشارة الى ذلك .

ولعل من الخير أن نورد هنا ترجمة لنص هذا العقــــد (أى ٥٩٠٠١) كاملا بعد تصويبه وإعادة نشره فى البردى المختــار تحت رقم ٦٦ (Edgar & Hunt, Select Papyri) فى مجموعة (Loeb)

فى السنة الثانية عشرة من حكم بطلميوس بن بطلميـــوس وفى كهانة ليونتسكوس بن كاليميديس (Leontiscus son of Callimedes) فى شهر بيرتيبوس فى قرية بيتوس الكائنة بالاقليم الممفيتى ، قام ديونيسيوس بن أبو للونيوس (من أهـــل

(غزة) وهو من الرجال العسكريين العاملين في الفرقة المنسوبة الى (زينون) ، بإقراض ايزيدورس التراقي وهو من رجال القوات المنسوبة الى القائد ليكوفرون وحائز على أربعين آرورات ، مبلغا قدره ٢٤ دراخمة فضية وهذا القدر هو ثمن القمح الذى كان من نصيب الملك [1] . والربح على هذا الدين قدره دراخمتان عن كل شهر فى كل مائة دراخمة . ويتعهد ايزيدورس بسداد هذا القرض لديونيسيوس فى شهر أرتيميسيوس (أى بعد ثلاثة اشهر من تاريخ هذا العقد) من السنة الثالثة عشرة من حكم الملك ، مضافا الى ذلك قيمة الربح . أما اذا عجز عن السداد فى الموعد المذكور ، فليغرم برد الدين مرة ونصف (Hemiolion) . وفى هذه الحالة يكون من حق الدائن (ديونيسيوس) التنفيذ على املاك ايزيدورس وعلى املاك ضامنه ويكون التنفيذ بالوسيلة التى يختارها على نحو ما جرى عليه العرف فى الديون الخاصة بالملك . والضامن لايزيدورس فى سداد الدين المستحق لديونيسيوس مع جميع الالتزامات المنصوص عليها فى هذا العقد

---

(١) لعل هذه الكمية من القمح كانت تمثل القدر المقرر على كل واحد من الحائزين للاراضى بضرورة توريده وبيعه للملك بسعر معلوم ومحدد ولربما كان اقتراض ايزيدورس لهذا المبلغ الى حين تسلمه من الملك بعد توريد القمح المطلوب .

هو ديمتريوس بن دامون (وليس آمون كما قيل من قبـــل) التراقي وهو من الرجال المنتمين للفرقة المنسوبة الـــى ليكوفرون والشريك في حيازة النصيب من الارض البالغ مساحته أربعون آرورات . ويصبح هذا العقد نافذ المفعول وله حجيتـه حيثما يبرزه صاحبه وهو ديونيسيوس أو يبرزه الشخص الـــذى يكل اليه ديونيسيوس ذلك . والشهود هم بيتيس (Bithys) التراقي والحائز على (١١٠) آرورات ثم تيريتس (Tereites) التراقي والحائز على مساحة من الارض قدرها أربعـون آرورات ثم هيبريسلميس (Hebryselmis) التراقي والحائـز على اربعين آرورات ثم پوسيدونيوس (Poseidonius) التراقي والحائز على سبعين ارورات ثم زيبروس (Zipyrus) التراقي الشريك مع بيثيس في حيـازة ٦٠ آرورات ثـــم ديونيسيوس (Dionysios) التراقي والحائز على ستيـن آرورات . وجميع هؤلاء ينتمون الى الفرقة المنسوبة الـــى (ليكوفرون) . والحفيظ على العقد كوديعة لديـة اسمه بيثيـس وعليه اقراره بذلك وبما يفيد انه تسلم العقد سليما . وجـــاء التعليق على العقد هكذا (هذا تعاقد مع ايزيدورس بمبلـــغ ٢٤ دراخمة ثم عليه توقيع اسماء جميع الشهود وأسمـــاء المتعاقدين الأصليين والضامن .

وهناك باب كبير مكمل لموضوع الدين متي كان مصحوبا برهون مختلفة ذات صفة ائتمانية (Fiducia) . ويكنى لهذه بإحدى الكلمتين الآتيتين Hypotheke Or hypallagma مع ما بينهما من مفارقات في القيود والاشتراطات فيوقـــــع الرهن على عقار أو أنصبة من عقار في بيوت قد تصل فـــــى بعض الأحيان الى الخمس أو الخمسين أو على بيت بأكملـــــه أو على نصيب في ملكية شائعة وغير مفرزة أو على أدوات وآنيـة فضية من أباريق وكئوس للشراب وخلافها . وترد في مثل هـــذه العقود اشتراطات والتزامات تقيد المدين ، فيتعهد بألا يرهـــن أو يبيع العين المرتهنـة لشخص آخر طالما كان الدين قائمــا ، مهما كانت الاسباب او الذرائع وليس من حقه أن يتصرف فـــى العقار بأى طريقة أخرى (Allws Pwo) كما قيل . والرهن في هذه الحالة يطلق عليه (Hypallagma) وليـس هذا القيد واردا في النوع الآخر من الرهون وهو ما يكنى لـــــه (Hypotheke) ثم يجيء بعد ذلك في العقد وصـــــف دقيق للعقار ومكوناته فتذكر حدوده الأربعة وهل البيت مـــــن طابق واحد أو من طابقين وهل به ملحقات وتوابـــــــــــــع (ta proskyrtonta) فإن كان البيت آيلا للسقوط مثـلا ذكر ذلك وتعين تحديد الجيرة تماما . وإذا تم الوفاء وتـــــدد الدين ألغى الرهن ولم تصبح له حجية ويتم التأشير على العقـــــد بما يفيد هذا الالغاء كتابة ويوضع علامات عليه بالتصليب XX

أو بالشطب ///// أما اذا حدث غير ذلك فإن مهمة الدائـــن تقتصر على اتخاذ الاجراء من اجل نزع الملكية واخلاء العين من المالك الاصلي وهو المدين ووضع يد الدائن عليها بمقتضى حقه القانوني وهذه عملية اجرائية هدفها تمكين الدائن مـــن وضع اليد على العقار وتكنى بكلمة اصطلاحية هى (Embadeia) وتحتاج هذه العقود المصحوبة برهون على مختلف أنواعها ، الـى دراسة مستفيضة من اجل استخلاص الشرائط التى ترد فيهـــا بصيغ مختلفة ومعرفة الالتزامات الدقيقة التى كان يكبل بهـا المدين حتى لا يفلت من أنياب الدائن صاحب الرهن . وكثيـرا ما يجد الباحث فى صلب هذه العقود عبارات ترد بصيغ مختلفة فى منطوق اللفظ ولكنها ذات معنى واحد ، ومن ذلك مثـــلا ضرورة النص صراحة على ان يكون الربح دراخمة واحدة فـــى الشهر عن كل مئيـن او مائة وهذا ما يساوى ١٢٪ فى السنـــة حسبما يقضى به القانون السائد فى مصر الرومانية وجاء ذلـــك التشريع فى البند (١٠٥) من مقلنة الاديولوجوس (Gnomon) أو الاعتراف بقبض ثمن الشراء كاملا من البائع على ملأ مـــن الناس وضمان حقوق المشترى فى العين وعدم تصرف المدين فيها لا بالبيع أو بالرهن لآخر ، طالما ان الدين لم يسدد . وفـــى حالة عدم السداد يكون من حق الدائن اتخاذ ما يلزم مـــن الاجراءات القانونية لنزع الملكية بعد التنبيه على المديـــن رسميا والـتى لاخراجه وطرده من العين ، ان كان يحتلهـــا

أو يشغلها أو استصدار الأوامر من السلطات المحلية كيما تتـــم
عملية احلال الدائن وتمكينه من العين (Embadeia)
وهذا الاسلوب في التعامل مع المدينين المقصرين يحتاج الـــى
دراسة ذات طابع قانوني (Juristic) ويتطلب المعرفة
الوثيقة ببعض المصطلحات والكلمات ذات المغزى القانونـــى
والتأكد من السير في الاجراءات خطوة بخطوة ، ومن ذلـــك
مثلا الكلمات الاتية (Fiducia = Possession)
الرهن = (Hypotheke) ، الصيغة الرسمية للقـــرار
(Hypomnematismos) البيع الائتماني Fiducia = Prasis
en Pistei) المعارضة antirresis - antiphonesis
الرهن مع التعهد بعدم التصرف (Hypallagma) وهكذا
يتعرض الانسان لمزاولة طائفة من المصطلحات ذات الصبغـــة
القانونية وذات المدلول الخاص في عمليات نزع الملكيـــة
والاجراءات اللازمة عند المطالبة باسترداد المال المقترض مـــع
أرباحه . وقد يشوق الانسان أن يتناول بالدراسة بعض عقـــود
الدين وبخاصة تلك التي كانت مكبلة برهون أو بعقود بيـــع
ائتماني ، ففيها من أساليب الدهاء ومنع التلاعب والحيطة لكـــل
الاحتمالات ، الشيء الكثير ، وليس الأمر مقصورا على ذلـــك،
فكم في عقود الدين من مفارقات وتشعيبات والتزامات عينيـــة
وبخاصة اذا كانت مصحوبة برهن عيني وفي هذه الحالة لا يجـــوز
التصرف في العين المرهونة دون الحصول على اذن مـــن دون

السجلات في الاسكندرية (Bibliotheke ektesewn)
يصدر به أمر (Epistalma) وبدون هذا الأمـــر
(Choris epistalmatos) لا يجوز لأى دار من دور السجـــلات
المحلية (Ta Grapheia) في المراكز أو في القـــرى
أن تجرى أى تعامل على هذه العين المرهونة ، وإلا استحـــق
الكاتب عقوبة على اجراء كهذا.وأى تصرف بالبيع أو الرهـــن
بعد ذلك يصبح باطلا (Akyra) . وفي مجموعـــات
البردى المختلفة والتى نشرت في المانيا وايطاليا وأثينا ومصـــر
وبولندة وهولندة وامريكا وبلجيكا وبريطانيا كما في المجـــلات
والموسوعات التى لها اتصال مباشر بعلم البردى - في ثنايـــا
هذه كلها نجد العديد من الامثلة التى تناولت هذا الموضـــوع
وأفاضت في شرح الاجراءات المتبعة في كل حالة على حـــدة
وبخاصة في حالات الرهن بالذات . ومن الخير أن نجملهـــا
فيما يلي ، عندما يجرى التعامل بين دائن ومدين على ديـــن
نقدى مؤلف من رأس المال kephalaion OR archeion
والربح القانوني (Tokos) وبذلك يصبح الدين مستوفيا لعنصريـــه
(to daneion entokon) وغالبا ما يكون موثقا برهـــن
(Hypotheke) أو بضمان على رهـــن (Enechyrasia)
في آنية فضية أو بيـــت (Oikia) أو قطعة مـــن
أرض البناء (to oikopedon) واذا لم يتم ســـداد
الدين في الموعد المحدد ، وقد يمتد هذا الى بضعة اشهـــر أو

لسنة أو لبضع سنوات ، فان الدائن يكون من حقه ان يتخـــذ الاجراءات القانونية ضد المدين ، مع ما في هذه الاجـــراءات من تعقيدات واطالة،فيرفع الامر بعد اعلان المدين ، أمـــام المحكمة المختصة وقد تكون هذه محكمة (chrematistae) أو المختلطة (koinodikion) أو امام القضاة (Kritae) فإذا ما صدر الحكم لصالح الدائن وجب اتخاذ اجـــراءات ادارية اخرى من اجل نزع ملكية العين المرهونة وطرد المديـــن منها ثم تسليمها للدائن خالية ويتعين في هذه الحالة اخطـــار المدين وتوجيه استدعاء له (summons) حتى يبدى رأيـه ويتقدم بأى اعتراض له (antirresis) في حينه خلال عشرة أيام واذا لم يعترض اتخذت الاجراءات التنفيذية من اجـــل نزع الملكية وعندئذ يتعين على الدائن ان يتقدم الى الحاكـــم الاقليمى (Strategos) بالمستندات اللازمة حتى يتأكـــد من سلامتها وصحة ما جاء فيها وأخذ القسم على الدائن بأنـــه صادق فيما تقدم به من وثائق وعندئذ يصدر الأمر بالتنفيـــذ للسلطات المحلية المختصة سواء أكانت هى البراكتـــــور Ho peri twn kekrimentwn أو Praktor Xenikon اى الموظف المكلف بتنفيذ الاحكام.والمطلب الأول بالطبـــع ينصب على طرد المدين ان كان شاغلا للعين موضع الشكـــوى واخراجه منها :- (ekchorein ek tes oikias)

اما المطلب الثانى فهو منصب على احلال الدائن محله فـــى العين المذكورة وهذه عملية يكنى لها بكلمة لها دلالتها وهـــى (Embadeia) أو (Embibasae hemas eis oikian) وهذه عبارة تحمل فى طياتها نفس المعنى من تمكين الدائـــن من شغل العين والسكنى فيها (Habitatio) بحـــق الملكية الجديدة.وفضلا عن ذلك يحق له ان يطلب تغيير اســم المالكحتى تأخذ العين اسم الدائن باعتباره المالك الجديـــد (Metathesis eis onoma).

وقد اتحفنا العالم البولندى الراحل (رافائيل تاوبنشلاج) فى كتابه عن (القانون فى مصر فى ضوء وثائق البـــردى) بتفصيلات مسهبة عما كان يجرى فى مصر فى العصر اليونانـــى ـ الرومانى من معاملات وما كان يبرم من عقود فى شتـــى المناسبات وما كان يصاحب هذه وتلك من حقوق والتزامـــات فيها تبادل المنافع . وقد حرص على أن يؤيد ما يقوله بذكـــر شتى المراجع والنصوص البردية والنقشية وإبداء التفسيـــرات المختلفة لأوضاع تداخلت فيها تيارات وافدة فتنوعتوتشكلت صورها وكان النصيب الغالب فيها منقولا عن العصر الفرعونى والبعـــض منها مقتبس من أثينا والعالم اليونانى أو من التشريع اليهـــودى الذى كان سائدا بين أفراد الجاليات اليهودية فى أسوان وفـــى الإسكندرية . وهكذا اصبح لدينا تراث هائل وخليط مـــــن

الوثائق القانونية التى تحكى لنا الوانا متباينة عن أساليب التعامل وما كان يشوبها من تعقيدات فى أعمال البيع والشراء والدين والرهن والتأجير من الباطن والائتمان وعقود الاتفاق وفضها أو نقضها .وقد حرص كل من الدائن والمدين على المحافظة على حقوقه وعدم التفريط فى أى شىء منها ، وبخاصة متى كانت هذه الديون محملة ومثقلة برهونات وودائع أو شابتها ملابسات واشتراطات كأن يضطر المدين أن يتعهد بألا يتصرف لأحد فى املاكه الثابتة أو المنقولة طالما هى مرهونة وأن يودع لدى الدائن جميع المستندات الدالة على هذه الملكية (Asphaleiai) وذلك من قبيل طمأنة الدائن على أنه سوف يحصل على حقوقه كاملة وان يتم ذلك فى المواعيد المتفق عليها . ولعل موضوع الالتزامات المترتبة على هذه العقود ، على مختلف انواعها والمديونيات ذات التسميات المختلفة فى العصرين : البطلمى والرومانى مع الاصرار على النص عليها أو عدم التورط فى عواقبها ، كان الشغل الشاغل للناس خوفا من النتائج الوخيمة التى قد يتورطون فيها من جراء هذه العقود بنزع ملكياتهم أو حبس حرياتهم أو اخلاء مساكنهم واشغالها بقوة القانون بواسطة الدائنين من أصحاب الرهونات عليها وتخويلهم ذلك بواسطة السلطات المختصة بتفويض من قاضى القضاة فى الاسكندرية(Archidicastes) وهو الموظف الكبير المشرف على جميع المحاكم والمسئول عن

حسن سير الاجراءات) فإذا ما عرضت عليه الصورة الرسمية من الحكم المراد تنفيذه (Demosios hypochrematismos) وتأكد من صحة ما جاء بها، فإنه يأمر بالتنفيذ واحالة الموضوع على الحاكم الاقليمي (Strategos) وهذا يحيله بدوره الى البراكتور (Praktor) أو المحضر المختص او الى كاتب الحي Amphodogremmateus)

وقد يشوق الانسان ان يتناول بالدراسة بعضا من عقود الدين هذه وبخاصة ما كان منها مكبلا برهون عينية او بعقود بيوع ائتمانية مشروطة بالوفاء بسداد الدين في موعده والا تم التنفيذ ببيع العقار المرهون أو جزء منه أو بيع السلعة الفضية المحفوظة لدى الدائن على سبيل الضمان · وها نحن نذكر بعضا من هذه النصوص وهي تنتمي الى العصر الروماني : -

(١) قرض بضمان رهن يكبل صاحب العقار بعدم التصرف فيما يملك (Hypallagma) P. Soc. Athens, 21 by Petropoulos (= Papyrological Primer) No. 51 (dated 132 A,D.)

(٢) بيع بيت مرهون : P. S. I. 914 = P.Michigan V, 307, (1st Century A. D.) = Papyrological Primer No. 38.

وهناك حالات اخرى مماثلة نشرتها العالمة الايطاليـــــة الاستاذة في جامعة ميلان وهي اورسولينا مونتفيكـــــــى (Orsolina-Montevecchi) في مجلة (Aegyptus) العدد ٢١ ص ٩٣ وما بعدها .-

(٣) - الغاء بيع ائتماني او وفائي عن رقعة من الارض البـــور كانت ضمانا لسداد دين اقترضه مصرى يسمى بانوبخونـــس من دائنين مصريين وكان المبلغ المقترض كبيرا يقـــدر بتالنتوم من البرونز والف دراخمة وقد رد هذا المبلـــغ وألغى هذا العقد تبعا لذلك .

(٤) بيع ائتماني بضمان بيت : ـ P, S. I. 911
من عهد نيرون = (= Papyri Michigan V, 335
(= Papyrological Primer No. 36.

ويتضمن هذا العقد ان شخصا مصريا يدعى بيتيسوخـــوس (Petesouchos) اقترض مبلغا من المال قيمتـــه ٤٤٨ دراخمة فضية من شخص يدعى كرونيون (Kronion) واشترط ان يرد هذا المبلغ في خلال شهر امشير من العـــــام ٥٦ م . أي في السنة الثالثة من حكم الامبراطور نيرون . وعلـــى سبيل الضمان لهذا الدين قام المدين ببيع بيت مملوك لــــــه بملحقاته الى كرونيون هذا ويقر المدين باستلام المبلغ المقتـــرض كاملا ونقدا ، يدا بيد ، ويضمن للدائن بأن هذا البيت ليـــس

عليه أى التزامات للغير سواء من الافراد أو الحكومة. ثـــم جاء وصف هذا البيت الكائن فى قرية تيبتونس (تطون فـــى جنوب اقليم الفيوم) وهو ذو طابقين ويتبعه حوش وبه دهاليـز ويحد بحدود من أربع جهات . ويلى ذلك بيان تفصيلى عـــن قيمة الدين وربحه البالغ ١٢٪ فى السنة والتاريخ الذى ينبغـــى ان يرد فيه هذا المبلغ متضمنا الربح . وذكر فى العقد اســـم كاتبه وهو سيرابيون بن بطلميوس نظرا لان صاحب العقـــد لا يعرف الكتابة وهذه صيغة ترد كثيرا فى العقود التى تبـــرم بين الاميين فتجىء الصيغة هكذا .

(Dia to me eidenae auton grammata)

وقد حرص الدائن على النص على أن المدين ينتمى الى طبقـــة معينة وهى السلالة الفارسية أى (Perses tes epigones)

وهذه البدعة فى انتحال هذه الصيغة كانت حيلة قانونيـــة كثيرا ما ترد فى العقود كيما تخول لصاحب العقد حق التنفيـــذ على بدن المدين واسترقاقه اذا لم يف بما وعد ولم يقم بســـداد ما عليـــه .

وهناك عقود كثيرة مماثلة نذكر منها ما يلى : -

P. S. I., 908; P. S. I. 910;
P. Rylands 160, C & D ; Papyri Michigan
V, 328, 329, 330 and 332.

لمحات فى موضوع استيطان الجند والضباط
فى الجيش البطلمى والجهود المتواصلة فى سبيل تنظيم إسكانهم وتوطينهم

إن هذا لهو موضوع طريف للغاية ، نظرا لأن عناصـــره جاءت مؤيدة ومدعمة بالعديد من الوثائق البردية ذات الصبغـــة الرسمية وأغلبها منشور لأول مرة فى مجموعة بردى بيتـــرى (Papyri Petrie) منذ أواخر القرن التاسع عشر اى فـى ١٨٩١ م • وقام بالتعليق عليها العالم (ماهافى) (Mahaffy) وزميله (اسميلى) (Smyly) حتى عام ١٩٠٥ فى ثلاثـــة اجزاء • وتضمنت هذه بضع قرارات ملكية (prostagmata) ثم تبليغات (prosangelmata) ورسائل (entolae) وكان الملك البطلمى الثانى يبعث بها بين الحين والاخر الى كبـار اعوانه والى الشخصيات البارزة فى مصر • ومن هؤلاء القائـــد انطيوخوس (Antiochus) صاحب ضيعة كبيرة رقعتها بلغت عشرة الاف من الأرورات (arourae) وله زميل مثله يسمـى أندروماخوس (Andromachos) وامثالهم كثيرون وكـــان يطلق عليهم كلمة (myriarouroi) اى اصحاب العشـــرة الاف من الارورات [1] • وهؤلاء تتبعهم فرق عسكرية تأتمر بأمرهم

(1) Lucia Criscuolo, Imiraruri nell' Egitto toleraico, Aegyptus, Vol. 57 (1977), PP. 109 - 122.

ويتسمى أفرادها بأسماء هؤلاء القادة . وفي وقت ما رأى الملك أن يبعث الى أنطيوخوس هذا برسالة ، يشكو فيها ويندد بتصرفات هوجاء ، صدرت عن نفر من الجند التابعين والمرابطين في بلدة أبوللونوبوليس ماجنا (Apollonopolis Magna) وهي ادفو في اعماق الصعيد ونوه بما ارتكبوه من أعمال عدوانية في حق الاهالي من حيث سوء استخدامهم للمساكن التي وزعت عليهم ورفضهم اياها وتفضيلهم ارتكاب اعمال السطو على بيوت اخرى ، اختاروها بأنفسهم . وما اكثر الحالات التي من هذا القبيل وقد اشار اليها العالم الفرنسي اوكتاف جيرو (Octave Guéraud) في كتابه عن موضوع الشكاوى (Enteuxeis) . وفيها بيان عن بعض الافتئاتات على حقوق الغير والنزاع على اقتناء هذه المساكن وإقامة الفواصل والحواجز بينها كتعويق لهذا الحق . ونقطة البداية في هذا البحث الخاص بلون من الوان الاسكان المتعلق بالجند ، هي تلك الوثائق العشرة المنشورة في مجموعة بردى بيتري وللأسف تناول الخمسة الاولى منها شيء من البتر في اغلب سطورها ، فلم تبق في البعض منها سوى بضع كلمات . وقد حاول نفر من العلماء على مدى اكثر من خمسين عاما ، عمل بعض التصويبات او سد هذه الفراغات ؛ (lacunae) . وكان العالم الألماني ألريخ فيلكن (Ulrich Wilcken) من فرسان هذه الحلبة . وقد أعادت العالمة البلجيكية ماري تيريز لانجيه (Marie-Therese Lenger) نشر هذه الوثائق في

كتابها المنشور سنة ١٩٦٤ وعنوانه (Corpus des Ordonnances des Ptolamees) وقد اعيد نشر هذا الكتاب سنة ١٩٨٠ ، بعد تصويب بعض الحقائق الواردة في النشر الأول . وقد زودتنا هذه العالمة في صدر كل وثيقة من هذه الوثائق العشر بالعديد من المراجع والمقالات التي تشرح كل قصاصة من هذه الأوامر التي صدرت في مختلف المناسبات ، وبذلك اتاحت لنا المجال الفسيح كيما نتابع دراسة كل وثيقة على حدة (1) . ويرجع تاريخ أولى هذه الأوامر الملكية الى السنة العاشرة من حكم الملك بطلميوس فيلا دلفوس ، وامتدت هذه الاوامر الى ما بعد العام ٢٤ من حكمه المديد حتى عام ٣٩ اى حتى عام ٢٤٦ ق . م ولعل في خطاب هذا الملك الى القائد انطيوخوس ما ينير لنا السبيل الى التعرف على ما كان يجرى من سخافات وتصرفات هوجاء من قبل الجند.. وقد ادلى عدد كبير من العلماء الاوربيين بدلوهم في شرح النقاط القانونية واللغوية وفي تصويب بعض الكلمات وتفسير الغامض من العبارات ، وبذلك تكشفت لنا معالم سياسة هذا الملك الثاني من ملوك البطالمة ، إزاء موضوع اسكان الجند والعمل على توطينهم .

---

(1) M. Th. Lenger, Une nouvelle edition de P. Petrie, III, 20, recto, coll. 1-39, Chronique d' Egypte, tome XXIX No. 57, Janvier, 1954, PP. 124 - 136.

وهناك حقيقة مهمة ، نوه عنها هذا الملك مرتين فى هذه النصوص العشرة وهى أن هذه المساكن المعطاة لأولئك الجنود والضباط من مشاة وفرسان ، هى منحة اى (dosis) ، شأنها في ذلك شأن الاقطاعات العسكرية من انصبة من الاراضى (kleroi) وها هو نص تلك العبارة التي ساقها الملك فى الوثيقة المرقومة(١) : (hoi gar stathmoi basilikoi eisi) ثم تكررت هذه الصيغة مرة اخرى مع تغيير طفيف في موضع كلمة eisi ، فى البند الثامن . ومعنى هذه الفقرة ان الملك كان يؤكد ويصر على هذا المعنى . ويستتبع هذا ما حرمه على هؤلاء الجند من التصرف فى هذه المساكن ، فلا يحق لهم البيع ولا الشراء فيها (pwlein) ولا التأجير من الباطن ولا التنازل عنها ولا الاستدانة عليها برهنها (epidaneizesthai) وحرم عليهم كذلك اخذ الاموال من الغير عليها . وكان هذا التحريم قاطعا ولا محل لقبول اى عذر او ذريعة فى هذا الشأن (pareuresis medemia) . ولا ينبغى ان تورث للأبناء . وهكذا كانت هذه الاوامر لا تحتمل اى لبس او تأويل او مدعاة لسوء الفهم . فإذا ما خلت اية وحدة من هذه المساكن المستولى عليها ، لابد من ان ترد الى الملك كيما يتصرف فيها على النحو الذى يرضاه فيعين اسم من ينبغى ان تعطى له ، على ما يقضى به البند العاشر . أما اذا كان المسكن مؤلفا من طابقين وبه مبانى ملحقة (peribole) فيعطى النصف للنزيل في كل من المسكن الاصلي والملحقات التابعة له وبهذلك

يبقى لصاحب البيت النصف الاخر في كل من الناحيتين (البند رقم / ٩) .

وقد حرم الملك استخدام القوة الغشومة (Bia) وفرض العقوبات الصارمة على من تسول له نفسه استخدام العنف في طرد احد من مسكنه كيما يحل محله فأوجب تغريم هذا المعتدى الأثيم (apobiasamenos) بدفع ثلاثين من الدراخمات عن كل شهر بالنسبة للمسكن الاصلي ودفع ستين دراخمة عن كل شهر بالنسبة للملحقات (البند رقم / ٩) . واذا ما نزعت اقطاعية الارض من اى من شاغليها او الحائزين لها من طائفة الكليروكيين (hleruchs) لأى سبب من الاسباب كالنقل من مكان لاخر او كالإدانة والتورط في مخالفة من المخالفات او كدواعي العمل في ميدان اخر ، فإنه يتخلى في نفس الوقت عن هذا السكن الذى ينبغي عليه ان يرده فورا الى الملك كيما يتصرف فيه بمعرفته ويخصصه لمن يشاء من الجند والضباط . وهذا الاجراء هو ما أوحى به الملك في أحد أوامره .

ومنشأ الصعوبة في هذا الهرج والتردى في اعمال منكرة ، أن مصر كانت قديما تشكو من ازمة سكانية ، مثلما تشكو منها على نحو صارخ في الوقت الحاضر ، فأخشاب الاشجار اللازمة لهذه البيوت لم تكن متوافرة بالقدر الكافي ، بل ان نوعياتها لم تكن تصلح ، فشجر السنط (acanthus) وشجر السرو

(fir-tree) وشجر الجميز (sycamore) ليس كله بصالح لهذا الغرض ولم يكن بكاف لسد حاجة الناس ولذا كان الطلب متزايدا باستمرار على جلب شجر الأرز واخشابه من لبنان ومن سهل البقاع . ولكن هذا لم يكن متاحا في كل الاوقات فالظروف السياسية وعلاقة مصر بدولة السلوقيين كانت تلعب دورها في الحيلولة دون حصول مصر على حاجتها من خشب الأرز . ومن اجل هذا كله اضطر الملك الى ان يُنزل جنده وضباطه (كحلليين) على بيوت الأهالي كيما يقتسمونها فيما بينهم على النحو الذى اشرنا اليه .

وما أكثر الحيل التى كان الأهالى من المصريين ومن على شاكلتهم يستخدمونها بدهاء لكى يتهربوا من التعرض لاقتسام بيوتاتهم . ولم يكف الملك عن أن يبدئ نصائحه الى الجند والتنديد بسوء سلوكهم مثلما فعل فى خطابه الى انطيوخوس فأوحى اليهم بأن يبنوا لأنفسهم اكواخا وبيوتات من اللبن وهذه ما يكفى لهما باحدى الكلمتين (oikidia و Oikemata) وجاءت عبارته فى هذا الصدد واضحة جلية ولا لبس فيها فى السطرين ١٨٣ - ١٨٤ [1] ، ونصحهم بان يبتعدوا عن ضاحية متاخمة لابوللونوبوليس ، تسمى ارسينوى فلا يستقروا بها الا للضرورة القصوى .

---

(1) Papyri Halle, I, 11. 166 - 185, (Dikaeomata) 1913.

وهكذا تبين بالدليل الواضح ان موضوع توطين الجند والضباط في ريف البلاد وفي المناطق غير المكتظة بالسكان مع الابتعاد بقدر المستطاع عن تلك التي فيها كثافة سكانية هائلة من مصريين وهيلليزيين (hellenomemphitae) مثل ممفيس كان يؤرق الحكومة ويقض مضجع الملك البطلمي ، وبالتالي كان الشغل الشاغل لنفر من الموظفين وعلى رأسهم ابوللونيوس (Apollonius .) وزير مالية البلاد على مدى نحو خمسة عشر عاما هي السنوات الاخيرة من حكم بطلميوس فيلادلفوس الذى بلغ ٣٩ سنة (من ٢٨٦ ق.م الى ٢٤٦ ق.م) وكان المعاونون له في الاقسام الادارية يمثلون رهطا من الموظفين على رأسهم اولئك الذين اطلق عليه مديرو الشئون المالية والاقتصادية (Oikonomoi) وجل هؤلاء كانوا يأتمرون بأمر وزير المالية ويمثلون عيونا منبثة في ارجاء البلاد ولهم اختصاصات واسعة فصلتها لنا باسهاب وثيقة بردية مشهورة في مجموعة تبتونس رقم ٧٠٣ (Papyri Tebtunis.) وقد توفر على نشرها وشرح بنودها عالم روسي متأمرك يسمى ميخائيل رستوفتزف (M. Rostovtzeff.) ويبلغ عدد اسطر هذه الوثيقة نحو ٢٨٠ سطرا ، تكشف من ثناياها اللثام عن تلك المجالات التي كان ينبغي على هذا الموظف الاويكونومس العناية بها ، اذا ما أراد او طمع في ان يحوز رضاء رؤسائه وألا يتعرض لان توجه اليه شتى المآخذ واللوم والتقريع، ويضمن الترقي في سلم الوظائف . وهناك موظف اخر له ضلع بارز في

عملية التوطين هذه وكان لقبه يغني عن التعريف به او التعليق على المهام الموكولة اليه فهو يلقب بكلمة (stathmodotes) اى انه هو الذى يوطن الجند ويسهر على اسكانهم فى قشلاقات او بيوت سكنية متاحة اما اسمه فينم عن جنسيته وهو بيتوزيريس (Petosiris) ومعنى ذلك انه مفترى صنيم . وهناك اسم اخر وهو بيكوسيس (Pekysis) جاء فى وثيقة بردية من ارشيف زينون فى مجموعة كتالوج المتحف المصرى رقم (٥٩٣١٦) ولسنا نعرف مدى علاقة كل منهما بالاويكونوموس وهل كانا يعملان تحت امرته او كان كل منهما بمثابة حلقة اتصال فى هذه المهام الدقيقة والحساسة بالنسبة للمصريين وانهما كانا الاداة التنفيذية فى تحقيق ما يراه الأويكونوموس فى هذا الشأن . وقد يطول الكلام ويدخل فى مجال الاستطراد ، اذا اردنا ان نفحص ما يرد فى كل وثيقة بردية على حدة ، ونتعرض للشخصيات التى ذكرت فى كل بردية . وليس هذا مجال التفصيل والاسهاب والتصدى لجميع النقاط فى هذا البحث او ذاك ، والتعرض لجميع النواحى والتعرف على الاطراف المتشعبة ، وبخاصة تلك الجوانب القانونية التى كانت تشوب هذه العمليات من حيث الاستيلاء بطريق القهر ووضع اليد عنوة واقتدارا .

ويكفى هنا أن نبدأ بتناول وشرح ما جاء فى وثائق بردية ثلاثة ، مع شىء من التفصيل وهذه قد نشرت حديثا اى فى

سنة ١٩٧٢ في مؤلف حاوى لمجموعة بردى زينون المحفوظة بالمتحف البريطاني ، الجزء السابع :

(Papyri London, Volume VII, Nos. 2039, 1980, 1981).

وقد اضطلع بهذه المهمة عالم بريطاني يسمى ت. اسكيت (T.Skeat) كان امينا للقسم اليوناني الروماني بالمتحف البريطاني خلفا للعالم سير هارولد ادريس بل (H. I. Bell) وتاريخ الوثيقتين الاخيرتين هو ١٢ فبراير لسنة ٢٥٢ ق.م اما الوثيقة الاولى فجاءت خلوا من اى تاريخ . ومن ثنايا هذه الوثائق الثلاثة نستطيع ان نقول انه قد توافر لدينا بعض الضوء الخافت المسلط على بعض جوانب موضوع اسكان الجند ، فتكشفت نواحي دالة على توتر العلاقات بين هؤلاء المستوطنين وبين المصريين ، بل وبين اليونانيين انفسهم ، فالوثيقة الاولى بينت لنا بجلاء ان خلافا بين شخصيتين يونانيتين ، احدهما يسمى : ابوللو دورس ، (Apollodoros) والاخر يسمى ميناندر (Menandros) وقد رفع الاخير شكوى صارخة الى الملك ضمنها ما قد حل به من ايذاء وتعدى وصل الى حد الطرد على يد تلك الشخصية الجبارة من اصحاب الاقطاعات العسكرية وهو (ابوللو دورس) . ورجا الشاكي متوسلا الى الملك ان ينصفه ويستمع الى ما ورد في شكواه خاصة وانه رجل ضعيف ، لا حول له ولا طول ولا خلان له او اعوان يشدون ازره ويحولون دون تعنت رجل جبار طرده من مسكنه الذى كان مقيما به ثم هدم البيت الذى ابتناه لنفسه بوسائله الخاصة

ولكن هذا المعتدى اراد ان يضيق عليه الخناق فاحاط هذا البيت بسور من حوله حتى يعيقه عن الحركة ويتسبب في مضايقته . وقد وصف الشاكى نفسه بكنية لها مغزاها وهي إنه من الطبقة المعروفة بالسلالة اى (epigone) ولكنه أبى ان يصف نفسه بانه فارسى اى (Perses) كما جرت العادة [1] . ونحن نعرف ان هذا الاسلوب في التعريف كان له مغزاه في انه من الجائز ان يطبق علي الافراد المنتمين الى هذه الفئة ، اجراء التنفيذ على ابدانهم متى عجزوا عن سداد ما عليهم من ديون . وكان الدائنون حريصين على ان يكبل المدينون بهذا القيد حتى يتيسر التصرف معهم بسهولة في حالات العجز عن السداد والوفاء بالالتزامات الواردة في صكوك الدين .

ولعلنا اذا تصفحنا تلك النصوص البردية الثلاثة، على نحو ما نشره (ت.اسكيت) في كتابه عن البردى في مجموعة المتحف البريطانى الجزء السابع ، نستطيع التعرف على مزيد من المعلومات وكثير من الملابسات التى تسببت في هذه المصادمات وتلك الاحتكاكات بسبب المساكن ومطاردة اصحابها وعلى الدور الذى كان يقع على جهات الاختصاص عندما يلجأ اليها المتخاصمون عند التقاضى . ولعل الوثيقة رقم ٢٠٣٩ في هذه المجموعة

---

(1) Papyri London, VII, No. 2039 line 3.

هي اهمها ولو انها جاءت خالية من اى تاريخ دال على موعـــــــد تدبيجها . وهي على اى حال كانت شكوى اوظلامة مرفوعة اليـــبى الملك بطلميوس الثالث ضد شخص يدعى ديونيـودورس -Dionyso doros) وهو احد الحائزين على نصيب من الاراضى وممـــن نعرف ان لهم كيان خاص لدى الحكومة ، فهو اذا كليرو وكـــــ (Klerouchos) اى (Kleros +echo) ومعناها إنـــى احوز وامتلك نصيبا من الارض ، ثم ان المقدمة والخاتمة فى هـــذه الشكوى جاءتا مطابقتين للاسلوب المرعى فى تلك الشكايات والمظالم التى نشرها العالم الفرنسى اوكتاف جير ، اما عن سر وجود هـــذه الشكوى ضمن ارشيف زينون مندسة بين طيات اوراق هذا الارشيف فلسنا نعرف السبب فى ذلك ولا سبيل الى تبرير هذا الوضـــع . ولربما ان الشاكى ارسل صورة من شكواه هذه الى زينون ، كيمـــا يتصفحها ويتمعن فيما تضمنته من تصرفات ، لعله يستطيع التوســط بين الطرفين وتسوية الخلاف بينهما بالتراضى فزينون هذا حتى بعد اعتزاله منصبه المرموق واقامته كفرد عادى (parepidemos) فى منطقة فيلادلفيا على عهد بطلميوس يورجتيس الاول ، كانت لـــه خبرة واسعة بمثل هذه الامور وله من المكانة والمنزلة فى هذا الوسط الذى يقيم فى الريف فى محيط فيلادلفيا وما حولها من قرى متاخمـة مثل امدنباس وديونيسياس وباكياس وغيرها . وكانت كلمتــــه مسموعة لدى اقرانه والاعيان من امثاله والموظفين المحليين وسبـــق ان اشترك فى هيئة قضائية تمثل محكمة اشبه ما تكون بمحكمـــة

الحزيما تسناى (Chrematistae) وكان ثالث ثلاثة من القضاة الموصوفين بكلمة (Kritae) وهما نيستبوس (Nestos) وتوريماس (Torrimas) . وقد أصدر الثلاثة احكاما فى قضية مشهورة ، خاصة بشغل بعض الاراضى والاقطاعات العسكرية من غير وجه حق وجاءت تفاصيل هذا الموضوع فى الوثيقتين البرديتين المنشورتين فى ارشيف زينون المحفوظ بالمتحف البريطانى تحت رقمى ١٩٨٠ ، ١٩٨١ وكانت عبارة عن شكوى جماعية من مائة وخمسين فردا من سكان قرية امونياس بعدما اضيروا عندما نزعت الاراضى المخصصة لهم من قبل نفر من المشاة الذين وكلوا اليهم فلاحتها وزراعتها ، واعطيت لاخرين بمقتضى حكم اصدره هؤلاء القضاة الثلاثة . وقد رفعت هذه الشكوى الى كاتب قرية امونياس ويسمى كوللوثيس (Kollouthes) وهذه الشكوى جاءت حاوية لتاريخ مفصل وهو السنة الثالثة بعد الثلاثين من حكم الملك بطلميوس فيلادلفوس وفى الواحد بعد العشرين من شهر كيهك ويقابل هذا يوم ١٢ فبراير من عام ٢٥٢ق.م وهذا البلاغ الذى تلقاه كاتب هذه القرية يحمل فى صدره كلمة لها دلالتها وهى بروسأجلما (prosangelma) ومعناها بلاغ او اعلان موجه من طائفة من هؤلاء المزارعين الذين شاءت ارادتهم على تقديمها شارحين فيها شكواهم وقضيتهم وقد ارفقوها بتهديد على نحو مألوف وهو اعتزامهم على الرحيل والاعتزال للعمل والاضراب عنه ، مستخدمين فى ذلك كلمة تقليدية وهى

(ekchoresis) تنم عن نظام ألفه الناس ى مصـــــر البطلمية عندما يعقدون العزم على التخلى والرحيل الى قرية اخـــرى او التوجه الى البرارى فى شمال الدلتا . وهذا يتضمن معنى خطيــرا وفيه عصيان مدنى وهروب من الأعباء التى كلفوا بأدائها . ولعلهم كانوا يقصدون الاعتصام باحد المعابد او اللجوء الى مكان لــــه قداسته وحرمته وهو نظام بديل وله كنيته وهى (anachoresis) والامثلة عليه كثيرة وكان سلاحا ماضيا يشهره الاهالى من المصريين عندما يضيقوا ذرعا وينفد صبرهم فينفذوا وعيدهم بالاعتصام فـــى احد المعابد المتمتعة بحق الايواء والجيرة (heira asyla) .

ولا ضير من العودة الى الشكوى التى تقدم بها ميناندر ضد خصمه أپوللودورس ، وهى التى نوهنا عنها انفا ، فنبدى بعـــض الملاحظات على الشكل الذى قدمت به والأسلوب المستخدم فـــى صياغتها والطريقة التى اختيرت بها العبارات الواردة بها وانتقيت بها بعض الكلمات الاصطلاحية ، ففى السطرين العاشر والحـــادى عشر جاءت عبارتان دالتان على اسلوب التوسل والرجاء للملـــك وهم :

(1) deomai oun sou diakousae mou

(2) adikoumai hypo Dionysodorou twn . klerouchwn.

وهى العبارة الواردة فى السطرين الاول والثانى ، تعبيرا عـــن ان ظلما حل بالشاكى على يد (ديونيسودورس) وهو احد الجنود مـــن

ذوى الاقطاعات العسكرية.وكان قصد الشاكي في العبارة الاولـــى ان يلقى الملك اذنا صاغية اليه حتى النهاية ليفصح له عن مضمـــون شكواه . وهذا اسلوب غير مألوف ولا عهد لنا بمثله في مجمــــوع الشكاوى والملتمسات التي ترفع الى الملك واصبحت تقليدا متعارفا عليه وهي على نحو ما سطره (انتيباتر) زوج سيمون في شكـــواه الى الملك بطلميوس فيلادلفوس[1] واستخدم فيها صاحبها الاسلوب التقليدى . وليس من المعقول ان يجول بخاطر احد ان الملـــك كان هو الذى يستمع الى كل هذه الشكايات وانما كانت تعنـــون فقط باسمه ثم تسير في مجراها الطبيعي فتحول تلقائيا الى جهـــات الاختصاص ومنها الحاكم الاقليمى وهو ما يسمى بالاستراتيجـــوس (strategos) وهو يمثل العصب الدائم والمستمر في الجهـــاز الإداري ثم يتم تحويلها بدورها الى الضابط المختـــص (epistates) كما يسائل الأطراف المتنازعة ويحاول بالطرق السلمية تسوية الخلاف إن امكن اى على حد القول المـأثـــور (malista dialyson autous) وإلا فلا (ei de me) وعندئذ تحول القضية الى المحكمة المختصة للفصل في هذا النـــزاع اما الوقائع التي ذكرها (ميناندر) فهي في حد ذاتها، صاخبـــة ومثيرة ، اذ جرى فيها استعمال الايدى بالضرب ثم الطرد واستخدام

---

(١) هذه الشكوى عن دين باهظ تم نشرها بواسطة وسترمان فـى مجموعة بردى كولومبيا رقم ٨٣ .

وسائل العنف (bia) ويصحب ذلك الابعاد (ekballein)
واقامة شتى العراقيل فى سبيل السكنى على اى نحو ، مع المطالبة
بدفع ايجار سنوى ، مهما كان هذا زهيدا فهو باطل (adikws)
او (ouk dikaiws) وذلك لان مثل هذه المساكن
المخصصة للجند كانت تعتبر هبة من الملك . ولا ينبغى ان يكون
لها مقابل مما يتكبده الساكن او يطالب بدفعه لاحد ، فهذا محرم
بمقتضى النص الوارد فى الاوامر الملكية فى هذا الشأن . والمسكن
شأنه شأن الارض التى قيست (katametrein) واعطيت
لهؤلاء الجند ، ليس مما يدفع عنه اى مقابل او يستحق عليه ايجار
وانما تلك كلها هبات ملكية (charites) او (beneficia)
أسبغت على هذه الطبقة الحيوية بالنسبة لتأييد
العرش فى الداخل والدفاع عن البلاد فى الخارج ، فكيف تسنى
اذا للمشكو فى حقه وهو كما نعرف من اولئك الجند الذين حصلوا
على نصيب من الارض واصبح (klerouchos) ، ان يطلب
ايجارا وان يقيم شتى العراقيل ، بل ويستخدم القوة الغشومة فى
سبيل زحزحة الشاكى واخراجه من مسكن مخصص له . ولعل
الشاكى اعتبر مغتصبا للارض التى بنى فوقها مسكنا اخر له على
حد تعبيره (oikodomew) فى سطر (٨) يعد
طرده من سكنه الاول وشاء له ان يدعى ما يسمى (بالتبليط)
(squatting) فى ارض واقعة فى حيازة ديونيسودورس
هذا ، فلزم طرده ، ولكن الاسلوب الذى اتبع فى ذلك جاء

عشوائيا وتلقائيا وكان ينبغي اللجوء في هذه الحالة الى السلطات المعنية حتى يتم الفصل فى هذا النزاع بواسطة الموظف المكلف بذلك وهو الرئيس المحلي او ال epistates بتكليف من الحاكم الاقليمي ، اما استعمال الايدى واللجوء الى الضرب واللكمات ثم الطرد فهذا عمل عدواني غير لائق . ثم ان الشاكى افصح في شكواه ، استدرارا للعطف ، انه رجل ضعيف وليست لديه عزوة واعترف بانه رجل (غلبان) وممن لا حول لهم ولا طول ، وفضلا عن هذا كله فهو يشكو من حالة الفقر المدقع والاملاق الشديد على نحو ما الم بـه ، مما شجع خصمه المفترى على ان يشبعه ضربا ولكما . وقد نوه بانه اثر ان يعول على ضبط النفس (d' epeschon) سطر (٧) فلم يحرك ساكنا لعدم وجود احد يقف بجانبه (السطران ٧ ـ ٨) . ولعل من الخير أن نورد هنا ترجمة لنص الشكوى حتى ندرك تسلسل الاحداث وما كان يجول بخواطر كل من الشاكى والمشكو في حقه من الاحاسيس ازاء ما يجرى من تصرف في هذه المساكن ، التى كانت مصدر متاعب لا حصر لها وأدت الى ارتكاب العديد من المخالفات

(الى الملك بطلميوس تحية من ميناندروس -Menan dros) احد رجال السلالة (epigone) إنى ظلمت على يدى ديونيسودورس (Dionysodoros) وهو احد رجال الجند المرابطين من اصحاب الاقطاعات العسكرية . ذلك انه

تربص لي بعد ان طلبت من (بيتوزيريس) (Petosiris)
وهو المكلف بتوفير وتوزيع المساكن على الجند بوصفه شاغلا لمنصب
(stathmodotes) سطر (٢) ، تخصيص قطعة ارض لي
لأقيم عليها بنيانا اسكن فيه وقد بنيت بالفعل سكنا متواضعا
لشخصي (السطران ٣ - ٤) وعندئذ انبرى لي (ديونيسودروس)،
متحديا وطالبا مني دفع مبلغ دراخمتين على سبيل الايجار السنوى
لهذا المسكن . ثم انه انتهز فرصة تواجدى في الحقل بصحبة شخص
يدعى ابيلاوس (Abbilaos) من اجل تفقد نصيبه من
الارض المقطعة له وهى (Kleros) ، وسارع باقامة سور
حول بيتي ، مطوقا اياه وفي هذا استخفاف بي واحتقار لشأني
وفقرى وامتهان لكرامتي . وقد تطاول علي واخذ يضربني وقام
بطردى من سكني هذا . وقد اثرت ضبط النفس وكتمت غيظي
نظرا لعدم وجود احد يقف بجانبي ويشد من ازرى وبنيت لنفسي
بيتا اخر ولكنه طردني منه كذلك واعتدى علي بالضرب وكانت
حجته في ذلك انه استحوذ على الارض كلها من (زينون) بمقتضى
حكم (krisis) سطر (١٠) صادر من القاضي نيستوس
(Nestos) وعلى ذلك فإني اتوسل اليك ، ايها الملك
اذا راق لك ذلك ، أن تستمع الى شكواى وتنصفني من تسلط
هذا الشخص المسمى (ديونيسودورس) طاب زمانك وابتسم
لك الحظ (eutychei) .

وجاء في تعليق العالم البريطاني (ت٠ اسكيت) على هذا النص ما يعتبر من النتف الطريفة التي نوجزها فيما يلي:- إن الملاحظ هنا أن الاشارة الى طبقة السلالة والانتماء اليها جاءت في السطر الاول دون الافصاح عن الجنس الذى ينتمي اليه وهو الجنس الفارسي ٠ وهؤلاء كانوا يذكرون في حالات الدين وعند العجز عن الوفاء بسداده ، فيطبق عليهم الشرط الجزائي بتوقيع الحبس والاسترقاق وذلك بالتنفيذ على ابدانهم دون معقب ٠ وفي مقال العالم الامريكي (جون ف٠ اوتس) (John F. Oates) الذى صدر حديثا ما يكفي للتعرف على نوعية هذه الطبقة ومركزها القانوني وعنوانه (The Status Designation, Perses tes epigo[es]) وهو منشور في مجلة امريكية اصدرتها جامعة (ييل) عن تلك التسمية (Yale Classical Studies .XVIII,PP. 69-70.)

اما المشترى (ديونيسودورس) صاحب الاقطاع العسكرى فهو يوناني ولكن لم يرد اسمه حاملا لهذا الوصف من قبل في ارشيف زينون سوى هذه المرة ، وان كنا نعرف هذا الاسم بمواصفات اخرى ، فهو تارة يرد كمحاسب (eklogistes) وتارة اخرى هو صراف (trapezites) وثالثة هو صديق اى (oikeios) وأنيس ٠ وقد عدد الناشر لموسوعة هولندية تسمى (Papyri Lugduno - Batava) الجزء ٢١ الصادر في عام ١٩٨١ ، تسع حالات جاء فيها ذكر هذا الاسم بمواصفات مختلفة ، على انه جاء ذكره كذلك في كتاب خالد

عن الكليروكيين في مصر في عهد ملوك البطالمة الست الاوليـــن لمؤلفه - فريتزايبل - (FritzUebel, Die Klesuchen aegyptens, 1968 No. 241.) على ان هذا الشخص كان احد الحائزين لإقطاع عسكرى . والامر الذى يعنينا بصفة خاصة في هذا المقام هو ذلك اللقب المسبغ على بيتوزوريس وهو انه كان (Stathmodotes) وهذه الكنية لم ترد من قبل في وثائق البردى ، فلزم التنويه عنها اما الكلمتان (stathmodotein) stathmodosia) فقد وردتا كثيرا . والمعروف أن مهمة توزيع المساكن على الجند كانت أصلا موكولة الى الأويكونومس وورد هذا المعنى صراحة في خطاب الملك بطلميوس فيلادلفوس الى (انطيوخوس)[1] . فاذا جاء اسم هذا المصرى وهو (بيتوزيرس) حاملا لهذا اللقب المتضمن توزيع المساكن على الجند، فهذا امر يدعو الى شيء من الغرابة والتساؤل ويتطلب تفسيرا . ولعله كان موظفا محليا مكلفا بتوطين هؤلاء الجند والمعاونة في هذه المهمة والسهر على راحتهم . وفي مجموعة البردى الخاصة بارشيف زينون والمحفوظة بالمتحف المصرى ، وثيقة بردية تحمل رقم ٥٩٣١٦ وقد جاء بها ذكر اسم مصرى اخر هو - بيكوزيس - (Pekysis) وقد عن له ان يكتب الى زينون بشأن شغل بعض المساكن (hoi stathmoi) . ولعله كان زميلا لسلفه بيتوزيريس

---

(1) Pap. Halensis L. 168; Corpus des Ordonnances des Ptolemees No. 24 L.8.

او معاونا له . والجدير بالذكر ان الشاكي (ميناندروس) لم يذكر صراحة أن (بيتوزيريس) اعطاه رسميا تلك الأرض التي اقام عليها سكنا له ، وهو السكن الذى كان متنازعا عليه بينه وبين (ديونيسودورس) ويبدو ان الشاكي لم يكن لديه اى سند قانوني فيما ادعاه وانه كان غاصبا لقطعة الارض الفضاء التي شيد عليها مسكنا له . ثم انه لم يذكر صراحة ان قيمة الايجار السنوى وهو دراخمتان ، كان عملا باطلا ، فالأرض التي وضع اليد عليها وبني عليها سكنا ، لم تكن من الاراضي المخصصة لبناء مساكن من هذا النوع ولذلك انبرى (ديونيسودورس) لمطاردته ، متذرعا بانه يقوم باجراء قانوني ولديه حكم قضائي من شخصية مرموقة في فيلادلفيا وهو (نيستوس) بوصفه قاضيا (Krites) .

وعلى الرغم مما جاء في هذه الشكوى من اخطاء لغوية وما ادخل عليها من تصويبات في صياغة بعض العبارات الواردة فيها فإنها تحمل في طياتها معاني كثيرة ، وان كانت مخزية وتكشف عن مدى استعمال القوة والعنف والجبروت ، الى حد التلاحم بالايدى والايذاء الجثماني ثم الطرد مرتين من المسكن . وهذا اللون من التصرفات كان يستخدم في الحالات القصوى وتردد صداه في حالات اخرى مماثلة .

وهناك دراسة مستفيضة لموضوع اسكان الجند قام بها عالم فرنسي يسمى مارسيل لوني (Marcel Launey) في

كتاب من جزءين عنوانه (بحوث عن الجيوش الهيللينستية
(Recherches sur les armees Hellenistiques)
Vol. I (1949) & Vol. II, 1950) وقد شملت هذه الدراسة
اطرافا كثيرة من احوال هؤلاء الجند وبخاصة اولئك المرتزقة منهم
وهم الذين اثروا منذ منتصف القرن الرابع أداء الخدمات
العسكرية المأجورة لنفر من الملوك والامراء الذين اقتسموا دولة
الاسكندر الاكبر وحكموا قطاعات فسيحة منها في اسيا الصغرى
وبلاد اليونان ومصر وسيطروا علي جزر بحر الارخبيل ومقدونيا
وتراقيا . والذى يعنينا فى هذا المقام ما جاء بخصوص السياسة
التى اتبعها الملك البطلمي فى مصر وهو بطلميوس الثانى طوال
فترة حكمه المديد من عام ٢٨٦ الى ٢٤٦ ق.م ، وقد تناول هذا
المؤلف الفرنسى موضوع اسكان الجند وتوطينهم فى بضع اقاليم من
صعيد مصر وبخاصة فى اقليم الفيوم واقليم ادفو . وكان فى هذا
الاختيار ما ينم عن الرغبة الاكيدة فى تجنب المناطق الاهلة
بالسكان والمكتظة بهم مثل الاقليم الممفيتى حيث كانت العراقة
المصرية على اشدها والاعتداد بالوطنية والقومية علي اوسع نطاق
ولكنه وجد فى اقليم الفيوم بالذات وهو المتاخم للصحراء الغربية
رقعا فسيحة ومجالا رحبا للتوسع العمرانى غربا وشمالا وجنوبا
دون ان يضار احد من السكان الاصليين . وجاءت ملاحظات
المؤلف الفرنسي فى بضع صفحات من الجزء الثانى من مؤلفه من
صفحة ٦٩٥ حتى ٧١٥ وها نحن نلخصها فيما يلى ونضمنها ما قضت

به تلك التشريعات عن اسكان الجند من تنظيمات واوامر ملكيـة ورسائل وتبليغات وما صاحب ذلك وترتب عليه من مساوىء ومظالم ضج منها نفـر من الاهالى الذين فرض عليهم الملك ايواء هـــؤلاء الجنود بتخصيص اجزاء من مساكنهم وبيوتاتهم ، بل وملحقاتها فـى بعض الاحيان الى هؤلاء المحاربين من مشاة وفرسان والى عائلاتهم بصفة مؤقتة او بصفة دائمة . وقد اسفر عن تطبيق هذا النظام عـــدد من الشكايات والمذكرات (Enteuxeis & hypomnemata) المرفوعة الى الملك او لبعض كبار موظفيه من حكام الاقاليـــــم ومساعديهم من الكتبة ورجال الشرطة .

ومن بين المساوىء التى ارتكبت من جراء تنقلات الجنـد فى اسفارهم ثم فى مقامهم المؤقت من حيث استغلالهم للنفوذ ووضعهم اليد علي الدواب ووسائل النقل المختلفة من عربات وسفن ثـــم الحصول على الطعام والمؤن (viatica) ، ليس هناك ما هـــو اسوأ وأبشع من فرض الاسكان الدائم وتوطين الجند بالاكراه علـى المواطنين والاهالى الآمنين ، بمقتضى اوامر ملكية ، تفرض هـــذا الحق الثقيل فى تعنت واكراه.والعبارة اليونانية التى تعبر عن حـق الملك المطلق فى فرض هذا الإسكان تقوم على اساس ان الملـــك البطلمى هو اشبه بالفرعون المصرى ويستمد حقه من سلفه فهــــــو المالك لجميع الارض فى مصر وما عليها وما فى بطنها ، ومن حقـــه ان يقطعها لمن يشاء ثم يستردها متى شاء.وفضلا عن ذلك فإنــــه

يحق له ان يستخدم ما تخرجه الارض من ثمار وخيرات لصالحه.
وقد جرت العادة في اثناء اشتعال نيران الحروب ان متطلباتها
تقتضي تنقلات الجند من مكان لآخر ثم ايوائهم في ثكنات على
اهبة الاستعداد لخوض خمارها وعندئذ يتخذ نظام اسكان الجند
طابعاً مؤقتا ولا يكتب له صفة الدوام . اما في اوقات السلم فانه
يصبح دائما وثقيل الوطء وعندئذ يقتضي الامر العدول عن تركيز
حامية ما في قلعة من القلاع الكائنة اما بالاسكندرية او بممفيس
او بغيرهما من المواقع على الحدود ، ويتراءى توزيعها وانتشارها
لاسباب استراتيجية او سياسية على الناس فتتناثر فئات من هذه
الحاميات وتتفرق اشتات منها لتقيم بين ظهراني الاهالي المدنيين
وتخصص لهذه الطوائف اجزاء من المساكن والعمائر فيحلون على
الناس كنزلاء . وعلى ذلك يصبح هذا المقام ذا صفة نهائية
ومفروضا بالاكراه على افراد من الاهالي الذين كان من المحتم
عليهم استقبال نفر من الجند وانفهم صاغر وعلى مضض منهم .

والوثائق البردية الدالة على هذه الاوضاع عديدة ومتناثرة
فبعضها كما قلنا جاء في مجموعة بردى (بيترى) وبعضها الاخر
في مجموعة جامعة هالي (Halle) ثم في ارشيف (زينون) وفي
مجموعة بردى متحف برلين (B. G. U.) وفي مجموعة بردى
المتحف البريطاني وفي كتاب الشكاوى (لأكتاف جيرو) . وقد
وجدنا في هذه وتلك نتفا واشارات الى الوان من التصرفات

والمشاحنات بين فئات وافراد من الجند او ورثتهم وبين الاهالـــي
ومعظم هذه الوثائق البردية كانت تحكم، لنا ما كان يحدث مـــن
اختلاف في وجهات النظر وما كانت تقضي به السلطات الحاكمـــة
ابتداءا من الملك وكبار موظفيه من احكام في سهولة ويسر، فجاءت
بصفة عامة واضحة لا لبس فيها ولا ابهام . وليس من المستبعد انـــه
في بعض المدن مثل الاسكندرية وممفيس تطورت هذه المنشـــآت
الخاصة بايواء الجند وكان يطلق عليها (ta steganopoiia)
من حالتها البدائية الى ثكنات متكاملة ، بها من المرافق والمتاجـر
والنوادى والحمامات ووسائل التدفئة (hypocaust)والتسلية
الشيء الكثير ، فكان الجند من اليونانيين على مختلف جنسياتهـم
من (كريتيين) و (مقدونيين) و (اسيويين) منتأغرقيـــــن
وبيؤوتيين) الخ يقيمون في الاسكندرية في حي خاص بهم بجـوار
الحي الملكي في منطقة عرفت حاليا بالشاطبي والسلسلة وكانـــت
تسمى قديما بحي اللوخياس (Lochias) وقد اطلق عليهـــا
المؤرخ اليوناني پولبيـوس (Polybius) الـــذي زار
الاسكندرية في اواخر عهد البطالمة (في عهد الملك يورجتيـــس
الثاني) فاطلق عليها في كتابه الخامس عشر ، ٢٩ ، ١ - ٢ اســم
الثكنات (hai skenai) وهذه الثكنات التي كناها المؤرخ
على هذا النحو لا يمكن ان نتصور انها كانت قائمة على خيـــام
ومعدات عسكرية بسيطة وانما الغالب على الظن انها كانت ثكنـات
وفشلاقات معدة اعدادا كاملا مثل تلك التي كانت للانجليز فـــي

القاهرة فى العباسية وفي منطقة قصر النيل بجوار الكبرى وفى مصطفى باشا بالاسكندرية ·

والبردى اليونانى الذى كشف النقاب عنه فى اواخر القرن التاسع عشر وصدر القرن العشرين ، قد اتاح لنا فرصا طيبة كيما ندرس عن كثب تلك الظاهرة الخاصة باسكان الجند ثم نتعرف عن الوان من تلك الاحتكاكات التى كانت تقع فى هذا المجال بسبب ما قد ينشأ من علاقات متوترة بين افراد من جيش الاحتلال المؤلف من اليونانيين والمقدونيين وانداهم وبين عامة المواطنين من المصريين ، وجلهم من المغلوبين على امرهم وقد اثقلت كواهلهم بالاعباء من جراء ضرورة الالتزام بما قضت به الاوامر الملكية المتعاقبة بشأن ايواء الجند واحلالهم بين ظهرانيهم، خوفا من العقوبات والغرامات التى نصت عليها تلك الاحكام على المخالفين سواء اكانوا من المصريين او اليونانيين · وقد تناولت الكتب والمراجع ما جاء من تعليقات مستفيضة فى هذا الشأن ، وفصلت لنا الوانا من القضايا لدى المحاكم والسلطات المدنية بسبب ما كان ينشب من عراك على هذه المساكن وحتمية الاستيلاء عليها والمفاضلة بينها· على ان بعض اوجه الاختلاف والمنازعات قد تنشأ كذلك بين المنتفعين انفسهم من عامة الجند او الضباط ، وكثيرا ما يتقاتلون بسبب الاستحواز على سكن معين ، راق فى نظر البعض واثر وضع اليد عليه ولكن زميلا له نازعه فيه وهذا ما حدث فى

الاقليم الطيبى وفصلته لنا وثيقة بردية منشورة (Papyri London .)
(106 = U.P.Z.,II, 151 (Schubart P.14)) ففي شهـــر
اغسطس من عام ٢٥٩ ق.م تسلم شخص يدعى اريوس (Areus)
سكنا له من شخص مصرى يدعى موسخيون (Moschion)
وآريوس هذا كان جنديا مرتزقا ، يعمل فى سلاح المجدفين علــى
سفينة حربية خفيفة تتبع شخصا يدعى پوليمون (Polemon)
وفى اثناء رسو هده السفينة على رصيف النيل طال امد هذا الرسـو
وعندئذ انبرى زميل من رفاق (آريوس) وكان يدعى كيفالــون
(Kephalon) وتصدى له فى تحدى وكانت بغيته فيما يظـن
الاستحواذ على هذا السكن الموصوف بكلمة (Stathmos .)
فاقتحم البيت المتنازع عليه متهجما ، ورمى باثاث البيت الخـاص
بآريوس فى عرض الطريق ، غير آبه بشئ ولا مكترثا بحـق
اسبغ على زميل له . وفضلا عن ذلك فقد اعتدى بالضرب واللكـم
على صاحب هذا الاثاث ، ولما حضر اناس للنجدة والعمل علـى
تخليص المتقاتلين ، استشهد بهم (آريوس) فى شكواه ضـد
(كيفالون) الذى انسحب من هذه المعركة . وقد ارتد آريـوس
واعيد اليه سكنه ، ولكنه طالب بان تسبغ عليه الحماية الواجبـة
حتى لا يتكرر مستقبلا مثل هذا الحادث الاليم .

ونظام الاسكان الخاص بالجند كان فى حد ذاته يحمـل
فى طياته معنى ثقيلا للغاية ، اذ ان فيه شئ من روح السخـرة

(Corvée) بمعناها البغيض ولكنه لم يكن مطبقا فـــى أول الامر الا في اضيق نطاق وفي الحالات القصوى التي كانت تتطلـــب ضمان المأوى المؤقت للجند والضباط في حلهم وترحالهم ولفتـــــرة قصيرة وكذلك للموظفين العموميين في اثناء جولاتهم وطوافهـــــم ومباشرة اعمال التفتيش التي كانوا يكلفون بها بين الحين والاخر. على أن هذا الاحتلال المؤقت لعدد من الاماكن والبيوتات ما لبـــث ان اتخذ صفة البقاء والدوام واصبح مطبقا طوال حكم اسرة البطالمة في غير ما هوادة ولا رحمة . وقد عبر عن هذا المعنى (مارسيـــل لونى) في الجزء الثاني من كتابه ص (٦٩٩) فأكد استمراريتـــه وتطبيقه على المدى الطويل في حكم الاسرة البطلمية فقال :

Cette occupation occasionelle de locaux est demeurée en usage pandant toute la duree de la dynastie.

وهناك مثل اخر ، نضربه على النحو الذى ساقه (مارسيل لونى) وهو ان ضابطا يونانيا يسمى ـ فانياس ـ (Phanias) كتب في عام ٢٥٢ ق.م الى زينون المقيم بفيلادلفيا والمشرف علـــى الضيعة الكبرى الخاصة بأبوللونيوس ، طالبا اليه اعداد حجرة لـــه كيما يقيم فيها في اثناء مروره بفيلادلفيا للتفتيش على الجنـــد التابعين له والمرابطين في زمام فيلادلفيا [1] وهذه الوثيقة محفوظـــة

(1) Papyri Zenon, Cat. Gen. No. 59254 = Sammlbuch, No. 6992.

بالمتحف المصرى وقد نشرها منذ بضع سنوات العالم البريطاني (ادجار) وهناك حالة اخرى تتلخص فيما يلى : تقدم شخص يدعى ـ بوبالوس ـ (Boubalos) وهو مقيم بالاقليم المفيتى (Memphite nome) الى زينون بخطاب أرفق به بيانا بما اتخذه من اجراءات من اجل اسكان قلة من الجند او بالاحرى كتيبة من الفرسان (Hippeis) تزمع التوجه الى الاسكندرية فى رحلة من اجل المشاركة فى الاحتفال بعيد بطلمى مرموق يسمى (Ptolemaia = Penteeteris) كان يقام كل خمس سنوات تكريما للاسرة البطلمية وملوكها . وكان هذا الحدث يجرى فى عام ٢٥١ ق.م على اوسع نطاق . ولم يفت مرسل هذا الخطاب ان يؤكد لزينون ان جميع الاجراءات قد اتخذت من اجل تزويد هؤلاء الفرسان بما يلزمهم من غذاء ومؤن وزيوت وخلافه ثم عقّب بقوله ان عملية اسكانهم وتهيئة الثكنات (stathmoi) اللازمة لهم قد اتخذت وعملت جميع الاحتياطات لإعداد ذلك لهم . وقد جاءت جميع هذه التفاصيل فى الوثيقة البردية رقم ٩ من مجموعة بردى زينون المحفوظة بمكتبة رايلاندز بجامعة مانشستر بانجلترا والتى نشرها ادجار فى مؤلف خاص بتلك الجامعة (١) . ومن هذا يتضح جليا انه كان فى الامكان

---

(1) Papyri Rylands Zenon, Manchester University, No. 9 ll. 22 - 26 = Sammelbuch No. 7645.

فى بعض الاحيان ابتناء بيوت وثكنات خاصة بايواء الجند فـــى
فترات معينة او فى اثناء مرورها عبر الطريق واضطرارها للمكوث
والاقامة لفترة محدودة من الوقت . وهناك حالة اخرى دالة علـــى
مبلغ الشغف والحرص بقدر المستطاع وباسرع ما يمكـــــــن
(tachistes) على الانتهاء من تهيئة مثل هذه البيوتـــات
من اجل ايواء طائفة من الجند من طبقة الشبيبة.وقد جاء هـــذا
المعنى فى وثيقة بردية منشورة فى مجموعة كتالوج المتحف المصـــرى
رقم ٥٩١٥٢ (السطران ٢ ـ ٣) ونصهما كالاتى :

hina tois neaniskois hai oikeseis ten
tachisten syntelesthwsin.

وترجمتهما كما يلى (وذلك من اجل ان يتم باسرع ما يمكـــن
الانتهاء من بناء هذه البيوتات او الثكنات اللازمة للنفر من شبيبة
الجنـــد) .

وهناك مثل اخر ، لا يخلو من طرافة ، لأنه متصل بطبقـــة
من الكهنة ويصور احاسيسهم ومشاعرهم ازاء تصرف الدولة فـــى
توزيع عبء الاسكان على كواهل الناس دون اى اعتبار لمغبـــة
هذا التصرف العشوائى . وكان هؤلاء الكهنة قد ضاقوا ذرعا بهـــذا
التكليف فلم يقتصر الامر على مجرد احلال الجند عليهم كنـــزلاء
وانما زاد الطين بلة انهم كانوا يتحملون نفقة الانفاق عليهم ، مما
جر عليهم الفاقة والفقر المدقع . ويرجع المثل الدال على ذلـــك

الى عصر متأخر نوعا ما وهو عصر سادت فيه الاضطرابات والقلاقل بل والحروب الاهلية ، وذلك هو عهد الملك الشرير (Kake - rgetes) الذى اشتهر باسم على غير مسمى وهو فاعل الخير (Euergetes) - ١٤٥ ق.م - ١١٦ ق.م - تقدم الكهنة بملتمسهم هذا الى الملك والى الملكتين الكليوباترتين وهما كليوباترة الثانية الاخت والزوجة وكليوباترة الثالثة وهى ايضا الزوجة باعتبار ان الملك (bigamist) اى جامعا بين زوجتين اذ ان الملك تزوج ارملة اخيه ثم تزوج بعد ذلك ابنتها كليوباترة الثالثة وهى المحببة الى قلبه فآثرها على امها كليوباترة الثانية وكان اصحاب الالتماس هم كهنة ايزيس (Isis) فى كل من اباتون (Abaton) وفى جزيرة فيلة بأسوان وقد نشرت هذه الشكوى فى مجموعة لنشر الوثائق والنقوش (O. G. I. S.) ١٣٧ - ١٣٩ ثم اعيد نشرها فى موسوعة (Sammelbuch) تحت رقم ٨٣٩٦ وتتضمن هذه الشكوى ان إكراها وقع عليهم والمت بهم كارثة من جراء ايواء نفر من الجند والضباط وطائفة من الموظفين الملكيين وكان هذا على غير رغبة منهم وكان عليهم فضلا عن ذلك ان يقدموا الواجبات التى تقتضيها اعمال الضيافة (Parousiae) والاقامة ، من طعام وزاد وشراب وهذا بالاضافة الى تهيئة السكن الملائم لهم وللحاشية المرافقة لهم . وقد نجم عن هذا تعريض ميزانية معبدهم للخطر والافلاس . ومما لا ريب فيه ان هذا سوف يؤثر بالتالى

على واجباتهم الاساسية وهى التفرغ للعبادة ومباشرة الطقوس الدينية المألوفة ثم مصير هذا اعاقتهم عن الاضطلاع بالاعباء الدينية اللازمة للعبادة الملكية (Dynastic cults) وفى هذا خطر كبير على الملكية . وقد ختموا ملتمسهم هذا برجاء ملح في طلب الاعفاء من هذا العبء الثقيل .

على ان شغل المساكن واحتلال ادوار او اجزاء منها جعل من هذه البيوتات هدفا للافتئات عليها في كل حين اما بالرضا او بطريق الاكراه . وبعد ان كان هذا يجرى بصفة مؤقتة، سرعان ما اصبح له صفة الدوام والاستمرار ، خاصة وان هذا السطو كان مؤيدا بقرار الاستيلاء الصادر من الملك لصالح اسماء معينة فى بيوت ، رؤى تخصيص اجنحة او اجزاء منها لهذا الغرض . وهكذا بناءا على امر ملكى سامى او بلاغ صادر من بلاط الملك او احد اعوانه ومستشاريه ، مثل (ليكوميديس) (Lykomedes) او سستراتوس (Sostratos) او غيرهما ، اصبحت طبقات مختلفة من الهيئات التى كانت تتمتع بشىء من الامتياز وتحظى بالاعفاء من هذا العبء ، مرغمة وانفها صاغر ، على استقبال اناس وافدين عليها لكى يحلوا على اصحاب هذه المساكن بوصفهم من النزلاء المفروضين غصبا ، واصبحت بيوتهم الخاصة نهبا لكل من هب ودب وخاضعة لنظام اسكان الجند وايوائهم وهو ما يكنى له بكلمة عامة ولها دلالتها وهى (Stathmodosia) والصفة

الغالبة عليه هى الدوام والبقاء ، واذا صح ان افرادالخرين من غير الجند كانوا كذلك من المستفيدين من هذا الاجراء [(١)] فليس اقل من ذلك صدقا القول المتواتر بان عملية الاستيطان فى ارجاء الريف المصرى كانت متسمة بالطابع العسكرى وهو الغالب فالجند ورجال الجيش عموما كانوا على مختلف طبقاتهم ورتبهم هم الذين عنتهم الدولة بان يشغلوا معظم المساكن المخصصة لهذا النوع من الاستيطان . على ان طبيعة الساكن الريفى وحرصه الشديد على تخصيص اقصى ما يمكن من رقعة الارض المتاحة لفلاحتها - كل

---

(١) كان من امثال هؤلاء بعض الفلاحين الملكيين georgoi) basilikoi) وجاء هذا المعنى فى ارشيف زينون مجموعة المتحف المصرى رقم ٥٩٣١٦ وتاريخها فى عام ٢٥٠ ق.م اما عن السكن الخاص بامرأه سورية تسمى طيطيوريس (Teteuris .) وهى من اهالى قرية السوريين باقليم الفيوم فعلينا ان نرجع الى ما ذكر عنها فى بردى تبتونس رقم ٩٣٣ وكيف انها تقدمت بشكوى ضد صاحب البيت الذى حلت به وكان هذا الشخص بلا ريب من المصريين . وقد لقيت التعضيد فى شكواها من رجل من اهل سلاميس . وقد صدر الحكم وحسمت شكواها بتثبيت حقها فى هذا السكن . وفى وثيقة اخرى من المجموعة الايطالية من ارشيف زينون (P. S, I. 426) بيان عن نفر من الفلاحين وهم بلا ريب من طائفة الفلاحين الملكيين ، وان لم يذكر هذا صراحة ، او لعلهم كانوا من النحالين ، حل بهم ضم من جراء عدم حصولهم على سكن مناسب ، شاء لهم ان يصفوه بكلمة اصطلاحية وهى stathmos) وهذا الوصف يجعلنا نرتاب فى الامر اذ انهم ليسوا جنودا .

هذا كان لابد ان يحول دون التوسع فى انشاء بيوت جديدة للسكن فى تخوم الارض الزراعية وجعلهم يعرضون عن الافتئات عليهــــا بقدر المستطاع . وهكذا تسممت العلاقات بين الناس واخـــذوا يكيدون بعضهم لبعض ، وهبت وطوائف رجال الجيش تتحدى عامة السكان وتحاول البطش بمن يقيم العراقيل في سكناهم وكانت الصدور موغرة من جراء سياسة الحكومة القاضية بإحلال هؤلاء الجنــــد والضباط بين ظهراني الاهالى دون تفرقة ولا اكتراث . وســوف نعرض فيما يلي لبعض ما الم بالناس من جراء هذه الخلافات ومــا نشأ من صعوبات نجمت عن تطبيق هذه السياسة بالقهر وكيــف ان هذه الاعباء اثقلت كواهل الناس وجعلتهم ينأون بجوانبهم ويتحينون الفرص للكيد لهؤلاء النزلاء وانتحال شتى الذرائع للحيلولــــة دون وقوع مساكنهم تحت طائلة هذا النظام بتحويل اجزاء منهــا الى محاريب واماكن للعبادة (proseuchai) .علــى ان الناس وقفوا حيارى ازاء تلك القوانين والتشريعات التى سنهــا الملك البطلمى والتى بمقتضاها خر الاهالى صاغرين فالحكومة سنــت بعض القواعد والقوانين كيما تكون سندا سليما ينظم تلك المنحة (dosis) التى اسبغها الملك على جنده وضباطه اينمـــا حلوا وكانت هذه المنحة ذات شقين ، احدهما رقعة مــن الارض (kleros) وهي عبارة عن بضع اروراث بحسب رتبة الجندى او الضابط والاخرى هى السكن والمأوى وكلاهما مجانى

وأول نص بردى يرجع تاريخه الى السني الاخيرة من حكم الملك بطلميوس فيلادلفوس اى الى عام ٢٤٧ق.م. فيه مبنا يثبت بالدليل القاطع ان حق القهر واستخدام الاكراه فى احتلال الناس وبخاصة الجند، على الغير من اجل توفير السكن والاقامة كان مطبقا فى املاك مصر فى الخارج، مثلما كان سائدا فى مصر . وهذا النص هو عبارة عن خطاب من احد اقارب زينون المقيمن فى مسقط رأسه وهى بلدة كاليندا باقليم كاريا(Caria) باسيا الصغرى [1] واسم هذا السائل الذى يمت بصلة القربى الى زينون هو - نيون - (Neon) وقد اثر ان يتقدم بالرجاء الى صديق للطرفين كيما يتوسط لدى زينون من اجل الحصول على استثناء بالاعفاء من هذا العب، وهو ايواء الغير . وكان هذا الرجل الكاليندى (Kalendeus) قد اوى جنديا ممن كناهم بالكلمة الاصطلاحية الاتية (tous epistathmous) اى من النزلاء . وقد طال امد هذا الايواء حتى بلغ ستين يوما وضاعف فى ثقل هذا العب، ضرورة تقديم العلف واعداد الاسطبل لحصان هذا الفارس النزيل . ويشير هذا الخطاب الى ان هذا الايواء كان بناءا على قرار صادر من مجلس البولى (Boule) والجمعية العامة (Esclesia) فى مدينة كاليندا[2]

(1) Papyri Cairo Zenon No. 59341, ll. 3 - 6.

(2) Claire Preaux, Les Grecs en Egypte, P.14.

) Kalynda) . وقد جاء في تعقيب زينون وتأييـــــد
لهذا المطلب الخاص بالاعفاء ، قوله ان والد هذا السائل ويسمـــى
ثيرارخوس (Therarchos) كان متمتعا من قبل بالاعفاء
من هذا العبء ، فأولى بابنه المسمى (نيون) ان يحظى كذلـــك
بالاعفاء اسوة بأبيه . وقد جاء هذا المعنى في الاسطر الثلاثـــة
من ٣ ـ ٦ من الوثيقة البردية المشار اليها . على ان عبء ايـــواء
احد الفرسان كان بالطبع ثقيل الوطء بدرجة اشد قساوة ومـــرارة
من غيره ، نظرا لانه كان يتطلب تكليفا والتزاما مزدوجا لا قبـــل
لأحد به عن رضاء ، فالفارس وحصانه كانا يمثلان ركنين اساسين
وتوفير الاسطبل والعلف اللازم للحصان يعتبر من المهام الثقيلـــة
الوطء على الغير . وهذا يفسر في اغلب الظن جانبا مما خفي مـــن
الاشارات الواردة في الابيجرام الرابع بعد العشرين من شعـــر
كاليماخوس (Callimachos) على النحو الذى فسره لنـــا
كل من العالم الفرنسي ـ ب. روسيل ـ (P. Roussel) ،
والعالم البريطاني ـ ادجار ـ[1] (C. C. Edgar) ذلـــك

(1) P. Roussel, Revue, Etudes Grecques 1921 PP. 266-274; C.C.Edgar, Annales, Service des Antiquites XXII, 1922, PP. 79 - 80. P. Waltz., Rev. Etud. Gn. 1937, P. 208.; E. Cahen, Belles Lettres, 2nd. Edition, 1940, P. 122 - 123.

أن نقشا غائرا كان موضوعا امام باب منزل وفيه صورة بطل من التراقيين وهو واقف على قدميه وليس ممتطيا صهوة جواده مثل باقي الفرسان ، وقد اشهر سيفه وفي صحبته ثعبان . وكانت العادة قد جرت على ان الابطال يصورون وهم يمتطون صهوة جيادهم اما صاحب هذا المنزل او ذاك الخان واسمه ابتيون (Aietion) وهو من أهل مدينة امفيبوليس (Amphipolis) بتراقيا ، فكان عازفا عن استقبال اى من الفرسان ومعرض عن الترحيب بمقدم احد منهم بوصفهم من النزلاء (hoiepistathmoi) الا اذا كان هذا النزيل من المشاة . ويقول (ادجار) في تبرير هذه الخصومة التى كان يكنها (أيتيون) ازاء الفرسان انها ربما كانت نابعة من تجربة سابقة كانت مريرة مع احد الفرسان وضورة تقديم المأوى والعلف اللازمين لحصان هذا الفارس. ولذلك اثر ان يكف عن اعادة هذه التجربة ذات التكاليف الباهظة. وهذا التفسير يوضح لنا انه منذ اوائل القرن الثالث كان المقدونى او التراقى من اهل مدينة امفيبوليس خاضعا لمثل هذا العبء سواء رضى ام لم يرضى . ومن هذا الابيجرام يتبين لنا مبلغ ثقل هذا العبء ، ووطئه الشديد على السكان في الاسكندرية وعلى غيرهم من سكان الريف او الخوارا ، اسوة بما كان في تراقيا .

وهناك خطاب طريف منشور في ارشيف زينون المحفوظ بالمتحف المصرى تحت رقم ٥٩٣٤٤ ويرجع تاريخه الى السنة الاولى

من حكم الملك بطلميوس الثالث الملقب يورجتيس الأول وذلك في الثاني من شهر ابريل الموافق ١١ امشير سنة ٢٤٦ ق.م [١] ولم يرد بهذه الوثيقة اسم صاحب الخطاب ولا اسم المرسل اليه ولعله زينون ، اذ ضاع الاسمان في النص فتحير العلماء في استنباط اسميهما على سبيل التحقيق . وفي هذا الخطاب يتقدم السائل بطلب العون والمساعدة ويستعطف المرسل اليه من اجل التوسط والسعي حتى يحصل على احد المساكن الخاصة بالجند ذات النوعية المعروفة (Stathmos) وكان تابعا لشخص يدعى ثيوبومبوس (Theopompos) كيما يتخذه مقاما امنا له وان يكتب زينون لمندوبه ومعاونه المسمي ياسون (Iason) على امل ان تتحقق هذه الرغبة . وفي تعليله لهذا المطلب قال ان البيت الذى كان يسكنه كان فيما مضى يتبع شخصا يدعى فيلياس (Philias) الذى كان من قبل يشغل منصب كاتب في الاقليم الارسينويتى (الفيوم) ونظرا لما حدث من استرداد املاكه من وزير المالية ابوللونيوس بعد عزله وتواريه عن

---

(١) نشرت هذه الوثيقة من قبل في حوليات مصلحة الاثار المصرية ، العدد (٢٠) ورقمها (٥٥) من مجموعة ادجار ثم نشرت كذلك في الموسوعة المعروفة باسم (Sammelbueh) رقم (٦٧٦١) وجاء تعليق عليها في كتاب رستوفتزف ، عن الضيعة الكبرى (Large Estate) ص ١٧٠ .

الابصار ، فإنه قد طولب بمغادرة المنزل الذى كان يسكنه لكـــى يرد الى صاحبه فيلباس . اما اذا ما تعذر الحصول على بيـــــت ثيوبومبوس ، وهو سكن ينطبق عليه نظام اسكان الجند ، فإنه يرجو الحصول من سوستراتوس على خطاب توصية لقومه كيما يضعوا تحـت تصرف السائل ببت سوستراتوس هذا ، على امل الاقامة فيه . وهنا ينتهى ذلك الخطاب المتسم بشيء من الاقتضاب ولكن الثابـــت ان هذا السكن المنوه عنه كان خاضعا لنظام اسكان الجند وينطبق عليه ما يجرى على السكنى بالنسبة للنزلاء العسكريين طبقا لنظـــــام (epistathmia) .

وهناك وثيقة بردية اخرى يرجع تاريخها للعام الثانى من حكم بطلميوس الثالث الملقب (يورجتيس) اى فاعل الخيـــــر ويقابل هذا التاريخ العام ٢٤٥ ق.م وهى تؤلف فى مجموعها اكثـــر ما بقى لدينا من الوثائق عن موضوع اسكان الجند من حيث الغنـــى والثراء فى المعلومات

(constituel ensemble de documents le plus riche que nous possedions sur les stathmoi).[1]

ومن بين الاعمدة الاربعة المسطرة على وجه هذه البرديـــة فإن الاعمدة الثلاثة الاولى تعرضت لموضوع نزاع مطروح على محكمة

---

(1) Marcel Launey, P. 701.

الخريماتستاى (Chrematistae) للبت فيه . اما العمود الاخير والاعمدة الأبعة الاخرى المسطرة على ظهر هذه الوثيقة فقد جاءت كلها حاوية لتلك النصوص الرسمية التى ترجع لعصر بطلميوس فيلادلفوس وهى المتعلقة بمنحة اسكان الجند وايوائهم مما كان الملك يسبغه على من يشاء من جنده وضباطه. وسوف نعرض لهذا الشق الاخير المتناول بعض النصوص الرسمية بشيء من الشرح والتفصيل فيما بعد . ونستفى معلوماتنا فى هذا الصدد من بردى بيترى[1] (Papyri Petrie) . ويسرد العمودان الاول والثانى وكذلك الاسطر الثمانية الاولى من العمود الثالث قصة النزاع واوجه الخصومة بين طرفين احدهما مصرى وهو - فاميس - (Phames .) ابن - بيتينورس (Petenouris .) والثانى يونانى اسمه ديمتريوس (Demetrius) ذلك ان هذا اليونانى كان

---

(١) الجزء الثانى من مجموعة بردى بيترى رقم ٨ .وهى غير وافية ثم جرى تصويبها وشرحها فى مجلة المانية هى (Archiv fur Pap. for.) الجزء الاول ص ٢٨٥ - ٢٩٠ وقد اعيد نشر هذه الوثيقة فى الجزء الثالث من بردى بيترى ، ص ٢٠ وتناولتها العالمة البلجيكية - مارى تيريز لانجيه - (M. Th. Lenger) فى مجلة تصدر فى بروكسل (Chronique d' Egypte) العدد ٢٩ يناير ١٩٥٤ ، ص ١٩ مع بعض التصويبات والتعليقات المستفيضة التى نشرتها فى موسوعتها (Corpus des Ordonnances) المنشورة فى عام ١٩٦٤ من ١ - ١٠ من الوثائق البردية ذات الصبغة التشريعية فى موضوع اسكان الجند .

قد استحوذ على سكن عسكرى (stathmos) لدى فاميس
هذا واختص نفسه بجزء من بيت هذا المصرى فى السنى الاخيرة .
من حكم الملك بطلميوس فيلادلفوس ، دون ان يكون لديه اى سند
يؤيد هذا الحق الذى ادعاه لنفسه او كان عنده من الاسانيد ما
يخول له مثل هذا التصرف ، وعلى ذلك لم يستطع ابراز اى قرار
يخص شخصه متضمنا اى شبهة تسمح له بمثل هذا العمل العشوائى
(العمود الاول والاسطر من ٣ حتى ٦) . وعندما تقدم (فاميس)
الى هذا النزيل مطالبا اياه بسداد الايجار المستحق عن المدة
المنصرمة ثم اشفع ذلك بطلب اخر خاص بطرده واخراجه من
السكن (ekbadeia) باعتباره شخصا غير مرغوب فيه
وكان هذا فى ملتمس رفعه الى الملك ثم اشفع ذلك بمذكرة
رفعها الى محكمة الخريماتستاى ، تغيب (ديمتريوس) عن
المثول امام المحكمة ، قاصدا بذلك اتباع اسلوب المماطلة
وسافر الى الاسكندرية ثم الى هيراقليوبوليس املا فى تعطيل
الاجراءات والتعويق حتى لا يفصل فى القضية . ولكن على الرغم
من كل هذه المماطلات ، نجد ان الاسطر من ١ الى ٨ من
العمود الثالث ، تحمل فى طياتها ما يدل على ان الحكم قد صدر
لصالح (فاميس) وبذلك تم وضع كل شىء فى نصابه . ويبدو
ان الذى حرر هذه الاسطر الثمانية ليس (فاميس) بدليل وجود
الضمير عن المتكلم فى صيغة الجمع فوردت كلمة (hemwn)
اى فيما يتعلق بنحن فى السطر الاول وكلمة (hemin) بمعنى

الينا في السطر الرابع وكلمة (hemeis) اى نحن في السطر السادس . وهذه الصيغ تجعلنا نرتاب في الامر وتحدونا الى الظن بوجود اطراف اخرى من الدخلاء الذين تضمنتهم كلمة نحن وهؤلاء لا يمكن أن يكونوا اصلاء وانما هم يمثلون طرفا ثالثا ، اثر ان يرفع مذكرته الى المحكمة مباشرة . فلما استدعى (ديمتريوس) للمثول امام تلك المحكمة ، لم يستطع تبرير موقفه ، وعلى ذلك حكم برد المسكن الى ذويه . وقد جاءت الاسطر التالية من ٩ حتى ١٢ شاملة على موضوع التقسيم والتوزيع للمحال الموجودة فى هذا السكن ، فاختص ـ تيمايوس ـ (Timaios) ابن بيتينوريس ـ بدور ذى طابقين واختص المالك الاصلى بالدور الآرضى واختص ابن ثان يسمى ميلانثيوس (Melanthios) من ابيه بيتينوريس بدور اخر ذى طابقين وبه حوش وملحقات.وفى وقت ما قيل من قبيل الظن والتخمين ان هذه الاسطر الاخيرة كانت تشير الى موضوع اخر ، ولكن العالم الفرنسى (مارسيل لونى) طلع علينا برأى غير ذلك ، خلاصته ان كلا من الاخوين (تيمايوس) و (ميلانثيوس) هما اللذان اشتركا فى تحرير الاسطر الاولى الواردة فى العمود الثالث وهما كذلك اللذان تقدما إلى محكمة الخريماتستاى ، بعرض دوسيه تلك القضية التى صدر فيها الحكم لصالحهما ولصالح (فاميس) ومن قبيل التعقيب على هذا النص ينبغى أن نعترف بادىء ذى بدء ان كل شىء فى هذا الموضوع ليس واضحا تمام الوضوح وهناك عدد من التساؤلات التى قد تخطر

على البال ومن ذلك مثلا السؤال الاتى وهو لماذا حل كل من
(تيمايوس) واخيه (ميلانثيوس) على هذا النحو الفجائي محل
(فاميس) وهو فيما يبدو اخ لهما ؟ وهل كان السبب في ذلك
ان فاميس كان غائبا ام متوفيا ؟ وهل كان فاميس هو الصاحب
الاصلي للمسكن بوصفه (stathmouchos) وان اخويه
الاثنين هما النزيلان عنده اى انهما في العرف المتداول (hoi
epistathmoi) ام ان فاميس هذا كان مقيما لدى
مالك اخر لم يشأ ان يذكر اسمه ، وكانت اقامته في مجموعة من
الحجرات التى آلت الي اخويه الاثنين بحق الميراث عقب وفاته ؟
وقد يتساءل الانسان كذلك عن كنه ذلك الحق المخول لفاميس
ولاخويه الاثنين ، مع ان ثلاثتهم ليسوا منتدبين من قبل الدولة
للتمتع بهذا الحق وهو السكنى في مبنى ما بمقتضى نظام الاسكان
العسكرى . وقد يتبادر الى الذهن ان هذا الحق فى السكن ربما
آل اليهم بطريق الارث عن والدهم وهو فيما نعلم كان قواصا
(hrabdophoros) ذا صبغة عسكرية . واذا صح ذلك
فالامر جد خطير وفى غاية الاهمية ، لأنه يعتبر بينة ذات قيمة ،
فيما يتعلق بموضوع انتقال حق السكن العسكرى بصفة تدريجية ثم
تطوره شيئا فشيئا حتى اصبح في اخر الامر ملكية وراثية وقد
اكد العالم الفرنسى (مارسيل لونى) هذا المعنى فى كتابه
(ص ٧٠٣) بقوله :

S'il en etait ainsi, ce serait

indication precieuse sur la transformation progressive du stathmos en propriete hereditaire).

ومهما يكن من الامر فيما يتعلق بكل هذه التفاصيل والاحتمالات ومراحل التقاضى ، فقد شاهدنا كيف استطاع ذلك المصرى فاميس واخواه بشيء من الدأب والمثابرة أن يخلصّوا انفسهم من هذا الكابوس ، باستبعاد (ديمتريوس) واقصائه عن سكن ، لا حق له فيه وليس لديه اى سند يبرر بقاءه فيه ثم انهم لم يأبهوا بأنه كان يونانيا ، معتدا بقوميته ومفاخرا بيونانيته ازاء آحاد من عامة الناس ، يعتبر الواحد منهم (tis) اى فردا لا وزن ولا اعتبار له مثلما حكى يونانى فى شكوى رفعها للملك ضد امرأة مصرية أساءت اليه[1]. وسواء أكان الشاكي يلوه باتهام المغتصب بمخالفته مرسوما ملكيا او غض الطرف عن تصرف كان الملك الراحل بطلميوس فيلادلفوس والد بطلميوس الثالث قد قضى فى امره بتوزيع هذا المسكن على صاحبه (فاميس) فان هذا الاقتحام يعتبر عملا عدوانيا من جانب (ديمتريوس) ويستحق اللوم على تصرفه هذا . هكذا سقنا خلاصة الرأى الذى طلع به علينا العالم الفرنسى (مارسيل لونى) فى كتابه المشار اليه انفا فى صفحتين رقم ٧٠٢ - ٧٠٣ . أما الانسة البلجيكية (مارى تيريز لانجيه)

(1) Octave Gueraud, " Enteuxeis ", 1931, No.79 dated 4th. year of Ptolemy Philopator.

فلما رأى اخر في هذا الموضوع وقد ابدته ودعمته بالأسانيـــــــد ويتلخص ما قالته في ان شكاية (فاميس) انصبت على اســـاس اخر وقامت على الادعاء بان (ديمتريوس) انما انتهك حرمـــة القانون العام عندما اقدم على عمله التعسفي وليس على عدم وجـــود سند لدى هذا المعتدى الاثيم ، يخول له شغل امكنة واقعة في حـوزة الغير وها هي العبارة التي ساقتها تلك العالمة البلجيكية :

((Les griefs de Phames se fondent sur la violation de mesures effectives pluot que sur l' absence de pretendus titres d' occupation des lieux))(1).

وهناك شكوى اخرى وردت في كتاب الشكاوى لأكتاف جيرو رقـم (١٢) وهي مؤرخة في العام الرابع من حكم الملك بطلميوس الثالث (يورجتيس الأول) اى في عام ٢٤٣ ق.م وقد تقدم بهذه الشكـــوى الى ساحة القضاء مستعمر تراقي يسمى - بيثيس - (Bithys) وكان ينتمي الى طائفة من الجند التابعين لضابط كبير يسمـــــى كاردينديس (Kardendes) وهو احد القادة الذين كان يطلق عليهم اصحاب العشرة الاف من الارورات (-myri arouroi) ويسمى باسم كل واحد من هؤلاء نفر من الجنـــد

---

(1) Marie Therese Lenger, Chronique d' Egypte, tom. 29 No. 57 (1954) P. 127.

المنتمين اليهم باعتبارهم (eponymous commanders)
وكان (بيثيس) هذا يقيم في قرية تسمى سيبينيتوس
(Sebennytos) نسبة الى سمنود ، واقعة في الجزء الهيراقليدى
من اقليم الفيوم وقد رفع شكواه ضد يوناني اخر يسمى هيلانيكوس
(Hellanikos) الذى اقتحم بالقوة الغشومة (bia)
الجناح المخصص لسكن زميله (بيثيس) واقدم على هدم حائط
كان يفصله عن حوش المسكن ثم استقر به المقام في هذا الجناح
كما لو كان هو الجناح الخاص به . ولما لم يكن في وسع (بيثيس)
طرد هذا الضيف الثقيل وهو المعروف بانه شخص عربيد وله من
النزوات ما جعله حاد المزاج ، فانه يطلب من حاكم الاقليم
التدخل حتى يتخلص من هذا الدخيل . ومن سياق الحديث المسطر
في هذه الشكوى يتبين ان البيت لم يكن مملوكا لاحد من الطرفين
وانما هو ملك للملك ، يوزعه على من يشاء بمقتضى الحق المنوه عنه
في الجملة التقليدية في الاوامر الملكية وهي :
(hoi gar stathmoi basilikoi eisin)

ومع ان هذه الوثيقة التي تضمنت الشكوى المرفوعة من
بيثيس هذا ضد زميله هيلانيكوس الى الملك بطلميوس الثالث
لها طرافتها وجاءت بها لمحات شيقة للغاية القت بعض الضوء على
موضوع اسكان الجند وتوطينهم حيثما يتراءى للملك ، الا انه
ينبغي استبعادها من قائمة الوثائق المتعلقة بالعلاقات القائمة بين

اليونانيين والمصريين ، وذلك لأنها تمثل نوعا مما يطرأ احيانا من خلافات محتدمة بين اثنين من اليونانيين وتكشف عن مدى تلك العنجهية والاعتداد بالنفس لدى اليونانيين ازاء مشكلة السكن وهى الظاهرة التى كانت متأزمة فى مصر طوال عصر البطالمة . ومن التفسيرات المقترحة والتى قد تجد سندا لها فى حاشية وتذييل مهم للحاكم الاقليمى المسمى آجينور (Agenor) ما يجعل من هيلانيكوس ، مالكا اصليا للمنزل ويعتبر بيثيس المستأجر والمتمتع بحق السكنى فيه بمقتضى الصفة المسبقة عليه وهى انه سكن عسكرى اى (stathmos) وعلى ذلك يكون وجه النزاع مقصورا على مجرد التقسيم والتخصيص لكل من الطرفين ، فيحل احدهما فى جانب ويحل الاخر فى جناح اخر من هذا المبنى ، وهذا التنظيم بناءا على امر وارد فى احد الاوامر الملكية التى اصدرها بطلميوس فيلادلفوس وحدد فيها بصراحة ما ينبغى عمله فى هذا الشأن . وهاك ترجمة لنص التعليق الذى دبج به اجينور هذه الشكوى فجاء فى السطرين (٨ ـ ١٠) ما ترجمته (من اجينور الى تيموكسينوس (.. Timoxenos) تحياتى . انى بعثت اليك بصورة من الشكوى التى وصلتنى من افثونيتوس (Aph - thonetos) فاذا ثبت لك (على سبيل اليقين) انه على حق فيما يدعيه من احقية ازاء السكن العسكرى ، فيلزم ان تقوم بالتخصيص لكل من الطرفين نصيبه فيه حسبما قضى به الامر الملكى (kata to prostagma) وفى رأى العالم الفرنسى

(اكتاف جيرو) ان هذا التفسير غير مقنع ولا يمكن قبوله على علاته وكانت له وجهة نظر اخرى امكنه استقراؤها من النص ومن سياق الكلمات في الاسطر (من ٤ حتى ٧) ومن استخدام الصيغة المفردة في تلك العبارة ... (ego tou dikaiou tycho) وقد جاء في الفقرة الخاصة بتوزيع الانصبة في السكن في السطرين (من ٢ ـ ٣) استخدام الافعال والضمائر في صيغة الجمع عند مخاطبة الملك والتوسل اليه حتى لا يضار احد • وعلى ذلك يكون هيللينيكوس ، هو النزيل ، شأنه في ذلك شأن (بيثيس) فالاثنان يقطنان سكنا واحدا ويقيمان في بيت ملحق او تابع لما اختصا به من ارض مقطعة لكل منهما على سبيل الكليروس (kleros) وقد جاءت تلك الكلمة في السطر الثاني في صيغة الجمع هكذا (twn klerwn) ولكن هيللينيكوس ، كشف النقاب عن نفسه فأثبت انه جار متسلط ويبغى التحكم والسيطرة فلم يقنع بالتقسيم ولم يرض عن اقامة حائط في الحوش للفصل بينهما وحاول هدمه •

وبعد مضى نحو سنتين على تاريخ الشكوى السابقة والمنشورة في كتاب جيرو رقم ١٢ ، عرض على حاكم اقليمى اخر واسمه افثونيتوس (Aphthonetos) موضوع خطير وهو ان بعض الناس عمدوا الى تخريب المساكن واحداث تلفيات في المحلات المخصصة لإسكان الجند • وقد جاءت تفاصيل هذه الوقائع في

وثيقة بردية في مجموعة بيتري[1] ذلك ان شخصا يونانيا يدعى أندرونيكوس (Andronikos) كان موكلا بتوطين واسكان نفر من المشرفين على إنجاز الاعمال وهم من كناهم بالعبارة الاتية : (epistatae twn ergwn) فوجيء باعمال تخريبية وقعت في هذه المساكن وتأكد من ان كثيرين من ملاك المساكن الخاضعة من قبل لاسكان الجند واحلال النزلاء فيها وهم من اشير اليهم صراحة :

(twn oikiwn twn proteron epestahmeumenwn)

قد عمدوا الى تحطيم اسقف هذه المساكن وازالة ما يغطيها ثم قاموا بوضع العوائق والموانع لسد المداخل الى هذة المساكن ثم نزعوا ابوابها وشبابيكها حتى يجعلوها غير صالحة للسكن واقاموا المحاريب فيها حتى يؤكدوا حرمتها ويحولوا دون اقتحامها او العبث بها . ومما لا ريب فيه ان هؤلاء الملاك كانوا من المصريين الذين لم يترددوا اطلاقا في اللجوء الى شتى المعاذير وابتداع الاساليب البارعة من اجل الحيلولة دون ان يستسلموا للخضوع لهذا العبء المضني والبغيض . فلما ووجه (اندرونيكوس) بالازمة الناجمة عن هذا التصرف ، عمد الى طريقة دلت على ذكاء ، لا يخلو من روح الفكاهة ووجد العلاج لهذه الحالة في توجيه النصح والارشاد لاصحاب هذه المساكن بان ينقلوا محاريبهم الى اسطح المساكن

(1) Papyri Petrie, II, 12 = Chrestomathie I, 449 (Schubart); W. Peremans, Vreemdelingen, PP. 235 - 236.

ثم اكرههم على فعل ذلك حتى تكون آلهتهم فى حرز مكين وفى مكان امن بفضل تواجدهم فيه ٠

وهناك قصة اخرى روتها لنا الشكوى رقم ١٣ من كتـــاب الشكاوى لأكتاف جيرو[١] وذلك انه في السنة الخامسة بعدالعشرين من حكم الملك يورجتيس الاول وهي الموافقة عام ٢٢٢ ق٠م تقدمـــت سيدة ارملة تدعى (آسيا) وكان بعلها مقدونيا كليروكيـــا اى صاحب رقعة من الارض الكليروكية ويسمى ماخاتاس (Machatas) بشكوى ضد صاحب البيت الـذى كـان ينـــزل فيـه زوجها واسم صاحب البيت هذا پؤوريس (Pooris) وهـو مصرى كما يدل عليه اسمه ويحمل لقبا دالا على مركزه باعتبـــاره صاحب البيت اى (Stathmouchos) وقد شاءت ان تعرض قضيتها وتسرد وقائعها في وضوح وجلاء على النحو الاتـــى: ان زوجي ماخاتاس كان قد تسلم سكنا فى قرية (بيلوزيـــوم) واقام محرابا في الجناح الذى اختص به للالهة السورية ولافروديني برنيقة ٠ وكان هناك حائط مشيد حتى علا نصفه ، كيما يفصـــل الشق الخاص بصاحب البيت پؤوريس عن الجناح الاخر التابـــع لزوجي ٠ ولما شرعت فى اتمام بناء هذا الحائط وتعليته كيما احول دون دخول احد الى حرم سكننا بطريق التسلق على هذا الحائـــط

---

(1) Papyri Enteuxeis, No. 13 = Papyri Magdola, No.2 = Chrestomathie I, 101.

النصفي ، منعنى يؤوريس من ذلك ، مع أن هذا الحائط ليس من شأنه ولا في حيازته . وقد إستخف بي ولم يكترث بشأني نظرا لأن زوجي متوفى ..... ومضت الزوجة في توسلها الى الملك مطالبة إياه بانصافها وهي التى لجأت الى ساحته املا في ان تحظى بعطفه وتلقى الانصاف على يديه . وقد عقب حاكم الاقليم ديوفانيس (Diophanes) على هذه الشكوى عندما حولت اليه من بلاط الملك بتأشيرة طريفة جاءت كلماتها في السطر العاشر على النحو الاتى :

Malista men dialyson autous, ei de me pros hemas aposteilon hopws episkepswmetha.

وترجمتها كما يلى (الى ضابط النقطة (epistates) المسمى ميناندروس (من الافضل ان تجرى التصالح بين الطرفين واذا لم يتيسر ذلك ابعث بهما الينا كيما نجرى فحص الموضوع ونعمل اللازم) ومن هذا البيان الصادق ، تتكشف لنا الامور ويتضح ان هذا المصرى كان قد اثر ان يلوذ بالصمت ويكتم الغيظ ويعمل على ضبط النفس عكف عن التدخل طالما كان زوج السيدة اسيا على قيد الحياة ولكنه حاول استغلال الموقف بعد وفاة هذا الزوج فأقدم على الاساءة الى تلك الارملة ومنعها من المضى في تعلية الحائط ولكنه رضى اخر الامر بان تبقى الحالة على ما عليه بوضعها الراهن وهكذا اصبح لهذا النص اهميته البالغة ، لانه اضاف الينا نتفا من المعلومات فيما يختص بمصير السكن من حيث مغادرته

او الرحيل عنه او البقاء فيه بعد وفاة الزوج باعتباره المنتفع الاصلي . ولا ريب ان حقوق (ماخاتاس) في هذا السكن قد انتقلت الى الزوجة او بالاحرى الارملة ، بدليل عزمها على اتمام بناء الحائط الفاصل وهي لم تفكر اطلاقا في الرحيل او التخلي عن محل اقامتها . وهذا يؤكد ما سبق ان قلناه عن انتقال حق السكن عن طريق الارث فلا محل لان تضار الارملة او الابناء بعد وفاة الزوج .

وفي نفس السنة وهي الخامسة بعد العشرين من حكم بطلميوس يورجتيس الاول اى في سنة ٢٢٢ ق.م نجد حالة اخرى طريفة بانت لنا تفاصيل قصتها في شكوى مسطرة على وثيقة بردية منشورة في كتاب الشكاوى لاكتاف جيرو[1] . ومع ان شيئا من الغموض يشوب ما جاء في الشق الاول منها ، نظرا لما طرأ من وجود ثغرات كثيرة في الصدر الاول من هذا النص ، الا ان القضية اصبحت واضحة المعالم . ذلك ان شخصا يدعى دينياس (Deinias) وهو مصرى كان من سوء حظه ان حل عليه جندى تراقى من الفرسان اسمه ديزابوريس (Dizaporis) وهو من الحائزين لاقطاع عسكرى مقداره سبعون اورورات ويكنى بذلك (hebdomekontasouros) اى صاحب سبعين اورورات وكان يتمتع بالتبعية بحق السكنى في قرية كيركيسوخا (Kerke soucha) بجنوب الفيوم . ولما كان صاحب البيت قد

---

(1) Pap. Enteuxeis No. 14.

رهن بيته وعجز عن سداد دينه عند انتهاء المهلة المحددة فعندئـــذ اصبح الدائن هو المالك للبيت وهو مصرى يسمى ايموزيــــس (Imouthes) وما لبث الخلاف ان دب بين الطرفيـــن وهما (ديناس التراقى) و (ايموزيس) المصرى على تبعيــــة الاسطبل وقد حاول ايموريس اقناع (ديناس) بان الاسطبـــل الذى يرابط فيه حصانه واقع فى النصيب الخاص بالمالك للعقـــار وعلى ذلك ينبغى ان يخصص له • وعندئذ اخذ الشك والقلـــق يساوران دخيلة هذا التراقى فحياة جواده اصبحت فى خطر بعـــد ان اضطر للمبيت فى العراء متعرضا لظروف جوية غير ملائمـــة ولم يجد بدا والحالة هذه من ان يتقدم بالشكوى ضد الرئيـــس الادارى (epistates) الذى قضى بطرد الجواد مـــن الاسطبل. ويقى علينا ان نتعرف على السر الكامن وراء هـــذا التصرف وهل كان المصرى ام التراقى هو المستفيد الحقيقى مـــن التغيير الطارىء فى هذا الوضع • وعلى اى حال فمهما كان السبب فاننا اصبحنا على بينة من الامر ولا يساورنا اى شك فى مدى مـــا كان يكنه كل طرف من الطرفين ازاء الاخر وما كانت تنطـــوى عليه نفسه من محبة او ود أوسوء قصد • وليس من شك ان العلاقات المتبادلة بين صاحب الملك وبين الساكن لم تكن على ما يرام وكان صدر كل منهما يجيش بالشك والضغينة وكل فريق كان يسعى الـــى انتهاز الفرصة كيما يكيد لزميله وشريكه كلما استطاع الى ذلـــك سبيـــلا •

موضوع الخيل لدى الفرسان سبب فى تكدير صفو العلاقات بين المصريين والترك

ان الفرسان بخيولهم كانوا مصدر متاعب واعراض من قبل اصحاب المساكن ولكن ذلك كان أمرا لامناص منه . وأمر العناية بالخيل وتربيتها وتدبير العلف لها وايجاد الاصطبلات اللازمة لمبيتها - كل ذلك كان عبئا على الفرسان وقد يتساءل الانسان عما اذا كان للفرسان فى مصر البطلمية وضع اشبه بما نعرفه فى العرف الرومانى من وجود طائفتين هما :

(1) equites equo publico.
(2) equites equo privato.

فالأولى تكون فيها الاحصنة ملك للدولة والثانية تكون خاصة ، فهل كان الحال فى عهد بطلميوس فيلادلفوس يجرى قياسا على ذلك ام ان الدولة كانت فى جميع الاحوال هى المالكة لهذه الجياد وتجرى التفتيش عليها بين الحين والاخر - كل هذا يتطلب منا ذكر شرح عابر نستقيه مما جاء فى بعض المراجع [(١)] وفى وثائق بردية متناثرة . وقد جاء فى ارشيف (زينون) وثيقة بردية نشرها ادجار فى مجموعة كتالوج المتحف المصرى ورقمها ٥٩٥٠٢. وهى تعرض لهذا الموضوع من بعض زواياه وهناك وثيقة بردية

---

(1) Grifith, Mercenaries of Hellenestic World, 1935, Chapter V, PP. 108-141.

أخرى في مجموعة بردى (بيترى) منشورة في الجزء الثالث تحت رقم (٥٤) وهذه تعرض لموضوع الخيل لدى الجند في جيش البطالمة. وفي اغلب الظن كان الفرسان في مثل هذه الوثائق من ذوى الاقطاع العسكرى الملقبين (Klerouchoi) ولهم كيانهم واهتماماتهم بالأراضي التي يحوزنها وبالخيول التي في عهدتهم . وقد وردت اشارات عديدة الي وجود مفتشين مختصين بشئون الخيل، يجوبون البلاد للاطمئنان على حالها وتوفير العلف لها ويقع هذا العب، مباشرة على كواهل هؤلاء الجنود الاقطاعيين . وقد يتساءل الانسان عما اذا كان من حق هؤلاء الجند الاحتفاظ بالخيول المعطاة لهم من قبل الدولة ، حتي بعد انتهاء الحملات العسكرية ، فتبقى في حيازتهم طالما كانوا مقيمين في المساكن المخصصة لهم وواضعي اليد على الانصبة من الاراضي التي اقطعتها الدولة لهم . وهم في هذه الحالة مكلفون وملتزمون بطريقة ضمنية بضرورة العناية بهذه الخيول والاشراف على اطعامها وتدبير العلف لها ثم ايوائها في اماكن آمنة وصحية وذلك بتهيئة الاصطبلات الصالحة لهذا الغرض. ولعلنا نجد في النظام الروماني الذى أومأنا الإشارة اليه بعض اوجه الشبة ، فالفرسان يشقيهم (equo publico & equo privato) يقابلون الوضع الذى كان سائدا في مصر على عهد البطالمة ، وكان لهم شأن في عصر بطلميوس فيلادلفوس بالذات ومما لا ريب فيه ان الخيل لدى الجند كانت اصلا ملك للدولة التي كلفت الجند بضرورة المحافظة عليها والسهر على رعايتها وعدم التصرف فيها.

وقد ورد في الوثيقة البردية رقم (٥٤) في مجموعة (بيترى) الجزء الثالث ، اسم شخص يدعى (انطيوخوس) وقد تعرف عليه ادجار في كتابه عن الضيعة الكبرى ، ص ١٦٨ بأنه هو نفس الشخص الذى خاطبه بطلميوس فيلادلفوس بشأن الجند المرابطين في ادفو والذين ندد الملك بسلوكهم وطلب الى انطيوخوس ان يوقف تصرفاتهم المعيبة[1] . أما الوثيقة رقم ٥٩٥٠٢ فهى اكثر افصاحا وهى عبارة عن خطاب موجه من شخص يدعى (بطلميوس) الى (زينون) يبلغه فيه ما تم من تسوية بين فانياس (Phanias) الكاتب وبين الفرسان تقضى بالآتي وهو انه قد سمح لهم بأخذ محاصيلهم بعد اجراء اللازم من حيث اخذ المواثيق عليهم بأن يراعوا مستقبلا المحافظة على ما لديهم من خيول حتى تكون في احسن حلة عندالتفتيش عليها . ويبدو ان (فانياس) لاحظ وجود اهمال في رعاية الخيل ونقص في عددها او تراخى في رعايتها ، فأمر بالتحفظ على المحاصيل والحجز عليها حتى يأخذ المواثيق على هؤلاء الفرسان فلا يتكرر منهم اى اهمال في هذا الشأن[2] . ولما كانت المؤلفات التى تناولت موضوع تنظيم الجيش البطلمى واستخدام طوائف من الجنود المرتزقة[3] ، لم توجه العناية الكافية

---

(1) Papyri Halenses, I, 166 = Dikaeomata P.98 = Marie Therese Langer, Corpus des Ordonnances des Ptolemees, No.24.

(2) M.Rostovtzeff, Large Estate PP.167-168 and P. 184, section 5.

(3) Lesquier Institutions Militaires, 1911, Griffith, Mercenaries of Hellenistic World, PP.109-139., M.Launey, Recherches..(1949-1950).

وبالقدر اللازم لموضوع الخيل ولم تتعرض لموضوع في غاية الاهمية وهو معرفة الكيفية التي كان البطالمة يزودون بها فرسانهم بالخيل ولم تفسر لنا على اى اساس كان يجرى ذلك ، فإننا نؤثر هنا تناول الموضوع بشيء من الإفاضة . وينبغي ان نذكر دائما ان طائفة الفرسان كانت تقوم بدور هام في الجيش البطلمي ويتمثل هذا في ثلاث نواحي :

(١) قوة الفرسان في اعمال الكر والفر .

(٢) الفيلة الافريقية والهندية وهي التي كانت تمثل سلاحا اشبه ما يكون بالمدرعات او الدبابات في العصر الحديث .

(٣) العربات المسلحة التي تجرها الخيول وهي التراث الباقي من القدماء منذ أيام طرد الهكسوس من مصر .

ولما كان موضوع الخيل لم يلق ما يستحقه من العناية الواجبة في كثير من المؤلفات واقتصر العالم الفرنسي ليسكييه (Lesquier) في كتابه المشهور عن النظم العسكرية في مصر البطلمية على بضع كلمات عابرة عن الخيل في صفحة ١٠٣ وجرى على منواله جريفث وغيره ، فإننا نستطيع أن ندرك اهمية هذا الموضوع وما كانت عليه قيمة الخيل في الجيش البطلمي مما ذكره مؤرخ قديم هو آبيان (Appian) عن الصورة التي كانت عليها قوة الفرسان بالنسبة للقوى الاخرى وفي احدى فقراته نجد النسب والتناسب بين القوات على النحو الاتي ، فبينما كان عدد المشاة

يبلغ (في وقت ما) عشرين الفا كانت قوة الفرسان اربعة الاف وقوة الفيلة المحاربة ثلثمائة وقوة العربات الحربية التي تخوض المعارك الفين[١] . ويستتبع وجود قوة من الفرسان تبلغ في وقت ما اربعة الاف على حد قول آبيان ان نفترض ضرورة وجود اسطبلات كثيرة في شتى انحاء مصر وكذلك في الولايات الخارجية التابعة لمصر وبصفة خاصة ما كان منها فيما وراء الاردن في عمان (Ammanitis) ولشيخها اليهودى المسمى طوبياس (Toubias) دور ملحوظ من حيث الاهتمام بالخيل وتربيتها ، وكان يمثل في التاريخ البطلمي على عهد بطلميوس فيلادلفوس شخصية مشهورة ومتزلفة ، دأبت على ان توالي ارسال الهدايا والعطايا في شتى المناسبات (epi ta Xenia) الى الملك والى كبير وزرائه ابوللونيوس فكان يرسل الخيول والحيوانات المهجنة والعبيد للخدمة في القصور . وكانت بلاده صالحة لتربية الخيول وبها مساحات شاسعة من القفار والبرارى حيث تجرى الخيول في ربوعها ؛ فلا عجب اذا أن كانت الخيول المطهمة والبغال المهجنة والحمير البرية تقدم من قبله الى الملك من قبيل الهبة والاستعطاف (ta Xenia) كما ورد في عدد من الوثائق البردية[٢] . ومما لا ريب فيه ان تربية الخيول

---

(1) Appian, Prooem., 10.

(2) Papyri Cairo Zenon, 59076 = Papyri Edgar Annles de Service des Antiquités, No.84, Reinhold Scholl, Sklaverei, Trier, (1983) PP. 100 - 103.

كانت تجرى بالتبعية فى مصر ولكن على نطاق ضيق لأن الظـــروف غير ملائمة لها فى مصر . وهناك اشارات اخرى متناثرة جاءت فى مجموعات كثيرة من اوراق البردى تحمل اشارات الى تربيــــة الخيول الملكية والى نفر من القائمين بهذه المهام والموكليــــن بالاشراف على الاصطبلات وهم (Basilikoi hippoi (hippotrophoi) وقد[1] عرفنا من ثنايا ارشيف زينون كيــــف ان وزير المالية ابوللونيوس نفسه كان شديد العناية بالخيــــول ودائب الحرص على تربيتها وان عمليات كثيرة متصلة بتربيــــة الخيول والمحافظة عليها كانت تجرى على نطاق واسع فى ضيعته فـى فيلادلفيا بالفيوم وربما كذلك فى ضيعته الاخرى بممفيس . وهنـــاك وثيقة بردية منشورة فى مجموعةبردى (بيترى) [2] ويرجع تاريخها الى العام الواحد بعد العشرين من حكم يورجتيس الأول وهى تزودنـا بمعلومات مستفيضة فى هذا الشأن وان كان الناشرون الأولون قــد اطلقوا على محتوياتها انها مجرد حسابات لطائفة من سائقـــــى العربات (Acounts of Vetturini) ولكن نظرة عابــرة اليها دلت على انها حسابات عن الاعلاف المقدمة للخيل وللقائميــن على خدمة ورعاية الخيل وهى مقسمة الى عربات تجرها الخيول ومنهـا ما كانت تجره حصانان او اربعة (harmata and synwrides)

---

(1) P. Hibeh, 118 (a); Papyri Petrie, III, 62 (b); Papyri Tebtunis, 482; Papyri London, Vol.VII, T.Sheat,No.2053,11.2-3.

(2) Papyri Petrie, II, 25 = III, 61.

أما الافراد فكان البعض منهم يطلق عليهم العربجية (heniochoi)
والبعض الأخر هم السياس (hippokomoi)
ثم ان هذه الخيول وما كان لصاحبها من رهط من الرجال كانت
تتحرك في صفوف علي شكل فصائل وكتائب متراصة وحارة ببلدة
بطلمية (اللاهون) وكان هدفها في اغلب الظن صوب
الشمال بعد ان توقف هذا الرهط قليلا في هذا العرسي
(Ptolemais Hormou) على النيل . وكان توريد الغذاء والطعام
اليهم يتم بناءا على اوامر صادرة من مدير الشئون المالية
والاقتصادية وهو ما يسمى بالاويكونوس (oikonomos)
وطبقا لطلبات في صورة رسالة (entole) بعث
بها اليه شخص يدعى ارتيمون (Artemon) وهو المشرف
على الخيول والمسئول عن توفير لوازمها من علف وخلافه حما يجلبه
من ريف البلاد . وهكذا كان ورود الاسماء الدالة على عربات ذات
عجلات تجرها خيول مزدوجة جاء التعبير عن نوعياتها بكلمات
اصطلاحية وفنية مثل (synwrides & harmata) وبعد ذلك تم
تسيير الرحلة في تشكيلات كتائبية ـ هذا كله يوحي بوجود طابع ،
رسمي هو اشبه ما يكون بعملية تعبئة عسكرية ، اذ ان هذه كانت
في اغلب الظن ، عربات عسكرية إتخذت وجهتها صوب الاسكندرية
تمهيدا لارسالها عبر البحر حيث قدر لها ان تشترك في حملة
حربية ما او هناك احتمال آخر وهو انها كانت خيول سباق
ميممة شطر بلاد اليونان كيما تشترك في سباق عالمي يجرى هناك.

وكلا الاحتمالين جائز وهما يدلان على اى حال ، على ان مصـــــر شهدت اهتماما وعناية فائقة بتربية الخيول وان الدولة أولت هـذا الموضوع جل ما في وسعها وحرصت على أن يطبق هذا على نطـــاق واسع من اجل تحقيق اغراض مهمة ، بعضها عسكرى والاخر اجتماعى وثقافى . واستلزم هذا تزويد مصر بموارد لا ينفد معينها مـــن الخيول فكانت تجلبها من بلاد العرب او من عمان وبلاد مـــا وراء الأردن (Transjordania).ومما لاريب فيـــه ان الوفاء بهذه الحاجة كان يمثل ضرورة قصوى بالنسبة للدولة البطلمية . والأدلة على مثل هذا الاهتمام كثيرة ومتناثرة فى اوراق البـــردى ونذكر منها ما جاء في وثيقة بردية من مجموعة (بيترى)[1] يرجع تاريخها الى عهد بطلميوس يورجتيس الاول . وقد جاء شق مـــن هذا النص خاصا بموضوع الفرسان من الجنود المرتزقة وكيـف ان الدولة أحصت عليهم بيانات بمواصفات ما تسلموه من خيول.وبعـض هذه البيانات طريفة نذكر منها ما يلى ، وهو ما يتعلق بتاريـــخ تسليم الجواد واسم صاحبه وجنسيته والفرقة العسكرية التى ينتمـــى اليها هذا الفارس او ذاك ، بل ان هذا تعدى الى ذكر مواصفـــات تلك الدابة ، التى كانت فى عهدته وهل هى فرسة او بغلة اى انهـا موصوفة بالكلمة الدالة على أنوثتها وهى (theleia).ام هى فرس مذكر (arsen) وكان يذكر كذلك لـــــون

---

(1) Papyri Petrie Vol. II No. 35.

الحصان وهل هو مخطط ام منقط الى غير ذلك من المواصفات الدقيقة والأمارات التي يمكن بها التعرف على نوعية هذه العهدة الثمينة ولدينا وثيقة بردية اخرى بعضها في مجموعة المتحف البريطاني وبعضها الاخر في ارشيف زينون بالقاهرة[1] وهي تحكي لنا مدى اهتمام زينون بالخيل وذلك في تاريخ متقدم على الوثيقة السالفة الذكر فإن شخصا يدعى - سوستراتوس - (Sostratos) وهو من اعوان زينون وشركائه في العمل في مجال زراعة الكروم كتب اليه في تاريخ يتراوح بين العام ٣١ او العام ٣٩ من حكم بطلميوس فيلادلفوس ، يطمئنه على موضوع تربية الخيل وحسن رعايتها وكيف ان بعضها او خمس منها (عَشَّر) وان واحدة منها تخص ديمياس قد نفقت ، وهذا الخطاب الذى حرص - سوستراتوس - على ان يوجهه الى زينون يحمل في طياته الدليل على شدة اهتمام زينون بموضوع تربية الخيل وقد حرص أن يؤكد لزينون انه بمجرد عودته من الاسكندرية اتجه فورا لتفقد احوال الخيل والبغال ووجدها في حالة جيدة وان خمسة منها (عُشَّر) ، بينما البغلة الخاصة بديمياس (Demeas) صديق زينون واحد الاعيان في هذه المنطقة قد نفقت .

Line 1:...paragenomenos ex Alexandreias euthu eporeuthen.

Line 2: epeskepsamen tas hippous kai ton pwlon ginwske oun tas men hippous eu diakeim-lnoskai

Line 3: e ggastri echousas pente :autwn

(1) T.Skeat, Papyri London, Vol.VII, (1974), No. 2053 dated 255 or 246 B.C.

ونكتفي بهذا القدر عن تربية الخيول واهتمام الاعيـــــان برعايتها وسهر الحكومة على المحافظة عليها وحصر اسماء من فـــي حوزتهـــم اعداد منها ·

عود إلى موضوع إسكان الجند وتوطينهم :

في السنة الأولى من حكم الملك بطلميوس الرابع الملقـــب فيلوباتور تقدم فلاح مصرى يسمى ـ استوتيس ـ (Stotoes) بشكوى مريرة (1) يقول فيها انه طرد بالقوة الغشومة هو وماشيته مـن المنزل الذى يقيم فيه وهو الكائن بقرية تسمى بوليديوكايـــــا (Polydeukeia) الواقعة في زمام الاقليم الارسينويتـــي (الفيوم) وكان المتسبب في هذا الطرد شخص يوناني يسمـــى جيروروس (Geroros) وهو من الحائزين لسبعين مـــن الارورات وممن تكنى طائفتهم بما يدل على هذه الحيازة اى ان الواحد منهم (hebdomekontarouros) · ولم يأبـــه بما توافر له من سكن اخر متواجد في زمام هذه القرية فأعـــرض عنه · وفي رأى العالم الفرنسي (مارسيل لوني) ينبغي تصويـــب كلمة (oikiou) او اى كلمة اخرى مرادفة وتفيد معنـــي السكن او البيت وذلك افضل من التكهن بأن الفراغ المتمثل فـــي الشطر الاول من هذه الكلمة يمكن ان يكون له علاقة باسم قرية غيـر

(1) Papyri Enteuxeis, No. II by Octave Gueraud.

معروفة ، كما ظن الناشر الاول لهذا النص · وقد جرى الفصل في هذه القضية امام محكمة مختلطة (Koinodikion) لأن الخلاف كان بين مصري ويوناني ، ومما لا ريب فيه ان هذا اليوناني لم يرق لديه السكن الرسمي المخصص له ، وعندئذ تراءى له ان في وسعه أن يحقق رغبته الذاتية ويتصرف حسب هواه بطريقة عشوائية وعلى ذلك وجدنا مثلا سيئا على ما كان يتردى فيه أولئك الجند ذوو الاقطاعات العسكرية · وقد شاع هذا الاسلوب فكان الضابط اذا لم يرق لديه موقع السكن المخصص له او نوعيته لا يتردد في تركه والانقضاض على غيره بلا اى مبالاة او اكتراث بالعواقب الوخيمة من جراء مثل هذا التصرف·وقد سبق أن بينا ان خطاب الملك بطلميوس فيلادلفوس الى انطيوخوس ندد بمثل هذه الاعمال الشنيعة وطلب العمل على ايقافها ومنع حدوثها مستقبلا ولكن بلا جدوى فها هو ذلك اليوناني فى عهد بطلميوس الرابع يرتكب اثما مماثلا· وهناك شكوى اخرى يرجع تاريخها الى عام ١٤٩-١٤٨ قبل الميلاد وهى منشورة في مجموعة بردى برلين [1] وجاءت من اسوان مبينة ان مواطنا مصريا يسمى ايسورويس (Esoroeris) استضاف شخصا يونانيا يسمى نيوبطلميوس (Neoptolemos) وهو جندى ينتمى الى الحامية المرابطة في اسوان · وبعد ان سادت لأمد طويل العلاقات الودية بين الطرفين ، تكدر صفوها فجأة

---

(1) B. G. U., No. 1247.

ولم يكتف (نيو بطلميوس) هذا بتوجيه شتى الاساءات والاهانات غير اللائقة لصاحب البيت الذى كان يساكنه ، بل تعدى هذا الـى هدم سقف احدى الحجرات فى هذا البيت ، وفضلا عن ذلك فقـــد اعتدى عليه بالضرب واللكم فى حوش البيت امام ملأ من النـــاس فكان فى هذا نوع من العدوان الصارخ على هذا المصرى البائــس ومما يراعى فى الاسلوب الذى كتبت به هذه الشكوى ان كاتبها لـم يكن يجيد المعرفة باللغة اليونانية ولم يحسن استخدام بعض الكلمات الاصطلاحية على الوجه السليم فجاءت كلمة مهمة فى السطر السادس وهى (stathmouchos) للتدليل على وصف هذا الساكـن لدى صاحب البيت مع ان معناها هو العكس أما النزيل فكان ينبغى ان يوصف بالكلمة الدالة على ذلك وهى (epistathmos) .

وانه لجدير بالذكر ان النعرة الغالبة فى مثل هذه الشكاوى وما تضمنته من مظالم كانت تصور اليونانيين بلون قاتم فهم فـــى تعاليهم وتكبرهم قد بدا عليهم العنجهية والصلف والكبر فكانـــوا يشمخون بأنوفهم فى غطرسة واحتقار لشأن المصريين ، فساموهـــم سوء العذاب فى السكن وفى شتى المعاملات ونئوا عن المصرييـــن بجانبهم وآثروا بقدر المستطاع الابتعاد عنهم فى شتى المجـــالات. على ان هذه الصورة القاتمة ولتلك الظاهرة المتجلية بشكل واضح فـى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد لم يكتب لها البقاء طويلا.والمثـل الرائع الذى يمكن أن نسوقه تدليلا على ذلك هو تلك الشكـــوى

التي وردت في كتاب (اكتاف جيرو) [1] مرفوعة الى الملك (بطلميوس الرابع) في السنة الرابعة يستغيث فيها صاحبها وهو يوناني يسمى (هيراقليديس) من تصرف شائن لامرأة مصرية وصفها بأنها تافهة اى (tis) سكبت عليه وهو مار بالطريق العام ماءا قذرا (عن غير قصد بالطبع) ولما وجه اليها اللوم على ذلك اشبعته سبا ولعنا وقد ختم شكواه الى الملك بجملة لها مغزاها فقال انه لا يحق لامرأة مصرية (Aegyptia) نكره وبهذه التفاهة والحطة ان تعتدى على مثلة وهو اليوناني ٠ وقد دأب العلماء على ان يضربوا المثل بهذه القصة على نوعية الغطرسة لدى اليونانيين في صدر الحكم البطلمي حتى اواخر القرن الثالث قبل الميلاد واشتدت وطأتها في عهد بطلميوس الثاني ولكن ما لبث الحال ان تبدل في القرن الثاني قبل الميلاد وبخاصة بعد معركة رفح سنة ٢١٧ ق٠م بعد ان أبلى الفيلق المصرى في هذه المعركة بلاءا حسنا وكتب له النصر في هذه المعركة الخالدة على الملك السلوقي وكان يبغي غزو مصر وكان لهذا الفيلق المصرى الفضل في تثبيت اقدام العرش البطلمي وعندئذ طالب المصريون بحسن المعاملة وببعض الحقوق ومراعاة المساواة بينهم وبين اليونانيين في تولي الوظائف وأصبحوا اندادا لأولئك اليونانيين يكيلون لهم بالكيل الذى ذاقوه على مدى اكثر من مائة وخمسين عاما من ٣٢٣ حتى ٢١٧ ق٠م وعندئذ

---

(1) Octave Gueraud, Papyri Enteuxeis, (1931) No. 7٦.

تواجد نوع من التعايش السلمى (modus vivendi) بين أولئك المحتلين الغزاة من ناحية وبين المصريين وساعد على ذلك عملية التمصير المستمرة التى تعرض لها هؤلاء اليونانيون عن طريق تزاوجهم من مصريات وكان يحضهم على ذلك شاعر البلاط السكندرى وهو ثيوقريطس (Theocritus) فى اشعاره الراعوية (Idylls).فخفف هذا من طباعهم الخشنة وقلل من عنجهيتهم فتوارى شيئا فشيئا مظهر الاستعلاء وبخاصة فى ريف البلاد وهو ما يعرف بكلمة الخورا (Chora).ومما لا شك فيه إنه من قبيل المبالغة ان ننحو وراء الرأى القائل بأن الخلافات الناشئة عن فرض اعباء بسبب الاحلال والسكنى عند الغير ونزول الجند على بيوت المصريين واقتسامهم اياها معهم بمقتضى اوامر استيلاء او بغير ذلك - كانت كلها راجعة او منسوبة الى عامل واحد وهو ما يطلق عليه بالنعرة الخاصة بكراهية الاجانب عند المصريين وهى السمة التى نوه عنها هيرودوت فقال فى صراحة وبلا مواربة ان كراهية الأغراب والأجانب (Xenophobia) هى الظاهرة التى اشتهر بها المصريون . ولكن الامر فى حقيقته مرده الى شىء اخر ، فمنشأ الصعوبات كان يأتى فى الكثير الغالب من اساءة استعمال الاماكن المشغولة ومن التصرفات والسلوك المعيب الذى كان يتردى فيه المقدونيون واليونانيون على مختلف شاكلتهم فهم الذين يمكن اعتبارهم المسئولين وحدهم عن كل ذلك . والمصريون من جانبهم كانوا فى واقع الامر ينحون باللائمة على الهيللينيين ككل

فهم الذين كانوا يقيمون بين ظهرانيهم ويتصرفون معهم بلا ريب ان لم يكن كأجانب ، وانما كدخلاء ، حلوا عليهم في بيوتهم ونزلوا في مساكنهم بالاكراه . ومع كل ذلك فان نعرة الخوف من الاجانب كانت تقليدا متوارثا منذ القدم عند المصريين.وعلى ذلك لم يكن في وسع احتلال دام نحو ثلاثة قرون ، ان يقتلع هذا الشعور الغامر من جذوره وبمحوه كلية ، واقتصر الامر على ظهوره بين الحين والاخر في صور سلبية من مجرد امتعاض وعدم الرغبة في التعاون [1]

على أن الكثير من الوثائق التي سبق ان تناولناها بالشرح والتفصيل ، كشفت النقاب عن بعض المضاعفات السيئة الناجمة عن نظام الاسكان هذا وطريقة تطبيقه بواسطة الجنود والضباط عن طريق القهر والاغتصاب العلني مع استخدام القوة الغشومة (bia) . وزاد الطين بلة إن حقوق الاجنبي الساكن او النزيل لم تكن تنتهي بوفاة ذلك النزيل الأصيل ، وانما تطور الامر ونتج عنه من الناحية القانونية بالنسبة للسكن وكذلك بالنسبة لما كان يصاحبه من الأرض المقطعة ، ان اصبح كل هذا خاضعا للتوريث لذوى القربى او لآخرين . ولدينا مثل رائع على ذلك

---

(١) جاء في كتاب مارسيل لوني ، ص ٧٠٧ فقرة طريفة عن موضوع بغض الاجانب عند المصريين وتأصل ذلك الشعور في نفوسهم وعدم امكان اقتلاع جذوره .

جاء في وثيقة بردية منشورة في مجموعة بردى لندن من ارشيف زينون ، اذ كتب احد هؤلاء الجند ، يوصى بعد مماته لاخرين بنصيبه من الارض المقتطعة له ومن السكن بالطبع . والنص طريف ويستوجب الرجوع اليه واتخاذه حجة على سريان مثل هذا التصرف في وقت مبكر ينتمي الى عصر يورجتيس الاول[1] وعلى ذلك اصبح هذا الاحتلال شيئا فشيئا عبارة عن ملكية وراثية[2] ولدينا امثله عديدة على هذا الوضع ومنها مثل السيدة (آسيا) التى استمرت شاغلة لمسكن زوجها المسمى (ماخاتاس) وكان هذا السكن يحمل سمة دالة على انه سكن عسكرى اى (stathmos) وكذلك الحال بالنسبة للاخوين (تيمايوس) و (ميلانتيوس) وقد بقيا في سكنهما بعد وفاة ابيهما الذى كان يوصف بحامل الصولجان او (Rhabdophoros) وقد وجدنا انه في كثير من الاحوال عمد اولئك الكليروكيون الى اجراء تصرفات في هذه

(١) T. Skeat, Papyri London, Vol. VII, No. 2015 LL. 5 - 6.

وتاريخ هذه الوثيقة في العام السادس من حكم بطلميوس الثالث اى في عام ٢٤١ ق.م وهي تحكى امر وصية كتبها مقدوني لصالح شخص سقط اسمه وكنيته في النص .

(٢) عن هذا التطور مرجعنا الى كتاب ليسكيه عن النظم العسكرية ، ص ٢٣٤ ثم كتاب رافائيل تاوبنشلاج عن القانون ، ص ١٧٨ وكليربريو عن الاقتصاد الملكي ص ٤٧٧ - ٤٨٠ .

المساكن ذات الطابع العسكرى مما يخصهم ، كما لو كانت ملكـــا خالصا لهم . فعن طريق عمل وصايا او هبات ، كانوا يرومون الحـرص على مراعاة حقوق الورثة من ابنائهم وزوجاتهم تأمينا لمستقبلهم مـــن بعدهم . وها هو شخص يدعى (ديونيسيوس) من أهل مدينـــة هيراقليا (Herakleia) قد شرع بالفعل فى كتابـــة وصيته لابنه المسمى (بطلميوس) استبعد فيها حصانه وسلاحه ثـــم اوصى بترك سكنه الذى كان مخصصا للوالد من قبل السلطة الملكيـة على نحو ما جاء فى وثيقة بردية من مجموعة بيترى [١] وهناك حالـة اخرى اوصى فيها (انتباتروس) البرقاوى فى عام ٢٣٥ ق.م الـــى زوجته المسماة (ديونيسيا) بكل املاكه وسكنه العسكرى المخصـص له فى قرية مصرية هى (الابانثيس) (Alabanthis) [٢] ويتضح من العبارة التى ساقها فى هذا الشأن ان الشعور كان يخامره بأن هذا السكن لم يكن يمثل جزءا من املاكه بصفة مطلقة وهنـــاك شخص اخر يدعى أديموس (Adymos) وهو احد المهاجريـن الذين استقر بهم المقام فى قرية تسمى برنيقة ثيسموفـــــــروس (Berenikis - Thesmophorou) لم يكن يدرك فـــى

---

(1) Papyri Petrie, I, 11 = III, 12 LL. 9 - 10.

(2) Papyri Petrie, I, 17 (i) = III, 14 L. 20.
والابانثيس هي قرية واقعة على بحيرة قارون فـــى القســـم الهيراقليدي من إقليم الفيـوم .

شكواه المعاني الدقيقة التي اشار اليها عندما سطر عبارته في عام ١٨٢ ق.م بشأن سرقة وقعت له فلم يفرق بين ما له من ممتلكات وبين السكن العسكرى واعتبرها كلها ملكا خالصا له ، يتصرف فيه كيفما شاء [١] .

وما وافى القرن الأول قبل الميلاد حتى كان التطور قد بلغ منتهاه واصبح الناس يوصون بلا اى حرج ودون اكتراث ، كما لو كان هذا السكن العسكرى ملكا وراثيا ، فكتب شخص يدعى ديون (Dion) وهو من اهل ايلايا (Elaia) وكان فارسا مستوطنا اى (katoikos) موصيا في اول الامر لابنه الاكبر المسمى (ديمتريوس) وليس لزوجته كما ذكرت العالمة البلجيكية الراحلة كليربريو في كتابها عن الاقتصاد الملكى ص ٤٧٩ هامش (١) ، على أن الوصية للزوجة وللابن الثانى او الاصغر سنا لم يبدأ ذكرها الا في السطر السابع . وكان الوالد عندما ازمع على التصرف على هذا النحو ، واثقا بانه يتصرف في جميع املاكه بحسب ما يراه وما يوحى به اليه مزاجه ، فيحرم من يشاء ويدخل من يشاء وهو في هذا وذاك يفعل مثلما يحق لاى مالك ان يتصرف فيما ملك [٢] ، وعلى هذا النحو سلك شخص يدعى ثيودوتس (Theodotos) وهو من المرتزقة فترك السكن الذى آل اليه عن ابيه باعتباره الوريث الوحيد ، الى غيره ولكنه

---

(1) Papyri Tebtunis No. 793, 1, L. 25.
(2) B. G. U., 1285 line 5.

آثر أن يتركه لأربعة من الفلاحين الملكيين المقيمين في مدينة أرسينوى [1] وتم ذلك في عام ٢٠١ ق٠م ولسنا نعرف شيئا عن الاشتراطات التى لابست هذا التصرف ولا نستطيع التكهن عن السبب الذى آثر من اجله التخلى عن ارث له عن ابيه لصالح اربعة من الفلاحين الملكيين ٠ وفى تاريخ يوافق صدر حكم الملك بطلميوس الثالث اى فى عام ٢٤٤ ـ ٢٤٣ ق٠م قام شخص يونانى يدعى اجاثوكليس (Agathocles) وكان يعمل جنديا بسيطا وقاطنا فى بلدة اكسيرنخوس وهى البهنسا بمحافظة المنيا ، فعمد الى اتخاذ اجراء غريب من اجل سداد بعض الديون عليه ، فأجر جزءا من سكنه العسكرى ، مع علمه بأن مثل هذا التصرف يعتبر باطلا بمقتضى القوانين واللوائح المختلفة التى أصدرها بطلميوس فيلادلفوس ٠ وكان هذا التأجير من الباطن لفترة طولها عشرون عاما ، وجاء التأجير لصالح امرأة مصرية تدعى تاريتيس (Tarytis) ولدينا تفصيلات عن هذا التصرف فى مجموعة بردى استراسبورج [2] .

واذا كانت هذه التصرفات تمثل حقائق لها دلالاتها على وجود اجراءات شابها العيب وفيها افتئات صارخ على الحقوق الملكية ، على اعتبار ان القاعدة المسلم بها ان هذه المساكن

(1) Papyri Tebtunis, No. 820.
(2) Papyri Strasburg, Vol.II, No.92, ll.4-6.

ملكية فإن المصريين قد ضاقوا بها ذرعا . ومع ذلك فإن مثل هـذه التصرفات التى كانت من قبيل التوصية والتوريث ، كانت علـى اى حال أقل ايلاما للنفس ويمكن احتمالها والصبر عليها ، اما تلـــك الاعمال العدوانية من التهجم والاغتصاب ، دون مقتضى او مبــــرر فكانت لا تطاق بحال من الاحوال . ومع ذلك فهى ليست اقــــل ايلاما واساءة بالنسبة للملاك الاصليين من المصريين الذين كانـــوا على مرأى ومسمع منهم يشاهدون املاكهم وبيوتهم او اجزاء وطوابــق منها تنتزع بقوة العرف ويتم اغتصابها تحت سمع الحكومة وبصرهـا وفى ذلك اهدار لكرامتهم ومضيعة لحقوقهم لأنهم كانوا على يقيـــن انها سلبت منهم بصفة نهائية عن طريق توريثها لاخرين جهـــارا وعلانية . وكان هذا الحق المخول للجنود والضباط والذى بمقتضاه قـد اتيح لهم التصرف فى هذه المساكن على النحو الذى وصفناه ـ قـــد اصبح امرا مسلما به منذ بدء حكم بطلميوس الثالث وقد اقرتـــه السلطة الملكية واعتدت به واعتبرته اجراءا سليما ، مع انه كـــان فى الحق عملا من اعمال السلب والنهب ، وما نظن ان تصـــــرف (اجاثوكليس) لصالح امرأة مصرية هى (تاريتيس) وهو القاضـــى بتأجير سكن لها لمدة عشرين عاما ، كان يمثل تأجيرا معمولا به فى الخفاء او احيطت به السرية او جرى ألتستر عليه ، فالسلطة الملكية كانت مضطرة ان تغض الطرف عنه ، بل وأن تلقى بكل ثقلها فـــى هذا الاتجاه وتبارك كل اعمال الوصاية والتوريث على النحو الـــذى فصلناه ، فسمحت لاى من الاوضاع القانونية والصيغ المختلفة التـــى

طبقت بها مثل هذه التصرفات فى المساكن كيما تتطور وتتشكل وتتخذ الصورة القانونية التى بدت عليها في هذه النصوص او في اغلب الظن ان هذا الاتجاه بدأ منذ اواخر حكم بطلميوس الثانى مع انه هو صاحب التشريعات والتنظيمات التى تضمنتها العديد من الوثائق البردية المنشورة في مجموعة بردى (بيترى) والتي علقت عليها بإفاضة العالمة البلجيكية (مارى تيريز لانجيه) في كتابها وموسوعتها عن الاوامر الملكية المنشورة سنة ١٩٦٤ ثم اعيدنشرها فى سنة ١٩٨٠ . وكان عدد هذه الاوامر الملكية عشرة ، جاءت مصوبة ومنقحة ومزودة بتعليقات مسهبة . ولكن يبدو ان بعضا من الجنود والضباط قد ضربوا صفحا عما تضمنته من احكام وتنظيمات واخذوا يعيثون فى الارض فسادا . ووقفت الحكومة منهم موقفا غريبا فكانت مكتوفة الايدى ، وهنا قد يتساءل الانسان عن السبب الحقيقى فى عدم اكتراثها بتطبيق قوانين سنت وشرعت ولم يكن مدادها قد جف بعد وما الذى جعل هؤلاء الجند والضباط يمضون فى غلوائهم يعمهون ، فتصرفوا في هذه المساكن كما لو كانت ملكا خالصا لهم وقاموا بتأجيرها من الباطن تارة والتوريث والتوصية لابنائهم وزوجاتهم او لاخرين بعيدين عنهم تارة اخرى . ألا ان هذا لهو العجب العجاب ، فكيف يسوغ لحكومة عرفت سياستها بأنها كانت تقوم على حب السيطرة والتحكم (Domination) بأن تسمح بمثل هذه المهازل ولم تكن بعد قد انقلبت سياستها الى اسلوب المهادنة والممالأة (Association) وهى

السياسة التى كناها روستوفترف بهذا الوصف وفسرها فى كتابه عن العالم الهيللينستى بأنها كانت تنطوى على روح المزاملة وتتسم بالتسامح وكان من مقتضاها أن تغض الطرف عن اى من المخالفات ولا تأبه بتنفيذ القانون الخاص بالاسكان او تثير اى مشاكل فى هذا الصدد وتقبل سياسة الامر الواقع ، (Laissez - faire أو Status quo) ولعل هذا يفسر لنا بعض ما كان يجرى من مخالفات اثرت الحكومة ان تلوذ بالصمت والسكوت عليها ٠

وإنا لنعرف انه فى السنين الاولى من حكم بطلميوس الثانى وبالتحديد فى السنة الحادية عشرة وما بعدها وصلت الينا تشريعات تناولت احكاما جزئية وتفصيلات خاصة بتنظيم موضوع اسكان الجند وكيفية توزيع هذه المساكن واقتسا ها بين المنتفعين والعقوبات التى توقع على اى من المخالفين وعلى كل من تسول له نفسه التصرف فيها بالبيع او التأجير من الباطن او يعمد الى التنازل عنها للغير او المطالبة باكثر من سكن واحد مما يعرض المطالب بذلك لمصادرة سكنه واعتبار تصرفاته باطلة ٠ على ان الاحكام التى تناولت هذا الموضوع من جوانبه المختلفة قد فرقت بين المشاة والفرسان وخصت الأخيرين بشيء من العناية والاهتمام. وكان الهدف الرئيسى من كل هذه التشريعات رغبة صادقة من الملك فى المحافظة على حقوقه فى هذه الملكية ، على اعتبار ان جميع المساكن العسكرية هى ملك خاص له.، اسوة بما كان لملوك الفراعنة

ولم يغفل الملك عن اتخاذ الاجراءات القانونية ووضع حد لســـوء الاستعمال او الابتزاز او الرغبة في الاستغلال والانتفاع المادى علـى اى نحو . وكان كثيرون من الجنود والضباط قد عمدوا الى ذلـــك بطريقة او باخرى وقامت الادلة الكثيرة على حدوث تصرفات معيبـة بل ومشينة مما افصح عنه الملك بطلميوس فيلادلفوس في خطابـــه المشهور الى انطيوخوس مطالبا اياه بايقاف مثل هذه التصرفـــات وحثه على تدارك الموقف في ايوللونوبوليس (أدفو) [١] .

وهناك مجموعة من الوثائق البردية الطريفة للغاية لما ورد بها من اشارات الى بعض الاوامر التى كان يصدرها بطلميـــوس الثاني بين الحين والاخر . وبعضها جاء مؤيدا ومبررا لبعـــض التصرفات في قضية رفعها مصرى يدعي فاميس (Phames) ضد يوناني يسمي (ديمتريوس) ويرجع تاريخ هذه الوثيقة الـــى ٢٤٥ ق.م وقد نشرت مرارا وتم التعليق عليها بإفاضة [٢] والعمـــود الرابع من وجه هذه الوثيقة ثم الاعمدة الثلاثة المسطرة على ظهرهـا

---

(1) Papyri Halenses, I, LL.166 - 185.

(2) Papyri Petrie, II, 8. = III, 20; Chrestomathie, I, 450; Marie Therese Lenger, Chronique d' Egypte, XIX, 1944, PP.116-117 Chronique d' Egypte, XXIX, No.57, Janvier, 1954.

اشتملت دون اى ترتيب على بعض من الاوامر التى اصدرها فيلادلفوس ، وقد يكون من المفيد ان نشير اليها بحسب ترتيب صدورها من الناحية الزمنية وتوقيت اصدارها .

أولا - فى العام العاشر وفى الخامس عشر من شهر (ديوس) اى فى عام ٢٧٦ - ٢٧٥ ق.م صدر مرسوم ملكى نشرته لانجيه - فى كتابها تحت رقم ٧ وكان يتضمن امرا مبتورا فى السطرين المرقومين ٣ - ٤ وتسبب عن ذلك تعذر استخراج اى معنى من هذين السطرين . على ان المضمون كان ينطوى على تحريم الحصول على اموال عن طريق الانتفاع الشخصى وتأجير هذه المساكن التى خصصها الملك لشاغليها بمقتضى اوامر ملكية ، فحرم الحصول على اى نفع مادى على اى نحو كان . واى مخالفة لذلك عقوبتها ان يلزم المخالف بدفع التعويضات المناسبة للملك وخمسة امثال (Pentaploun) ما حصل عليه ، مع رد جميع المبالغ التى دفعت اليه ، فيسلمها لاصحابها .

ثانيا - وفى السنة العاشرة نفسها ولكن فى اليوم السادس من شهر هيبربيرتايوس (Hyperberetaios) اى فى عام ٢٧٦ - ٢٧٥ق.م صدر امر اخر ورد فى كتاب (لانجيه) تحت رقم (٨) ويتضمن تحريما على الفرسان ان يبيعوا المساكن المخصصة لهم او التنازل عنها للغير او الاستدانة عليها باى طريقة كانت او المغامرة بها فى اية عملية مالية اخرى . واى قرض بضمان

هذا المسكن يعرض صاحبه للعقاب بفرض تعويض يقتص منه بالقوة الجبرية ويساوى هذا التعويض ثلاثة امثال (triploun) هذا القرض وجاء التعليل فى ذلك التحريم كما يلى : (ذلك ان هذه المساكن العسكرية هى ملك للملك) .

ثالثا - وفى السنة الحادية عشر من حكم فيلادلفوس وبالذات فى خلال شهر ديوس اى فى عام ٢٧٥ - ٢٧٤ ق.م جاءت وثيقة اخرى من مجموعة بردى (بيترى) واشارت اليها لانجيه فى كتابها تحت رقم (٩) . وفى هذه الوثيقة ما يفيد ان كلا من صاحب البيت والنزيل ينبغى عليهما ان يتقاسما بحق النصف لكل منهما فيما يكون من مبنى البيت والملحقات الخاصة به . واى عمل عشوائى يصدر من قبل احد الطرفين ضد الاخر يكون العقاب عليه بفرض التعويض على مرتكبه ، وقدره ثلاثون من الدراخمات عن كل شهر بالنسبة للاحتلال غير المشروع للمنزل او لأى طابق منه او ستون من الدراخمات بالنسبة للملحقات او التوابع .

رابعا - وفى العام السادس عشر اى فى عام ٢٧٠ - ٢٦٩ ق.م جاء نص آخر نشرته لانجيه - فى كتابها تحت رقم (٥) وهو مقتبس من مجموعة بردى بيترى[1] . وهذه الوثيقة تحمل امرا ملكيا مبلغا

(1) Papyri Petrie, III, 20, recto, col.4 = (Wilcken, Chrestomathie 450) = Sammelbuch No. 9454 (1952) PP.220-221, No. I.

الى ثيون عن طريق موظف ملكي اسمه (سوستراتوس) وهو المكلف بتدبيج واصدار مثل هذه الاوامر الملكية (prostagmata) وجاء في هذا الامر ما يفيد ان الملك اصدر امره القاضي بتحريم المطالبة باحد المساكن الشاغرة او شغلها بالفعل وذلك ابتداءا من شهر بيريتيوس (Peritios) وهو الشهر القمرى المقدونـــى، ونص على انه لا يجوز الاقدام على تصرف كهذا او من هذا القبيل، قبل ان يبت الملك في ذلك برأى قاطع . وكل تصرف يجيء على غير هذا النحو في هذا الشأن ، يعتبر امرا باطلا ولاغيا ولا حجيـة له (akyrios) اما من سولت له نفسه ارتكاب مثل هـذه التصرفات ، فعليه ان يدفع فضلا عن ذلك غرامة مساوية لقيمة هـذا الايجار المستحق طوال المدة التى ادين فيها تطبيقا للامر الملكى .

خامسا ـ فى العام ٢٤ من حكم فيلادلفوس وهو يقابل سنـة ٢٦٢ ـ ٢٦١ ق.م وفى السادس والعشرين من شهر (أرتيمسيوس) صدر امر ملكي ورد نصه مصريا فى كتاب (لانجيه) تحت رقـم (١٠) [1] وقد جاء هذا المنشور فى صورة خطاب (entole) موجه من الملك الى شخص يدعى ليكوميديس (Lycomedes) يبلغه فيه ان المساكن التى يشغلها الفرسان الذين صودرت انصبتهم من الارض ، ينبغى اعادتها وردها الى الملك ، فيما عدا تلك التى يكون الملك قد عين من يشغلها ، واختاره بالاسم .

---

(1) Papyri Petrie, III, 20, verso, Col. 3, LL. 8 - 12.

سادسا ـ هذا نص ضاع تاريخه ولم يبق من الشق الدال على ذلك سوى رقم ٦ من شهر (كذا) . وقد اشارت اليه (لانجيه) في كتابها تحت رقم (٦) وهو من مجموعة بردى بيترى [1]. والمعنى المستفاد من هذا النص هو التحريم على اى شخص ممن اتيح لهم من قبل شغل سكن ، أن يطالب بتخصيص سكن اخر له ، مهما كانت الاسباب والذرائع . واذا طالب احد من هؤلاء بشيء من ذلك اى بسكن اخر ، فليصادر سكنه الاول وتصبح المنحة التى اعطيت له لاغية .

تلك هى مجموعة الاوامر الملكية المرقومة ١،٢،٤،٥،٦ وجميعها يتبع المبدأ العام القاضى بأن تكون جميع هذه المساكن المخصصة للجند من مشاة وفرسان ملكا للملك ، وكان الهدف منها بوجه خاص رعاية مصالح الملك . وإذا كان القرار المرقوم (٣) قد صدر في صالح الملاك فإنه يعتبر على هذا النحو مفيدا للمصريين وفيه ضمان لمصالحهم . ومع ذلك فالاوامر رقم ١،٢،٤ يمكن اعتبارها الى حد ما ، مصدر نفع وتيسير كبير للمصريين وفيها ما يكفل ترضية لهم ، اذ انها كانت تقضي باعتبار اى تصرف بالبيع او التأجير من الباطن او الرهن او الاقتراض بضمان السكن لا يخول

(1) Papyri Petrie, III, 20, verso, Col. I, LL. 1-11 = (Wilcken, Chrestomathie 450) = Sammelbuch No. 9454; Chronique d' Egypte, 27 (1952) PP. 221-222, No.11 and Chronique d' Egypte No. 29 (1954).

للطرف الثالث اى حق مسبق قبل المالك الاصلى للعقار .

وفي ضوء ما طرأ من اوجه النزاع الذى كشفت عنه هـــــذه الوثائق التى عرضنا لها بشيء من الشرح منذ عهد الملك بطلتيــوس الثالث الملقب يورجتيس الاول ، نجد ما يفيد تثبيت حقـــــوق الشاغلين لهذه المساكن من حيث امكان التصرف فيها لورثتهــم. وقد تبين كذلك انه على الرغم من الجهود المكثفة التى بذلهـــــا الملك بطلميوس الثانى الملقب فيلادلفوس ، فإن التشريعـــــات الخاصة بموضوع الاسكان ذهبت ادراج الرياح ولم يقدر لها البقـــاء ولا حسن التطبيق لأمد طويل . وترتب على ذلك ان اخـــــذت المساوىء تظهر بشكل جلى وعملت الحكومة من جانبها على غـــض الطرف عنها فى اول الامر ثم اخذت تصدر التعليمات المتضمنـــة مبادىء جديدة ، فيها اعتراف صريح بهذه الاوضاع الجديدة مـــن حيث الاعفاءات والتوريث وغير ذلك من اعمال الوصية لصالـــــح الابناء والزوجـــــات .

ولدينا مثل رائع على ذلك ، يوضح ما جرى من إعفـــاءات صدرت عن الملك بطلميوس يورجتيس الثانى الملقب فيسكـــــون (Physkon) اى البدين (١٤٥ - ١١٦ ق.م) وشاركته فـى ذلك زوجته الاولى كليوباترة الثانية وابنتها كليوباترة الثالثة وهـى زوجته الثانية ، وجاء ذلك فى مرسوم مشهور ومنشور فى مجموعـــة بردى (تبتونس) رقم (٥) سنة ١١٨ق.م . وقد اعادت لانجيـــه

نشر هذا النص وعلقت عليه بإفاضة في كتابها عن الاوامر الملكية رقم (٥٣) وقد جاءت فقرة مهمة في الاسطر ٩٩ حتى ١٠١ من هذا المرسوم الذى تمت فيه المصالحة بين الاطراف المتنازعة وانهت حربا طاحنة بين الطرفين وهما الملك وزوجته كليوباترة الثالثة ضد كليوباترة الثانية ، زوجته الاولى . وها هو نص هذه الفقرة الطريفة (وقد سبق ان قرروا ان أولئك الذين كانوا قد اشتروا من الخزانة الملكية (to basilikon) بيوتا او كرما او بستانا او اى عقارات من الاملاك الثابتة او قوارب او اى شيء اخر على اى نحو كان ، تبقى لهم ملكياتهم هذه سارية المفعول ولها احترامها وحجيتها . ولن تخضع بيوتهم لاسكان الجند وتتعرض لنظام اسكان النزلاء (epistathmia) وها هو النص اليونانى نسوقه هنا لأهميته ومن اجل التمعن في العبارات التى صيغ بها لمن يشاء : Papyri Tebtunis No. 5.

99: προστετάχασι δὲ καὶ τοὺς ἠγορα(σ)κότας
ἐκ τοῦ βασιλικοῦ οἰκίας ἢι ἀμπελῶνας ἢὶ
παραδεἰσους

100 ἢὶ ἄλλα σταθα ἢὶ πλοῖα ἢὶ ἄλλο τι καθ'
ὁ(υ)ν τινοῦν τρόπον μένειν κυρίως, καὶ τὰς

101 οἰκίας μὴ ἐπισταθμεύεσθαι.

اما الأسطر من ١٦٨ حتي ١٧٧ من هذه الوثيقة فهى تتضمن بالمثل اعفاءا من هذا العبء المتمثل فى احلال واسكان النزلاء وذلك بالنسبة لبعض طبقات معينة من السكان ، تراءى للدولة ان تخصهم ببعض الرعاية ، فأوجبت الا يحل عليهم اى نزلاء من الاغراب (epistathmoi) وبخلاف الفريق الاول وهم الذين كناهم النص بأولئك اليونانيين الذين أنضووا فى الخدمة العسكرية ، فإن الفئات الباقية من المنتفعين من هذا الاجراء الانسانى والمنصوص عليهم صراحة هم من المصريين لحما ودما وقد عددهم المشرع فى هذا النص على النحو الاتى : هؤلاء هم الكهنة ثم الفلاحون الملكيون ثم ذووا الحرف المختلفة وهم طائفة الحرفيين من نساجين فى عمل الصوف وصناع الملابس او الخياطين ثم يلى ذلك المشتغلون بتربية الخنازير ورعاة الاوز (chenoboskoi) وعصاروالزيوت والنحالون (melissourgoi) وقطارو الجعة (Zytopoioi) وهناك فيئتان اخرتان ضاع اسمهما فى النص ووصفهما العالم الفرنسى مارسيل لونى بأن هؤلاء من الحاصلين على تراخيص كانوا قد اشتروها من الملك ووصفهم بما يلى (detenteurs de licences achetees au roi) ولكن هذا الرأى غير مستقيم والاصح انهم كانوا من الذين سددوا المبالغ المستحقة عليهم لدى الخزانة • وجاء التصويب فى السطر ١٧٤ على النحو التالى

(tous telountas ta Kathekonta eis to basilikon)

على أن هذا الاعفاء لا ينطبق الا على بيوت سكنهم الخاص فعـــلا أما عن أى من العقارات والمساكن الاخرى التى تخص هؤلاء فالوضع بشأنها يختلف ، فلا تحق المصادرة الا على نصفها فقط . وبذلـــك يكون عبء اسكان الغير عليها غير جائز الا فى نصفها فقط ، وهذا تيسير لا بأس به ، وقد يروق للانسان ان يتعرف على ما هو جديـد فى هذه التشريعات التى استحدثها المرسوم الصادر فى عام ١١٨ ق.م وبخاصة ما جاء فيه من تيسير عن شغل نصف السكن بواسطة النزلاء فى الحالات التى نص عليها ذلك المرسوم . ولعل هذا يذكرنـــا بالتشريعات المماثلة التى صدرت فى عهد بطلميوس فيلادلفوس فـــى هذا الخصوص وهى الواردة فى الوثيقة رقم (٩) من المجموعة التـــى اعادت نشرها (مارى تيريز لانجيه) ولكن يحتمل انه فى عهـــد فيلادلفوس كان المصرى المنتمى لاحدى الطبقات المذكورة عاليـــه خاضعا فى واقع الامر لهذا التكليف وهو المصادرة لنصف البيـــت الذى يسكنه . اما الفقرة الخاصة بالهيلينيين الذين يؤدون الخدمة العسكرية ، فليست جديدة هى الاخرى ، حتى لو ترتب على التوسع فى تعريف الهيلليني اية زيادة فى عدد المنتفعين عمن كانوا عليــه من قبل فى عهد البطالمة الأولين . ومن بين اصحاب السكن الذيـــن سبقت الاشارة اليهم نجد أن شخصا يونانيا يدعى - ياســـون - (Iason) ورد ذكره فى وثيقة بردية منشورة فى كتالـــوج المتحف المصرى ضمن ارشيف زينون ورقمها (٥٩٢٤٤) [1]. وحتـــى

---

(1) M.Rostovtzeff, Large Estate , P. 170.

حيث نجد تعليقا طريفا على هذه الوثيقة .

على فرض ان هذا الشخص كان مالكا وهذا امر لا سبيل الى الجزم بصحته نظرا لأن هذه البردية مبتورة ، فإنه لم يكن فى اغلب الظن ينتمى الى رجال الجيش . اما عن الكهنة من المصريين فهؤلاء كانوا فى اغلب الظن يتمتعون بالاعفاء من هذا الالتزام الذى كان يمثل تكليفا بغيضا منذ بدء عصر البطالمة . وعلى ذلك يبدو ان المنتفعين الحقيقيين بهذا الاعفاء وغيره من الاكراميات التى نوه عنها العالم البريطانى الراحل السير (هارولد ادريس بل) فى مقال مشهور له عنوانه (Philanthropa) وهى القرارات التى تبغى الخير والاحسان للناس هم المصريون واليونانيون على السواء وهناك مقال اخر دبجه عالم امريكى راحل هو (ويليام لين وسترمان) منذ نحو ستين عاما ونحا فيه هذا النحو وعنوانه (The Ptolemies and the Welfare of their Subjects) وقد عدد فيه المناقب واعمال الخير التى اسداها ملوك البطالمة ولكنه كان مبالغا ومغاليا فيما ذهب اليه . والمرسوم الذى اصدره الملك بطلميوس يورجتيس الثانى وزوجتاه سنة ١١٨ ق.م كان يهدف الى تخفيف الاعباء عن كواهل المصريين الذين كانوا بسبب الحرف التى يزاولونها يعملون بطريق مباشر او غير مباشر فى خدمة الملك ولصالحه . ويأتى على رأس هؤلاء الفلاحون الملكيون المنتشرون فى ريف البلاد وقراها ثم طبقة الحرفيين الحائزين على تراخيص لمزاولة حرفهم وصناعاتهم اليدوية وأولئك الذين كانوا يعملون فى معاصر الزيوت فى المواسم المقررة لعصر الزيوت وهؤلاء كان ارتباطهم شديدا بنظام الاحتكار السائد

في مصر البطلمية . وكل هذه الفئات من الصناع والحرفيين والمزارعين كانوا يمثلون العنصر الغالب من السكان المنتشرين في القرى والمدائن .او بالاحرى هم الذين يمثلون الطبقة العاملة والكادحة وعلى رأسها أولئك الفلاحون الذين كانوا الضحية التي وقع على كاهلها ذلك العبء الثقيل والبغيض ، متمثلا في مصادرة جزء من سكنهم لصالح أولئك النزلاء الوافدين وكان لابد عليهم ان يتحملوا هذا العبء وانوفهم صاغرة ، اذ لم يكن لديهم حول ولا طول ولا يمكنهم ابداء اية معارضة او مقاومة لصد حالات الاستيلاء الجبري هذه او التملص منها .

وعلى الرغم من كل هذه الاعتبارات ، فإن الاجراءات التي اتخذت بمقتضى مرسوم الاعفاءات في التسوية التي تمت في عام ١١٨ ق.م قد انهت الحرب الاهلية التي نشبت في مصر طوال مدة زادت على عشر سنوات وقسمت البلاد الى فريقين احدهما يؤيد الملك وزوجته الثانية وهي كليوباترة الثالثة والفريق الاخر انحاز الى زوجته الاولى وهي كليوباترة الثانية ثم جاءت تلك الاتفاقية مقررة لحقوق الطرفين بالتبادل واقرارا بما تم من اجراءات كان قد اتخذها كل طرف في نطاق نفوذه . وكانت الاعفاءات التي اقرها الطرفان من اجل المصالحة هي في الغالب اول بينة وسند يؤكد حق الاعفاء ويثبت قانونيته وهو بهذا الوصف يمثل تحسنا كبيرا في احوال الشعب المصري وتحقيقا لاصلاح ضخم في اوضاعه المتردية وفيه

كذلك دليل مادى على الرغبة من قبل اولى الامر فى ارضاء مشاعره والاعتراف بأحاسيسه وذلك لاول مرة بعد مضى فترة طويلة منذ ٣٢٣ حتى ١١٨ ق.م اى نحو قرنين وفى هذا الصدد يقول مارسيل لونى فى كتابه ص ٧١٢ ما يلى :

((Malgre tout, les mesures de 118 B. C. sont peut - être, les premieres qui comportent l'affirmation d'un droit d'exemption et represent a ce titre une grosse amelioration pour la population egyptienne; satisfaction partielle lui est donée pour la premiere fois depuis deux siecles.))

وهناك ظاهرة فريدة ، ينبغى التنويه بها ، وهى عدم ظهور اى نزاع او خلاف جوهرى بشأن موضوع اسكان الجند ، فتوارت ظاهرة أولئك النزلاء العسكريين ، واصبح فرض سكناهم على المصريين بعد عام ١١٨ ق.م امرا غير مستساغ . فما هو السر فى ذلك يا ترى ؟ وكيف انتا لم نعد نسمع عن اى مشاكل او مشاحنات بين الطرفين : اليونانى والمصرى فى اى من الوثائق البردية بعد هذا التاريخ . وقد يتساءل الانسان هل كان ذلك من قبيل الصدفة ام انها تلك الترضيات وبنود المصالحة التى اشتملت عليها تلك الاتفاقية المبرمة بين الطرفين المتقاتلين وهما بطلميوس يورجتيس

الثاني وزوجته كليوباترة الثالثة في ناحية وزوجته الاولى كليوباترة الثانية في ناحية اخرى سنة ١١٨ ق.م هي التي انهت الخلاف وحسمت الموقف . على ان هذا الافتراض لا يمكن الجزم به الان فقد تكشف الايام عن وثائق تثبت غير ذلك . وانه لامر غريب ان مجموعة من الوثائق البردية المنشورة في مجموعة بردى تبتونس [1] . جاءت حاوية لكشوف دقيقة عن عمليات مسح الاراضي في هذا الزمام ، دبجها كاتب قرية تسمى كيركوزيريس وقد قامت عالمة بريطانية تسمى دوروثي كروفورد (Dorothy J. Crawford) بدراستها واستنباط عدة حقائق منها [2] ومن الغريب انه على مدى عدة سنوات متتالية لم يرد في هذه القوائم اى ذكر لهؤلاء النزلاء ولا لأصحاب المساكن التي قضى بأن تكون مستقرا لأولئك الضيوف الثقال . فلا أثر لأية اشارة الى احد الكلمتين الاصطلاحيتين الدالتين على تطبيق هذا النظام ولا عن اى احتكاك متوقع بين النزلاء واصحاب البيوت المضيفة (epistathmoi stathmouchoi) .

---

(1) Papyri Tebtunis Nos. 61 - 64, dated 118 - 117 - 116 - 110 B.C.

(2) Dorothy J. Crawford, Kerkeosiris An Egyptian village in Ptolemaic Period, Cambridge (1971).

وقد يتساءل الانسان كذلك عما إذا كان قد حدث اى تطور مع مضى الزمان كان من مقتضاه ان تتآلف القلوب وبذلك تكون الصعوبات الناشئة عن نظام اسكان الجند وتوطين النزلاء ان ينالها شيء من الفتور وان تفقد الكثير من حدتها . ولعل ورثة أولئك النزلاء (epistathmoi) من المستوطنين بطريق الاستيلاء من عهد البطالمة الأولين (بطلميوس فيلادلفوس وبطلميوس يورجتيس الاول) انتهى بهم الامر واصبحوا فى اخر المطاف ، مستقرين ومطمئنين الى ما جرى من تطور فى نظام اسكان الجند وصيرورته الى ما يشبه الملكية الفردية ، فظهروا بمظهر الملاك الشرعيين وتقمصوا شخصية اصحاب اجنحة من البيوت التى يسكنونها او الطوابق التى اختصوا بها وبما يحيط بها من حدائق صغيرة او ملحقات ينتفعون بها (ta + peribole) (sygkyronta) على ان هذا التطور فى نظام اسكان الجند كان قد بدأ فى عهد مبكر وسابق على نظير له من التطور الذى جرى بالمثل فى نظام ايلولة الاقطاعات العسكرية (kleroi) من حيث حق التوريث بشأنها (١) . وها هو مقدونى فى صدر حكم

---

(1) T.Skeat, Papyri London, Vol.VII, No.2015- dated 241 B.C.; H. Kreller, Erbrechtliche Untersuchingen, P.7 n.4.

وهذا المؤلف يمثل بحثا طريفا عن مدى قانونية التوريث فى هذه الاقطاعات العسكرية .

الملك بطلميوس الثالث اى فى عام ٢٤١ ق.م لما بلغ من العمر أرزله اى فى سن ٦٥ وكان فى حوزته اقطاع عسكرى مساحة رقعته ١٢٠ من الاورورات ، اشهر اعلانا بانه يهب هذه الرقعة بعد مماته الي احد (لم يرد اسمه ولا كنيته لأن الوثيقة مبتورة فى هذا الشق) وفى تعليق العالم البريطانى ت . اسكيت على السطر العاشر مما يفيد أن القاعدة المألوفة انه عند وفاة الجندى من اصحاب مثل هذه الحيازات تؤول الارض تلقائيا للملك فهو الاصل فى هذه المنحة ولكن هذه هي الحالة الأولى المؤكدة والدالة على ان هذا (الكليروكى) قد استباح لنفسه فى هذا العصر المبكر أن يورث نصيبه فى هذا الاقطاع الى غيره . ولا يضيرنا فى شىء ان تعذر علينا معرفة اسم الشخص الموصى له ولكن فكرة التوريث واحقية صاحب الاقطاع فيها هى الحقيقة التى تعنينا فى حد ذاتها . وعلى اى حال ففى القرن الاول قبل الميلاد وبالذات فى عهد الملك بطلميوس الزمار الملقب ديونيسوس الجديد (Neos Dionysus) (٨٠ ـ ٥٥ ق.م) وهو والد كليوباترة السابعة ، حدث تطور خطير اذ اعترف الملك بهذا الحق لصالح نفر ممن كناهم بالفرسان وهم الذين عرفوا بولائهم واخلاصهم له . وكان اعترافه على الاقل بالنسبة لهذه الفئة يعتبر فاتحة وسابقة خطيرة اذ سمح لهم بأن يورثوا من بعدهم من يرونه اهلا لهذا التوريث فى كل من السكن والاقطاع العسكرى (Kleros stathmos) وهذان الشقان مرتبطان كما نعلم فى التكييف القانونى . وقد ترتب

على ذلك اعتراف الملك اولا بأن تبقى لهؤلاء الفرسان تلك الاقطاعات العسكرية من الاراضي التي كانوا حائزين لها وتبقى لذريتهم من بعدهم مع ما يتبعها من سكن ، ثانيا اذا ما توفي بعض هؤلاء دون ان يتركوا وصية (adespotoi).. فان هذه الاقطاعات العسكرية الخاصة بهؤلاء المتوفين ، تنتقل الى ذوى قرباهم ثم الى اقرب المقربين من سلالتهم (1) .

ومما ساعد على تقريب وجهات النظر وتخفيف حدة الخلافات والاحتكاكات بين الملاك والنزلاء ، سواء نوع او لون من الحياة المشتركة التى كان يعيشها الطرفان جنبا الى جنب وقد خيم على الجميع جو من التآلف وفيه تبادل المصالح والروابط الاسرية فى كثير من الاحيان (modus vivendi) ولم يعد هناك مقتضى لإثارة شيء من الخلاف الا فى حالة انقراض اسرة بإكملها او عندما تنشأ حالة جديدة تستوجب التوطين والاسكان فى مناسبة ترقية احد من هؤلاء الجند المرتزقة الى مرتبة المستوطن (katoikos) فعندئذ كان يطرح على بساط البحث ذلك الموضوع الشائك والمثير لمشاعر السكان الاصليين وهو نظام (epistathmia) يقصد احلال وتوطين هذا الدخيل وقد ينتهى الموضوع على خير وسلام ، ولكن قد يترتب عليه كذلك

(1) B. G. U., 1185 (Schubart); Ullrich Wilcken, Archiv fur Papyrusforschung VI, PP. 404-405. dated 60-59 B. C., LL. 12-13 and LL. 16-18.

إثارة ضباب كثيف وسخط شديد في نفوس الناس وتعكير صفـــو الحياة السائدة بين الناس في هذه البقعة من الارض ٠

واذا كانت المشاعر التي كان المصريون يكنونهـا إزاء هؤلاء النزلاء هي بصفة خاصة مشاعر الملاك واصحاب البيوت ممـن وقع على كواهلهم ذلك العبء الثقيل وهو المنطوى على ضـــرورة تجنيب شق او طابق او جناح من مساكنهم ليحل فيه اولئك الجنـــد المستوطنون بطريق الاكراه والغصب ، فقد زاد الطين بلـــة أن هؤلاء المنتفعين بهذا التنظيم الناجم عن تكليف ملكي يتسم بالاكراه هم من اليونانيين ومن على شاكلتهم من اصحاب الحظوة والتأييد مـن الحكومة والسلطات المحلية ٠ وقد ساعد هذا الى حد كبير علـــى مضاعفة البلاء وزاد بالتأكيد من وقع اللطمات ٠ وبالاضافة الـــى الحقد والضغينة التي كان يكنها اولئك الملاك بعد ان تملكهـــم اليأس وخيبة الامل ، يمكن ان نسوق هنا عنصرا اخر وهـــو روح الشك وعدم الثقة ثم العداء والنفور من مصاحبة الاجانب والغرباء مما كان يساور المصريين الذين جبلوا بطبيعتهم على الخوف مـــن الاغراب (Xenophobia) وهي الصفة التي اشرنا اليهـا آنفا وكان هيرودوت قد وصمهم بها فلصقت بهم بعد ذلك ٠ ولكننا لا نعرف مدى الصحة فيما قاله هذا المؤرخ اليوناني ولا السبب فـي اطلاق هذه الوصمة على المصريين على نحو جزافي كهذا على أن هذا السبب الاضافي في زيادة حدة التوتر والعداء ، اخذ يقل شيئـــا

فشيئا وتضاءل على مضى الزمان وفى هذا يقول العالم الفرنسى مارسيل لونى ، فى كتابه الانف الذكر ، ص ٧١٣ ما يلى :

((Ala rancune des proprietaires frustrés se joinent la mefianee et l'hostilite d' un peuple naturellement Xenophobe : mais cette cause supplementaire d' animosité s' attenua progressivement.))

وها نحن نسوق بعض الاعتبارات التى كان من شأنها ان ساعدت على تخفيف حدة التوتر والخلاف بين المصريين والاجناس والشعوب التي ساكنتهم وحلت عليهم او عاشت بين ظهرانيهم ، ففى المقام الأول لم تكن العلاقة بين اليونانيين المولودين في مصر وبين عامة الشعب المصرى مشابهة تماما لنوعية العلاقة الناشئة بين اليونانيين من سلالة الفاتحين الأولين وبين نظرائهم من المواطنين الاصليين من اهل البلاد وهم الذين كانوا يتفاخرون بهذه الكنية (autochthonoi) اى نبتوا من نفس الارض وهى مصر ولم يجلبوا من الخارج . وهكذا كان الفارق كبيرا بين الفريقين وكانت الشقة واسعة . وقد توافرت الأدلة والبراهين على ان العداء كان مستحكما بين الشعبين على جميع المستويات وانه بلغ حدته فى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد واستمر على هذا

المنوال على مدى فترة طويلة دون توقف على نحو ما فصلته لنـــــا
بعض الشكايات التي وردت في كتابب اوكتاف جيرو عـــــــن
(Enteuxeis) واذا كان المصريون قد دأبوا علـــى
أن يظهروا شيئا من الكراهية والنفور ، بل والعداء السافـــر ازاء
الهيلنينيين الاكثر تمصرا ، فإنه من المؤكد من ناحية اخـــرى ان
اليونانيين المولودين في مصر لم يكن في وسعهم مع توالي الأيــــام
وتتابع الاجيال ، أن ينظروا الى المصريين بنفس عين الرضـــا
والقبول التي كانوا ينظرون بها الى جند البطالمة الأولين ، وما لبث
المصريون ان اصبحوا اقل عداءا ازاء الهيلينين المولودين بيـــن
ظهرانيهم والذين ارتبطوا بهم برباط وثيق وكانوا على اتصال دائم
بهم في كل لحظة وألفت بين قلوبهم جميعا مطالب الحياة وضروراتها
اليومية ولسنا نعرف على سبيل اليقين مدى العلاقات من حيـــث
التوتر او المسالمة بين المصريين وسائر الشعوب الاخرى من غيـــر
اليونانيين . ويبدو من المؤكد انه في نظر المصريين كــــــان
المقدنيون والتراقيون والليكيون والبامفيليون والكيريون وغيرهـم
من الاسيويين المتأغرقين كان كل هؤلاء واشباههم ينضوون تحت
كلمة يوناني او هيلليني بمعناها الواسع . وهناك سؤال لا يـــزال
عالقا وهو هل كان هؤلاء الأسيويون المتأغرقون متساوين في المنزلة
وعلى نفس الدرجة على الاقل مع الفرس واليهود والايدوميين
(Idumaeans) ونحن نعلم ان الفرس جاز عليهم حـق
التنفيذ على ابدانهم متى عجزوا عن الوفاء بما عليهم من ديـــون

. وكان سلالتهم يبرزون في العقد بطريقة سافرة ومميزة حتى يجوز عليهم تطبيق القانون بمنتهى القسوة متى عجزوا عن سداد الدين.

وعلينا أن نرجع في هذا الشأن فيما يتعلق بالعلاقة بين اليونانيين والمصريين الى ما سطرته العالمة البلجيكية الراحلة كلير بريو (Claire Préaux) في مجلة بلجيكية تسمى (Chronique d' Egypte) الجزء السابع سنة ١٩٣٢ ص ، ٢٩٥ ـ ٢٩٩ ثم ما سطرته نفس المؤلفة في كتيب لها صدر فيما بعد وعنوانه (اليونانيون في مصر) (Les Grecs en Egypte) سنة ١٩٤٧ ص ٦٨ ـ ٧٠ والهوامش ٣، ٤، ١٠ وبها العديد من المراجع.

ولدينا في هذا الصدد مقال موسع دبجته عالمة بولندية في جامعة وارسو تسمى أنّا سفيدرك (Anna Swederek) ونشرته منذ بضع سنوات في مجلة البردي القانوني :

Journal of Juristic Papyrology, 7-8 (1954)
PP. 231 - 284.

وعنوان المقال هو :

La Societe indigene en Egypte au III e siecle B. C.

وقد اتحفنا العالم الالماني الريخ فيلكن بوصف للمشاعر التي كانت تجيش في صدر مقدوني يسمى بطلميوس بن جلوكياس الذي اثر الاعتكاف كناسك (Katochos) في سيرابيوم ممفيس وبعد ستة عشر عاما من هذا النسك الاختياري في هذا المعبد ، تقدم بشكوى الى الملك في عام ١٥٧ ـ ١٥٦ ق.م مضمنا

اياها ذلك الحرج الذى سببه له انتماؤه الى الجنس اليونانى ومـا لقيه من سوء المعاملة من جراء تلك الصفة الهيللينية التى كانـت مسبغة عليه[1] . وليس لدينا فى اى من الوثائق البردية مـن الاسانيد ما يدل على أن القضايا بين المتخاصمين من الاجنـاس المختلفة كانت اكثر عددا مما كان بين الهيللينين من خلافـات ونزاع . ذلك ان مواطن الخلاف فى العادات والطباع بين المصريين والهيللنين كانت اقل عددا ونوعا مما كان فى مجالات اخـرى واخصها الوضع القانونى . وبالنسبة لطبيعة الحياة واسلوبها الجارى فى ريف البلاد ، كانت الفوارق محدودة ومعلومة ، فالمستوطـن العسكرى من اليونانيين المستقرين فى الريف اخذ يفلح الارض او يؤجرها للغير من المصريين ويتعامل معهم فى شتى المجـالات وهكذا بدأ يسود نوع من التعايش السلمى بين الجميع واخذت هذه الهوة من الخلاف بين الفريقين تتضاءل فكان احدهما يختلـط بالاخر دون انفصام او تباعد . وعلى مضى الزمان ضاعت معالـم الخلاف الى حد ما . وقد عبر العالم الفرنسى مارسيل لونى فـى كتابه ص ٧١٢ هامش ٢ عن ذلك بقوله :

((Colonisés et colons etaient indissolublement mêlés.))

اى ان كل فريق كان محتفظا بشخصيته وبكيانه ولم تنفصم عـرى هذه الشخصية ولكن مع ذلك كان الامتزاج والاختلاط بين الطرفيـن يسير قدما على مضى الزمان .

(1) U. Wilcken, U.P.Z., I, XV LL.12-17 and 23-28; XVI, LL. 13-17.

وهناك امر ساهم الى حد كبير فى تذويب الفوارق وتقريب وجهات النظر وفى عمل التوافق (syncretism) اللازم فى العقائد والعادات والطقوس الدينية (cults) ذلك هو الزواج المشترك (epigamia) بين اليونانى والمصرية وهو امر كان لابد من حدوثه • ومع الاحتفاظ ببعض اوجه الاختلاف التى ساعد على بقائها القانون الذى كان يفرق بين الزواج اليونانى البحت والمسطر (gamos engraphos) والزواج المصرى الصميم ثم الزواج المشترك ، ومع ما كان يساور الهيلينيين من رغبة اكيدة فى تفضيلهم وايثارهم لعقد زيجة تختار فيها الزوجة من بنى جنسهم ، فقد كان هذا متعذرا لضآلة عدد النسوة من اليونانيات اللائى هاجرن الى مصر واثرن البقاء فى ربوعها ، اذا ما قورن ذلك بالعدد الضخم من الرجال اليونانيين الذين توافدوا عليها كالسيل المنهمر فى اعقاب غزة الاسكندر ومنحه لهذه البلاد والشاعر اليونانى السكندرى ثيوقريتس (Theocritus) ردد هذا المعنى فى اناشيده الراعوية (Idylls) فقال لليونانيين الساكنين فى اوربا وفى اسيا هلموا الى مصر وانضموا فى خدمة الجيش لدى ملك بطلمى سنحى هو بطلميوس فيلادلفوس وقد حببهم فى الحضور الى مصر بقوله ان بمصر نسوة جميلات • وقد جعل كل هذا من الزواج المشترك امرا لابد منه حتى بين افراد الطبقة الشبيهة بالارستقراطية والتى اشتد اعتدادها بمركزها ، لأن اغلبها كان يؤلف العنصر

المحارب وهو عماد الحكومة وسندها . وفي واقع الامر لا يبدو ان قانون الزواج بين المستوطنين العسكريين قد تعرض لاى قيود او عوائق شابت تنفيذه ، حتى فى الحالات التى كان فيها الزوج والزوجة من اليونانيين الخلص وهو الوضع الذى كان سائدا فى اغلب الحالات فى القرن الثالث . وهناك امر اصدره الملك بطلميوس فيلادلفوس (١) وكان مطبقا فى الحقيقة فى سوريا وفى فينيقيا وجاء فيه ما يسوغ لهؤلاء العسكريين ما اقدموا عليه من زيجات ويكسبهم بعض الحقوق والامتيازات بعد ان كان الكثيرون من هؤلاء العسكريين قد تورطوا فى علاقات زوجية مع نسوة من الاهالي وارتبطوا معهن فى معاشرات زوجية (hosoi syn- oikousi gynaixi laikais) وقد عبر عن هذا المعنى ما انطوى عليه هذا المرسوم واجاز الشرعية فيما تورط فيه هؤلاء من الارتباط مع نسوة من اهالي تلك البلاد (سورياوفينيقيا)

---

(1) H. Liebesny, Ein Erlass des Konigs Ptolemaios II Philadelphos uber die Declaration von Vieh und Sklaven in Syrien und Phonikien, P. E. R. in No. 24552 gr. (Aegyptus, XVI) 1936, PP. 257 - 291 and Claire Preaux, Economie royale des Lagides PP. 313 and 540.

وفى كتاب العالم البولندى الراحل رافائيل تاوبنشلاج عن القانون فى ضوء البردى ، معالجة مستفيضة لهذا الموضوع الخاص بالزواج والأوضاع المختلفة التى مر بها (الصفحات ١١٢ ـ ١١٥) .

ومنذ القرن الثانى قبل الميلاد اصبحت عملية التمصير فى بعض الاسر من الطبقة العسكرية تسير على قدم وساق حتى كادت تكتمل حلقاتها وتصبح ظاهرة بارزة على الاقل فى انتحال الاسماء والتسميات (onomastica) المسبغة على ابناء وبنات هذه الطائفة ثم فى اتخاذ بعض العادات والطباع وانتهاجها كأسلوب فى معترك الحياة . ولم يتقصر الامر على ذلك ، بل تعداه الى تولى بعض المراكز والاوضاع الرسمية . ولم تكن هذه الظاهرة مقصورة على الطبقة العسكرية وحدها ، بل تعدتها الى طوائف اخرى من هذا الجمع المحتشد فى مصر .

وهناك سبب اخر كان عاملا جوهريا فى تقريب وجهات النظر على المدى الطويل بين المستوطنين العسكريين وبين الفلاحين المصريين . ذلك ان الجيش البطلمى اصبح منذ معركة رفح سنة ٢١٧ ق.م وبلاء الفيلق المصرى فيها بلاءا حسنا ، يحتوى على عناصر مصرية من الطبقة المحاربة التى كان هيرودت قد كناها بالاسم الاتى (machimoi) وحقر من شأنها ولكنها كانت صاحبة الفضل فى النصر الذى احرزته مصر فى هذه المعركة الخالدة على الجيش السلوقى الغازى ، وبذلك توطد العرش البطلمى ثم اخذ

المصريون ينضوون كذلك في سلك رجال الشرطة واصبحنا نجـــد
المصريين وهم يعملون في هذا الجهاز تحت اسم ضخم هو سلالة الفرس
اى (epigone) واذا ما تصفحنا القوائم التى دبجهـا
العالم الهولندى بيريمانز (Peremans) ص ٦٤
عن الحقبة الاولى من التاريخ البطلمي ، نجد اسماء المصريين ممثلـة
فى القوائم الحاوية لاسماء رؤساء الشرطة (archiphylakites)
(ص ٦٥ ـ ٦٦) وهى اسماء مصرية صميمة نذكر منها ما يلـــى :
هارميسيس (Harmyisis) ، يوريس (Eueris)
وبيتيخون (Petechon) ، باسيس (Pasis)
وبايس (Pais) ، بيونيسيس (Peuneesis) ،
تيوس (Teos) اما عن اسماء المحاربين المصاريين مـــن
طبقة الماخيموى(machimoi) فقد وجدنا منهم من كـــان
من اصحاب العشرين اورورات (eikosiarouros) والحائزين
لعشرة اورورات (dekarouros) واصحاب السبعة اورورات
(heptarouros) ثم يأتى فى اخر السلم اصحاب الافدنـــة
الخمسة وهم من كان يطلق عليهم (pentarouros).وجاء
اليوم الذى اصبح فيه السكان ذوو الطابع العسكرى فى القرى يمثلون
نسبة كبيرة وقوة يعتد بها ، ان لم تكن تمثل اغلبية ، لها حيثيتهـا
وصلاحياتها وهذه تتألف من المصريين . ويتجلى هذا الوضع عند عمل
قائمة كاملة بها بيان شامل وحاوى لاسماء اولئك الحائزين علـــى
انصبة من الاراضى الكليروكية فى بعض القرى على النحو الـــذى

جاء في القوائم التي دبجها العالم الالماني : فريتز ايبل (Fritz Ubel) في كتابه عن اسماء اصحاب الاقطاعات العسكرية وكنياتهم :

(Die Klerucken Aegyptens unter den ersten sechs Ptolemaern, Leipzig 1968.)

وقد تناول فيه المؤلف الوضع في عهد ملوك البطالمة الستالاولين اما عن العصر المتأخر فنجد الوضع متمثلا في سجل وافي عن قرية مشهورة هي كيركوزيريس (Kerkeosiris) دبجه كاتب هذه القرية وبه مسح للاراضي الواقعة في زمامها وقد اتحفتنا العالمة البريطانية الاستاذة دورثي كروفورد بدراسة استخلصت فيها من هذه القوائم معلومات طريفة عن اوضاع سكان هذه القرية في فترة زمنية هي الاعوام من ١١٩ الى ١١٨ ق.م وقت ان كانت الحرب الاهلية مشتعلة بين بطلميوس يورجتيس الثاني وزوجته كليوباترة الثالثة ضد كليوباترة الثانية وهي زوجته الاولى وام زوجته الثانية.

وفي بردى تيبتونس رقم ٦٢ نجد بيانا تفصيليا بهذه المعلومات من الاعمدة ابتداء من العمود الثاني حتى السادس عشر . وكان هذا الكاتب القروي قد استطاع ان يسجل بيانا بجميع الاراضي التي في حوزة الجند وباسماء هؤلاء الحائزين وكذلك جاءت تلك الاراضي مرتبة بحسب الارقام في سجل زمني يمثل المواقيت التي تم فيها منح هذه الاراضي لأصحابها . وقد استنبط العالم الفرنسي مارسيل لوني ، المعلومات التي تلقي الاضواء على الموضوع الذي

نحن بصدده وهو تاريخ تعيين أولئك العسكريين واسم كل حائز ومساحة الرقعة التى اختص بحيازتها ونوع استغلاله للارض. واحيانا نجد اسم ذلك المستأجر للارض التى يقوم فعلا بفلاحتها الى غير ذلك من المعلومات الطريفة والشيقة التى تصور مجتمعا متكاملا فى قرية نائية بجنوب الفيوم وأتاها الحظ بأن قيدت لها المقادير كاتبا قرويا ألمعيا ودقيقا ، استطاع ان يصور لنا اوضاعها بتلك الارقام. ومن الغريب اننا لم نعد نسمع اى صدى لموضوع اسكان الجند فى هذه القوائم ، بل ولم ترد اية اشارة الى وجود احتكاك او قضايا عن نزاع خاص بتوطين الجند ، وفيما يبدو ان كل هذا قد ولى بعد هذا التاريخ وهو عام ١١٨ ق.م ، الى غير رجعة .

الإعفاء من ضريبة الملح (halike)
على عهد بطلميوس فيلادلفوس

- جاء النص على هذا الاعفاء فى أمر ملكى (pros-
tagma) أصدره بطلميوس فيلادلفوس فى ثنايا وثيقة بردية محفوظة بجامعة هالى (Halle) بألمانيا ومنشورة فى عام ١٩١٣ بواسطة نفر من أئمة علماء البردى الألمان وعلى رأسهم الريخ فيلكن (Urich Wilcken) فى كتاب عنوانه الأحكام (Dikaeomate) والأسطر (٢٦٠ ـ ٢٦٥) جاءت حاوية لهذه المعلومة وهى النص على الاعفاء من ضريبة الملح بالنسبة لبضع طوائف من الناس ، اختصهم الملك بهذه الميزة لأسباب عدة وللاسف جاء هذا النص مبتورا فى عدة اجزاء وتناوله التصويب فى اكثر من موقع وها نحن نورد هنا النص اليونانى مصوبا ومنقحا على النحو الذى نشره مؤخرا العالم البريطانى ب ٠م٠ فريزر (P. M. Fraser) :

260: 'Απολλώνιος Ζώιλωι χαίρειν. 'Αφεικαμ(εν)
τού(ς τε διδασκάλους

261 τῶν γραμμάτων καὶ τοὺς παιδοτρίβας
(κ)αὶ τ(οὺς νέμοντας)

262 τὰ περὶ τὸν Διόνυσον καὶ τοὺς

νενικηκό(τ)ας τ(ὸν πενθετηρικόν

. . . . . (ὸν Ἀλεξάνδρειον

263 ἀγῶνα καὶ τὰ Βασίλεια καὶ τὰ Πτολε(μ-)

-α(ῖ)α κ(αθάπερ ὁ βασιλεὺς

264 προστέταχεν, τοῦ ἁλὸς το(υ) τελο(υ)ς

αὐτούς τ(ε) καὶ (ἐκγόνους)

. . . . (οἱ κεῖους)

265 'Ερρω(σο). (ἔτους) (...

وها نحن نسوق ترجمة لهذا النص الفريد :

(تحية من (أبولليونيوس) الى (زويلوس) نحن قــد اعفينا معلمي القراءة والكتابة والمدربين والمنشدين او المرتلين للطقوس الديونيسية والحائزين لقصب السبق في المسابقات والمباريات التي تجري في الاسكندرية (او في عيد البنتاتريس) (Penteeteris) احتفاءا بعيد الملكية وعيد البطلمية (وذلك بحسب ما قضى به الامر الملكي الصادر من الملك ، فيعفى كل هؤلاء من ضريبة الملح هم أنفسهم وسلالتهم او من يلوذون بهـم

(حسب التصويب الذى ارتآه العالم تونى ريكمانز (Tonny Reekmans)

والسلام ـ صدر في سنة كذا .

وهناك نقاط كثيرة فى هذا النص تتطلب الشرح والتعقيب. واول ما يسترعى النظر هو أن هذا الاعفاء جاء خاصا بأربع طبقات من الناس اختارهم الملك من العناصر اليونانية وخصهم بميزة هى الاعفاء من ضريبة الملح المفروضة على عامة الناس بحسب الرأس (per Caput). وصدور هذا القرار بالاعفاء بمقتضى امر ملكى صادر عن بطلميوس فيلادلفوس الى كبير وزرائه ابوللونيوس ومبلغ من هذا الوزير الى عامله فى اقليم الفيوم وهو (زويلوس) الشاغل لمنصب الاويكونوموس (Oikonomos) فى الاقليم الأرسينويتى (الفيوم) له مغزاه البعيد المدى ، وقديما اتخذ هذا القرار دليلا على اتباع سياسة فيلوهيلينية(Philohellenism) فيها محاباة صارخة لهذه العناصر اليونانية على اساس ان الطبقات المراد اعفاؤها شملت مدرسى اللغة اليونانية (hoi didaskaloi) ومعلمي الخط (ta Grammata) ثم يليهم المدربون (hoi paedotribae) للشبيبة المنضوية فى ساحات الألعاب وحلبات المصارعة (palaestra) والحمامات (balaneia) مما كان يتبع مؤسسة الجيمنازيوم وهى قاصرة على فئات من العناصر اليونانية ومحرمة على غيرهم، ينضوى

فى زمرتها الشبيبة (epbeboi) ويتمرسون فى كنفها
على حياة مدنية يونانية . ومن هؤلاء تبرز طائفة من الفنانيــــن
(hoi technitae) والمنشدين والمرتلين لطقـــوس
العبادة الديونيسية (Dionysiaca) ثم يأتى فى اخــر
المطاف الحائزون لقصب السبق فى المباريات (hoi
nenikekotes) فاستحقوا الجزاء على هذا الفوز بالاعفاء مــن
ضريبة الملح . وكل هؤلاء كانوا ممن اوتوا قسطا لا بأس بـه مــن
الثقافة اليونانية ونهلوا من مناهلها بالانضواء فى تلك المؤسســات
الجيمنازيا ركية والكوزموتية (Kosmetic) وهكـــذا
بانت امارات الانحياز والمحاباة واضحة جلية واتخذ العلماء مــن
هذا المرسوم دليلا وسندا قويا على أن الملك بطلميوس فيلادلفــوس
نهج على اتباع سياسة فيها مناصرة للهيللينية فى مصر وقد ايـــد
المعلقون الألمان وعلى رأسهم ألريخ فيلكن هذا الرأى فــــــى
كتابهم عن الأحكام (Dikaeomata) ص ١٥٩ فقالوا
ما يلى :

((man kann in diesem Erlass aus den
letzten Iahren des Philadelphos
eine Dokumentierung seines Philhe-
llenismus sehen.))

وترجمتها كما يلى :

(يستطيع الانسان ان يرى فى هذا المرسوم الصادر فــى

السنين الاخيرة من حكم فيلادلفوس [١] وثيقة دالة على سياسة فيهـــا الانحياز الى الهيللينية) وقد فسر المعلقون الأولون على هـــــذا النص فى نشرة الأول (editio princeps) بقولهـــم إن معلمى الكتابة والخط هم الذين كناهم النص وقصرهم على المعلميـــن اليونان وهؤلاء ليسوا بالمصريين وليس المقصود هو الخط الديموطيقى. واقترنت هذه الفئة من المعلمين بطائفة المدربين الذين كان يوكل اليهم تدريب وتثقيف الأولاد (ta paidaria) وتلقينهم التربية الرياضية واصول فن المصارعة فى الحلبات (palaestrae) ومختلف الالعاب الرياضية التى يمارسها اليونانيون فى ساحـــات الجيمنازيوم ، ويأتى بعد ذلك المنشدون والمرتلون فى العبـــادة الخاصة بالإله المحبوب (ديونيسوس) ثم الفائزون فى المباريـــات التى كانت تجرى فى الاسكندرية احتفالا باعياد الملكية السنويـــة وبعيد البطلمية (كل خمس سنوات).

وبحسب منطوق هذا الامر الملكى نستطيع القول بانه كـان مطبقا فى جميع ارجاء البلاد ، ويشمل ذلك ريفها وحضرها بما فـى ذلك الاسكندرية ، وهذا امر كانت له اهميته القصوى بالنسبـــة للمعلمين والمدربين والمنشدين والمرتلين لطقوس العبادة الديونيسية

---

(١) ان هذا المرسوم صدر حوالى العام (٣٠) من حكم هـــذا الملك الذى امتد الى تسعة وثلاثين عاما اى انه صدر فـى اغلب الظن فى عام ٢٥٧ ق.م .

ثم للحائزين لقصب السبق في المباريات العامة في الاعياد،ويثير هذا النص عدة امور منها ما هو لغوى بحت ومنها ما يتسم باعتبارات ذات طابع سياسي واجتماعي وضريبي ثم منها ما يكشف عن سياسة الحكومة ازاء مختلف الطبقات وشتى العناصر وهي سياسة قامت على التفرقة في المعاملة والتمييز العنصري . وقد عولج هذا النص عدة مرات بعد نشره الاول في كتاب الاحكام سنة ١٩١٣ ، ص ١٥٨ حتى ١٦١ وقد اشارت اليه مؤخرا العالمة البلجيكية ماري تيريز لانجيه (M. Th. Lenger) في كتابها عن موسوعة الاوامر الملكية في العصر البطلمي الصادر سنة ١٩٦٤ ، ص ٢٤١ حيث زودتنا بعدة مراجع كان من اهمها مقال طريف للعالم تونى ريكمانز (Tonny Reekmans) في مجلة بلجيكية هي (Chonique d'Egypte No.54 (1952) ص ٤٠٦ حيث عرض هذا المؤلف لهذه الوثيقة مبينا ما عنّ له من ملاحظات شكلية وإخرى في صميم الموضوع واهمها موضوع الطبقات التي حظيت بحق الاعفاء وهي التي ورد ذكرها بالتحديد في هذا النص . ونظرا لوجود عدة ثغرات (Lacunae) فقد تسرب الظن باحتمال إضافة عناصر وطبقات اخرى من رعايا الملك متمتعة بهذا الاعفاء . ولكن قد يكون من خطل الرأى او من قبيل المجازفة ان نسمي هذه العناصر او نحددها على انها كانت مستمتعة بهذا الاعفاء ، خشية ان يكون في هذا التحديد بعض التورط او يجيء مشوبا بالمبالغة . وبحسب التصويب الذى اقترحة نفر من العلماء الالمان في نشرهم الاول

للنص سنة ١٩١٢ كانت الطبقات الاربعة السالفة الذكر قد حصلت على اعفاء كلي من ضريبة الملح وكان هذا الاعفاء شاملا لهم انفسهم ثم سلالاتهم (kai ekgonous) ولكن خلافا جوهريا اثير حول هذا التصويب (في سلالاتهم هذه) وانبرى (ريكمانز) الى نقض هذا التصويب مقترحا استبدال كلمة (ekgonous) باخرى مساوية لها في عدد الحروف (وهي ثمانية) وتؤدى معنى افضل وهي (oikeious) اى الساكنون معهم ومن يلوذون بهم · ذلك انه ليس من المعقول ان الملك البطلمي الثاني يمكن ان يصل به التسامح الى حد الغفلة فيعفى السلالات لكل هذه العناصر الاربعة دون قيد ولا شرط · ولم يعرف عنه انه كان بالملك المفرط او المسماح وانما المشهورعنه انه كان حريصا ودقيقا فيما كان يصدر عنه من قوانين مالية وكان في تصرفاته العامة يتوخى دقائق الامور ويتجلى هذا تماما في تلك القوانين الضريبية التي اصدرها في السنة الثالثة بعد العشرين من حكمه ثم عدلت ونقحت في ديوان ابوللونيوس وزير ماليته في السنة السابعة بعد العشرين وهذه هي القوانين المسماه (Nomoi Telonikoi) واشتهرت بانها كانت عماد الاقتصاد البطلمي وجاءت متضمنة للعديد من قوانين جباية الضرائب ونظام الالتزام واحتكارات الزيوت والنبيذ والنسيج والمصارف وهي خير دليل على دقة هذا الملك وبرهان على حرصه على تضييق الخناق على دافعي الضرائب من عامة الشعب · ويتلخص لب الموضوع في قول

وزير المالية ابوللونيوس المبلغ لعامله (زويلوس) المشرف المالى والاقتصادى على اقليم الفيوم بان أعفاءا صدر لصالح طبقات معينة من الناس من رجال العلم والثقافة والرياضة من ضريبة الملح ، فيستمعون بذلك هم انفسهم وكل من يلوذون بهم وذلك بناءا على امر صريح من الملك بذلك . وكانت هذه الضريبة واجبة الاداء ، على اليونانيين والمصريين والعبيد بمقادير متفاوتة وبحسب الرأس .

ونسوق هنا نبذه عن التعليم ومستقبل الثقافة فى مصر البطلمية ومبلغ ارتباط ذلك القدر من التعليم والتثقيف بشروط الاعفاء من ضريبة الملح . وقد عرض العالم البولندى الراحل رافائيل تاوبنشلاج (R. Taubenschlag) فى كتابه عن القانون فى ضوء وثائق البردى) ص ٦٣٦ ـ ٦٣٧ لنواحى عديدة مما اثير حول هذا النص . ومنها ما قاله عن مراحل التعليم فى مصر البطلمية والطبقات التى حظيت بقسط وافر منه ، فذكر انه لم تكن توجد اذ ذاك مدارس عامة للمصريين ، وانما اقتصر الامر على وجود مدارس مصرية خاصة.ويمكن القول بحق ان الضرورة كانت تقضى باصدار ترخيص من السلطات اذا ما اريد افتتاح مدرسة ما. على أن هذه المدارس كانت على سبيل اليقين مقصورة على نواحى معينة من التعليم ولا يزيد هذا بحال من الاحوال عن مرحلة التعليم الأولى (elementary) . اما اولئك الموسرون والقادرون من المصريين فلم يقفوا مكتوفى الايدى حيال هذا الوضع

بل انبروا لعمل كل ما يلزم من تيسيرات كيما يحصل أبناؤهم على قسط معلوم من الثقافة ، طبقا لمنهاج تعليمي ، على ايدى نفر من المدرسين الخصوصيين • على أن الاطفال المصريين بوجه عام ، لم يكونوا ملزمين بالالتحاق بالمدارس ، نظرا لأنه لم يكن هناك تعليم إلزامي كما هو الحال في مصر في الوقت الحاضر ، والدليل على انصراف ابناء المصريين عن التعليم واعراضهم عنه وجود هذا العدد الهائل من الاميين (hoi agrammatoi) مما يشار اليهم في الوثائق البردية والتنويه بعجزهم عن الكتابة واللجوء لكتاب ينوبون عنهم في تدبيج رسائلهم[1] • وعلينا ان نرجع في هذا الصدد الى ذلك الكم الهائل من الوثائق البردية التى ذيلت بفقرات دالة على عجز اصحابها عن الكتابة وجهلهم لها وان كتبة نابوا عنهم في ذلك • أما فيما يختص بالتعليم الأولي بالنسبة للعناصر اليونانية فالحال شديد الاختلاف لأن الامكانيات كانت متاحة • ذلك ان هذا الفريق من السكان كان يمثل قشرة رقيقة من الجص تكسو هذا البناء من الكيان المصرى المؤلف من اللبن وتحيط به من حوله وكان افراد هذا الفريق حريصين كل الحرص على الحصول على اكبر قسط من التعليم والتثقيف إما بالانضواء في مدارس يونانية خاصة (ta didaskaleia) او بتلقي التعليم على ايدى مدرسين خصوصيين ، كما دل على ذلك صراحة

(1) Rita Calderini, Aegyptus No.30 (1950), P.14; E. Majer Leonhard, 1913; Sir Eric Turner, Greek Papyrology, 1964.

النص الوارد في بردية جامعة هالي ، فالدولة على لسان وزير ماليتها اعلنت قرارا باعفاء مدرسي القراءة والكتابة والقصد هنا كان منصبا على الجانب اليوناني وليس الديموطيقى ، كما اعفت كذلك في سياق الكلام طوائف اخرى منهم المدربون (- paedo tribae) العاملون في ساحات الجيمناريوم وحلبات المصارعة (palaestrae).وهذه وتلك كانت منتشرة في ارجاء مصر وعمت القرى ، يؤمها اليونانيون من الشبيبة والكبار ويحرصون على الحصول على التدريب والاعداد لخوض المسابقات العامة واحراز قصب السبق فيها . وكان اعفاء هذه الطبقات من ضريبة الملح المقررة على جميع السكان ميزة اختصت بها هذه الفئات من قبيل التشجيع والتيسير على النهوض بالتعليم والرياضة. وقد جاء التعليل صريحا وبلا مواربة فقيل ان هذا الاعفاء كان منحة اسبغها الملك الذى اصدر امره بذلك الى كبير وزرائه ابوللونيوس على النحو التالي : (kata prostagma basilews Ptolemaiou) وليس هناك من دليل قاطع على ان اليونانيين انفسهم كانوا ملزمين بان يحضوا أبناءهم على متابعة الدراسة في المدارس الأولية ، نظرا لوجود اميين كذلك بين اليونانيين ، وان لم يكونوا بالكثرة التى كانوا عليها في الأوساط المصرية الصميمة .

. اما عن المؤسسة التعليمية والثقافية التى كانت تلي مرحلة المدارس الأولية فكانت هي الجيمنازيوم (gymnasion)

ورئيسها يمثل شخصية مرموقة ويكنى له بكلمة الجيمنازيارخوس (gymnasiarchos) وهذه وظيفة شرفية ، يشار اليها بالبنان ويتطلع اليها الكثيرون من اليونانيين ، لحما ودماء. وكان فى نطاق هذه المؤسسة يتوفر نوع من التعليم العالى ولذلك حرص اليونانيون على ان يلحقوا ابناءهم من الشبيبة (epheboi) بها ليتلقوا التعليم العالى فى كنفها حتى يصبحوا بعد ذلك قادرين على المباهاة بانهم من خريجيها أسوة بخريجى الجامعات فى الوقت الحاضر فكان يشار اليهم باللقب الاتى (hoi apo tou gymnasiou) ولم تكن الجيمنازيوم مؤسسة وطنية مصرية بحال ما وانما هى يونانية لحما ودما وافاقها ترجع الى بلاد اليونان وتطلعات روادها مشرئبة اعناقهم الى ما كان يجرى فى نظيراتها فى اثينا وغيرها من مدائن بلاد اليونان واسيا الصغرى . وكان محرما على اى من المصريين واليهود على السواء ارتياد هذه المؤسسات والانضواء فى سلكها . وفى العصر البطلمى عم انتشارها على اوسع نطاق فكانت كعبة يؤمها الناس فى المدن الثلاث الاسكندرية ونقراطيس وبطلمية ثم فى حواضر الاقسام الادارية (metrópoleis) وكذلك فى القرى نفسها . وكان تأسيس واحدة منها يعتبر مظهرا من مظاهر الثراء ومحل تفاخر وتباهى بين الناس ، فكل من استطاع من اليونانيين ان يؤسس واحدة منها فى البلدة التى كان يقيم فيها وان ينفق عليها ويوالى الصرف عليها وتزويدها بالماء ،

والزيوت والمستلزمات الاخرى بانتظام ، مع العمل على صيانتها بين الحين والاخر - كان كل هذا دليلاعلى ما توفر لدى هؤلاء المحسنين من مروءة عالية وكان محل فخار ومباهاة فلم يلبث عامة الناس ان كانت السنتهم تلهج بالثناء والاشادة بذكرهم على مدى الايام والاجيال فاقاموا لهم النصب التذكارية والاقواس والبوابات الحجرية (propylon lithinon) وكذلك (mne - mata) ونقشوا على واجهاتها اسماء هؤلاء الذين كانوا من اهل البر والاحسان ومقرونة بالوظائف التى شغلوها والمراتب التى اسبغت عليهم من قبيل التكريم والتبجيل [1]

ولدينا العديد من الاشارات فى البردى عما كان يجرى فى هذا المجال وفى كتاب العالم الفرنسى (اكتاف جيرو) عن الشكاوى (Enteuxeis) ص ٢٠ دراسات مستفيضة عن الاوضاع التى كانت عليها مؤسسات الجيمنازيوم وما اكتنف تشيدها وصيانتها من اوضاع ثم لدينا مقال طريف دبجه منذ سنوات العالم بريدى (Brady) عن مستقبل الجيمنازيوم فى مصر البطلمية [2] وهناك كتاب ضخم عن موضوع الجيمنازيوم فى العالم

---

(١) فيذكر مثلا انه كان : (epistates) او (prostates) او انه كان صاحب مائة اروارت (kekatontarouros $\overset{A}{P}$ =) .

(2) Brady, The Gymnaseum in Ptolemaie Egypt, University of Missouri Studies II, 1936.

اليونانى وفى آسيا الصغرى ومصر ألفه بالفرنسية عالم يسمى ديلورم (J. Delorme)[1] تناول فيه مبانيها واوجه النشاطات بها والاشارات التى وردت اليها فى مختلف النصوص فكان بذلك يمثل بحق موسوعة ، ألم فيها باطراف هذا الموضوع الثقافى فى كيان هذه المؤسسات فى العالم اليونانى وفى مصر .

ولما كانت الجيمنازيوم فى العصر البطلمى تعتبر مؤسسة خاصة ، فقد تبارى الأفراد والاعيان من اليونانيين فى الاضطلاع بتشييدها والتوسع فى ابنيتها وتزيين اروقتها (stoa - stoia) المسقوفة وذات الاعمدة وفى كنفها كانت جماهيرهم (plethos-ochloi) تلتقى وعلى حوائطها كانت تعلن (prostithemi) القرارات وتنشر الاعلانات على الملأ وفى داخلها تعقد الحفلات وتلقى فى ساحاتها المحاضرات. وكان المؤسس لإحدى هذه الجيمنازيات يعتبر بالطبع المالك لها والمتحكم فى مصيرها ثم لا تلبث ان تؤول ملكيتها الى ورثته بعد مماته وتصبح نفقات الصرف عليها فرضا واجب الاداء على مؤسسها وصاحبها ثم على ورثته من بعده . على ان هذا لم يمنع من شدة الحاجة باستمرار الى التبرعات وتوفير الموارد الخارجية التى أصبحت مطلبا ملحا يسعى الى الوفاء به ذوو المروءة والحيثية. ومؤسسة الجيمنازيوم كانت ذات شخصية معنوية او اعتبارية وهى

---

(1) J.Delorme, Gymnasion, Paris, 1960.

بهذه الصفة كان في وسعها اقتناء شتى الموارد والاملاك العينيـــة المرصودة عليها كيما تدر عليها ارباحا سنوية . وكان شأنها فـــي ذلك شأن الجاليات (politeumata) والنـــوادى (synodoi) والنقابات والاخوانيات (klinae)

سبق ان قلنا ان هذا النص البردى قد اتخذ سنـــــدا وقرينة مؤكدة على انه يمثل انحيازا صارخا من قبل الملك بطلميوس فيلادلفوس ازاء طوائف معينة من اليونانيين ومن على شاكلتهـــم. وكان الناشرون الالمان اول من لفتوا الانظار الى هذه الظاهـــرة التى كانت تعاب على سياسة الحكم وفيها مدعاة لتفرقة عنصريـــة لاشك فيها ، اذ حظيت فئات معينة من الناس وهم من بنى جلدته وجنسه بهذه الميزة . وبهذا أثبت على نفسه انه كان في تشريعاته يفرق في المعاملة بين المصريين واليونانيين في شتى المجـــالات. ولدينا امثلة اخرى على انتهاجه لهذه السياسة المنحازة وذلك فيما يتعلق بضريبة اخرى غير ضريبة الملح وتلك هي ضريبة الابومويـــرا (apomoira) اى الجزء المقتطع سواء أكان السدس (hekte) او العشر (dekate) علـــى المحاصيل من نبيذ وفاكهة يؤديها اغلب زراع الكروم (ampe-lourgoi) واصحاب البساتين من اليونانيين وهم يمثلون الغالبية العظمى التى تعنى بالاستثمار في هذا المجال . وقـــد خصهم الملك في قوانينه المالية (Nomoi Telonikoi)

بامتيازات كثيرة وشملهم بجل عنايته وسمح لهم بتملك اراضى هذه الكروم حتى اصبحت ملكية خالصة اى (ktema) وجمعهـا (ktemata) مع ان الملكية العقارية فى مصـر البطلمية كانت مكفولة للملك وحده اسوة بملوك الفراعنة .

وقد افاض العالم الروسى المتأمرك رافائيل تاوبنشلاج (R. Taubenschlag) فى كتابه العظيم عن التاريـخ الاجتماعى والاقتصادى فى العالم الهيللينستي (١٩٤١) عن موضـوع الاحتكارات وبخاصة احتكار الحكومة لمادة الملح (ho hals) واستحواذ الحكومة على كل مناجم الملح والملاحات فى مصر ممـا جعلها تتحكم فى بيع هذه السلعة الحيوية والجوهرية فى حيـاة الناس وبذلك اصبح هذا النظام حكرا عليها وعلى نفر من العمـلاء الذين وكلت اليهم الحكومة توزيع الملح بحق عقد التزام كانت تبرمه سنويا مع من يرسو عليه أكبر عطاء.وكان البيع للناس يجرى بحسب سعر معلوم تحدده الحكومة ويقوم بذلك طائفة من الناس كانـوا يعرفون بالملتزمين (hoi telonae) والمفـرد (ho telones) وكان هذا العمل واجبا محتوما عليهم اداؤه بمقتضى عقد التزام يبرم سنويا مع الراغبين فى الاضطـلاع بهذه المهمة فى نظير ان يحصل الواحد منهم على الفائـض (epigenema) على الرقم الذى تعاقد علـى

الالتزام به في المزاد العلني الذي يعقد سنويا لهذا الغرض . وكان الملتزم يكبل بعقد موثق بقسم اما ملكي او قانوني (horkos (a) nomimos (b) basilikos) وبضمانات عينية وعدد من الضامنين المليئين . وهؤلاء يوفون ما على الملتزم فى حالات التقصير في تحصيل ما التزم به او عدم الوفاء بالمبالغ التى تعاقد عليه واثبت عمل المحاسبة (dialogismos) معه بواسطة المدير المالي والاقتصادى (oikonomos) شهريا وسنويا لحساب ختامي ، على انه لم يفى بالمطلوب . وضريبة الملح هذه كانت تمثل احد الموارد الهامة في الاقتصاد البطلمى وفي الميزانية الملكية السنوية . وكانت هذه الضريبة تعتبر عبئا ثقيلا ، استشعره الناس فى كل مكان وطالبوا باسباغ الحماية عليهم وعدم مطاردة جباة ضريبة الملح لهم فى كل مكان وتنغيص حياتهم[١] (enochlein).وما نظن ان الاسترسال في الكلام عن ضريبة الملح فيه مجلبة الى شيء من الضيق والملل فالموضوع له طرافته البالغة ،خاصة وان الانسان لا غنى له عن

---

(١) جاء في وثيقة بردية منشورة في مجموعة المتحف المصرى ورقمها (٥٩١٣٠ = P. Edgar 90) ما يفيد ان وزير المالية ابوللونيوس طالب بألا يضايق (enochlein) احد من الملتزمين والمحصلين الموكلين بضريبة الملح ، رجال وزير المالية من الفلاحين العاملين فيضيعته فى قرية ـ تابتيا ـ (Tapteia) باقليم ممفيس .

الملح وان هذه السلعة كانت قديما وحديثا تعتبر ضرورة من ضرورات الحياة للانسان ولا غنى لاحد عنها،واستهلاكه لها يستوجب شراء ما يحتاجه منها فضلا عن سداد الضريبة المقررة عليه. وهكذا كشف لنا هذا الخطاب الموجه من وزير المالية ابوللونيوس الى عامله في اقليم الفيوم (زويلوس) وهو المسئول الاول عن الشئون المالية والاقتصادية في هذا النطاق ، عن امور اتسمت بمنتهى الصراحة وكشف لنا عن عدة حقائق بلا اية مواربة ولا مجال فيها لاى اجتهاد او تأويل ، فالامر الصادر عن الملك واضح وبمقتضاه خص بضع فئات بهذا الاعفاء من ذلك العبء الثقيل . وبالطبع كان كل فرد في المجتمع المصرى ـ اليونانى على جميع المستويات يدفع ثمن ما يشتريه وما يستهلكه من هذه السلعة وهى الملح بحسب السعر الذى حددته الحكومة ، وذلك فضلا عن سداد الضريبة السنوية المقررة والمستحقة عليه .

وهكذا مس هذا النص نواحى كثيرة من اسلوب الحكم البطلمى وايثاره لبعض الطوائف على حساب الاخرى وذلك على الرغم مما جاء به من اقتضاب . واهم ملاحظة عليه انه كشف عن سياسة الحكومة البطلمية وما كان يشوب تشريعاتها في بعض الاحيان من محاباة لطبقات معينة من الناس ، الغالبية العظمى منهم من اليونانيين وكل من كانوا يلوذون بهم . وقد حرصت الحكومة على تطبيق قاعدة الإعفاء هذه ، على امثال هذه الطوائف في جميع

انحاء البلاد من مدن وقرى . ولعل الروح التى املت هذا التشريع وأوحت به كانت تنم عن رغبة اكيدة فى تشجيع الرياضة البدنية والثقافة الموسيقية والانشاد المسرحى ، وحض الناس على الاقبال على معاهد العلم والمعرفة وارتياد الساحات الرياضية ونوادى الموسيقى ومؤسسات الجيمنازيوم فى شتى انشطتها.وتلك روح تقدمية بالطبع ودليل على ان الحكومة البطلمية كانت حكومة مستنيرة ، هدفها الصالح العام وبغيتها تحسين احوال فريق معين من رعاياها . وفى هذا الصدد ينبغى ان نشير الى المقال الطريف الذى دبجه منذ خمسين عاما تقريبا العالم الامريكى الراحل : وليام لين وسترمان ، وعنوانه (البطالمة والعمل على تحسين احوال رعاياهم (The Ptolemies and the Welfare of their Subjects) وفى هذا المقال حرص مؤلفه على ذكر بعض المحاسن التى اسداها ملوك البطالمة المتعاقبون على رعاياهم وابداء روح التآخى والمحبة وافساح صدورهم لتقبل الشكايات والتوسلات والاستغاثة ، ولكن المؤلف اغفل المساوىء وغض الطرف عن تجريح سياستهم الاقتصادية واطماعهم من اجل السيطرة والسيادة وتكوين امبراطورية عالمية (Weltmacht - politik) .

وان الطابع الثقيل لهذه الضريبة ليستشعره الانسان من تصفح وثيقة بردية من ارشيف زينون منشورة فى كتالوج المتحف المصرى تحت رقم ٥٩١٣٠ ونشرها من قبل ادجار فى حوليات مصلحة

الاثار المصريه تحت رقم (٩٠) ويرجع تاريخها الى عام ٢٥٦ ق.م او ٢٥٤ ق.م وقد تضمنت صورة خطاب من ابوللونيوس وزير الماليــة وجهه الى كل من ثراسون (Thrason) وبارامـــــون (Paramon) يوصي فيه بعدم مضايقة المزارعين المقمين في قرية تابتميا (Tapteia) باقليم ممفيس بشـــأن ضريبة الملح وقد جاء هذا المعنى في الاسطر ١٧ ــ ٢٠ .

((tous Georgous tous en Tapteia mē enochleite peri tes halikes.))

وقد اشفع الفلاحون ذلك بقولهم انهم يتمتعون بامتياز لأنهم يزرعون اراضي تابعة لابوللونيوس :

(nomeuometha hoti tēn gēn Apollōniou georgoumen.)

وللعالمة البلجيكية الراحلة كلير بريو ، في كتابها عن الاقتصـــاد الملكي ، ص (٢٥٠ ــ ٢٥٢) دراسة موسعة عن ضريبة الملـــــح ، زودتها بعدد من الاسانيد والمراجع . وتخلل هذه الدارسة عدد مــن الاراء السديدة عن طبيعة هذه الضريبة وما كان لها من طابـــــع بغيض ، ضاق الناس به ، والطبقات التى كانت تئن منها اشتملـت على يونانيين ومصريين على السواء من الرجال والنسوة والعبيـــــد بحسب اسمائهم المدرجة في قوائم الاحصاء وكانت فئات هـــذه الضريبة تتراوح وتتفاوت فالنسوة اقل من الرجال اما العبيــــــد فنصيب الواحد منهم هو نصف ما هو مفروض على الرجل وقد اعفـــى

الاطفال وكان الكهنة يدفعون هذه الضريبة اسوة بغيرهم • وكانت الشفاعات تترى بكثرة في الشكاوى من اجل تخفيف وطأة هذه الضريبة على كاهل الناس ، متذرعين بأسباب شكلية مثلما فعل المزارعون الذين يعملون في فلاحة الارض الخاصة بابوللونيوس بقرية (تابتيا) يحدوهم الرجاء بالا يضايقوا من قبل جباة ضريبة الملح،ونظرا للطابع الشخصي الذى كانت عليه هذه الضريبة واختلاف مقدارها بحسب الاشخاص وجنسية الافراد والحرف التي كانوا يزاولونها ، فقد استنبطت العالمة البلجيكية كلير بريو ، رأيا جريئا وهو ان ضريبة الملح لم تكن ترعى موضوع الجنس او تأخذ في اعتبارها جنسية من تقع عليهم فقالت في ص ٢٥١. ما يلي :

(l' halikē ne vise pas une race)

واذا كانت الرغبة الملكية قد اوحت الى ابوللونيوس بأن يكتب الى عامله زويلوس ، آمرا اياه بعمل بعض الاعفاءات لفريق من الناس ، عددهم وحتم اعفاءهم فان العنصر اليوناني لم يكن في رأى كلير بريو ، هو الدافع الاصلي ولا هو المبرر لهذا الاعفاء فأصحاب الاقطاعات العسكرية او الكليريكيون وهم يونانيون او اسيويون متأغرقون وفدوا الى مصر في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد واليونانيون المستوطنون ممن كانوا يعملون تحت اشراف زينون في شتى القطاعات الزراعية او الصناعية او التجارية او الادارية كانوا جميعا يدفعون ضريبة الملح ولا يطمعون في اى اعفاء

منها وخطاب ابوللونيوس الذى تذرع به الفلاحون العاملون فـــى حقول تابعة لابوللونيوس فى ممفيس ، اقتصر على عدم المضايقـــة وتشديد النكير على هؤلاء ولم ينص على اى إعفاء . ولربما وجـــد البعض فى توصية ابوللونيوس بعدم مضايقة مزارعيه ، تعارضـــا وتناقضا مع خطاب ابوللونيوس الى زويلوس باعفاء طبقات معينـة وطوائف مهتمة بامور ثقافية وحضارية وكان هذا الاعفاء لاغـــراض نابعة من مبررات لا علاقة لها بالجنس ولا بالقومية وقد عبـــرت كلير بريو عن هذا الرأى فى كتابها ، ص ٢٥٢ بقولها فيما يلى :

((Si les pédotribes et les vainqueurs des jeux en sont exemptés par volonté royale (P.Halensis I, PP. 158 - 161 et LL.260-265), l' element grec n' en est pas, parce que Gree, exonéré : les clerouques du III e siecle et les colons qui entourent Zenon a Philadelphia (59206) payent l' halike cependant que la dicoetes Apollonios recommande expressément de ne point poursuivre (enochlein) les paysans de tel village (Iapteia) pour le taxe du sel (59130 = P. Edgar NO. 99).))

بقيت كلمة اخيرة عن تأريخ هذا النص نسوقها هنا بعد ان غفلت عنها عين الناشرين الاولين من الالمان وقد اخطأوا فى نسبتها الى حقبة تجافى الحقيقة ، ولعل فى ذكر زويلوس ما ينير لنا السبيل ، ففى ارشيف زينون اشارات كثيرة الى توليه وظيفة مدير للشئون المالية والاقتصادية فى اقليم الفيوم فيما بين السنتين السابعة بعد العشرين والتاسعة بعد العشرين من حكم بطلميوس فيلادلفوس وهى فترة تتراوح بين عام ٢٥٧ ق٠م وما بعد ذلك بقليل وهذا هو التاريخ الذى يمكننا ان نؤرخ به هذه الوثيقة على سبيل اليقين ومرجعنا فى ذلك الى الوثيقتين البرديتين المنشورتين فى كتالوج المتحف المصرى تحت رقمى ٥٩٨١٤ ، ٥٩٠٩٧ ثم الى نص فى المجموعة الايطالية من نفس هذا الأرشيف وهو رقم ٥٠٢ ٠

دور العرب في البردى اليوناني

للعرب دور ملحوظ في عدة مجالات ، كان اهمها رعي الاغنام والماشية والماعز وارتياد الصحارى والبراري سعيا وراء الكلأ في البادية ، وكانوا يؤثرون التوحل وهم يسوقون قطعانهم من مكان لاخر ، ويعشقون حياة البادية لما تكفله لهم من حرية الحركة . وقد ورد ذكرهم صراحة في وثائق بردية عديدة كان كتابها يحرصون باستمرار على ذكر اسمائهم مصحوبة بكنيتهم الدالة على عروبتهم (Araps) على الرغم من ان البعض منهم كان يحمل اسماء يونانية صميمة مثل ديمتريوس (Demetrius) وهرمياس (Hermias) وليمنايوس (Limnaios) ولكن ذكر كنيتهم والمجال الذي اشتهروا بالعمل في نطاقه كان كفيلا بالتعرف على حقيقة امرهم وعلى هويتهم ، فكان حبهم وتعشقهم لرعي الماشية والاغنام وسعيهم وراء المناطق التي يتوفر فيها وجود الكلأ اللازم لرعي هذه القطعان ثم المتاجرة فيما يجزونه من اصواف هذه الاغنام وبيع البانها والجبن المصنوع من هذه الالبان ، من الامارات الدالة عليهم . وكانوا ينتظمون في عشائر لهم شيوخهم (presbyteroi) الذين كانت كلمتهم مسموعة ويأتمرون بامرهم في كل ما يعرض من امور وحرصوا على هذا التنظيم وطالبوا به ذات مرة من ابوللونيوس وزير مالية بطلميوس فيلادلفوس وكان نظام العشرية (dekatarchia)

سائدا بينهم فعلى كل عشرة ، عاشور (dektarchos)
هو المقدم وصاحب الامر والنهى في وحدته العشرية وظهر هذا بين
قطاع الاحجار (latomoi) بشكل جلى فى المحاجر فى طرة وغيرها

وهكذا كان ارتياد السهول والبرارى والمراعى الفسيحة هو
السمة البارزة في حياة الاعراب ، فهم دائبو السير وراء قطعانهم
إما فى اقليم الفيوم او حول بحيرة قارون حيث تكثر الحشائش
والعشب والنسائل والبوص والغاب كما نسمع صدى تحركاتهم فى
ارجاء اخرى من التخوم والنجوع المحيطة باقاليم مصر ومن حول
ممفيس والصحراء الشرقية والغربية وكان من طبيعتهم ايثار الحياة
والعيش فى الفيافى ، فهم لا يطيقون العيش فى الحضر ولا فى
المدن ولا تروق لهم الحياة المستقرة فى كنفها • وفى ثنايا
الوثائق البردية يجد الانسان بعض الاشارات الصريحة الى
طوائف من الاعراب وترد هذه لماما وبطريقة عرضية وعابرة ،
فاحيانا تذكر هذه الكنية صريحة بعد اسم الشخص وكثيرا ما
يتردد هذا فى قوائم الحسابات وكشوف الايرادات والمصروفات
وهى معنونة بكلمة (logos -logoi) عن مواد عينية او نقدية
(sitikwn Or argyrikwn) اما ما كان يرد من
اسمائهم فى عقود مبرمة مع زينون وغيره من الاعوان والموظفين
فى ضيعة ابوللونيوس بفيلادلفيا ، من اجل رعى الماشية والماعز
والاغنام والاشتراطات المجحفة المتجلية فى هذا النوع من التأجير

(misthwsis) فسجل هذا النوع يستفيض . وفي كثير من الاحيان كان ينص صراحة على ان المتعاقد هو اعرابي (Araps) . ولعل ذلك التعريف والحرص على تدوينه كان من قبيل التمييز العنصري او الرغبة في التعريف بأصل صاحب الاسم لحكمة معينة ، يجرى بمقتضاها التعامل معه في حالة التقصير او الهرب . وكثيرا ما كان هؤلاء الرعاة يهددون بالهرب (anachoresis) أو(apochoresis, ekchoresis) اذا ما ضاقت بهم الحيلة او الوسيلة في الوفاء بما كان عليهم من الالتزامات التي تعهدوا بالوفاء بها . وكما سبق ان نوهنا ، قد يكون الاسم الذي يحمله هذا الاعرابي او ذاك ، يونانيا في صورته وصيغته شكلا وموضوعا او معربا تعريبا كاملا او منقوصا وكان الغرض من اقتباسه على هذا النحو من قبيل التيسير او التعمية او دفع شبهة . وفي الاحوال القليلة التي وردت في ارشيف زينون كان القارىء يستطيع التعرف في يسر وسهولة على كنية وصفة ذلك الشخص الذي حمل اسما يونانيا صميما ولكنه اثر الاشتغال برعي الاغنام والماعز والماشية وكانت هوايته المفضلة اتباع اسلوب حياة غير مستقرة ولكن فيها شيء كثير من الحرية والانطلاق واشباع رغبته في تعشق الحرية . والغالبية العظمى من اولئك الذين اطلقوا على انفسهم هذه الكنية الدالة على عروبتهم كانوا بالطبع ينتمون الى العروبة وكان شغلهم الشاغل هو المرعى يبحثون وراءه في كل مكان بلا كلل ولا ملل . وقد تركوا لنا بصمات دالة على اوجه

نشاطهم هذا ، إما في صورة شكايات وظلامات او في عقود ابرموها جزافا ، وكثيرا ما نجد البعض منهم لا يتورع عن الطعن في شروط العقود الجائرة والبعض الاخر دأب على رفع صوته عاليا يجأر بالشكوى من الحيلولة بينه وبين السماح له برعي الاغنام في اراضي جدبة وغير منزرعة او اراضي وصفت بانها خرسة (chersos) مع انها كانت مخصصة لهم بمقتضى عقود ابرموها مع ذوى الشأن . وها هم رعاة الغنم يشكون الى زينون في السنة الخامسة من حكم الملك بطلميوس الثالث وكان زينون اذ ذاك قد زالت عنه صفته الرسمية واصبح مجردا من سلطاته ، يعيش في منطقة فيلادلفيا كشخص غريب مقيم (Parepidemos) ولكنه استمر يباشر اوجه نشاطه في مجالات عدة منها إقراض المال بارباح باهظة وغير باهظة ويستثمر امواله في شراء قطعان من الاغنام والماعز وتأجيرها لهؤلاء الاعراب بشروط اتسمت بالجور والتعسف (extortionate) على حد قول العالمة البلجيكية الراحلة كلير بريو ، في تعليقها على هذه العقود ، وردد العالم البريطاني ت. اسكيت (T. Skeat) هذا المعنى في تعليقه على احد النصوص البردية الخاصة بهذه العقود [1]. وقد تقدم هؤلاء الاعراب بالشكوى الى زينون من منعهم من ارتياد المرعى في الاماكن والحقول التي تعاقدوا عليها ورقعة هذه المساحة تشمل تخصيص مائتين من

---

(1) Papyri London, Vol. VII, No. 2011, PP. 162 - 163.

الارورات اى ما يساوى نحو مائة وعشرين فدانا مصريا خالية من الحرث وغير مستزرعة ولكن بها من الحشائش والكلأ ما يصلح لهذا المرعى. وقد جاء هذا المعنى بصورة جلية فى وثيقة بردية منشورة فى كتالوج المتحف المصرى تحت رقم (٥٩٣٦٢) وكان قد نشرها من قبل نفس الناشر وهو ادجار (Edgar) فى حوليات مصلحة الاثار المصرية تحت رقم (٦٠) من المجموعة البردية المنسوبة اليه هكذا (Papyri Edgar) والمعروف ان زينون وكثيرين غيره من اليونانيين كانوا حريصين على استثمار اموالهم فى هذا المجال الذى كان يدر عليهم ارباحا طائلة وبخاصة ما كان منها متعلقا برعى الماعز . وجهود اليونانيين ودأبهم وحرصهم امر معروف ونشاطهم الكبير فى شتى مجالات الاستثمار لايجارى ولذلك كان رعى الماشية والاغنام وتأجيرها لهؤلاء الاعراب مما استهواهم كنشاط استثمارى مضمون ومحقق لربح طائل .

والعرب من جانبهم كانوا مرحبين بالمشاركة فى هذا الاستثمار فرعى الماشية والاغنام من الحرف التقليدية عندهم وانتشر هذا بين الطوائف المختلفة فى صدر القرن الثالث قبل الميلاد فى مصر البطلمية وكانوا يجنون الارباح الطائلة من وراء ذلك كما ان اصحاب قطعان الماشية والاغنام وجدوا فى ذلك ما يدر عليهم ربحا كثيرا وبخاصة اذا شددوا النكير على هؤلاء الاعراب وراقبوا تحركاتهم فى حلهم وترحالهم . وفى العقود

والوثائق التى كانت تبرم بين الرعاة واصحاب القطعان وردت — اشارات كثيرة الى ان هذه العلاقة بين الطرفين كانت تنظمها اشتراطات معينة فى حالات الربح والخسارة وفيها تحديد دقيق لنوعية العلاقة بين طائفة اليونانيين من المستثمرين وبين الاعراب المكلفين برعى هذه القطعان . وتمثل هذه الالتزامات جانبا لطيفا توخي العدالة في ظاهره وصنفت بنودها بمنتهى الدقة والحيطة ومراعاة صالح الطرفين المتعاقدين . فذكرت قيمة الايجار العينى والنقدى معا وما ينبغى ان يراعى من اجراءات فى الاحوال التى يحدث فيها ان تنفق بعض هذه الحيوانات او تسرق او تضيع لاى سبب اخر . وما اكثر الشكايات والظلامات والبلاغات التى كانت تنجم عن مثل هذه الاحداث وما أكثر المطالبات التى يدعيها احد الاطراف قبل الاخر او التهديدات التى كان الرعاة يرددونها فيعمدون الى الهرب او يلوذون بالفرار ، معتصمين باحد المعابد التى كانت متمتعة بحق الايواء واللجوء والجيرة (heira asyla) طلبا للامان ودفعا للمسئولية عن المحافظة على هذه القطعان . وما ابلغ ما كان يسطر فيها من مبررات على سبيل البينة الدالة على تلك العناية الفائقة التى كان يوليها كبار اليونانيين والشخصيات البارزة من امثال زينون وفيلينوس وتليستيس ويوكليس وثيوجينس وغيرهم . وكان يشجعهم على ذلك القائمون على توجيه السياسة المالية فى مصر فى هذه الحقبة وعلى رأسهم ابوللونيوس وزير المالية فى هذا العهد

طوال الخمسة عشر عاما الاخيرة من حكم بطلميوس فيلادلفوس، وقد طرحت رءوس الاموال بكثرة لاستثمارها في هذا المجال فكانت دليلا على الرغبة المؤكدة في تنفيذ سياسة استثمارية مركزة، عرفتها كلير بريو بكلمة لها دلالتها في عالم الاقتصاد وهي (mercantalism) قوامها اتباع سياسة استثمارية وتجارية بحتة[1]. ومما لا ريب فيه ان دور العرب في مجال هذا الاستثمار بالذات كان كبيرا وان ولعهم به كان شديدا ويبرز هذا الدور بشكل جلي في عدد كبير من قوائم الحساب الخاصة بهذه الماشية وقد وردت تحت العنوان الاتي (hoi logoi probatwn) ولدينا منها امثلة كثيرة ومنوعة تحكي بنودها تفاصيل اوصافها وما طرأ عليها من اغراض وغايات فبعضها قيل عنه انها اغنام مؤجرة اى (memisthwmenwn) والبعض الاخر وصف بانه اغنام عربية (Arabia) وهناك نوع مجلوب من اسيا الصغرى حول نهر (المياندر) ومتأقلم في مصر وكان يطلق عليه (ta probata hypo - diphthera) اى المتدثرة بالجلود فوق ظهورها للمحافظة على صوفها من التلبد . وكان القائمون على رعايتها يتوخون الحيطة في المحافظة عليها وعلى صوفها الذى كانوا يجزونه ويضعونه في صناديق معدة لذلك بينما اصواف الاغنام الاخرى تنتف وتوضع في اكياس لأنها اقل جودة من صوف الاغنام المتدثرة الذى كانت ميزته

(1) Claire Préaux, Les Grecs en Egypte, P.34.

انه ناعم وفاخر وهو ما يعرف بصوف (الانجورا).وقد حرصت حكومة بطلميوس فيلادلفوس وعلى رأسها ذلك الوزير الالمعى والاريب ابوللونيوس على جلب قطعان منها من اسيا الصغرى الى مصر حيث تأقلمت وكان ابوللونيوس نفسه وبعض القادة والشخصيات العسكرية من امثال تليستيس(Telestes) من الرواد فى تربية مثل هذه القطعان.وبعد ان صودرت ضيعة ابوللونيوس وكذلك ضيعة تليستيس هذا بيعت هذه القطعان فى مزادات علنية ، تردد صداها فى وثائق البردى واشترى زينون فى مزاد عام جرى على واحد وسبعين من هذه الأغنام المتدثرة بمبلغ (٢٠٤) دراخمة ونصف ابل وجاء ذكر هذا واضحا فى وثيقة بردية نشرها مؤخرا سنة ١٩٧٤ العالم البريطانى ت٠اسكيت فى مجموعة ارشيف زينون المحفوظ بالمتحف البريطانى[1].وكان العالم الروسى روستوفتزف قد اشار من قبل الى ذلك فى كتابه عن الضيعة الكبرى (A large Estate) الصادر فى عام ١٩٢٢ قد ذكر رقما مضحكا كثمن لهذا القطيع المؤلف من ٧١ من هذه الاغنام النادرة وهو ٦٤ دراخمة فوقع فى خطأ لانه لم يقرأ حرف السبجما (ﻛ) وهى تدل على (٢٠٠) وهكذا صحح اسكيت هذا الرقم واصاب الحقيقة ٠

---

(1) Papyri London, Vol. VII, No. 2016; Claire Préaux, Les Grecs en Egypte PP.33-34, not 12 .

والقطعان العربية الاصل كانت ضمنا مما يدخل فى نطاق الغرب واختصاصهم ، فالعربان هم الذين كانوا بالطبع اعرف الناس بمطالبها وبوسائل المحافظة عليها والعمل على رعايتها فى المناطق الصحراوية الفسيحة وفى الواحات المتاخمة لاقليم الفيوم والممتدة شمالا عبر بحيرة قارون وحول سيوة ثم جنوبا الى الواحتين الخارجة والداخلة ومنطقة هيبس (- Hibis) أو أرض المحرات ومعبدها النكرس للاله آمون . وهكذا وجد العرب اراضى فسيحة صالحة لرعي الماشية وانتشروا فى ربوعها ، يباشرون حرفتهم بلا خوف ولا وجل . وكانت الاصواف المنتجة من هذه القطعان تتلقفها مصانع الصوف والسجاد والاكلمة المنتشرة فى شتى البلدان بمن ممفيس وفيلادلفيا وبانوبوليس (اخميم) وغيرها واصبحت الحاجة ماسة وملحة للصوف المنتج من هذه القطعان . ونحن نعرف ان ابوللونيوس كان لديه مصنع للصوف فى ممفيس وان مصانع النسيج والغزل وعمل الاكلمة والسجاد كانت تعمل على قدم وساق فى فيلادلفيا وان العمال فيها كانوا اناسا من الحرفيين وذوى الخبرة ووردت اسماؤهم فى وثائق بردى زينون وكان بعضهم من المصريين وبعضهم اعرابا وقد عمد البعض الى الدس والمزايدة على اخوانهم لدى زينون ويدل هذا على نشاط جم فى اعمال النسيج وعلى الطلب المتزايد على الصوف مما كان يدر ارباحا هائلة على هؤلاء الاعراب [1]. وكانت هناك كذلك مصانع للكتان الرفيع (byssos)

(1) Papyri Cairo Zenon, No. 59142; P. S. I. 854; Claire Pieaux, Les Grecs en Egypte, PP. 37 - 38.

ملحقة بالمعابد وتفى بحاجات اليونانيين والكهنة من الملابس الكتانية.وكان محرما على الكهنة الظهور على الناس بالملابس الصوفية فتدثروا بالكتان الرفيع . وهكذا كانت صناعة النسيج وعمل السجاجيد والاكلمة تستنفد كميات هائلة من الأصواف . والكتان وازداد الطلب عليها وكانت سوقا رائجة للعرب ، يجنون من ورائها أرباحا مضمونة ومجزية . وكان الناس يتهافتون على الإنضواء فى العمل في هذا المجال ويعرضون خدماتهم ويقدمون الضمانات التى يتعهدون فيها لزينون ولغيره استعدادهم للعمل بشروط ميسرة ويبلغ بهم الأمر أن كان البعض لا يتورع عن الكيد للآخر ويدس له ويزايد عليه من أجل اغراء زينون بأن يقبل عروضهم على حساب غيرهم والأسماء التى ذكرت فى هذا المجال مصرية ، ولكننا لا نستطيع الحكم على هوية هؤلاء فقد يكونون اعرابا متمصرين ، لهم صالح فى ضمان تصريف بضائعهم وتوريد أصوافهم لهذه المصانع .

وهناك نتاج جانبى من الالبان والجبن كانت تدره هذه القطعان وكان الطلب عليه شديدا ويجنى الاعراب من ورائه ربحا كثيرا اذ كانوا يبيعون هذه الالبان والجبن باسعار باهظة للاعيان من اليونانيين المقيمين فى الخورا ونذكر من هؤلاء زينون ويوكليس وفيلينوس وثيوجينيس وثيوفيلوس وغيرهم من الشخصيات البارزة وهؤلاء هم المستهلكون الطبيعيون والزبائن الدائمون للالبان والجبن والصوف الناتج من قطعان الماعز والاغنام .

ولعله من الطريف ان نتعرف على الشروط التى كانت ترد في العقود المبرمة بين زينون مع احد الرعاة وهى شروط محـــددة لا مجال فيها للاختيار او المساومة وبمقتضاها يحصل زينون علـــى جدى واحد (eriphos) وعلى مبلغ من المال عن كـــل رأس من الماعز سنويا وما بقى بعد ذلك يكون من حق الراعـــى لهذه القطعان . ويمثل صافى الربح هذا رقما ليس بالكبير ومـــن هنا استنبطت كلير بريو ، من شروط هذا العقد انها انطوت علـى غبن شديد وفيها تعسف لا شك فيه . ولدينا مثل بارز جاء فـــى وثيقة بردية منشورة فى كتالوج المتحف المصرى تحت رقم٥٩٣٢٨ ، اشتملت على شروط واضحة ابرمت بين زينون وراعى الماعـــز (aipolos) المسمى هرمياس (Hermias) الـــذى استأجر قطيعا من الماعز من زينون عدده ٢١٦ رأسا وأقر بـــأن يدفع له كل عام اربعة ابلات (4 obols)[١] وجدى واحـــد عن كل رأس من الماعز ، على ان يكون من حق الراعى ان يتصرف فيما عدا ذلك كيفما يشاء فله الحق فى بيع الالبان والجبـــن والشعر لحسابه الخاص . والسوق المحلية كفيلة بان تستنفد كل ما ينتجه من هذه السلع وزيادة ، وهناك مثل اخر على سلوك هـــؤلاء الرعاة ونزوعهم الى الهرب والفرار نظرا للشروط المجحفة بهم وقـد جاء اكثر من دليل على ذلك فى الوثائق البردية ، نذكر منها مثـلا واحدا نشره ت. اسكيت ، فى بردى زينون المحفوظ بالمتحـــف

---

(١) الدراخمة الواحدة بها ست ابلات .

البريطاني تحت رقم (٢٠١١). ومن هذا المثل نعرف ان شخصا يدعى باتايكيون (Pataikion) رأى ان يخطر زينون بما يدبر له وبان روح السخط متفشية بين رعاة الماعز ، فالبعض منهم عمد الى الفرار بالفعل (anachorein, Apochorein) والبعض يزمع الاقتداء بمن فر ، وقد فر ليمنايوس (Limnaios (= aipolos) وفى عزم ديمتريوس (Demetrius) ان يقتدى به وهناك اشاعة بخصوص هرمياس (Hermias) ولذلك ينبغى على زينون ان يتدبر الامر فى حينه وان يتخذ الحيطة قبل وقوع الكارثة • وهذا الخطاب مؤرخ فى ١٣ نوفمبر من عام ٢٤٣ ق٠م وكان زينون اذ ذاك يعيش فى محيط فيلادلفيا كفرد عادى عاكف على استثمار امواله فى هذا المجال وفى غيره وكان يضيره ان يتصرف رعاة الماعز على هذا النحو ويتخلوا عن مسئولياتهم بهذا الاسلوب المخزى والمعيب : ولا شك ان الحال المتفشية بين رعاة قطعان الماعز والماشية قد اقلقته وهو الذى دأب على التعامل مع الاخوين ليمنايوس وديمتريوس من قبل فتعاقد فى عام ٢٤٧ معهما على تأجير قطيع من الماعز عدد (١٤٤) رأسا فى نظير ايجار سنوى قدره (٢١٦) من رءوس الجديان التى يكون عمر الواحد منها ستة اشهر • وكان من نتيجة هذا الاتفاق فى وثيقة بردية اخرى من ارشيف زينون المنشور فى جامعة ميتشجان تحت رقم ٦٦ والمؤرخة فى عام (٢٤٥ ـ ٢٤ ق٠م) ماء جاء فيها بوضوح ان ديمتريوس اعترف انه كان لا يزال مدينا

لزينون بعدد قدره ١٥٢ جديا وكان يشكو من ضائقة مالية المت به حتى اصبح عاجزا عن الوفاء بالتزاماته وسداد ما عليه للحكومة من ضريبة المرعى (ennomion) عن سنة ٣٩ من حكم بطلميوس فيلادلفوس، ويتضح هذا كذلك من وثيقة بردية اخرى منشورة فى المجموعة الايطالية (P.S.I.386) اذ كان لايزال فى الوقت نفسه متأخرا فى سداد الايجار المستحق لزينون عن السنة الثانية من حكم بطلميوس يورجتيس الاول عن قطيع من الماعز يبلغ ٥٠٠ رأس كان قد استأجره من زينون . وهكذا اصبح عميلا سيئا ومتلكئا فى سداد ما عليه من المستحقات لزينون وللخزانة . ومما تجدر ملاحظته ان (باتايكيون) الذى وجه الخطاب الى زينون محذرا إياه من سوء الحالة بين رعاة الماعز وتفشى السخط بينهم [1]. اثر ان يلوذ بالصمت ولم يفصح عن السبب الحقيقى فى تبرم رعاة الماعز ولجوئهم الى الفرار وهكذا تركنا فى حيرة من الامر . ولكن العالمة البلجيكية كلير بريو ، علقت على هذه الوثيقة بالذات وهى المنشورة فى بردى زينون المحفوظ بالمتحف البريطانى تحت رقم (٢٠١١) فكتبت فى مجلة بلجيكية تصدر فى بروكسل (Chronique d' Egypte, 11, 1936 PP.558-559) رأيها بمنتهى الصراحة معللة السبب فى هذا الامتعاض بأنه الايجار الذى كان باهظا وفيه روح الاستغلال والتعسف من جانب زينون وقد يكون هذا هو احد الاسباب وإن لم يكن هو السبب الوحيد فى هذا الفرار . ولعل التفسير المعقول لهذا الضيق الذى كان

(1) Papyri London, VII, No. 2011.

يشعر به رعاة الماعز والماشية وجعل البعض منهم يؤثر الفرار، هو عجزهم عن الوفاء بالالتزامات المقررة عليهم ، فمن ناحية كان عليهم ان يوفوا شروط العقود التى ابرموها مع اصحاب هذه القطعان بسداد متطلباتها ، عينا ونقدا ، اخذين فى حسابهم ما قد ينفق او يضيع من هذه الماشية فى البرارى وحقول المراعى الفسيحة ، ثم إن الدولة من جانبها كانت لها حقوق لابد ان توفى كذلك وهى ضريبة المراعى (ennomion) فلما وجدوا انفسهم قد وقعوا بين شقى الرحى ،فاض بهم الكيل واخذوا يفرون.والدولة كانت حريصة كل الحرص على تحصيل هذه الضريبة السنوية واوجبت على مديرى الشئون المالية والاقتصادية،وهم من يطلق عليهم (oikonomoi) حصر هذه القطعان فى شهر ميسور من كل عام وهو فصل فيضان النيل وفيه يلجأ اصحاب هذه القطعان الى الاماكن العالية لتكون قطعانهم بمأمن من مياة الفيضان التى كانت تغمر الوادى،وكان هذا الحصربمثابة التمهيد لربطضريبة المرعى بحسب الرأس (per caput) وكانت تعليمات وزير المالية الى مندوبيه فى الاقاليم صريحة فى هذا الشأن وقد وردت فى احد بنود وثيقة بردية مشهورة ومنشورة فى مجموعة بردى تبتونس (Papyri Tebtunis) رقم ٧٠٣ وفيها امر محتم بحصر المواشى فى هذا الشهر حتى يتسنى إحكام ربط الضريبة التى تحصلها الدولة ومطابقتها للواقع . ومما لا ريب فيه ان هذا كان عبئا اخر ، اثقل كاهل هؤلاء الرعاة ، ولعل هذا الازدواج

الضريبى والجمع بين سداد المستحقات لاصحاب القطعان ثم الوفـــاء بضريبة المرعى كان احد الاسباب الجوهرية فى بعض أعمـــــــال الفـــرار .

سبق ان قلنا إن كثيرين من هؤلاء الاعراب الذين تـردد ذكر اسمائهم فى ارشيف زينون كانوا يتخذون اسماءا يونانيـــة صميمة مثل (ديمتريوس) و (لينناليوس) او اسماء مصرية صميمة مثل بيتخون (Petechon) أوبيتهيمينويس (Pete - minis) ولذلك فالمعيار فى التعرف على هؤلاء الاعـــراب اصبح غير دقيق ما لم يصحبه الكنية الدالة عليه وهى كلمة اعرابـــى (Arab = Araps) وقد جاء فى وثيقة بردية منشـورة اسم مصرى هو فوريس (Phueris) مصحوبا بالكنيـــــة الدالة على انه اعرابى وهناك بدائل كثيرة لهذا الاسم نذكر منهـا (بيريس) و (بوريس) و (فوريس) وهكذا [1]. ومرجعنا فـــى التعرف على الاسماء الموصوفة بهذه الكنية وهى (Arab = Araps) الى القائمة التى دبجها الناشرون لموسوعة عن بردى زينون فى ليدن بهولندة وهى (Papyri Lugduno - Batava ,Vol.XXI . (1982)

---

(1) Papyri Lugduno - Batava, XX, No. 54 = Pierre Jouguet, Sammelbuch No. 6801 = Letter from Nikaios to Eukles dated 7th. May 246 B. C.

وفيها نجد اسماء عدد لا بأس به ممن يحملون هذه الكنية .

اما عن دور هؤلاء الاعراب في مجال الزراعة فكان محدودا للغاية واقتصر على تسوية الأرض وتنقية الاعشاب وحفر بعض المصارف، ولعل السر في ذلك ان الزراعة تتطلب الحياة المستقرة بينما العرب يؤثرون حياة التنقل والترحل . ومع ذلك فقد سمعنا في بعض اوراق البردى المنشورة في مجلة تصدر عن المعهد الفرنسي بالقاهرة وتسمى (Etudes de Papyrologie) العدد الثامن ، ان العرب كان لهم دور ملحوظ في زراعة الثوم وبخاصة ما كان يجود منه في الواحات ، فهذا النوع عرفوا أصول زراعته وجلبوه من الخارج واستزرعوه في الواحات الغربية وهي الاراضي المتاخمة للصحارى وما في بطنها . ويذكر لهم هذا الدور بالفضل . اما الكروم والبساتين واشجار الفاكهة فدورهم فيها محدود للغاية . ولما كانت الكروم تجود في الاراضي الرملية الواقعة على حواف الصحارى ، فإنها كانت من المجالات التي قاموا فيها بالاعمال اليدوية والتمهيدية اذ لم يكن لهم باع طويل في هذا المجال وكان اليونانيون يقومون بالاعمال التي تحتاج الى فن وخبرة واحتراف في زراعة الكروم وهم الذين كان يطلق عليهم كلمة (hoi ampelourgoi) بجدارة فاضطلعوا بأعمال الفرس والتشذيب والتسبيخ والتعفير والتطعيم والتقليم وجني الثمار وعصر النبيذ وتعبئته في قوارير مبطنة بالقار حتى لا تنضح وهم

الذواقون للنبيذ الجيد باصنافه العديدة وكان لهم خبرات طويلة ومعرفة بانتقاء الثمار ومواعيد غرسها والمحافظة عليها قبل التزهير من الفئران والحيوانات . وعلى اى حال فالعرب كان عملهم في مزارع الكروم محدودا واقتصر نشاطهم على بعض الاعمال التمهيدية. وفي وثيقة بردية من ارشيف زينون المحفوظ بالمتحف البريطاني جاء ذكر ديمتريوس موصوفا بانه (ampelourgos) اى غارس كرم ولكن سبق ان قلنا ان الاسم في حد ذاته ليس دليلا على ان صاحبه يوناني [1] او اعرابي وفي وثيقة اخرى من نفس هذه المجموعة جاء ذكر اسم مصرى صميم هو نيختيميس (Nechthembes) وهو من اهل هليوبولس وقد تسلم مبلغا زهيدا قدره ثلاث دراخمات وابليين عن عشرين عاملا في تسوية الأرض وتمهيدها لزراعة الكروم [2] .

هذه الوان من انشطة العرب في مصر البطلمية ، سقناها واستقيناها من القراءات في البردى ، تمهيدا لدراسة او في واشمل في المستقبل القريب إن شاء الله .

---

(1) Papyri London, Vol.VII, No. 1976.L.6.

(2) Papyri London, Vol. VII, 1957, dated 256 B. C.

دور مرموق للعرب والمستعربين فى رعى الماشية والأغنام فى البردى اليونانى

سبق أن قلنا أنه كان للعرب دور ملحوظ وبارز فى عـــدة مجـــالات وبخاصة ما كان منها فى رعى الماشية من الماعز والأغنام وقد أبدوا ولعـــاً شديداً بهذه الحرفة الشاقة وآثروها على غيرها وجنوا مـــن ورائـــها ثمـــاراً طيبـــة . وكان رائدهم فى ذلك توخى الصبر الشديد علـــى مـــا تـــأتى بـــه ظروف الحال من تقلبات ومشاق فى اختيار المرعى والسعى إلـــى توفـــيره وسط القفار والبرارى والأراضى الخرسة (χέρσος) أو البور . وقـــد ورد ذكر أسمائهم صراحة وهى مصحوبة فى كثير من الأحيان بكنياتهم وأســـماء آبائهم وموطنهم فى وثائق بردية عديدة وفى قوائم الحساب والعقود المبرمـــة بينهم وبين أصحاب هذه القطعان ، وذلك على الرغم من أن البعـــض منـــهم كان يحمل أسماءً يونانية صميمة مثل "ديمتريوس" و"ليمنايوس" و"هرميـــاس" و"كالبـــيوس" وغير ذلك . ولكن ذكر هذه الكنيات والمجال الذى عملوا فـــى نطاقه كان كفيلاً بالتعرف عليهم وعلى هويتهم ؛ وهم الذيـــن أحبـــوا رعـــى الماشية وارتياد البادية والبرارى فى قوافل ممتدة ، سعياً وراء توفير الكـــلأ لقطعانهم من الأغنام . .

ولعل مما كان يسترعى النظر أن بعضاً من أسماء هؤلاء الأعـــراب كانت يونانية ، شكلاً وموضوعا ثم كانت مصحوبة فى معظم الأحيان بكلمـــة عربية Ἄραβος (Ἀραψ) . ومن هنا وقع اللبس وأصبح خافياً علينا معرفـــة حقيقة الوضع والسر فى ذكر هذه الكنية التى تصف اسما يونانياً صميما بأنـــه أعرابى . ولعل هذا كان من قبيل التيسير والعمل علـــى اتخـــاذ مثـــل هـــذا

الوضع كوسيلة لسهولة التعامل والتيسير على الناس بطريقة مألوفة فى المعاملات مع اليونانيين الذين آثروا تكريس جهودهم فى هذا الميدان بالذات وهو المرعى والوفاء بكل متطلباته ، ولذا كانت هذه القوائم والعقود تحرص على أن تذكر أحياناً أن صاحب القطيع أعرابى إما لدفع شبهة ما أو للإصرار على هذا التمييز لغرض معين فى نفس الكاتب أو صاحب الرسائل . وقد يكون الغرض هو مجرد التضليل فى التسمية أو يراد به الإمعان فى التعريف للتمويه . وقد تأتى مثل هذه الإشارات الصريحة والدالة على طوائف من الأعراب فى البردى اليونانى إما لماماً وبطريقة عرضية أو على نحو عابر ، وفى أحيان كثيرة كانت تُذكر هذه الكنية صريحة بعد اسم الشخص الوارد فى قوائم الحساب أو فى كشوف الإيرادات والمصروفات أو فى العقود الخاصة برعى الماشية والمبرمة إما مع "زينون" نفسه أو أحد مندوبيه وأعوانه مثل "ياسون" بالذات . وعندئذ كان ينص صراحة على أن المتعاقد هو أعرابى (Ἄραψ) ولذا يجيئ هذا التعريف من قبيل التمييز العنصرى أو التعريف بأصل صاحب الاسم لحكمة معينة . وكما سبق أن نوهنا قد يكون الاسم الذى يحمله هذا الأعرابى يونانياً فى صيغته وفى صورته الكاملة مُعرّبة أو غير مُعرّبة وفى كثير من الأحيان كان اللجوء لمثل هذا الأسلوب من قبيل التيسير أو الرغبة فى التعمية لسبب خفى . وفى الأحوال القليلة التى عرضنا لها كان القارئ يتعرف فى يسر وسهولة على كنه الشخص الذى حمل اسماً يونانياً ووُصف فى الوقت نفسه بأنه أعرابى وقد آثر أن يشتغل برعى الأغنام والماعز فيصبح (αἰπόλος) وأن هذه هى هويته أو حرفته التى يؤثرها على غيرها وتتضمن حياة الترحل ويجد فيها لذة عندما يهيم على وجهه فى أراضى

فسيحة وهو يقود قطيعاً من الماشية والأغنام والماعز . وكان يـــهوى هـــذه الحياة غير المستقرة لأنه كان يجد فيها شيئاً من الحرية والانطلاق وما يتبـــع ذلك من تعشق للحرية . والغالبية العظمى من أولئك الذيـــن أطلقـــوا علـــى أنفسهم هذه الكنية الدالة على أنهم ينتمون إلى العروبة ، كانوا من المشـــتغلين بالرعى إما فى محيط قرية فيلادلفيا بـــالفيوم وفـــى زمـــام بعـــض القـــرى والمناطق المتاخمة لها ، أو الواقعة فى الجنوب من بحيرة قارون وفى أقـــاليم أخرى متاخمة للصحراء . وقد تركوا لنا بصمات دالة على نشاطهم هذا إمـــا فى صورة شكايات وظلامات أو فى ثنـــايا عقود مبرمة (αἱ συγγράφαι). وفى حالات كثيرة نجد البعض منهم يجأر بالشكوى من الحيلولة بينهم وبيـــن السماح لهم برعى أغنامهم فى أراضى جدبة وغير منزرعة ولكنـــها كـــانت مخصصة لهم بمقتضى عقود مبرمة مع أصحاب الشـــأن . وهـــاهم رعـــاة الأغنام يتقدمون بالشكوى إلى " زينون " فى هذا الشأن وهى مؤرخـــة فـــى السنة الخامسة من حكم الملك بطلميوس الثالث الملقـــب "يورجتيـــس" الأول وكان زينـــون قـــد زالت عنه صفته الرسمية كرنيس (epistates) بضيعـــة أبوللونيوس التى صُودرت وأصبح مجرداً من سلطانه ويعيش فى فيلادلفيـــا كرجل غريب يحمل لقباً دالاً على تلك الغربة وهو (παρεπίδημος) واكتفى منذ ذلك الحين بأن يباشر أوجه نشاطه التجارى والاستثمارى علـــى نطـــاق واسع ويجنى من وراء ذلك أرباحاً باهظة . وكان يُبرم بنفســـه أو بواســـطة أحد أعوانه الخلصاء مثل "ياسون" ، العقود مع الرعاة وغيرهم مـــن مُربـــى الخنازير . وانصبت تلك الشكوى الواردة فى الوثيقة المنشورة فى مجموعـــة كتالوج المتحف المصرى تحت رقم ٥٩٣٦٢ ونُشرت من قبـــل ذلـــك فـــى حوليات مصلحة الآثار المصـــرية تحـــت رقـــم خـــاص بـــبردى العـــالم

الأسكتلندى (C.C. Edga.) فى (Pap. Edgar, 60) . وتضمنت هذه الوثيقة الشكوى المرة من قبل رعاة الماشية والماعز الذين مُنعوا من ارتياد المرعى الذى تعاقدوا بالفعل عليه ، وكان يشمل تخصيص مائتين من الأرورات أى نحو مائة وعشرين فداناً مصرياً من أرض ليس بها حرث ولا نسل ، ولكن توفر بها بعض الكلأ والحشائش التى تصلح لرعى هذه الماشية. وكان " زينون" وكثيرون غيره من اليونانيين يبدون الحرص الشديد على استثمار أموالهم فى هذا المجال الذى كان يُدر عليهم أرباحاً طائلة وبخاصة فى رعى الماعز بالذات . وقد أبدى اليونانيون ومن على شاكلتهم جهوداً مشكورة فى مجالات هذا الاستثمار ، وكان لهم باع طويل فى هذا المضمار . أما العرب فإنهم كانوا يؤثرون رعى الماشية والأغنام وكانوا يعتبرون ذلك من الحرف التقليدية عندهم ، وانتشر هذا الاسلوب بين الطوائف المختلفة فى صدر القرن الثالث قبل الميلاد فى مصر البطلمية . وفضلاً عن أن هذه الحرفة كانت تدر أرباحاً طائلة على أصحاب هذه القطعان ، فهى فى الوقت نفسه تلائم حياة التنقل والترحل التى اعتاد الأعراب عليها ووجدوا فيها الضمان الكفيل بالشعور بالحرية والانطلاق فى حلهم وترحالهم . وفى العديد من العقود والوثائق التى كانت تبرم بين أصحاب القطعان وبين الرعاة والمستأجرين لها ، كانت ترد إشارات كثيرة تفيد نوعية العلاقة بين الأطراف المتعاقدة والكيفية التى كانت تنظمها اشتراطات معينة فى حالات المكسب والخسارة ونص فيها على تحديد العلاقة بين أولئك المستثمرين من اليونانيين ومن على شاكلتهم وبين المتعاقدين المكلفين بالرعى من أعراب ومصريين على السواء .

وتمثل هذه الالتزامات جانباً شيقاً متضمناً بنوداً مصاغة بمنتهى

الدقة من حيث تحديـــد مدى العلاقة الايجارية بين الطرفين المتعـــاقدين مـــع ذكر قيمة الإيجار العينى والنقدى سنوياً وما ينبغـــى مراعاتــه مـــن اتخـــاذ الإجراءات فى جميع الأحوال التى قد تطرأ عندما تنفق بعض هذه الحيوانات أو تضـــيع أو تُســـرق أو عنـــدما يَعْمد بعض الأجراء إلى الفرار والـــهرب أو اللجوء والاعتصام بـــأحد المعـــابد المتمتعـــة بحـــق اللجـــوء والإيـــواء (ἡ ἀσυλία, heira asyla) . وما أكثر الشكايات والظلامات التـــى كـــانت تنجم عن مثل هذه الأحداث التى ترويها لنا وثائق البردى فى أرشيف زينـــون بإفاضة وما أكثر المطالبات التى كان يدعيها كل طرف من هـــذه الأطـــراف قِبَل الآخر أو يهدد بها الرعاة بطريقة سافرة فيهرب البعض منهم ويلـــوذون بالفرار معتصمين بحرم معبد من المعابد التى كان لها حق الإيواء والجيرة ، طلباً للأمان ودفعاً للمسئولية عن المحافظة على هذه القطعان . وما أبلغ مـــا كان يسطر فى هذه الرسائل والمكاتبات من مبررات وذرائع جـــاءت علـــى سبيل البيّنة على تلك العناية الفائقة التى كان يُوليها كبار اليونانيين ورجـــال المال والمشرفون على توجيه السياسة المالية فى مصر ؛ ويأتى علـــى رأس هؤلاء وزير مالية البلاد " أبوللونيـــوس " ووكيلـــه ومندوبـــه " زينـــون " و "تليستيس" (Telestes) ممثلاً لكبار الشخصيات وأصحاب رءوس الأموال فى الحقبة الأخيرة من حكم بطلميوس فيلادلفـــوس وجلـــهم كـــانوا مـــن كبـــار المستثمرين فى هذا النطاق الرعوى وكانوا من الســـبّاقين (pioneers) فـــى انتهاج سياسة استثمارية إلى أقصى الحدود مما ينطوى تحـــت كلمـــة لـــها دلالتها فى عالم الاقتصاد وهى (mercantalism) وتَنِمّ عن سياسة اســـتثمارية وتجارية بحتة . وقد أشـــارت إلى ذلك بإفاضـــة العالمة البلجيكية الراحلـــة "كلير بريو" (Claire Préaux) فى كتابيها :

(1) Economie royale des Lagides (1939) .

(2) Les Grecs en Égypte pp 33 – 34 (1947) .

ومما لا ريب فيه أن دور العرب فى مجال هـذا الاسـتثمار بـالذات وعلى هذا النحو كان كبيراً وأن ولعهم به كان شديداً . وتبرز ملامـح هـذا الدور بشكل جلى فى العديد من قوائم الحسـاب الخاصـة بـهذه الماشـية (οἱ, λόγοι προβάτων) وهى مختلفة الأنواع والأصناف فبعضها يُقال عنـه أنها كانت مؤجرة (τῶν, μεμισθωμένων) وبعضها كان يوصـف بأنـها عربية (πρόβατα Ἀραβικά) وبعضها وهو الأهم كان يوصـف بالماشـية المتدثرة (πρόβατα ὑποδιφθέρα) . وهذه كانت ظهورها تغطى بلفـائف أو برقائق من الجلود المدبوغة حتى لا يتلبد أو يتسخ صوفها . وكان القـائمون على رعاية هذا الصنف المجلوب من آسيا الصغـرى مـن حـوض نـهر "الميانذر" والمراد أقلمته فى مصر فى ظروف مناسـبة ، يتوخـون منتـهى الحيطة فى المحافظة عليه وعلى صوفه الجيد الذى كـان يُنتَـف ولا يُجـز ويوُضع فى صناديق بينما أصواف الماشية الأخرى كانت تُجز وتوضع فـى أكياس أو حصير وهى أقل جودة بينما كان صوف الأغنام المتدثـرة ناعمـاً وفاخراً وهو أشبه بما نعرفه الآن من صـوف يُسـمى بـالأنجورا". وقـد حرصت حكومة الملك بطلميوس فيلادلفوس على جلب قطعـان منـها إلـى مصر واتخذت كل الإجراءات الكفيلة بصيانتها وتهيئة المناخ الملائم لها فـى مصر ، وحرص كل من وزير الماليـة "أبوللونيـوس" والقـائد العسـكرى المسمى "تليستيس" على جلب قطعان من هذا النوع وتربينها فى مصر .ولدينـا قصة قطيع منها كان مملوكاً فـى وقـت مـا لذلـك القـائد " تليسـتيس " (eponymous, commander) وعدد هذا القطيع كان يبلغ (٧١) رأساً وشـاء

القدر أن يُصادر لصالح الدولة ويباع فى المـــزاد العلنـــى (ἡ ἀπαρτεία) بسعر قدره (٢٠٤) دراخمة ونصف أبل ، وجاء تفصيل ذلك فى وثيقة برديـة منشــورة فى بردى لنـــــدن (Pap. London VII , No. 2016) للعـــالم البريطانى " تى. إســكيت" (T. Skeat) وكـــان العـــالم الروســى ميخـــائيل روستوفتزف (M. Rostovtzeff) فى كتـــابه الصادر ســنة ١٩٢٢ وعنوانـــه (A Large Estate p. 176) قد أشار إلى هذا الموضوع ولكنه أخطـــأ خطـــأ فاحشاً فذكر الرقم المباع به هذا القطيع على أنه ٦٤ دراخمة وفاته أن يقـــرأ حرف السيجما (Σ) وهو يساوى ٢٠٠ وصححه العالم البريطـــانى إســكيت هكذا ΣδC أى أنه يمثل عدد دراخمات قدرها ٢٠٤ ونصف أبل [1] .

وكان من حظ " زينون " أن رسا عليه هذا المزاد فى هـــذه الصفقـــة الرابحة بعد أن كان قد استأجرها من قبل لبضع ســـنوات فلمـــا صادرتـــها الحكومة لم يفت "زينون" أن ينتهز هذه الفرصة الســـانحة وتقـــدم بواســـطة مندوب عنه لشراء هذا القطيع الذى أصبح ملكاً له وكانت فـــى الحـــق هـــى الصفقة الرابحة التى عقدت فى ٣٠ يوليو ســـنة ٢٤١ ق.م أى فـــى الســـنة السادسة من حكم الملك يورجتيس الأول وفى يوم ١١ من شهر بؤونة .

(1) Pap. London VII , No 2016 pp . 167 – 169 and notes 7 . 8 . 9 .

τά πρόβατα Ὑποδιφθέρα

هذا نوع ممتاز من خراف الماشية المسماة بالميليطية نسبة لمدينة "ميليتوس" (Miletus) بآسيا الصغرى وهى المتدثرة بغطاء من الجلود فوق ظهورها وذلك لحماية صوفها من التلبد والحيلولة دون الاتساخ بقدر المستطاع . وقد أولت الحكومة البطلمية هذا النوع بالذات جلّ عنايتها ، بل وكانت تشجع كبار المستثمرين وأعيان البلاد من اليونانيين على اقتناء الفصائل والقطعان من هذه الماشية وجلبها من الخارج . وكان من الرواد فى هذا المجال وزير مالية البلاد على عهد الملك بطلميوس " فيلادلفوس" (٢٨٣ – ٢٤٦ ق.م) وهو المسمى " أبوللونيوس" (Apollonius) ثم تابعه فى هذا المضمار ضابط كبير يسمى " تليستيس " (Telestes) وكان يحمل رتبة عسكرية مرموقة وينبرى تحت إمرته فريق من الضباط والجند وأصبح يُعرف باللقب العسكرى الآتى وهو (eponymous commander) . ثم تلاهما "زينون" (Zenon) نفسه وكان الأخير حريصاً كل الحرص على أن يحوز صفقة معروضة للبيع فى مزاد علنى وقد سبق أن نوهنا عن ذلك من قبل وقلنا أنها كانت صفقة رابحة لعدد من الأغنام قُدّر بـ (٧١) رأساً وكان بيعها بوصفها من الأموال المصادرة عن " تليستيس" وبذلك أصبحت بعد رسو المزاد ملكاً خاصاً لزينون وله حق التصرف فيها كيفما يشاء باعتبارها (τά. κτήματα) بمقتضى الحكم فى رسو المزاد (ἡ . ἀπαρτεία) على زينون [1] . ولابد أنه كان هناك غير هؤلاء وهم كثرة من المستثمرين الذين أخذوا بمبدأ السياسة الاقتصادية التى أسسها بطلميوس فيلادلفوس وهى الداعية إلى استغلال موارد البلاد والاستثمار

(1) Papyri London vol. VII No. 2016 (1974 A. D.) by T. Skeat .

الجاد وهذا ما يكنى له بالكلمة الآتية (mercantalism) . وكان هذا هو المبدأ العام الذى كانت تنادى به حكومة " بطلميوس فيلادلفوس " البيروقراطية على أوسع نطاق وفى كل المجالات وبذلك تتوافر الكفاية الاقتصادية autarkeia بمعنى (self – sufficiency) فى البلاد فى شتى النواحى وبخاصة فى مورد هام بالنسبة لليونانيين الساكنين فى مصر وهو توفير القدر الكافى من الصوف الجيد المنتوف من هذه الخراف المتدثرة . ذلك أن اليونانيين كانوا حريصين كل الحرص على أن يحوزوا كل ما يلزمهم من الصوف الجيد فى صنع ملابسهم وأرديتهم الصوفية وفى تزويد مصانعهم بالكميات الكافية من الصوف الخام اللازم لهذا النوع من النسيج . وكان تفضيلهم لارتداء الملابس الصوفية بدلاً من الكتانية التى كان يألفها المصريون ، يمثل ظاهرة مرعبة فى عادات أولئك اليونانيين الوافدين على مصر فى هذه الحقبة بكثرة هائلة [1] . ومن أجل هذه المقاصد ، كان موضوع تلك الخراف الميليطية بالذات والعمل على توطينها وأقلمتها فى مصر وفى إقليم الفيوم بوجه خاص وعلى مقربة من المستنقعات من حول بحيرة قارون ، يُمثل محور إرتكاز فى السياسة الاقتصادية السائدة فى عصر " بطلميوس فيلادلفوس " . وقد أولته الدولة جُلّ عنايتها واهتمامها بدءاً من ملكها المستنير وهو " بطلميوس فيلادلفوس " وكبار موظفيه فى تلك البيروقراطية المركزية التى تحكمت فى مقادير البلاد وفرضت عليها نظاماً فريداً هو نظام الالتزام فى جباية الضرائب والاحتكارات (Teloneia) وطبقت سلسلة

---

(١) كانت العباءات والأقمصة والسراويل تمثل نوعيات من الأردية والملابس التى تروق لدى اليونانيين وتوافق ذوقهم وهى ما كان يسمى بالآتى . Chlamydes himatismos . chitones etc. وكلها أو جلها من الصوف المنتوف أو المجزوز وليس من الكتان.

من القوانين المالية (Nomoi Telonikoi) وضمنت بذلك ميزانية سنوية متوازنة ومستقرة فى كل عام بفضل جهود نفر من الملتزمين (οἱ . τελῶναι) والضامنين لهم (οἱ . ἔγγυοι) والمحاسبين (ἐκλογισταί) . وكان يعاون كل هؤلاء عدد آخر من الموظفين العموميين المعنيين بشئون الاقتصاد وهم المكنيون بالاسم الآتى (οἱ . οἰκόνομοι) فى كل قسم إدارى وفى صحبتهم مراجعون ممن كان يطلق عليهم (οἱ, ἀντιγραφεῖς) . وقد سبق أن نوهنا عن تلك الجهود المضنية التى كان يبذلها " أبولونيوس " الملقب بكلمة يونانية دالة على عمله وهى (dioecetes) فى شئون تدبير ذلك الاقتصاد " المنزلى " فى عموم انحاء مصر ، ومن بينها توفير قطعان من الأغنام المنتشرة وتدبير تعيين مشرف عام عليها يسمى " مارون " (Maron) وهو يونانى ذاعت شهرته بأنه كان أخصائياً فى تربية هذا النوع من الأغنام ومعرفة الخصائص اللازمة لاحتياجاتها وأساليب التهجين والرعاية الخاصة بهذا النوع . وقد وكل إليه " أبولونيوس " مهمة أخرى وهى تدريب أربعة من الشبان (τὰ παιδάρια) على العمل فى هذا المجال التخصصى . وهكذا برز اسم " مارون " وأصبح هو وحده المسئول عن هذا العمل وكان يحوز لقباً دالاً على ذلك وهو ὁ ἐπιστατὴς τῶν προβάτων ὑποδιφθέρων [1] وكان مجال نشاطه فى ضيعة " أبوللونيوس " ذات العشرة الآف من الأرورات أو الأفدنة اليونانية وهى الواقعة فى زمام قرية مرموقة كانت تسمى " فيلادلفيا " بالإقليم الأرسينويتى وهو الفيوم وفضلاً عن ذلك فإنه كان ينبغى على ذلك

---

(1) Prosop. Ptol. IV. No. 12127.

الأخصائى أن يكون على اتصال دائم بالرعاة الآخريـــن (οἱ . ποιμένες) كيما يُعلّمهم ويدرّبهم ويرشدهم إلى ما ينبغي عمله من أجل المحافظة علـــى هذه النوعية الفريدة من الأغنام التى كانت مضطرة أن تعيش فـــى جـــو لـــم تألفه من قبل . وإن النغمة المستقاة مـــن صياغـــة الخطـــاب الموّجـــه مـــن "أبولله نيوس " إلى كل من عامليه وهما " باناكستور" و " زينون" بأن يتخليـــا عن الإشراف على جميع " الزرايب " والمعدات الخاصة بـــهذا النـــوع مـــن الخراف وأن يُوكل إلى " مارون" وحده ، هذا الإشراف ، هذا كله له مغـــزاه. وفى هذا دليل أيما دليل على ذلك الاهتمام البالغ من قبل "أبوللونيوس " بـــهذا الموضوع والإلمام بجميع التفصيلات المسهبة . ولعل قصـــده من ذلك كلـــه كان تهيئـــة المناخ الصـــالح لنجاح مهمة " مارون" والتأكيد على ضـــــرورة انفراده بالإشراف التام على جميع النواحى الخاصة به دون أى مُعّوق . وقـــد عرض العالم الروسى " المتأمرك " ميخائيل رستوفتزف (M. Rostovtzeff) فى كتابه القيم عن العالم الهيللنستى (Hellenistic World) فى الجـــزء الأول ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ ، لهذا الموضوع ولكنه آثر فى ذلك أن يتوخـــى جـــانب الاقتضاب الشديد . وقد أحالنا هذا المؤلف العظيم على عـــدد مـــن الوثـــائق البردية المنشورة فى أرشيف " زينون" والمتعلقة بهذا الموضوع وهى علـــى النحـــو الآتـــى Papyri Cairo Zenon :- 59142 ; 59195 ; 59430 . وجـــاء بكل من هذه الوثائـــق تعليقات مستفيضة من قبل العالم البريطانى "إدجـــار" (C. C. Edgar) . ومن ثنايا ما جاء فى هذه الوثائق يمكـــن التعـــرف علـــى جوانب شتى مما كان يُساور عقل هذا الوزيـــر الـــهمام واهتمـــام مندوبيـــه "باناكستور" و "زينون" والمتعاونين معهما من رجالات من أمثـــال "ياســـون"

وغيره بهذه النوعية الفريدة من الأغنام [(١)] .

وقد بُذلت جهود أخرى مماثلة من أجل أقلمة وتوطين نوع آخر من تلك الأغنام وهو ما كان يعرف بالاسم الآتي (τὰ , πρόβατα Ἀραβία) وهى عربية الأصل وتضاهي سبيقاتها . ولدينا مادة وفيرة عن هذا النوع والجهود المبذولة في جلبه إلى مصر والعمل على أقلمته في أجواء البلاد . وهاهى بعض الوثائق الواردة فى أرشيف "زينون" نفصلها فيما يلي : Papyri Cairo Zenon Nos. 59142 : 59195 . ويمكن أن نستنبط من هاتين الوثيقتين أن جهوداً كثيرة كانت مبذولة من أجل جلب هذا النوع العربي الصميم والعمل على أقلمته في مصر وهاهي الوثائق الأخرى الدالة على ذلك في بردى زينون المنشور في كتالوج المتحف المصرى رقم ٥٩٤٣٣ الأسطر ٢٢ وما يليها ثم ٥٩٤٣٠ ؛ ٥٩٤٠٥ ؛ ٥٩٤٠٦ وفى المجموعة الإيطالية .P.S.I رقم ٤٢٩ سطر ١٧ ؛ ٣٧٧ سطر ١٤ ومجموعة بردى حيبة (P. Hibeh) رقم ٣٦ السطران ٦ ، ١١ ثم في أرشيف زينون رقم ٥٩٢٨٧ وفي حوليات مصلحة الآثار تحت عنوان P. Edgar No. 107 ,Callisthenes apud , Athenaeus , V p. 201 C = Rice , Pompé or the Great Procession arranged by Ptolemy Philadelphus , in Alexandria .

على أن موضوع تلك الأغنام المتدثرة والرعاة الذين كانوا يسهرون على رعايتها والمحافظة على صوفها المنتوف وهم الذين كانوا يُكتنون

---

(1) Theocritus , Idylls No. XV 1. 126 ..

وتلك هى الإشارة عن مدى شهرة الصوف المنتوف من تلك الأغنام المتدثرة وزيادة الطلب من أجل الحصول على مقادير كثيرة منه لسد حاجة اليونانيين من هذا الصنف .

بالاســم الآتــى (*ὑποδιφθερα ποίμναι*) ليستــأهل منـــا شيئـــا مــن الدراســة المتأنــية فى ضوء ما ذكــره الكتاب الأقدمون من أمثال " فـــارو" (Varro) Res Rosticae II , 2 , و " بلينــى" (Pliny) 191 , VIII و "أرســطو" (Aristotles) Probl. 10 , 22 p. 892 , a , 17 ، ثـم هــوراس , Horace Carmina 2 , 6 , 10

ويضاف إلى ذلك ما ذكره " إدجار" فى حوليـــات مصلحـــة الآثـــار المصرية ، العدد ٢٤ لسنة ١٩٢٤ وذلك فى تعليقه على الوثيقة البردية رقـــم (Pap. Edgar) ١٠٧ = ٥٩٤٣٠ عن الأسطر ١ - ٤ بشأن قائمـــة حســـاب المصروفات التى كان قد تكبدها "هرمون " فى صرف الأجور على العمـــال المكلفين بنتف الصوف من الأغنام المتدثرة وزملائهم المنوطين والمكلفيـــن بجـــز الصوف من الأغنام ويأتى فى آخر المطاف ما كتبه العالم الأمريكـــى الراحل " وليام لين وسترمان (W.L. Westermann) تعليقا على وثيقة برديـــة منشورة فى كتابه المعنون (Pap. Columbia Zenon No. 5) . ثم مـــا كتبـــه نفس هذا المؤلف فى مجلة أمريكية تســمى(Classical Weekly , 20 , 13) تحت عنوان (The Greek Exploitation of Egypt) وقد أتحفنا كـــل هـــؤلاء الأعلام بآراء طريفة عن طبيعة هذه الأغنام بصنفيها مـــع الحـــرص علـــى جلبها إلى مصر والعمل على أقلمتها وتهيئة الجو المناسب لها فـــى وديـــان تكون أقرب ما تكون من حيث الشبه بوادى نهر الميـــاندر (Miander) فـــى آسيا الصغرى ومن حول مدينة "ميليطة " (Miletus) أو فى بلدة " تـــارنتوم " (Tarentum) بجنوب إيطاليا أو فى أتيكا ببلاد اليونان ، وكانت هناك مفارقـــة واضحة بين صنفين من هذه الأغنام أولاها بالطبع تلك المتدثرة والمشـــهورة بالاسم الآتى (*πρόβατα ὑποδιφθερα*) وهـــذه كـــان ينتـــف صوفـــها أى

(*τίλλειν*) أما النوع الآخر فهو العربى (*πρόβατα Ἀράβια*) وهذه كــــان صوفها يُجز بالمقص أى (*κείρειν*) . وشتان بين هذين النوعين والحـــالين فالنوع الأول هو الصوف الجيد والناعم الذى كان يعبأ فى صنـــاديق ، أمـــا النوع الآخر فكان يوضع فى أكياس أو يُلف فى حصير وهو صوف خشـــن ويستخدم فى حشو المراتب والوسائد والخديدات ويستخدم فى أعمال التنجيـــد وما إلى ذلك من أعمال الحشو فى المخدات التى كان يركن إليها اليونـــانيون عند الإتكاء والاسترخاء فى مقاعدهم الوثيرة ولعل ما سطره ڤـــارو (Varro) فى مقال طريف له عن الشئون الريفية (Res Rosticae) ٢ ، ٢ ، ١٨ يُلقـــى بعض الضوء عما نحن بصدده بشأن ذلك الصوف الفاخر الذى كان يجـــرى نتفه من تلك الأغنام المتدثرة . " propter lanae bonitatem .... pellibus integuntur ne lana inquintur . quo minus vel infici recte possit vel lavari , ae putari "

وهاهى ترجمة تلك العبارة اللاتينية التى ذكرها ڤارو " إنها هى تلـــك التى يرجع الفضل إلى كون صوفها على درجة عالية من الجـــودة والنقـــاء والنعومة ولذا وجب المحافظة عليها والعمل على رعايتها بوضع أغطية مـــن الجلود على ظهورها (وهى من أجـــل ذلـــك كـــانت تعـــرف بـــالمتدثرة أى (pellibus) وكان القصد الحقيقى من وراء ذلك كله هـــو المحافظـــة علـــى صوفها من التعرض للاتساخ والتلبد مما قد يحـــول دون عمـــل الصباغـــة اللازمة على الوجه الأكمل وإجراء عمليات الغسيل والتنظيف " .

وفى الحق أن هذه الأغنام الموصوفة بأنها كانت متدثرة وأن ظـــهورها كانت تغطى بشرائح من الجلد المدبوغ ، كانت تُجلب إما من ميليطة الواقعـــة بحوض نهر الميانذر بآسيا الصغرى أو من تارنتـــوم بجنوب إيطاليا أو مـــن

أتيكا ببلاد اليونان . وكان الغرض من وراء ذلك كله هـو الحـرص علـى تغطية ظهورها على هذا النحو وذلك لضمان وصيانة الجزّات المنتوفة مـن صوفها من الاتساخ والتلبد وهذا ما قد يعوق أو يحـول دون اتمـام عمليـة الصباغة لها على الوجه الأكمل أو تنظيفها وغسلها وقد يترتب على كل هـذه العمليات نقصان مؤكد فى وزنها . وهذه النقيصة الأخيرة فى الوزن بسـبب الغسيل بمادة صابونية هى (strathmion) كان لابد أن يعمل لها ألف حسـاب وحسـاب .

وهنـاك قطعان من الأغنـام كانت تُترك لتـرعى وهى تهيم علـى وجوهها فى مراعى حيثما اتفق وهذه صوفها كان خشناً (solox) وليس لـها مأوى pecus – بمعنى tectum – أو مسكن فتترك كى ترعى فـى الحقـول حيثما اتفق (passim) .

أما "بلينى" (Pliny) فله مقولة فى هذا الصدد نصها كالآتى :–

oves non ubique tondentur : durat quibusdam in locis vellendi mos"

أى أنها لم تكن ترعى فى أى مكان حيثما اتفق وبقيت عادة نتف صوفها فـى أماكن معينة بالذات .

ثم جاء " أرسطو " (Aristotles) فذكر مقولة أخرى فى Problems 10.22 :–

δια τὶ τῶν μὲν προβάτων μαλακώτεραι

αἱ τρίχες ἀναφύονται τιλλόμενοι . τῶν δὲ ἀνθρώπων

σκληρότεροι .

وفى هذا النص يتحدث " أرسطو " عن أمر متعلق بتلك الأغنام التـى تنمو شعورها الفائقة فى النعومة والتى يجرى نتفـها بعنايـة فائقـة

ويتوفر على ذلك نفر من الرجال الذين كانوا على درجة عالية من الكفاية وهم يبدون عناداً وإصراراً على أداء عملهم هذا ويصرون على ذلك فى دأب وتفانى .

نبذة مهمة عن الأسلوب المرعى فى رعى الماعز وهى مستقاة من وثيقة بردية منشورة فى مجموعة بردى جامعة ميتشيجان رقم ٦٧ و يرجع تاريخها إلى عام ٢٢٢ قبل الميلاد

وهذه الوثيقة عبارة عن مذكرة أى (memorandum) وهى تحوى بعض التفاصيل الهامة عن الأسلوب المرعى فى تأجير الماعز وتحصيل القيمة الايجارية (φόρος) منها سنويا . وهذا القطيع من الماعز كان يملكها "زينون" ويؤجرها للغير من الأعراب والمصريين على السواء وذلك نظير إيجار سنوى قدره جدى (ἔριφος) وربع عن كل رأس فى بعض الأحوال وهذا يخالف ما جاء فى وثيقة أخرى من أرشيف "زينون" المنشور كتاوج فى المتحف المصرى تحت رقم ٥٩٣٢٨ حيث نجد أن الإيجار السنوى جاء متفاوتاً ومقدراً بأربعة دراخمات وجدى واحد أما فى الوثيقة البردية الأخرى المرقومة ٥٩٣٤٠ فهى تمثل حالة فريدة ومهمة فى هذا الشأن حيث نجد أن الإيجار السنوى هو أعلى مما سبق ذكره وأنه كان يبلغ جدى ونصف عن كل رأس من الماعز . وهناك قطعان أخرى كان يجرى تسليمها لأشخاص آخرين وبعضهم من الأعراب ؛ وهاهى العبارة الواردة فى هذه العقود وكانت لها دلالتها فى أنها تشير إلى تأجير قطعان لنفر من الأعراب بواسطة "زينون" نفسه .

(ἃς σὺ ἀπεξέδωκας τοῖς Ἄραψιν)

والإشارة هنا إلى " زينون" على اعتبار أن هذه القطعان كانت ملكــــاً خالصاً له وجاء فى وصف هذه الماعز أن البعض منها تم بيعه والتصـــرف فيه لحساب بعض التجار ووصف البعض منها على أنـــه حديـث الـولادة والبعض الآخر نفق وبعضها استرده " زينون" أو أحد أعوانه مثل " ياســون" فى مناسبات مختلفة . وهكذا يتبين من الوثيقة المنشورة فى مجموعة بـردى "ميتشيجان " أن رعى الماعز كان عملاً مجدياً وأن " زينون" كـــان يرعـاه بعناية شديدة وعلى نطاق واسع . وهنا ينبغى أن ننوّه بأن الماعزة الواحــدة كانت تنجب كل خمسة أشهر وقد تلد فى بطن واحدة أكثر من جـــدى وقـد يصل هذا فى بعض الأحيان إلى أربعة من الجديان وفى هذه الحالة تســمى تلك الماعزة الولادة أو الزرباوية .

أمارات الرفق بالحيوان

حسبما جاء فى وثيقة بردية من أرشيف "زينون"

ومن الطريف أن نورد هنا نصاً يونانياً عن نصيحة موجهة إلى رعـلة الماعز عامة وتتضمن إشارة إلى موضوع الرفق بالحيوان وقد جـاءت فـى صورة خطاب مؤرخ فى غام ٢٤٨ ق.م أى فى أواخر حكم الملك البطلمـــى الثانى الملقب بـــ " فيلادلفوس" وهو منشور فى كتالوج المتحـف المصـرى تحت رقم ٥٩٣٣٨ ويتألف من بضعة أسطر مبتورة ولا يزيد عددهـا عـن سبعة ونصها كالاتى :-

1- . . . [ἵνα μὴ συμβαί] -

2- νη [ι] τῶν αἰγῶν τεικτόν -

3- τῶν τοὺς αἰπολους ἀνα -

4- σοβεῖσθαι καὶ τὸν φόρον ἡμῖν

5- δι[α]πεσεῖν

6- ἔρρωσο ∟ λη

7- ἐπαγομένον α

وهذه الفقرة توصى بألا يقع المحظور لقطيع من الماعز وهى عُشـــر فتصاب بالإجهاض من جراء ترويعها واستخدام العنف والاثارة والتخويــف إذا ما الراعى استخدم عصاه الطويلة وهو يهش بها علـــى قطيعـه بعنـف ويتسبب عن ذلك إجهاضها ويكون فى هذا الخسران المبين لصاحب القطيـع. وهكذا لم يفت " زينون " أن يُنبه أولئك الرعاة إلى الحظر الناجم من جـــراء القســوة فى معاملة الماعـــز وترويعهـــا ومدى حدوث ما لا تحمـــد عقبــاه من أضـــرار ماديـــة ويكون من جراء هذا الخســـران المبين إذا ما نفقـــت رضيعاتها [١] . ولم يكـــن موضوع العنايـــة بقطعـــان الماعـــز والنصـــح للرعـــاة بالرفق بها وهم يهشـــون عليها بعصيانهم الطويلـــة ، يفت علـــى " زينـــون " وهو الرجل الحصيف والمســتثمر الـــواعى كمـــا جـــاء فـــى الوثيقـــة البرديـــة فى المجموعة الإيطـــالية (P.S.I. 341) "بالمعطاء العـــادل" χρήστος και δικαῖος فى سطر ٤ .

(1) ἀνασοβέω = to scare off ; disturb — يُخوف ويُروّع أو يُرعب

τίκτειν = beget , breed .

διαπίπτω = fall through , to be lost .

العرب والمستعربون وولعهم الشديد برعى الماشية والأغنام واضطلاعهم بأعمال الحراسة والخفارة ἡ φυλακή وذلك من ثنايا أوراق البردى

جاءت المعلومات المستقاة من شتى أوراق البردى ، المنشورة منها وغير المنشورة ، عن العرب وجميع من كانوا يلوذون بهم ، متناثرة فى مجموعات شتى من أوراق البردى . وزاد من هذه الصعوبة أن البعض من هؤلاء كان يتسمى بأسماء يونانية صميمة فى مصر فى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد .. وقد أثبتت الشواهد على أن هؤلاء الأعراب جميعا قد شغفوا بتربية الماعز ورعى الأغنام والماشية وأنهم آثروا الاحتراف برعيها وبرعوا فى هذا المضمار ؛ كما أنهم حرصوا كذلك على جز الشعر من الماعز وقطف أو نتف الصوف من الخراف . وقد جاءت شذرات من هذه المعلومات إما لماماً أو متفرقة فى ثنايا بعض الخطابات المتبادلة بين الناس على اختلاف شاكلتهم أو فى عقود مبرمة بينهم وبين أصحاب هذه القطعان أو فى شكايات وملتمسات وأوامر وقوائم بها كشوف شاملة على حسابات وتصرفات كثيرة ، جمعت بين المصروفات والإيرادات . وجاء بيان هذا كله عن الأوضاع الراهنة بالنسبة لقطعان هائلة تعد بالمئات بل بالآلاف من المواشى والأغنام والماعز والخنازير . ولاتزال حتى الآن حصيلة هذا الفيض من المعلومات فى حاجة ملحة وعاجلة إلى جهود نفر من العلماء المهتمين بأخبار العرب فى هذه الحقبة ، كيما يقوموا بترجمة هذه النصوص من اليونانية إلى العربية ثم تصنيفها وتبويبها ومراجعة ما ترجم بالفعل منها إلى الإنجليزية أو الفرنسية والألمانية أو العربية ثم تصفح بعضها وتصويب

المبتور منها وما لم يتم ترجمته بعد . وهذا كله جهد مضنى حقاً وعسير جدًا ويتطلب شيئا كثيراً من العناء والأناة والصبر ، وبخاصة من أولئك الذين لا يحسنون معرفة اللغة اليونانية واللهجة العامة أو الكوينى (koinē) السائدة فى العصر الهللينستى ولا يتقنونها ولا يعرفون الأسلوب المرعى فى تدبيج صياغة العقود المبرمة وتفسير الأرقام والرموز والمصطلحات وتأويل التواريخ والأرقام التى وردت بها وهى كثيرة ومعقدة للغاية .

وبادئ ذى بدء ينبغى علينا العمل على حصر هذه المادة العلمية المتناثرة والمتعلقة برعى الماشية ، أياً كان نوعها وكنيتها سواء أكانت من الماعز والخراف والجديان والتيوس والأبقار والإبل والخيل والخنازير . وقد جاءت الإشارات إلى كل ذلك عرضاً ومتناثرة فى المكاتبات الآتية :-

قوائم الحسابات (τὰ . ὑπομνήματα) والمذكرات (οἱ . λόγοι) والعقود (μισθώσεις) والايجارات (αἱ . συγγραφαι) والخطابات والرسائل (ἐπιστόλαι) والتوصيات . وجل هذه المكاتبات كانت تجرى بين نفر من اليونانيين وبين قلة من المصريين والأعراب الذين كانوا يعملون فى هذا المجال . واليونانيون على مختلف شاكلتهم كانوا يمثلون الغالبية العظمى فى هذا المجال ، وهم أصحاب الشأن وملاك هذه القطعان وكان البعض منهم يؤثرون أن يلقبوا أنفسهم بأنهم أعراب (Ἄραβες) ، وذلك على الرغم من أنهم كانوا يتسمون فى الوقت نفسه بأسماء يونانية صميمة . ولعل السر فى هذا الخلط أنهم كانوا يرغبون أن يكون ذلك بمثابة التيسير عليهم فى التعامل مع أولى الأمر من اليونانيين ومع الأعيان من ذوى الشأن وأصحاب النفوذ ممن وفدوا على مصر من شتى البقاع فى الحوض الشرقى من بحر "إيجة" ومن آسيا الصغرى ومن ولاية " كاريا " بالذات ومن ميليطة بآسيا

الصغرى ومن جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية وجزر بحر الأرخبيل ومن عمّان وبلاد ما وراء الأردن (Transjordania) وإيدومايا (Idumaea) . وكان هؤلاء اليونانيون الخلّص مشهورين بقدراتهم على ضبط الحسابات وإمساك الدفاتر والمعرفة الدقيقة بالإحصاء وأساليبه من حيث تحصيل الضرائب المستحقة والايجارات فى حينها وتصفية الحساب والخصم والإضافة . ووسط هذا الفيض من المعلومات ، قد يغوص الإنسان ويتوه وتتتابه الحيرة وبخاصة عندما ترد الإشارات العابرة إلى أصناف تلك الأغنام ومواصفاتها وإلى شتى قطعان الماعز بتشكيلاتها العديدة ، فمن ماعز (αἱ . αἶγες) إلى خراف (οἱ . κριοί) إلى تيوس (τοὺς τραγοῦς) وتيوس صغيرة (οἱ. χιμάροι) وكانت تنطوى هذه كلها تحت كلمة شاملة بمعنى الماشية (τὰ . πρόβατα) وبعض هذه وتلك كانت إما مملوكة للملك أو لغيره من الأفراد والهيئات وسُمّيت الأولى بالملكيّة (πρόβατα βασιλικα) أما الأخرى فكان بعضها تابعاً للمعابد ويطلق عليها (ἱερα) والنوع الآخر كان ملكاً للأفراد (λαϊκα) أو للأهالى (ἰδια) والأنواع الأخرى كانت تلقب بالعربية (Ἀράβια) أو بالمشتراة (τὰ . ἀγορασθέντα) أو بالمؤجرة للغير (τὰ . μεμισθωμένα) ثم جاء النوع الأخير وهو أهمها جميعاً وأعرقها من حيث جودة صوفها الفاخر ويسمى بالمتدثرة أو الميليطية (πρόβατα ὑποδιφθέρα) = (Μιλήσια) ؛ وذلك نسبة إلى بلدة ميليطة وإلى أنها مجلوبة من نهر "المياندر" فى اسيا الصغرى وهذا النوع كان يتدثر بغطاء من الجلد فوق ظهوره لحفظ صوفه من التلبد أو الاتساخ . وكان الملك البطلمى بطلميوس الثانى الملقب بـ "فيلادلفوس" قد عقد العزم على جلب هذا النوع من غرب اسيا الصغرى وعوّل على أقلمته وتوطينه فى

مصر ، وجاراه فى هذا السبيل نفر من عظماء اليونـــانيين وذوى الحظــوة والنفوذ وعلى رأسهم كبير وزرائه المسمى أبوللونيوس (Apollonios) وسار على هذا الدرب وكان من السباقين فى هذا المضمار رجـــل مــن الأعيـــان والقادة اليونانيين ويسمى " تيليستيس (Telestes) إذ كان فى حوزته عدد مــن هذه الخراف المتدثرة قدّر بواحد وسبعين رأساً [1] وكانت الخاصية المميـــزة لهذا النوع أن صوفه كان يجرى نتفه ولا يُجز ثم يجرى تعبئته فى صنـــاديق أعدت لذلك بقصد حفظه من التلف ، بينما كان صوف الخراف الأخرى يُجز ويوضع فى زكائب أو يكدس فى أكياس من الحصـــير . وكـــان اليونـــانيون يستخدمون هذا الصوف الجيد والمنتوف من تلك الخراف المتدثـــرة ، فـــى صنع ملابسهم وأرديتهم وقمصانهم وعباءاتهم ويؤثرون ذلك على غيره مـــن الأصواف المجزوزة من الأغنام العربية أو الحبشية أو المجلوبة من ولايـــة "يوبيـــة " ببلاد اليونـــان . وهنـــاك نـــوع آخـــر من الأغنـــام المهجنـــة ويسمى (*πρόβατα νόθα*) وكان صوفها مخلطاً وردئ النوع . ولعله كـــان يستخدم فـــى أعمـــال التنجيـــد وحشـــو المراتـــب والوســـائد والخديـــدات (*τὰ στρωμάτα καὶ τὰ , προσκεφαλεῖα*). وفى الوثائق البردية الخاصة بعقود إيجار هذه القطعان ، كانت تـــرد التفـــاصيل المســـهبة عـــن خالـــها وأوضاعها والنوعيات التى تنتمى إليها وحال كل منها ، فيذكر علـــى ســـبيل المثال هل هى من فصيلة الذكور أم الاناث وهل هى مُحملة بفروة كاملة مـــن الصوف أى هى وافية (*τελεῖα*) أو منقوصة وهل هى عُشَر أو علىَ أهبـــة الوضع والولادة إلى غير ذلك من التفاصيل الدقيقة فيما يتعلق بما يكون قـــد نفق منها وما كان منها فى دور الفطام . وبين حين وآخر كانت ترد تفـــاصيل

---

(1) T. Skeat , Papyri London , vol. VII No. 2016 , note on line 7 by the publisher , T. Skeat . (1974) .

أخرى عن طبيعة الأماكن التى يجرى فيها رعى هذه القطعان وكيف ترتـــاد ربوعها على أطراف وحواف القرى والبلدان وفى الفيـــافى القســيحة فـــى الصحارى المتاخمة لإقليم الفيوم بالذات وإقليم ممفيس . وكـــان يقـــود هـــذه القطعان نفرٌ من الرعاة الشجعان من الأعراب الذين كانت لديهم معرفة حقـــة بطبيعة هذه الحيوانات وأين توجد الأماكن التى يتوافر فيها الكــــلأ الصــــالح والمرعى الغنى بأعشابه وحشائشه ، وأعقاب سنابل القمح ، والشــــعير بعـــد الحصاد ، وهكذا كان لهؤلاء الأعراب باع طويل فى هذا المجـــال والقـــدرة الفائقة على مكابدة الصبر وشظف العيش وركـــوب متـــن الشـــطط وتكبـــد الصعاب ووعثاء الطريق والسير لمســـافات طويلـــة وراء هـــذه القطعـــان بأعدادها الهائلة وهم يهشون بعصيانهم الطويلة على هذه الأغنـــام والمـــاعز وينتقلون بها من مرعى لآخر ومن قرية لأخرى دون كلـــل ولا ملـــل وهـــم على أتم الاستعداد لتحمل تقلب الأجواء من حر وقيظ وبرد شديد وزمـــهرير. وكان هؤلاء الرعاة ، سواء من كان منهم يتسمى بأسماء عربية أو مصريـــة أو يونانية ، حريصين كل الحرص على أن يوافوا "زينون" (Zenon) وهـــو أحد أصحاب هذه القطعان ، بشتى المعلومات الدقيقة والمفصّلة عن المصـــير الذى آل إليه حال قطعانهم الموكولة إليهم أو المؤجرة لـــهم بعقـــود مبرمـــة ومصاغة بمنتهى الدقة وبها جميع الاشتراطات اللازمة ؛ فكانوا يذكرون لـــه بين حين وآخر ما نفق منها وما بقى على قيد الحياة ثم يشفعون ذلـــك كلـــه بذكر بيان عن المصروفات النثرية التى تكبدوها من أجـــل توفـــير العلـــف والكلأ والحصول على العليقة اللازمة لهذه المواشى من شعير وخلافه . وقـــد يذكرون بين حين وآخر مصير جلود المواشى التى ذبحت أو نفقـــت ، إلـــى غير ذلك من التهميشات والتذييلات المستفيضة بتواريخها وأرقام أعدادهـــا .

وجَلّ هذه المعلومات لها طرافتها وجديتها .

. ومما لا ريب فيه أن الحرفة الأصلية والمحببة للغاية إلى قلوب أولئـك الأعراب جميعاً هى رعى الأغنام واستئجار قطعان منــها (ἡ , μίσθωσις) وذلك بشروط ميسرة ، مع الحرص الشديد على رعاية قطعان هائلـــة مــن الماعز والأغنام والماشية لمدد محددة ، قد تمتد إلى سنتين أو أكثر وبشــروط معلومة ومفصلة بمنتهى الدقة لضمان حفظ حق أصحـــاب هــذه القطعــان والتأكد من صيانتها . ويتضح هذا كله من ثنايا عقد بردى مشهور ومُـــدوّن من صورتين وتم نشره عدة مرات فى موســوعات برديـة منــها أرشـيف "زينون" تحت رقم (٥٩٣٤٠) من كتالوج المتحف المصرى [1] وكــان عــدد هذا القطيع من الماعز ١٤٤ رأساً وإيجاره السنوى ٢١٦ جدياً وهو مملــوك لزينون وقد أناب عنه فى تأجيره للغير شــخصاً يونانيــاً يســمى "ياســون" (Jason) وكان يمثل الساعد الأيمن لزينون الذى كلفه بإبرام هذا العقد نيابـــة عنه وصياغة الشروط فى عقــد الإيجــار هــذا أى أنــه يقــوم بالتــأجير (ἐμίσθωσεν) مع أخوين شاءا أن يلقبا نفسيهما بأنهما أعرابيان مع أنــــهما فى واقع الأمر كانا ينتميان إلى اليونان لحماً ودماً وتسميا باســمين يونــانيين وهما ديمتريوس (Demetrius) وليمنايوس (Limnaios) . وجاء تاريخ هـــذا العقد فى يوليو — أغسطس من عـــام ٢٤٧ ق.م. وصـــادف أن يكــون هــذا التاريخ عقب اعتزال "زينون" من عمله الرسمى كمدير (epistates) لضيعـــة كبرى لأبوللونيوس وزير مالية البلاد علـــى عــهد بطلميــوس فيلادلفــوس ومركزها القرية المشهورة باسم فيلادلفيا بشمال اقليــم الفيــوم . وقــد آثــر

---

(1) Papyri Cairo Zenon No. 59340 = P. Edgar No. 53 , Sammelbuch No 6759 ; Rostovtzeff . A Large Estate pp. 179 – 180 : Hellenistic World 1941 , pp. 290 – 294 .

"زينون" البقاء فى العيش فى هذه البلدة ومباشرة أوجه نشاطاته المختلفة وهو فى كنفها بوصفه فرداً عادياً وشاء أن يصف نفسه إذ ذاك بأنه من الغرباء (παρεπίδημος) وأنه المتخلى عن منصبه بمحض إرادته (ἀποσταθεὶς) حينما جاء فى شكوى مرفوعة من "زينون" إلى الملك بطلميوس الثالث الملقب "فاعل الخير" (Euergetes) [1] فى صدر حكمه .

وقد وردت فى صدر هذا العقد ديباجة عن تاريخه وأسماء المتعاقدين وكنياتهم كما ورد به ضامنان اثنان (οἱ . ἔγγυοι) وشهد عليه ستة من الشهود (οἱ . μαρτύροι) حسب القاعدة المتبعة فى صياغة مثل هذه العقود وغيرها من عقود الزواج ونص فيه صراحة على أن "ياسون" هذا (Jason) الموصوف بأنه ابن "كركيون" وأنه ينتمى إلى بلدة "كاليندا" (Kalynda) فهو إذا كاليندى (Καλυνδεύς) جاء من ولاية كاريا (Caria) بآسيا الصغرى وقد أجّر (ἐμίσθωσαν) بوصفه وكيلاً عن "زينون" (Zenon) إلى هذين الشخصين الأعرابيين - اليونانيين ، قطعياً من إناث الماعز (αἱ . αἶγες) عددها ١٤٤ رأساً وُصفت بأنها وافية وكاملة النمو أو ممتلئة (τέλειαι) ونص على أن الإيجار لمدة عامين أو حولين وأن الإيجار (ὁ . φορος) ينبغى أن يتم سداده عيناً بمقدار جدى ونصف (ὁ . ἔριφος) عُمر كل واحد منها ستة أشهر أو نصف حول وبذلك يكون الإيجار السنوى الكلى ٢١٦ جدياً والتزم المتعاقدان الوفاء بالإيجار العينى المذكور كل ستة أشهر فإذا لم يوفيا بالمطلوب أو عجزا عن السداد لأى سبب من الأسباب تقل عن القدر المتفق عليه ، فعندئذ ينبغى عليهما حتماً أن يدفعا فى التو

---

(1) Papri Cairo Zenon vol. V, No. 59832 line 4. ἀποσταθεὶς from the verb ἀφίστημι = to put away, to remove = أى يتنحى

والحال على سبيل التعويض (ἐπὶ προστίμου) والعقوبة عن كل رأس من هذه الجديان ، ثمناً قدره عشرة دراخمات وهذا يُعتبر فى حد ذاته ثمناً باهظاً ومبالغاً فيه . وعند انتهاء مدة العقد وهى سنتان ، كان يتعين على المتعاقدين القيام برد قطيع الماعز كاملاً وغير منقوص كما تسلماه وأنّى لهما بذلك وقد توالت عليهما ظروف الحدثان المختلفة ؟ ؟ وفضلاً عن ذلك كان ينبغى عليهما أن يدفعا مبلغاً من المال عن أى نقص . وهناك من الجانب الآخر شرط جزائى التزم به المتعاقدان كما التزم به المؤجر ويتضمن هذا أنه إذا تراءى لياسون أن يسترد هذا القطيع من الماعز قبل انتهاء مدة العقد المقررة وهى سنتان ، فإنه فى هذه الحالة كان يتحتم عليه أن يدفع غرامة قدرها مائة دراخمة فضية . وهناك شرط جزائى آخر يخوّل لياسون حق التنفيذ الفورى المباشر (ἡ πρᾶξις ἔστω etc..) على أشخاص المدينين والمخالفين فيحبسهم ويصادر ما لديهم من أملاك ومقتنيات (τὰ ὑπάρχοντα) وفى خاتمة هذا العقد جاءت أسماء الشهود الستة وكنيتهم وانتماءاتهم ، وقد أثير جدل شديد بين نفر من أئمة علماء البردى حول تلك القسوة التى اتسمت بها شروط هذا العقد فقالت عنه العالمة البجيكية الراحلة المسماة "كلير بريو" (Claire Préaux) إن فى هذه الشروط الشىء الكثير من العسف والقسوة ووصل هذا إلى حد الابتزاز وجاء وصفها بأنها من قبيل العنت الشديد (extortionate) وبخاصة إذا ما قورنت بالشروط المماثلة الواردة فى عقود تربية الخنازير [1] أما العالم البريطانى ت . اسكيت (T. Skeat) فقد نوّه عن مثل هذا المعنى فى مؤلف حديث له عن مجموعة

(1) Claire Préaux , Chronique d'Egypte , 11 , 1936 , pp. 558 – 9 .

البردى المحفوظة فى المتحف البريطانى والخاصة بأرشـيف "زينـون" (١) ، وذلك بصدد تعليق لهذا المؤلف على وثيقة بردية رقمـها ٢٠١١ فـى هـذه المجموعة اللندنية ، فقال إن البعض من رعاة الماعز كـانوا متـبرمين وأن شعور التبرم هذا ترامى إلى سـمع شـخص يونـانى يُدعـى "باتـايكيون" (Pataekion) وقد علم على سبيل اليقين أن البعض منهم عمدوا بالفعل إلـى الفرار والاعتصام بالمعبد وهو الاجراء المعروف بكلمـة (ἀναχώρησις) بينما البعض الأخر كان قد عقد العزم على الاقتداء بزملائهم والقيام بـالمثل اسـوة بما عمـل أقـرانهم وقد جاء هذا التحذير على لسان " باتـايكيون " الذى أبلغ "زينون" بهذه الواقعة كيما يتدبر الأمر ويقضى فى شأنه بما يـراه فى حينه وقيل إن هذا الذى جرى كان بسبب ذلك الشـطط والمبالغـة فـى فرض بعض الشروط القاسية التى قصمت ظهور هؤلاء الرعـاة . ولربمـا كان هذا السلوك ناجما عن التأخير فى دفع الرواتب المستحقة لهؤلاء الرعـاة المتذمرين والساخطين . على أن هذا التهديد بالهرب والرحيل إلـى أمـاكن عالية والاعتصام بها وهى المتمتعة بحق الإيواء واللجوء أو الرحيـل إلـى بقاع نائية فى المستنقعات فى شمال الدلتا ، كان يعتبر دائمـا مـن الأمـور الماثلة فى الأذهان والتهديد بها من قِبَل الأعراب واليونانيين العـاملين فـى مجال المرعى والمشتغلين بهذه الحرفة الشاقة وكان فـى حوزتـهم قطعـان هائلة من الماعز والأغنام وذلك على اعتبار أن مثل هذا التصرف كان هـو الوسيلة المتعارف عليها ، ويعتبر إعلاناً من جانبهم عما كان يساور البعـض منهم من بُغض وسخط وتبرم من جراء تلك الشروط الباهظة وما تضمنتـه من تكاليف وأعباء كانت ترد صراحة فى صلب هذه العقود وكـانت تكبـل

(1) Greek Papyri in the British Museum = P. London VII , 1974 No. 2011 , edited by T. Skeat .

أيديهم وتجعلها مغلولة إلى أعناقهم وتعرضهم على الدوام إلى المساءلة عما قد يكون قد نفق أو ضاع أو سُرق أو سُلب أو بيع من غير وجه حق أو ذبح من قطيع من الماعز بوصفه أمانة موكولة إليهم وذلك في أثناء سعيهم وتنقلهم في هذه القفار الشاسعة ، بحثاً وراء الكلأ في الحقول المترامية الأطراف التي كانوا يرتادونها . وقد يحدث أن يشرد البعض من هذه القطعان بطريقة عرضية أو يتخلف البعض أو يضل الطريق أو يخيب فأل الراعي في الحصول على الكلأ اللازم ، فينجم عن ذلك أن ينفق منه البعض أو ينازعه آخرون في أحقيته في أن ترعى غنمه وماعزه في حقل من الحقول على أعقاب السنابل (*πυριστμι*) بعد حصاد القمح وبذلك كان يُحال بينه وبين ارتياد تلك الحقول بحثاً عن المرعى المختار ، وفي كثير من الأحيان كان بعض هؤلاء الرعاة من الأعراب يضيقون ذرعاً بتلك الغرامات الباهظة المفروضة عليهم في صلب العقود في شيء من التعنت والإصرار على التعويض عما قد يكون قد ضاع أو تلف أو نفق أو لم يورد في حينه . وكانت هذه الغرامات يجري تحصيلها فوراً وبلا رحمة ولا هوادة. وتُطالعنا هذه الشروط التعسفية المبرمة في صُلب تلك العقود وهي متضمنة الحرص الشديد على ضرورة تنفيذ تلك الشروط بحذافيرها ، وذلك على الرغم مما كان يشوبها من مظاهر العنف والحيف والجبروت .

وهكذا لم يكن هناك من حيلة لدى هؤلاء الأعراب إزاء كل ذلك ، إلا الالتزام التام بتنفيذ شروط العقود علي علاتها وأنوفهم صاغرة . وكان الخيار الوحيد أمامهم هو أن ينكثوا على أعقابهم ويتخلوا عن العمل ويلجئوا في أخر المطاف إلى الهرب والتواري عن الأبصار والهرب في الفيافي والقفار أو يهيمون على وجوههم في المستنقعات الواقعة في شمال الدلتا .

وكان هناك دائما خيار واحد أمامهم وهو اللجوء والاحتماء فى أحــد المعــابد القريبة أو البعيدة سواء ما كان منها يحظى بحق اللجوء والايـــواء للاثنيــن وهو حــق مشهور كان يكنى لهَ بالعبارة الآتية (heira asyla) . وفى الكثـير الغالب ما كان يترامى إلى سمع أصحاب هذه القطعان مــن المــاعز ، مــن الاخبار المتناثرة عن فقد بضع أغنام أو ماعز لسبب أو لآخر وأن البعـــض منها قد نفق بالفعل (αἱ . τεθνηκότες) . وقد يكون السبب فى هذا المصـير الأليم القضاءُ والقدر وليس نتيجة لأى إهمال أو تقصير من جـــانب أولئـك الرعاة الأعراب . لكن صاحب القطيع كان يعتبر نفسه غير مســئول عمــا كان يحدث وأنه لا شأن له بما كان يجرى من ظروف الحدثان وهــو دائمــاً كان يصر على تنفيذ شروط العقد ، متجاهلاً الأسباب الطارئـــة وأيــاً مــن الذرائع التى يمكن أن تبرر ما حدث ؛ فصاحب القطيع يعتـــبر نفســه أحــد رجال الأعمال (homo oeconomicus) ولا شأن له بما يجرى من مُعوقات ، علماً بأنه إنما جاء إلى مصر كيما يستثمر أمواله ويستغل المــوارد المتاحــة والظروف الملائمة وكان دائما يريد الغُنْم دون تحمل أى غُرم ، فيالـــها مــن قسمة ضيظى بالنسبة للأعراب وقسوة جائرة من جانب أصحاب القطعـــان ، وهكذا أراد هذا المستثمر اليونانى ألا يتحمل بحال من الأحــوال شــيئاً مــن الغُرْم . وعلى هذا النحو يكون هذا العقد قد صوّر لنا وضعاً من المعـــاملات فيه شىء كثير من الغلظة والتعنت بل والقتامة بالنسبة لطائفة الرعـــاة وهــم أولئك المتعاقدون الذين يمثلون الجانب الأضعف وكان ينبغى عليهم الالـــتزام بتنفيذ تلك الشروط القاسية كما وردت فى صلب العقد بلا هوادة ولا رحمــة ، خاصة وأن المستثمر وصاحب القطيع كان قد أعد العدة لكل حالة على حــدة ولبس لها لبوسها واتخذ من الاجراءات ما يكفل له كل الضمانات لمواجهـــة

ما قد يعرض من ظروف وملابسات قد لا تكون فى الحسبان . تلك كانت بعض الجوانب التى شابت هذا العقد بالذات وكشفت عن تلك الصورة القاتمة التى كان يتعرض لها نفر من الرعاة الأعراب القح أو حتى بعض اليونانيين المستعربين الذين كانوا قد ألفوا الحياة الراعوية ومباشرة هذه الحرفة المضنية وعوّلوا بالذات على تحمل الجهد الجثمانى الشاق فى ارتياد المناطق الفسيحة والشاسعة ، سواء أكانت منبطحة أو متعرجة أو جبلية أو قحله وسط البرارى والقفار الوعرة ، سعياً وراء الكلأ اللازم لإطعام قطعانهم . وقد لا يجد الواحد منهم أى مأوى أو مسكن ثابت ، يستظل به من وهج الشمس ؛ وفضلاً عن ذلك قد يتعرض الواحد منهم للإصابة ببعض الأمراض المتوطنة والأوبئة التى تجتاح مثل هذه القفار النائية وتتفشى فيها. وهكذا كان عليه أن يواجه الظروف الطبيعية والمناخية من برد قارص ومن طلّ وجوع وعطش إذا ما نفد الطعام والزاد أو قلّ العلف من شعير وعليق من الحشائش (ὁ . χόρτος) ودريس (τά , ἄχυρα) وأحزمة من التبن (τά . δεσμάτα) . على أن صاحب القطيع كان دائماً يغض الطرف عما قد يقع من بعض الملابسات التى لا قِبَل لأحد بها ولكنه كان مُصراً على وجوب تنفيذ جميع شروط العقد المبرم بحذافيرها وهو آمن مطمئن بالنسبة لوجود ضامنين من المليئين وذوى اليسار (οἱ . ἔγγυοι εὔποροι) وفضلاً عن ذلك فإن وجود شرط جزائى ، يخوّل لصاحب القطيع حق التنفيذ الحال المباشر[1] (πρωτοπραξία) على بَدَن المدين أو العاجز عن التنفيذ فيحق له أن يستعبده وأن يصادر ما قد يكون لديه من أملاك أو عقارات وكل هذا كان يعتبر سيفاً مسلطاً فوق رقبة العاجز عن التنفيذ ، فيالها من عملية

---

(1) πρωτοπραξία , ἡ . - right of first payment , preferentialy .

تجارية واستثمارية شائنة ومشوبة بروح ملؤها الجشع والاستغلال وفيها شيء كثير من الاجحاف ، وعدم التكافؤ إذ أن صاحب القطيع كانت له اليد الطولى بينما الأعراب ومَن على شاكلتهم كانت أيديهم مكبلة بالأغلال وعدد من القيود والاشتراطات الباهظة والتكاليف المرهقة وفى أحيان كثيرة كانت تتمخض عن عملية مأساوية . ولكن الأعراب قابلوا كل هذا بقبول حسن وتحملوا المشاق بالصبر والجلد ، لأنهم أحبوا تلك الحياة الراعوية التى صادفت هوى فى نفوسهم وكفلت لهم حرية الحركة والتنقل بصفة دائمة فى بقاع الأرض حيث كان يطيب لهم المقام بالليل والنهار وفى العراء .

وليس من قبيل الاستطراد أو نافلة القول أن كنا قد عرضنا بشيء من التفصيل والاسهاب لذلك العقد بالذات وقد تواترت الاشارات إليه من قبل وكثر التعليق على بنوده وهو من صورتين وقام بنشره لأول مرة (editio princeps) عالم اسكتلندى اسمه "إدجار" (C.C. Edgar) فى حوليات مصلحة الآثار المصرية ، العدد رقم (٢٠) لسنة (١٩٢٠) تحت رقم ٥٣ ص ٢٨ - ٣٢ ثم عاود نشره للمرة الثانية فى كتالوج المتحف المصرى تحت رقم ٥٩٣٤٠ من أرشيف "زينون" ، وجاءت بنوده وافية تماماً ومطابقة لما استقر عليه العُرف فى العقود المماثلة فى كل من عقود الزواج وعقود الدين (δάνεια) ويرجع تاريخه إلى عام ٢٤٧ ق.م . وهو العام قبل الأخير من حكم الملك البطلمى الثانى الملقب بطلميوس فيلادلفوس ويمثل الثامن بعد الثلاثين من حكمه فى شهرى يوليه - أغسطس . وفى ذلك الوقت بالذات كان زينون قد تخلى عن عمله بوصفه مديراً لضيعة كبرى فى فيلادلفيا كانت مسبغة كمنحة من الملك لكبير وزرائه المسمى "أبوللونيوس" (Apollonios) وقد أصبح "زينون" إذ ذاك يلقب نفسه بالمستوطن الغريب

à son gré خـــاطر والمنتحى من تلقاء نفسه وعن طيب (παρεπίδημος) لمنصبه ، فهو إذا كان يصف نفسه هكذا (ἀποσταθεὶς) وأصبح مجـــردا من السلطان ولا حول له ولا قوة ولكنه استمر متقوقعا فى فيلادلفيا بـــالفيوم ، وهو يباشر فيها نشاطه الجم ويُقرض المـــال ويربـــى الخنـــازير ويؤســـس الحمامات العامة ويؤجرها للغير ويشترك مـــع أخيـــه الأصغـــر المســـمى "إيفارموستوس" (Epharmostos) فى زراعـــة الكـــروم (viticulture) وفـــى تحصيل ضريبة السدس (apomoira) وبذلك كان جم النشاط ومتعدد المواهب ودقيقا للغاية فى معاملاته (meticulous) ولا يكل ولا يفل وبذلك كان مثـــلا رائعا على اليونانى الوافد على مصر والراغب فى استثمار مواهبه والإفـــادة من موارد البلاد إلى أقصى حد . وفـــى مجـــال الزراعـــة (ἡ . γεωργία) ورعى الماشية والماعز بالذات كان لزينون باع طويل ، جال فيـــه وصـــال وأتيحت له فرص عديدة كيما يستأجر رقعا فسيحة من الأراضى العســـكرية التى كان يُطلق عليها الاسم الآتى (ἡ . γῆ κληρουχική) وكانت هذه تقـــدم للضباط الذين أنهوا مدة الخدمة العسكرية فكان "زينون" يقـــوم باســـتئجارها منهم ثم يؤجرها بدوره من الباطن إلى نفر مـــن المزارعيـــن المصرييـــن ، (οἱ . γεωργοί) كيما يفلحوها . وكان نصيب "زينون" من المحصول النـــاتج من هذه الأراضى يمثل الثلث ويحصل الحائزون لهذه الأراضى على الثلثيـــن الباقيين ، عينا أو نقدا حسبما يتراءى لهؤلاء الضباط السابقين الذيـــن آثـــروا حياة هادئة ومريحة واعتبروا من الغـــائبين (absentees) أو (en absentia). وقـــد عرض لذلك النص الفـــريد الخاص بتأجيـــر قطيـــع مـــن الماعـــز رقم (٥٩٣٤٠) العـــالم الروسى المتـــأمرك وهو ميخائيـــــل رســـتوفتزف (M. Rostovtzeff) فى كتابه المعنون " ضيعة كبرى فى مصر " (A Large

Estate in Egypt) الصادر سنة ١٩٢٢ ص ١٧٩ - ١٨٠ وتناوله بشيء من التفصيل ثم وردت إشارة عابرة إليه فى كتابه الموسوع (The Hellenistic World) الجزء الأول الصادر سنة ١٩٤١ وقد أعيد نشر هذا النص فى موسوعة مشهورة تسمى (Sammelbuch) تحت رقم (٦٧٥٩) وجاء هذا العقد شاملاً لعدة بنود صيغت بمنتهى الدقة والموضوعية وكان إبرامه فى بلدة فيلادلفيا الواقعة بالإقليم الارسينويتى أى فى الفيوم وجاء فى استهلاله نص تلك الديباجة المألوفة والمعروفة بالبروتوكول والتى تحمل اسم كاهن الإلهين الأخوين (*οἱ θεοὶ ἀδελφοί*) واسم حاملة القرابين للإلهة الأخت والزوجة السابقة وهى أرسينوى الثانية (المتوفاة سنة ٢٧٠ ق.م) وكان ذلك فى شهر أرتيموسيوس (Artemisius) المقابل لشهر بؤونة فى التقويم المصرى وجاء فيما يلى ذكر أسماء كل من الطرفين المتعاقدين وأولهما "ياسون" (Jason) الذى عُرف بأنه كان يمثل الساعد الأيمن لزينون وينوب عنه فى مثل هذه العقود وفى شتى المجالات الأخرى وهو هنا جاء موصوفاً بأنه من أهل كاليندا وابن كيركيون (Kerkion) وهو مُكلف بأن يقوم نيابة عن "زينون" بدور المؤجر فأجر (*ἐμίσθωσεν*) هذا القطيع أما المستأجران فهما كما سبق أن قلنا :. ديمتريوس وأخوه ليمنايوس وأبوهما يسمى أبوللونيوس وكنيتهما أنهما من أهل مدينة أسبندس بآسيا الصغرى وقد تم التعاقد معهما على تأجير هذا القطيع البالغ (١٤٤) من رءوس الماعز لمدة عامين كاملين ، على أن يقوما بسداد الإيجار العينى كل عام وقدره ٢١٦ جديا وليس ٢١٢ كما قال رستوفتزف فى كتابه (Large Estate) ص (١٨٠) على أن يكون السداد على قسطين أو مقطوعتين ، كل واحدة منها ١٠٨ كل نصف سنة وكل مقطوعية كُنيت بالكلمة الآتية (*ἐπιβάλλον*) على أن يكون

عُمر كل جدى من هذه المقطوعية ستة أشهر أى فاته سن الرضاعة وأصبح صالحاً للتداول. أما إذا حدث عجز ما فى سداد هذا القسط النصف سنوى وثبت عدم الوفاء به بحالة من الأحوال ، فينبغى توقيع الغرامة على المتعاقدين ، على أن يتم تنفيذ ذلك فورا ودون إمهال . وفضلاً عن ذلك فإنه يحق للمؤجر وهو " ياسون " أن يسترد قطيعه كله وأن يقوم بتأجيره للغير . أما إذا قام المتعاقدان بالوفاء بجميع المطلوب ، فإنه يتعين على " ياسون " أن يترك المتعاقدين وشأنهما ولا يتعرض لهما طوال مدة العقد وهى حولان كاملان ولا ضير عليهما فى ذلك مع الاحتفاظ بالقطيع كله وكذلك بالناتج الفائض منه وهو حق مكفول لهما وباقى لحسابهما الخاص . وعند انتهاء المهلة المنوه عنها وهى سنتان ، يتعين على المتعاقدين رد ذلك القطيع بحالة جيدة مثلما تسلماه أى أن تكون الماعز مليئة وغير هزيلة (αἱ . αἶγες τελεῖαι) وإلا اقتضى الأمر دفع غرامة مالية قدرها عشرة دراخمات عن كل معزة مفقودة أو لم ترد . والضامنان المسئولان عن تنفيذ هذا العقد هما أبوللونيوس بن ديمتريوس الموصوف بأنه الراعى العربى (ὁ . ποίμην Ἄραψ) والضامن الثانى اسمه هرمياس Ἑρμίας وهكذا أصبح لهذا العقد حجيته بعد أن أصبح نافذ المفعول حيثما يبرزه صاحبه وكما يتراءى له ذلك فى أى مكان وهاهو نص العبارة التقليدية والقاضية بذلك ἡδὲ συγγραφὴ ἡ δὲ κυρία ἔστω οὗ ἂν ἐπιφέρηται وهذه عبارة وردت بنصها فى أقدم عقد زواج منشور فى بردى مجموعة القانتين رقم (١) وكان قد نشرها عالم ألمانى يسمى روبنسون (Rubensohn) وينبغى علينا أن نقارن هذه العبارة بمثيلاتها مما كانت ترد عادة فى عقود الدين وعقود الإيجارات بنصها هذا .

ويقى أن نعرض لأسماء الشهود الستة على العقد الذى نحن بصـــدده فيما يختص بإيجار الماعز وقد بقـــى منـــهم اثنـــان همـــا نيـــون (Newn) الموصوف بأنه كورينثى الأصل وكنى بأنه من أصحـــاب المائـــة أرورات (ἑκατονταρούρος) أى من ذوى الحيثية ومن فئة الاقطاعات العسكرية أمـا ثانيهما فاسمه ليسينياس (Lysanias) وهو من أهل مدينة تارنتوم الواقعة فـــى جنوب إيطاليا . ومن الطريف أن جميع هؤلاء الشهود الستة وصفوا بأنـــهم من ذوى اليسار وفـــى حوزتـــهم إقطاعـــات عســكرية مـــن ذات المائـــة (οἱ πάντες ἑκατοντάρουροι) ولهم حيثيتهم ووزنـــهم وثقلـــهم . وجـــاء البعض منـــهم مـــن الشـــرق ومن الغرب . وقـــد وردت أســـماء هـــؤلاء الشهود الستة فى كتاب مشـــهور للعالم الألمانى "فريتز إيبل" (Fritz Uebel) Die Kleruchie . etc. . . (1969) No. 215 p. 96 ، وذلك لمزيد من التعـــرف على كنيات وأوصاف هؤلاء الشهود وقد أصبح هذا العقـــد بـــالذات ســـارى المفعول لسنة ثالثة كما ورد فى مجموعة بردى جامعة " ميتشيجان " بأمريكـا تحت رقم ٦٧ لسنة ٢٤٣ ق.م . وهو وارد فى السجل تحـــت رقـــم ٣١٢٥ وذكر فيه اسم "ديمتريوس" بوصفه أحد المتعاقدين وأنه من أهل أســـبندوس أو إسبندى (Ἀσπένδιος) ونسب إليه أنه من السلالة (τῆς ἐπιγονῆς) وبـــذا حق عليه التنفيذ الحال المباشر فى حالة التقصير فـــى أداء المطلـــوب بـــأن يساق إلى الأسر والاسترقاق [١] (ἀγώγιμος) . أما أخوه "ليمنايوس" فقـــد ورد ذكره فى وثيقة بردية منشورة فى المجموعـــة الإيطاليـــة P.S.I. ,538 وأشيـــر إلى ذلك فى كتـــاب ألمانى للعـــالم "فريـــتز إيبـــل " (Fritz Uebel) Die , Kleruchie . . . p. 97 nn . 3 . 4 .

---

(1) The Status Designation περσῆς . τῆς Επιγονῆς by John Oates Yale Classical Studies 1963 .

وفى هذه الوثيقة بالذات جاء ذكر "ديمتريوس" هذا على أنه كان شاغلاً لمركز قيادى بين قومه من الأعراب فلقب بالعاشور (*δεκαδαρχής*) كناية عن أنه هو المقدم بين طائفة من الأعراب المقيمين فى تخوم بلدة فيلادلفيا[١] ثم جاء اسمه مرة أخرى فى الوثيقة البردية المنشورة فى نفس المجموعة الإيطالية .P.S.I تحت رقم ٣٨٦ بوصفه مكلفاً بتوريد حاصل المجمل من الضريبة الخاصة بالمراعى وتسمى (*ἐννόμιον*) فهو إذا كان يُوفى ما عليه من التزام ضريبى عن قطيع من الغنم والماعز مما كان يسمى بضريبة المرعى .

ولعل أهم فقرة وردت فى هذا النص هى الشرط الجزائى والتنفيذى على أبدان المدينين ومصادرة ما قد توافر لديهم من مقتنيات وأملاك أى (*τὰ ὑπαρχόντα*) كما كان يجرى مثل ذلك على الضامنين الاثنين .

وهاهو النص التقليدى الوارد فى السطرين ١٥ ، ١٦ من عقد " ياسون "

line15 *ἡ πρᾶξις ἔστω Ιασονι καὶ ἄλλωι τῶι πράσσοντι περὶ αὐτοῦ ἔκ τε*

line16 *αὐτῶν καὶ τῶν ἐγγύων καὶ ἐκ τῶν ὑπαρχόντων αὐτοῖς πάντων κατα τὸ διάγραμμα .*

ومؤدى هذا أن الأمر كان يقضى بأن يكون التنفيذ إذاً حقاً مكفولاً لياسون ومن يلوذ به أو أى شخص آخر يقوم مقامه ، على أن يكون التنفيذ أولاً على شخص المدين وبدنه وعلى جميع ما لديه من أملاك ومقتنيات وذلك طبقاً لنص القانون الصادر فى هذا الشأن . وعلى ذلك كانت كفة المؤجر وهو "ياسون " هى الراجحة بفضل تلك الضمانات الكثيرة والشرط

(1) P. S. I. No. 386 .

الجزائى الخاص بحق التنفيذ على بدن المدين وهو سلاح مُشهر فوق رقبة المتعاقدين والضامنين الاثنين سواء بسواء، على أشخاصهم وعلى أملاكهم .

ولعل من الخير أن نسوق هنا بضع أسماء أخرى من المشتغلين برعى الأغنام والماعز وهم ممن كان يطلق عليهم كلمة (οἱ . ποιμένεις) أو مَنْ كان منهم مكلفاً بصفة خاصة برعى الماعز (οἱ, αἰπόλοι) . ومن الغريب أن الغالبية العظمى من هؤلاء جاء وصفهم صراحة أنهم من الأعراب أى (οἱ . ἄραβες) وذلك على الرغم من أن المنطوق اللفظى فى أسمائهم جاء إما يونانياً صميماً أو آرامياً أو مصرياً قحاً . وبالطبع نجم عن هذه التسميات (nomenclature) شىء كثير من اللبس وهذا ما حدا بنا إلى أن نطلق عليها أنها لا تعدو أن تكون إلا أسماء خرافية أو جزافية (ghost names) ، جاءت محيرة فى فهم نسبتها ويضل الإنسان فى التعرف على أصلها وتبعيتها . وهاك بعض الأمثلة الدالة على ذلك .

١- "أرابوس" (Arabos) وهو يونانى بحسب وصفه فى النص .

٢- "أكابوس" (Akabos) وهو آرامى ورد اسمه فى أرشيف "زينون" المنشور فى كتالوج المتحف المصرى تحت رقم ٥٩٥٦٩ سطر ١٧١ ثم جاء ذكره مرة أخرى فى مجموعة بردى كولومبيا عن أرشيف "زينون" ، الجزء الثانى رقم ٧٥ سطر (٥) وقد نشره العالم الأمريكى الراحل "وليام لين وسترمان " (W. Linn Westermann) .

٣- "أبوللونيوس" (Apollonios) وهو اسم يونانى صميم (Theophoric) أى منسوب إلى الإله اليونانى أبوللو ولكنه وصف كذلك بأنه أعرابى (Ἄραψ) وأنه كان منوطاً برعى الأغنام والماشية وجاء ذكره فى البروسوبوجرافيا البطلمية Prosop. Ptol. IV , 12067 على أنه كان ابناً

. لديمتريوس (Demetrius) .

٤- "بيلليس" (Belles) وهو اسم مصرى وكان يعمل خفيراً فى شونة غلال ويحمل اللقب الدال على ذلك وهو (θησαυροφύλαξ) وورد اسمه فى أرشيف "زينون" تحت رقيم (٥٩٢٩٢) سطر (١٥٥) وكذلك فى المصدرين الآتيين ; Pap. Lugduno Batava, xx.index XVI p. 532 –

– Prosop. Ptol. II, No 4944

٥- "بيساس" (Βησᾶς) وهو إسم دال على أنه مصرى وكان مشتغلاً بالعمل فى ضرب الطوب بوصفه طوابا (πλινθουλκός) فى بلدة تسمى "صفت" (Σαφθις) وقد ورد اسمه فى أرشيف " زينون" المنشور فى كتالوج المتحف المصيرى تحت رقم (٥٩٤٥١) سطر ١٤ = Prosop. Ptol. V, 13171 .

٦- "ديمتريوس" (Δημήτριος) وهو اسم يونانى عريق وابن "أبوللونيوس" وشقيق "ليمنايوس" وكلاهما من أهل أسبندوس وقد سبقت الإشارة إليهما. وكان راعى ماعز ووصف بأنه أعرابى وتقلد منصباً مهماً هو العاشور أو القيم المختار وسط طائفة من الأعراب أى أنه (δεκαδάρχος τῶν Ἀράβων) أما أخوه " ليمنايوس" فليس منتمياً إلى طبقة الجند وذلك على حد قول العالم الألمانى فريتز إيبل (Fritz Uebel) فى كتابه عن " الكليروكيا " ص٩٧ .

٧- "دراكون" (Δράκων) وهو اسم على مسمى يونانى عريق وكان سميه وسلفه فى تاريخ اليونان مُشرعا أثينيا مشهوراً عام ٦٢١ ق.م وجاء قرينه موصوفاً هنا صراحة بأنه أعرابى واقترن باسم مصرى صميم .

٨- "نخثيمينيس" (Νεχθεμῖνις) أو "نختمبيس" (Νεχθεμβῆς) وهو

المكلف بالقيام بعمل مشترك بوصفه مصرياً وأعرابياً ثم راعياً للأغنام .

٩- "أسكليبياديس" (Ἀσκληπιαδής) وهو اسم يونانى عريق من حيث الهوية وكان مُكلفاً بالعمل كراعى للغنم وورد اسمه فى مجموعة بردى لندن (P. London VII . 2066 , line 5) .

١٠- "إيدوليس" (Ἐδύλις) وقد ورد اسمه مرة واحدة فى بردى "زينون" بوصفه (hapax legomenon) وهو المنشور فى المتحف المصرى تحت رقم ٥٩٢١٨ سطر ٣٦ وهو ينتمى إلى شمال بلاد العرب وجاء وصفه بأنه كان والداً لشخص مصرى يسمى "بسنسوناوس" – باسوس . Ψενσυναυς - Πασῶς

١١- " هيريوس " (Ἑριεύς) وهو مصرى وصف بأنه كان عاشوراً (δεκάταρχος) وهو ابن سمى له وكان ينتمى إلى بلدة تسمى "هويسيلى" (Ὑψηλή) الواقعة بالإقليم الممفيتى وجاء ذكره فى أرشيف "زينون" المنشور فى كتالوج المتحف المصرى تحت رقم ٥٩١٧٣ سطر (٤) ثم جاء مرة أخرى فى مجموعة بردى "زينون" المنشور فى جامعة كولومبيا بأمريكا تحت رقم ٢٤ سطر (١) وفى المجموعة الإيطالية P.S.I. , 675. 2 .

١٢- "هيريوس" أخر وقد جاء ذكره فى قائمة الأسماء التى دبجها "ويلى كلاريس" (W. Clarysse) تحت رقم ١٤ ووصف بأنه كان أعرابياً وراعياً (Ἀραψ ποιμήν) وجاء اسمه فى أرشيف " زينون " المنشور فى كتالوج المتحف المصرى تحت رقم ٥٩٣٩٤ سطر ٤٥ ثم فى ٥٩٤٣٣ سطر (٢٧) .

١٣- "هرمياس" (Ἑρμίας) وهو اسم يونانى أصيل وجاء ذكره فى قائمة

الأسماء التى دبجها كلاريس (W. Clarysse) تحت رقم (٢) ووصف بأنه كان راعياً للماعز فى أرشيف زينون المنشور فى كتالوج المتحف المصرى ، تحت رقم (٥٩٣٤٠) سطر (١٧) ثم سطر (٣٥) ثم فى وثيقة أخرى من نفس المجموعة تحت رقم ٥٩٤٢٩ سطر (٤) ثم جاء ذكر اسمه فى عدة وثائق أخرى نذكر منها :

Pap. Lugduno Batava XX , 35 , I ;

Pap. London , VII , 2011 , line 8 ;

Pap. Michigan Zenon , 67 , ٢٦ سطر ١٥ وسطر

ثم فى المجموعة الإيطالية P.S.I. 380 أسطر ١ ، ١٨ ورقم ٥٨٩ من نفس المجموعة .

ثم فى مجموعة " ويسكنسن" Pap. Wisc. II , No. 87 , 1 , 153

ورقم ١٥٤ ، ١٨٤ ، ١٩٣ ، ١٩٥ .

١٤- "هيروس" (*Ηρως*) وهذا اسم يونانى موصوف بأنه راعى أعرابى (*Αράψ ποιμήν*) وجاء ذكره فى المرحلتين الآتيتين :

- Prosop . Ptol. IV , 12103 ; - P.S.I. , IV , 588 , 56.

١٥- "أمورتايوس" (*Ἀμορταῖος*) هذا اسم لمصرى كان يعمل فى رعى الماعز والتيوس بوصفه (*Αἰπόλος καὶ τράγους*) وكان يَحصل على مبالغ طائلة لكى يوزعها على الرعاة والأعراب .

١٦- "كليون" (*Κλέων*) وهذا اسم يونانى صميم وورد ذكره فى قائمة الأسماء التى دبجها "كلاريس" فى P. Lug. Batava XXI تحت رقم ٣ وكان يعمل فى رعى الخنازير والغنم والأنعام والماعز ومرجعنا فى ذلك إلى (Prosop. Ptol. IV , 11480) .

١٧- "فويروس" (*Φυῆρος*) هذا اسم مصرى صميم وقد جاء موصوفاً بأنــه كان أعرابيـــاً (*Ἀραψ*) فى وثيــقه بردية منشـــورة فـــى مجلـــة Pap. Lugduno Batava XX تحت رقم (٥٤) سطر (٤) وذلك فى صــدر عهد الملك البطلمى "يورجتيــس" الأول ســنة ٢٤٦ ق.م . وذلــك فــى وقت كانت مقاليد الأمور فى فيلادلفيا موكولة إلى "يوكليـــس" (Eukles) وصفه خليفة "زينون" فى الاشراف على فيلادلفيا وهاهى نبذة مستفيضة عن شخصية "هيروس" الوارد اسمه أعلاه تحت رقم (١٤) فقــد عرفنــا من وثيقة بردية منشورة فى المجموعة الإيطاليــة .P.S.I رقــم (٥٨٨) سطر (٥٦) شيئاً كثيراً عن قائمة بها حساب المصروفات التــى تكبدهــا فى فترة واقعة بين العامين ٢٤٤ - ٢٤٣ ق.م . من حكم الملك البطلمــى بطلميوس الثالث الملقب "يورجيتس" الأول وجاء هذا فى كتاب بعث بــه كاتب الحسابات إلى "هيروس" هذا متضمناً أنه قـــام بســداد مبلــغ ٣٤ دراخمة برونزية ونصف من الضريبة المستحقة على قطيع من المواشى والأغنام وقد وُصف هيرون فى هذا النص بأنه أعرابى وجـــاء النـــص هكذا :-

ἐγράφη Ἥρωι Ἄραβι ἀποδοῦναι ἀπὸ τοῦ

Φόρου τῶν προβάτων χαλκοῦ ⊢ λδς .

وينبغى علينا أن نقارن ذلك النص بما جاء فى وثيقة أخرى من نفـــس المجموعة ورقمها ٣٦٧ سطر (٤) حيث جاء وصف "هـــيرون" هـــذا مـــرة أخرى على أنـــه أعرابـــى وأنـــه كـــان موكـــلاً برعـــى ماشـــية عربيـــة (*προβάτα Ἀράβια*) تمييزاً لها عن غيرها من المتدثرة بغطاء مـــن الجلـــد والمعروفة باسم *τὰ προβάτα ὑποδιφθέρα* .

وهناك قائمة طريفة متضمنة بضع أسماء لرعاة كانوا يعملون فى هـذا الحقل وهى مشفوعة بأهم المراجع وذلك فى موسوعة منشورة فى هولندا :

Pap. Lugduno Batava , XX (1980) index 16 p. 568

وبيان الأسماء جاء هكذا :

Amneus, Apollonides (5), Apollonios (1), Asklepiades (9), Pane [. .] .

وها هى بعض المراجع :

P. Cairo Zenon , 59195 , 6 , 8 ; 59286 , 6 , 59292 , 160 ; 59340 . 17 ; 59432 , 2 ; 59754 , 15 ; 59771 , 19 ; P. London , VII , 2006 , 6 ; 2047 , 2 , P. Michigan Zenon , 56 , 20 ; 87 , 8 ; P. S. I. , 368 , 6 , 9 , 24 ; 380 , 5 ; 618 , 1 .

أما عن رعاة الماعز (αἶγες) وهم فئة من الناس كان يطلق عليـــهم اللقب الآتى (οἱ , αἰπόλοι) فقد ورد ذكر أسماء ثلاثة منـــهم علـــى النحـــو التالى Demetrios (1) Hermias (2) , Limnaios (2) .

وها هى المراجع التى وردت بها هذه الأسماء الثلاثة :

P. Cairo Zenon, 59338 , 3 ; 59429 , 1; P. Lugduno Batava XX, 35 , 1 ; P. London VII . 2011 , 3 : P. S. I. 380 . 8.

أما عن وظيفة العاشور (δεκάδαρχία) فى مجال رعـــى الأغنـــام والماعز والماشية فقد وردت بيّنات عن اسمين يحملان هـــذا اللقـــب وهـــو δεκάδαρχος أو δεκάταρχος وهما : Demetrios (27), Petechon (2)

وذلك فى وثيقة بردية هى P.S.I. 538 , 1

أما اللقب المناظر لذلك والدال على أن صاحبه كان مقدما فى قومه من الأعراب فكان يحمله عدد لا بأس به يقدر بتسعة جاء ذكرهم فى "فهرست" رقم ١٦ ص ٥٣٠ من الموسوعة الهولندية Pap.Lugduno Batava XXI , وها هى أسماؤهم :: Herieus (2) : Hooos (9) . Pachemis . Païs (2) Peloïs (4) : Petesouchos , Pokas (3) ; Senochis ; Teos (17) .

ويبدو أن الغالبية العظمى من هذه الأسماء كانت مصريـــة ، بـــل أن جلها كانت أسماء مصرية صميمة وقد وردت فى المراجع الآتية :

P.Cairo Zenon . 59294 and vol. IV , p. 287 , 5 , 18 :.59745 , 83 ; Pap. Lugduno Batava , XX (1980) , 8 , 4 , 11 ; P. Michigan Zenon 113. 1 ; P. S. I. 675 . 1 . 3 , 4 . 6 ,.8 , 10 .

أعمال ومهام الخفارة (ἡ φυλακεία)

هذه هى الأعمال المحببة إلى الأعراب وبخاصة فى موسم الحصـــاد (ὁ. θερισμός) . وقد كان للعرب دور تقليدى آخر وذلـــك فـــى مجـــالات أخرى عديدة منها الخفارة والحراسة وهم بوصفـــهم (οἱ. φύλακες) كـــانوا يقومون بعمل مشرف كان يتطلب الأمانة والنزاهة والذمة والشـــرف والثقـــة بالنفس وقد انضوى فى هذا المجال نفر من الأعـــراب وهـــم الذيـــن آثـــروا التخلى عن رعى الأغنام وحراســتها (οἱ . ἐπὶ τῶν προβάτων φύλακες) وما كانوا يتكبدونه من المشاق فى هذا العمل المضنى وما كان يتطلبـــه مـــن أسفار مستمرة وسرعة فى التنقل فى القفار والبرارى ثم فضلوا عملاً أكـــثر استقرارا وأمانا فعملوا كفريق من الخفراء والحراس (οἱ. φύλακες) وآثروا أن يقوموا بدور بولیسى أو شرطى فى نطاق قرية فيلادلفيا والقرى المتاخمـــة

لها فى الفيوم مثل هيفايستياس وآمونياس وبوبسطة وفى التخوم الصحراوية المحيطة بكل هذه المدائن والقرى ، ثم اختص البعض منهم بالحراسة فى الحقول الزراعية والشون وأجران الحصاد وكان يطلق على كل فريق منهم الأسماء الدالة على نوعية العمل ونطاقه مثل الخفارة على الشون ويسمى هذا بالاسم الآتى *Θησαυροφύλακια* والخفارة على الدروب والحدود الصحراوية *έρημοφύλακια* والخفارة على أجران الحصاد *άλωνοφύλακια* ثم الخفارة على المحاصيل وهى لاتزال فى الحقول قبل جنيها *γενηματο φύλακια* وجاءت التفاصيل المسهبة عن كل تلك الأعباء والمهام الحيوية فى ثنايا عدد من الوثائق البردية ، منوهة عن ضرورة ربط الرواتب وتوفير الأجور اللازمة وهى شهرية لهؤلاء الخفراء على اختلاف شاكلتهم وتسمى هذه *τά . όψώνια* وكان الراتب الشهرى للواحد منهم يتراوح بين ستة دراخمات أو نحو ذلك وقد تزيد أو تنقص ويضاف إلى ذلك نصيب معلوم يوزع عليهم على سبيل الجراية (*σιτομετρία*) كفريضة (*τάγη*) كانت تُصرف عيناً من غلال أو شعير أو جعة أو نبيذ أو ملبس وخلافه وذلك على سبيل الهبة (*έπὶ τὰ ξενία*) وذلك فى المواسم والأعياد الدينية والملكية كعيد الميلاد الملكى (*γενέθλια*) أو عيد التنصيب (*στέφανοφορία*) أو عيد الإلهة إيزيس (Iseia) أو عيد الأرسينوايا (Arsinoeia) وهى أرسينوى الثانية أخت وزوجة الملك بطلميوس الثانى من عام ٢٧٦ حتى ٢٧٠ ق . م وهو تاريخ وفاتها .

وفى خطاب موجه من "زينون" إلى شخص يونانى يدعى سوستراتوس (Sostratos) جاءت إشارة عابرة إلى ضرورة استخدام أحد الحراس من الأعراب عند القبض على بعض ضرابى الطوب

(οἱ. πλινθουλκοί) ، وغيرهم من عمال البنــاء (οἱ. οἰκοδομοί).وكــل هؤلاء كانــوا يتوارون ويتهــربون ولا يلبــون النداء عند الطلـــب وعلــى ذلك توجــه."زينـــون" بالنصح إلى "سوستراتوس" هذا بـــألا يكشـــف عـــن هويته عندما يهم باجــراء البحث عن أحد من هــؤلاء المتـــهربين والـــزج به قسراً فى العمل المنوط به وأن يتخذ فى صحبته واحـــداً مـــن الحـــراس كمرافق ممن كانوا مـــن الأعـــراب ويعملـــون فـــى خدمـــة الشـــرطة (συμπέμψατε δὲ αὐτῶι καὶ Ἄραβα) . ولابـــد أن ذلـــك الأعرابـــى المشـــار إليه كان واحداً من هؤلاء الأعـــراب الذيـــن جـــاء ذكرهـــم فـــى المصدرين التاليين (59296 , 8 ; P. Hamburg I , No. 105 verso) وقـــد جاءت فى الوثيـــقة الأولى إشارة عابرة إلى نفر من أولئك الأعراب الذيـــن كانوا مكلفين بحراسة الحدود الصحراوية المتاخمة لقرية فيلادلفيا وقيل فـــى هذا النص أن المبـــلغ المطلوب سداده بواسطة "أندرون" (Andron) كرواتب لعشرة مـــن هـــؤلاء الخفـــراء والحـــراس مـــن الأعـــراب هـــو كـــذا :-

(καὶ ὥστε Ἀνδρῶνι εἰς τοὺς ἐμφιλαδελφείαι φυλακίτας καὶ Ἄραβας . Ῑ ὀψώνιον) وهذا البيان ورد فى سياق المصروفات عن سنة ٢٥٠ ق.م ووردت كذلك إشارة إلى رواتب عشـــرة آخريـــن مـــن خفـــراء الزراعة المكلفين بالمحافظة علـــى المحـــاصيل (οἱ. γενηματοφύλακες) وذلك عن مدة اثنى عشر شهراً تبدأ من أمشير حتى شهر طوبة فى عـــام ٣٥ من حكم الملك بطلميوس يورجيتيس . وكان الأجر عن كل شـــهر ، يقـــدر بستة دراخمات ثم يضاف إلى ذلك نصيب من الجراية العينية المعروفة باسـم (sitometria) وهذا الراتب المخصص للخفر الذين هم من الأعـــراب وكـــان عددهم عشرة كانوا يعملون فى موسم الحصاد بدءًا من شهر بؤونة (يونيـــو

ويوليو) وهذه مهمة فى غاية الأهمية وتحتاج إلى عين ساهرة فى فصل الحصاد (Θερισμός) وعندئذ كان الأمر يقتضى قيام الأعراب بدور مهم ومزدوج وهو الخفارة فى أجران الحصاد ثم الشون فى الوقت نفسه . وقد جاء الدليل القاطع والحاسم على تواجد هؤلاء الأعراب وقيامهم بدور بالغ الأهمية وهو المحافظة على ما يجرى فى أجران الحصاد بوصفهم الأمناء قبل أى تصرف فى هذه الودائع من حيث تخزين المحاصيل أو قسمتها والتصرف فيها بعد سداد المستحقات الحكومية . وقد جاء فى خطاب صادر من شخص يونانى يدعى "يوديموس" (Eudemos) إلى "زينون" يعتذر فيه عن عدم مقدرته مغادرة موقعه ، نظراً لمشغوليته فى أعمال الحصاد وهى مهمة تجرى على قدم وساق وتشغل كل الوقت وكان عليه الاهتمام بالثيران البرية المستخدمة فى أعمال الحصاد ثم عقب على ذلك بتوجيه الرجاء إلى "زينون" كيما يُكره هؤلاء الأعراب على سداد إيجار المواشى والأغنام التى يقومون برعيها وعدم التراخى فى هذا السداد :

Pap. Cairo Zenon 59433 , lines 22-24

καλῶς δὲ ποιήσεις καὶ τοὺς Ἄραβας εἰσπράξας τὸμ φορουν τῶν προβάτων .

ومن الغريب أن هؤلاء الأعراب كانوا لا يزالون حتى ذلك الحين يحتفظون بتلك المواشى وبأصوافها (τὰς κουρὰς) فى صورة العديد من الجزات .

ll.24-27 *ἔτι γὰρ καὶ νῦν αὐτὰ ἔχουσιν τά τε πρόβατα καὶ κουρὰς .*

ومن هذا السياق يتبين أن جزات الصوف التى كان هؤلاء الأعراب

يؤثرون الاحتفاظ بها كانت فى واقع الأمر تمثل ثمناً يُسددون به ما عليهم من إيجار يتمثل فى عدد من الجزات أو فى جزة واحدة حسبما يقتضى الأمر . وهذا الإجراء تمثل من قبل فى وثيقة بردية أخرى من المجموعة الإيطالية (P.S. I., 377) ، حكت لنا بياناً يمثل هذا الإجراء كوسيلة مُثلى فى سداد الإيجار المستحق فى صورة عدد من جزات صوف الغنم .

وفى أرشيف "زينون" نسوق هنا بعض الأمثلة التى نستقيها من هذا السجل الفريد وهى دالة على نفر من أولئك الأعراب الذين كانوا موكلين بالقيام بأعمال الخفارة والحراسة إما فى الحقول والمزارع أو فى شون الغلال ومخازنها وأجرائها أو بحفظ الأمن فى تخوم الصحراء وربوع البلاد المنتشرة على حواف إقليم الفيوم ومتاخمة للصحارى شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً . وهاهى الأمثلة الدالة على ذلك :

(1) *άλωνοφύλαξ* = P. Columbia Zenon II , 12 note

وهاهو اسم لحارس فى جرن الحصاد وكان يسمى "بيتومينيس" Peteminis وهو اسم مصرى جاء فى قوائم الاسماء التى دبجها كلاريس فى P. Lugduno Batava XXI ورقمه (٤) ضمن مسمياته .

(2) *γενηματοφύλαξ* = P. Hamburg I , 27 , 2 ; Pap. Michigan Zenon , 13 , 3 ; P.S.I. V , 490 , 1 , 7 .

ولدينا أسماء ثلاثة ممن يعملون فى هذا المجال وهو خفارة المزارع والحقول وما بها من محاصيل وكان اثنان منهم من المصريين والثالث يونانى وهؤلاء هم "باخيس" (Pachis) "بسوسناس" (Psosnaus I) ثم ثالثهم كلبهم ويسمى "بطلميوس" (Ptolemaios II) .

(3) Θησαυροφύλαξ = P. Cairo Zenon 59292 , 155

وهذا هو "بيليز" (Belles) وهو خفير مصرى صميم ممن كانوا يعملـــون فى حراسة شون الغلال .

(4) Ἐρημοφύλαξ :- P. Cairo Zenon 59172 ,25 , 28

واسمه "أبوللودورس" (Apollodoros) كما ورد فى قوائم الأســماء التـــى دبجها كلازيس فى P. Lug. Batava XXI وهو يحمل اسماً يونانياً صميماً وكان قائماً بالحراسة فى ربوع الصحارى وقد ورد هـــذا الاســم فـــى المرجعيـــن الآتيين Prosop. Ptol . II , 4831 ثم فى أرشيف "زينـــون" . P. Cairo Zen 59292 . 1 , 5 .

وجملة القول إن هذا الدور الهائل الذى كـــان يضطلـــع بـــه أولئـــك الأعراب ومن كان على شاكلتهم من المصريين الخلص ومن اليونانيين اســـماً مع أن هؤلاء كانوا فى واقع الأمر أعراباً وأن البعض منهم كـــان يوصـــف أحياناً بأنه هو العاشور فى قبيلته وذلك إمعاناً فى تعريف هويتهم واشـــتغالهم بأعمال الخفارة والحراسة سواء أكان ذلك فى الأجران أو فى الشون أو فـــى الحقول والمزارع أو حتى فى خفارة المقابر فى غير أرشيف "زينون" وكـــان يطلق على هؤلاء الاخيرين (mnematophulakes) كما دلت على ذلك بعـــض النقوش من العصر الرومانى فى مصر .

وتعتبر كل هذه الأمثلة دليلاً أيمـــا دليـــل علـــى أن العـــرب كـــانوا يضطلعون بمهامهم هذه على خير وجه . وفضلاً عن ذلـــك فلـــم يـــتردد أى صدى لشكوى أو ظلامة جاء بها ما يلقى ظلالاً من الشك فـــى أمانتـــهم أو التقصير فى أعمالهم أو ممالئتهم للغير على حساب ذوى المصلحة . وإنمـــا كل ما سمعناه لا يعدوا أنهم كانوا دائماً يطالبون بدفع المتأخرات من الأجـــور

المستحقة لهم وهى تقدر بستة دراخمات عن كل شهر للفرد الواحد . وكـانت تدفع إما نقداً أو عيناً من الغلال والشعير على اعتبار أن الأردب الواحد مـن الغلال كان يساوى دراخمة واحدة ونصف . ثم أن أصوات هؤلاء المطـالبين بتلك الرواتب المتأخرة كادت تبح وأن التأخير كان يصـل أحيانـاً لبضعـة أشهر بل ولسنة كاملة . ومع ذلك فلم يُنسب لأحد من هؤلاء العـرب أنـهم كانوا من المقصرين فى واجب حيوى كهذا الذى كلفوا به من حيث الخفـارة والحراسة وإنما كانوا يؤدون ذلك الواجب على خير وجه ؛ ولذلك ينبغـى أن يُذكر لهم هذا الجميل بالخير. وفضلاً عن ذلك فلم نسمع عن أحد من هـؤلاء أنه خان الأمانة أو تواطأ مع الغير وإنما كـانوا يـؤدون واجـب الحراسـة والخفارة على نحو مرضى وهذه تعتبر مفخرة لهم وتُذكر لهم بالخير سـواء أكانوا من الأعراب الخلص أو المستعربين .

خطاب الإمبراطور الرومانى كلوديوس
إلى السكندريين

لما كان هذا الخطاب المنشور فى مجموعة بردى المتحف البريطـانى تحت رقم (Pap. London , 1912) من أهم الوثائـق البردية التـى حظيـت بكثير من العناية والدراسة لدى جميع الأوساط العلميـة فـى مصـر وفـى الخارج على السـواء منذ نشره الأول (editio princeps) فى عـام ١٩٢٤ فى كتاب عنوانـه " اليهود والمسيحيـون" لمؤلفـه العالـم البريطـانى الراحل سير "هـارولد ادريس بل" فقد تناوله العلمـاء فى أوربـا وأمريكـا منذ ذلك الحين بالدراسـات المستفيضة التى تضمنتها الموسوعة المشـهورة الشاملة لمجموعة من أوراق البردى الخاص بتاريخ اليـهود فـى العصـور الثلاثة : البطلمى والرومانى والبيزنطى واسم هذه المجموعة أو الموسـوعة (Corpus Papyrorum Judaecarum) وهذا الخطاب بالذات منشور فى الجزء الثانى الصادر سنة ١٩٦٠ تحت رقم ١٥٣ . ولعله من الخير أن نستهل هـذا البحث بتزويد القارئ العربى بترجمة لهذا الخطاب ، وهاهو النص اليونـانى لخطاب الإمبراطور "كلوديوس" مشفوعاً بترجمته إلى اللغة العربية وبعـض التعليقات على أهم النقاط الواردة فيـه .

THE JEWISH QUESTION' IN ALEXANDRIA

Col. I

Λούκιος Αἰμίλλιος Ῥῆκτος λέγει·
ἐπειδὴ τῇ ἀναγνώσει τῆς ἱεροτάτης
καὶ εὐεργετικωτάτης ἰς τὴν πόλειν

ἐπιστολῆς πᾶσα ἡ πόλεις παρατυχεῖν.

5 οὐκ ἠδυνήθη(ν) διὰ τὸ πλῆθος αὐτῆς,

ἀναγκαῖον ἡγησάμην ἐκθεῖναι

τὴν ἐπιστολὴν ἵνα κατ' ἄνδρα ἕκαστον

ἀναγεινόσκων# αὐτὴν τήν τε μεγαλιότητα

τοῦ θεοῦ ἡμῶν Καίσαρος θαυμάσητε

10 καὶ τῇ πρὸς τὴν πόλειν [[ὁμοίᾳ]] εὐνοίᾳ

χάριν ἔχητε. (ἔτους) β Τιβερίου Κλαυδίου

Καίσαρος Σεβαστοῦ Γερμανικοῦ Αὐτοκράτορος,

μηνὸς Νέου Σεβαστο(ῦ) ιδ.

Col. II

Τιβέριος Κλαύδιος Καῖσαρ Σεβαστὸς Γερμανικὸς

Αὐτοκράτωρ ἀρχ(ι)ιερεὺς

15 μέγειστος δημαρχικῆς ἐξουσίας ὕπατος ἀποδεδιγ-

μένος Ἀλεξανδρέων

τῇ πόλει χαίρειν. Τιβέριος Κλαύδιος Βάρβιλλος,

Απολλώνις Ἀρτεμιδώρου,

Χαιρήμων Λεονίδου, Μάρκος Ἰούλιος Ἀσκληπιάδης

Γάιος Ἰούλιος Διονύσιο(ς),

Τιβέριος Κλαύδιος Φανίας, Πασίων Ποτάμωνος,

Διονύσιος Σαββίωνος,

---

8 1. ἀναγιγνώσκοντες.

Τιβέριος Κλαύδις ⟨Αρχίβιος⟩, Ἀπολλώνις Ἀρίστο-
νος, Γάιος Ιούλιος Ἀπολλώνιος, Ἑρμαίσκος
20 Ἀπολλωνίου, ὑ# πρέσβεις ἡμῶν, ἀναδόντες μοι τὸ
ψήφισμα πολλὰ περὶ
τῆς πόλεως διεξῆλθον, ὑπαγόμενοί μοι δῆλον πρὸς
τὴν εἰς ἡμᾶς
εὔνοιαν ἣν ἐκ πολλῶν χρόνων, εὖ εἴστε, παρ' ἐμοὶ
τεταμιευμένην{ε.}
εἴχεται#, φύσει μὲν εὐσεβεῖς περὶ τοὺς Σεβαστοὺς
ὑπάρχοντες, ὡς
ἐκ πολλῶν μοι γέγονε γνόριμον, ἐξερέτως δὲ περὶ
τὸν ἐμὸν
25 οἶκον καὶ σπουδάσαντες# καὶ σπουδασθέντος, ὧν
εἶνα# τὸ τελευ-
ταῖον εἴπωι παρεὶς τὰ ἄλλα μέγειστός ἐστιν μάρ-
τυς οὗμος ἀδελφὸς
Γερμανικὸς Καῖσαρ γνησιωτέραις ὑμᾶς φωναῖς
προσαγορεύσας.
διόπερ ἡδέως προσεδεξάμην τὰς δοθείσας ὑφ'

---

20. l. οἱ passim
23. l. εἴχετε, passim.
25. l. σπουδασθέντες, ἵνα.

ἡμῶν# μοι τιμὰς

καίπερ οὐκ ὢν πρὸς τὰ τοιαῦτα (ρ) ῥάδιος. καὶ

πρῶτα μὲν Σεβαστὴν

30 ὑμεῖν ἄγειν ἐπιτρέπωι τὴν ἐμὴν γενεθλείαν ὃν

τρόπον αὐτοὶ προ-

είρησθαι, τάς τὲ ἑκα(τασ)σταχοῦ τῶν ἀνδριάντων

ἀναστάσεις

ἐμοῦ τε καὶ τοῦ γένους μου ποιήσασθέ# συνχωρῶι.

ἐγὼ ὁρῶι γὰρ

(ὅτι) πάντη μνημεῖα τῆς ἡμετέρας# εὐσεβείας ẹἰς

ṭọν ἐμὸν οἶκον

ὑδρόσασθαι# ⟨ἐ⟩σπουδάσαται# . τῶν δẹ δụọῖν χρυ-

[σῶ]ν ἀνδṛịάṇτων

35 ὁ μὲν Κλαυδιαṇῆς Εἰρήνης Σεβαṣτῆς γεṇọ[με]ṇọς

ὥσπερ ὑπέθετο

καὶ προσελειπάρη[σ]ẹṇ ὁ ἐμοὶ τιμ[ι]ώṭạṭọς Βάρβ-

ịḷḷọς ἀρνουμένου

μου διὰ τὸ φορṭịḳọṭẹ[ρο]ς δ[οκ]εῖ[ν,] ẹπει Ῥώμṃς

\# 28. l. ὑμῶν.

\# 32. l. ποιήσασθαι.

\# 33. l. ὑμετέρας.

\# 34. l. ἱδρύσασθαι ἐσπουδάσατε.

\# 34. l. ἱδρύσασθαι ἐσπουδάσατε.

ἀνατεθήσεται,

Col. III

ὁ δὲ ἕτερος ὃν τρόπον ὑμεῖς ἀξιοῦτε πομπεύσει ταῖς ἐπονύμαις

ἡμέραις παρ' ὑμῖν· συνπομπευέτωι δὲ [[και αυ]] αὐτῶι καὶ δίφρος

40 ᾧ βούλεσθαι# κόσμωι ἠσκημένος. εὐῆθες δ' ἴσ(σ)ως τοσαύτας

προσ[ι]έμενον τειμὰς ἀρνήσασθαι φυλὴν Κλαυδιανὰν Καταδῖξαι

ἄλση τε κατὰ νόμον παρεῖναι τῆς Αἰγύπ(τ)ου· διόπερ καὶ ταῦτὰ [[ημιν]]

ϑ' ὑμεῖν ἐπιτρέπωι. εἰ δὲ βούλεσθαι καὶ Οὐειτρασίου Πωλείωνὸς

τοῦ ἐμοῦ ἐπιτρόπου τοὺς ἐφίππους ἀνδριάντας ἀναστήσατε. τῶν δὲ

45 τετραπώλων ἀναστάσε[ι]ς (ἃς περὶ τὰς εἰσ)βολὰς τῆς χώρας ἀφιδρῦσε# μοι βούλεσθαι

συνχωρῶι, τὸ μὲν περὶ τὴν Ταπόσιριν καλουμένην τῆς Λιβύης,

τὸ δὲ περὶ Φάρον τῆς Ἀλεξανδρείας, τρίτον δὲ περὶ

\# 40. l. βούλεσθε passim.

\# 45. l. ἀφιδρῦσαι.

Πηλούσιον

τῆς Αἰγύπ(τ)ου στῆσαι. ἀρχ(ι)ιερέα δ' ἐμὸν καὶ

ναῶν κατασκευὰς

παρετοῦμε*, οὔτε φορτικὸς τοῖς κατ' ἐμαυτὸν ἀνθ-

ρόποις

50 βουλόμενος εἶναι τὰ ἱερὰ δὲ καὶ τὰ τοιαῦτα μόν-

οις τοῖς θεοῖς

ἐξέρετα ὑπὸ τοῦ παντὸς αἰῶνος ἀποδεδόσθαι κρίν

[ω]ν.

περὶ δὲ τῶν αἰτημάτων* ἃ παρ' ἐμοῦ λαβεῖν ἐσπο-

υδάκατε

οὕτως γεινώσκωι· ἅπασι τοῖς ἐφηβευκῶσει ἄχρει

τῆς

ἐμῆς ἡγεμονείας βαί[[βον]]βαιον διαφυλάσσωι

τὴν Ἀλεξανδρέων

55 πολειτείαν ἐπὶ τοῖς τῆς πόλεως τειμείοις καὶ

φιλανθρόποις

πᾶσει πλὴν εἰ μή τινες ὑπῆλθον ὑμᾶς ὡς ἐγ δού-

λων

γ[ε]γονότες ἐφηβεῦσαι.καὶ τὰ ἄλλα δὲ οὐχ ἧσσον

---

49. l. παραιτοῦμαι.

52. l. αἰτηθέντων Bell.

57. l. βούλομαι passim.

βέβαια πάνθ' ὅσα ὑμεῖν ἐχαρίσθη ὑπό τε τῶν πρὸ ἐμοῦ ἡγεμόνων
καὶ τῶν βασιλέων καὶ τῶν ἐπάρχων, ὡς καὶ [ὁ] θεὸς Σεβαστὸς ἐβεβαίωσε.

Col. IV

60 τοὺς δὲ νεοκόρους τοῦ ἐν Ἀλεξανδρείᾳ ναοῦ ὅς ἐστιν τοῦ θεοῦ
Σεβαστοῦ κληροτοὺς εἶναι βούλομε καθὰ καὶ ὑ ἐν Κανώπωι
τοῦ αὐτοῦ θεοῦ Σεβαστοῦ κληροῦνται. ὑπὲρ δὲ τοῦ τὰς πολειτεικὰς
ἀρχὰς τριεῖς εἶναι καὶ παν⟨υ⟩ἐμοὶ [[υ]] καλῶς βεβουλεῦσθαι
δοκεῖται, ὑ γὰρ ⟨ἄρ⟩χοντες φόβωι τοῦ δώσειν εὐθύνας ὧν κακῶς
65 ἦρξαν μετριώτεροι ἡμεῖν προσενεκθήσονται τὸν ἐν ταῖς
ἀρχαῖς χρόνον. περὶ δὲ τῆς βουλῆς ὅ τι μέν ποτε σύνηθες.
ὑμεῖν ἐπὶ τῶν ἀρχαίων βασιλέων οὐκ ἔχωι λέγειν, ὅτι δὲ ἐπὶ τῶν
πρὸ ἐμοῦ Σεβαστῶν οὐκ εἴχεται σαφῶς οἴδατε.

καινοῦ δὴ

πράγματος νῦν πρῶτων# καταβαλλομένου ὅπερ

ἄδηλον εἰ συνοίσει

70 τῇ πόλει καὶ τοῖς ἐμοῖς πράγμασει ἔγραψα Αἰμι-

λλίωι Ῥήκτωι

διασκέψασθαι καὶ δηλῶσέ μοι εἴ ται καὶ συνεί-

στασθαι τὴν ἀρχὴν δεῖ,

τόν τε τρόπον, εἴπερ ἄρα συνάγειν δέυ#, καθ' ὃν

γενήσεται τοῦτο.

τῆς δὲ πρὸς Ἰουδαίους ταραχῆς καὶ στάσεως,

μᾶλλον δ' εἰ χρὴ τὸ ἀληθὲς

εἰπεῖν τοῦ πολέμου, πότεροι μὲν αἴτιοι κατέστη-

σαν, καίπερ

75 ἐξ ἀντικαταστάσεως πολλὰ τῶν ἡμετέρων# πρέσ-

βεων

φιλοτειμη-θέντων καὶ μάλιστα Διονυσίου τοῦ

Θέωνſ[ος], ὅμως

οὐκ ἐβουλήθην ἀκριβῶς ἐξελένξαι, ταμιευόμενος

ἐμαυτῶι

κατὰ τῶν πάλειν ἀρξαμένων ὀργὴν ἀμεταμέλητον,

---

69. l. πρῶτον.

72. l. δέοι.

75. l. ὑμετέρων.

ἁπλῶς δὲ προσαγορεύωι ὅτι ἂν μὴ καταπαύσηται#
τὴν ὀλέθριον

80 ὀργὴν ταύτην κατ' ἀλλήλων αὐθάδιον ἐγβιασθή-
σομαι

δῖξαι ὑόν# ἐστιν ἡγεμὼν φιλάνθροπος εἰς ὀργὴν
δικαίαν μεταβεβλημένος.

διόπερ ἔτι καὶ νῦν διαμαρτύρομε εἶνα# Ἀλεξανδρ-
εῖς μὲν

πραέως καὶ φιλανθρόπως προσφέροντε Ἰουδαίο(ι)ς
τοῖς

τὴν αὐτὴν πόλειν ἐκ πολλῶν χρόνων οἰκοῦσει

Col. V

85 καὶ μηδὲν τῶν πρὸς θρησκείαν αὐτοῖς νενομισμ-
ένων

τοῦ θεοῦ λοιμένωνται#, ἀλλὰ ἐῶσιν αὐτοὺς τοῖς
ἔθεσιν

χρῆσθαι ὑς# καὶ ἐπὶ τοῦ θεοῦ Σεβαστοῦ, ἅπερ
καὶ ἐγὼι

---

79. l. καταπαύσητε.
81. l. οἷον.
82. l. ἵνα
86. l. λυμαίνωνται.
87. l. οἷς.

διακούσας ἀμφοτέρων ἐβεβαίωσα. καὶ Ἰουδέοις δὲ
ἄντικρυς κελεύωι μηδὲν πλήωι ὧν πρότερον
90 ἔσχον περιεργάζεσθαι μηδὲ ὥσπερ ἐν δυσεὶ πόλεσειν κατοικοῦντας
δύο περσβείας ἐκπέμπειν τοῦ λοιποῦ,
ὃ μὴ πρότερόν ποτε ἐπράκθη, μηδὲ ἐπισπαίειν
γυμνασιαρχικοῖς ἢ κοσμητικοῖς ἀγῶσει,
καρπουμένους μὲν τὰ οἰκῖα ἀπολά(υ)οντας δὲ
95 ἐν ἀλλοτρίᾳ πόλει περιουσίας ἀπθόνων ἀγαθῶν,
μηδὲ ἐπάγεσθαι ἢ προσείεσθαι ἀπὸ Συρίας ἢ Αἰγυπ(τ)ου
καταπλέοντας Ἰουδαίους, ἐξ οὗ μείζονας ὑπονοίας
ἀνανκασθήσομε λαμβάνειν. εἰ δὲ μή, πάντα
τρόπον αὐτοὺς ἐπεξελεύσομαι καθάπερ κοινήν
100 τεινα τῆς οἰκουμένης νόσον ἐξεγείροντας. ἐὰν
τούτων ἀποστάντες ἀμφότεροι μετὰ πραότητος
καὶ φιλανθροπείας τῆς πρὸς ἀλλήλους ζῆν ἐθελήσητε,
καὶ ἐγὼι πρόνοιαν τῆς πόλεως ποήσομαι* τὴν ἀν-

\# 103. l. ποησομαι written above the line.

ατάτωι

καθάπερ ἐκ προγόνων οἰκίας# ὑμῖν# ὑπαρχούσης.

105 Βαρβίλλωι τῶι ἐμῶι ἑτέρωι# μαρτυρῶι ἀεὶ πρόνοια[ν]

ἡμῶν παρ' ἐμοὶ ποιουμένωι, ὃς καὶ νῦν πάσηι

φιλοτειμείᾳ περὶ τὸν ἀγῶνα τὸν ὑπὲρ ὑμῶν κέχρ[ητε].

καὶ Τιβερίωι Κλαυδίωι Ἀρχιβίωι τῶι ἐμῶι ἑτέ[ρωι].

ἔρρωσθαι.

وهاهى الترجمة :

-العمود الأول

"هذا بلاغ من "لوكيوس أيميليوس ريكتوس" ، يقول فيه : نظـــرا لأن شعب المدينة برمته لم يكن ميسورا له بسبب ما هو عليه من كـــثرة غفـــيرة وجموع هائلة ، فى المثول فى صعيد واحد لتلقى التـــلاوة العلنيـــة لأقـــدس خطاب مُوجه للمدينة وأشدها نفعـــا وفائدة ورعاية لمصالحها على الإطـــلاق،

104. l. οἰκείας ἡμῖν.
105. l. ἑταίρωι.

فقد تراءى لى أن الضرورة تقضى بأن أطرحه على الملأ ، معلناً إياه على الناس وذلك حتى يتسنى لكل واحد منكم على انفراد أن يتفرس ويتمعن في معناه ، وأن يظهر شيئاً من الاعجاب بما انطوى عليه من ابراز العظمة لإلهنا الإمبراطور (Θέος) أو بالأحرى الإمبراطور المؤله (Θεῖος) (حسب تصويب العالم الألمانى ألريخ فلكن) ، وأن يقدم (كل واحد منكم) الشكر والعرفان بالجميل لما أظهره الإمبراطور من عطف ورعاية وشعور كريم (ἡ πρόνοια = Εὐνοία) نحو المدينة (أى الاسكندرية) . صدر هذا في السنة الثانية من حكم (الإمبراطور) تيبريوس كلوديوس قيصر أغسطس جرمانيكوس ، الحاكم المطلق وذلك في اليوم الرابع عشر من شهر نيوس سيباستوس (أى أغسطس الجديد) (المقابل لشهر هاتور والموافق ١٠ نوفمبر من عام ٤١ م.) .

-العمود الثانى

من تيبريوس كلوديوس قيصر أغسطس جرمانيكوس ، الحاكم المطلق والكاهن الأعظم والشاغل لوظيفة التريبونية والقنصل المعين ، تحيات إلى مدينة السكندريين . إن سفراءكم وهم تيبريوس كلوديوس باربيللوس وأبوللونيوس بن أرتيميدورس وخايريمون بن ليونيداس وماركوس يوليوس أسكلبياديس وجايوس يوليوس ديونيسيوس وتيبريوس كلوديوس فانياس وباسيون بن بوتامون وديونيسيوس بن صابيون وتيبريوس كلوديوس أرخيبيوس وأبوللونيوس بن أريستون وجايوس يوليوس أبوللونيوس وهرمايسكوس بن أبوللونيوس ـ كل هؤلاء قدموا إلى قراركم (الذى صوتم عليه في مجلس الأحرار لديكم) ثم أفاضوا في الحديث والشرح بإطالة بشأن المدينة ، معولين على كشف النقاب لى ولفت أنظارى إلى مبلغ ما تكنونه

من ولاء وشعور كريم نحونا ، وهذا أمر نعرفه تماماً وتأكد لدينا منـــذ أمـــد طويل، وأنتم تعرفـــون جيداً مبلغ ما كنت أكنه فى نفسى وما أدخـــره فـــى ذاكرتى من التقدير لكم ، ذلك أنكم مجبولون بفطرتكم على الوفـــاء والـــولاء إزاء الأباطرة ، وذلك على نحو أصبح جلياً لى وصار معروفاً جيداً من عـدة شواهد وأدلة وبخاصة ما أظهرتموه من شغفٍ واهتمام نحو أسرتنا أو نحـــو بيتنا . ونحن باد لنا كم اياه بحرارة . وهاهو البرهان والشاهد الأخير علـــى ذلك نذكره هنا ، مغفلين براهين وشواهد أخرى ، فأخونا جرمانيكوس قيصـــو هو خير شاهد وقد حيّاكم وخطب فيكم بكلمات وعبارات تنم عن أشد مراتـب الاخلاص والأصالة وصدق القول .

ومن أجل هذا السبب قد قبلـــت بمزيـــد الســـرور والامتنـــان ألقـــاب التشريف والتكريم التى أسبغتموها على أو منحتمونى إياها ، وذلـــك علـــى الرغـــم من أن مثـــل هـــذه الأمور لا تستهوينى كثيـــراً ولا تـــروق لـــدى على الإطلاق . وبادئ ذى بدء فإنى أصرح لكم بالاحتفاء بذكرى مولـــدى [1] (agein ten genethlia) باعتبـــاره يومـــاً خـــالداً (dies Augusta) أو (dies natalis) على النحو الذى اخترتموه أنتم بأنفسكم . وإنى أوافق علـــى إقامـــة التماثيل فى أماكن عديدة ، تخليداً لشخصى ولأسرتى ، ذلك أنى أرى مبلـــغ شغفكم بأن تقيموا فى كلّ مكان نُصباً تذكارية تكون خيرَ شاهد على ولائكـــم واخلاصكم لبيتى . ومن بين التمثالين الذهبيين ، يخصص أحدهما ليمثل ربـه السلم الكلودى الأغسطى ويقام فى روما (وقيل فى قراءة أخـــرى لرومـــا)، طبقاً لما اقترحه صديقنا المفضال "باربيللوس" بعـــد الحاحـــه فـــى الرجـــاء واصراره عليه عندما أظهرت ميلاً إلى الرفض والعزوف عن القبول، خشـية

---

(1) Line 30 ἄγειν ἐπιτρέπω τὴν ἐμὴν γενεθλείαν.

من جانبى أن يبدو فى هذا بعض الأثقال والشطط والمغالاة أكثر مما ينبغى .

-العمود الثالث :

أما التمثال الأخر ، فإنه يحق لكم أن تحملوه على النحو الذى يروق لكم فى المواكب التى تجرى فى أيام معدودات ومعلومات فى مناسبات يجرى الاحتفاء بها فى مدينتكم . وسوف يكون بصحبة هذا مركبة محلاة أو موشاة بما يتراءى لكم ويتفق مع ذوقكم من حيث الزينة والأبهة . وربما يكون من خطل الرأى وعدم التقدير ، أننى فى الوقت الذى قبلت فيه كل هذه التشاريف العظيمة ، أرفض الموافقة على قبول إنشاء قبيلة كلودية والسماح بتكريس أحراش مقدسة ، طبقاً للعادات المرعية فى مصر . وعلى ذلك فإننى أسمح لكم كذلك بتحقيق هذه الرغبات . وإذا ما شئتم فإنه يكون من حقكم أيضاً أن تقيموا تماثيل على هيئة فرسان لشخص فيتراسيوس بوليو ، وهو الوالى الرومانى من قِبَلى . أما عن تلك العربات ذات الجياد الأربعة وهى التى تودون تشييدها وبناءها على صورة تماثيل من أجلى وتقيمونها عند مشارف البلاد ومداخلها ، فإننى أوافق على ذلك ، على أن يتم وضع إحداهنا فى المكان المسمى "ابو صير" (Taposiris) (فى الطريق إلى سيدى كرير) الواقع فى الإقليم الليبى ويوضع التمثال الأخر فى "فاروس" (قلعة قايتباى) بالإسكندرية ويقام الثالث فى "بيلوزيوم" (الفرما شرقى بور سعيد) بمصر . على أنى أرفض أن يعين لى كاهن أعظم وأن تشيّد المعابد من أجلى ، وذلك لأنى أوثر عدم الاساءة أو الاثقال على مشاعر المعاصرين لى . وفى اعتقادى أن هذه المعابد وأشباهها من مظاهر التكريم كانت فى جميع العصور وعلى مر الاجيال ، امتيازاً وشرفاً اختصت به الآلهة وحدها .

أما عن تلك المطالب التى سعيتم جاهدين من أجل الحصول على موافقتى عليها ، فإنى أقضى فى أمرها بالآتى : لكل أولئك الذين دونت اسماؤهم فى الماضى حتى تاريخ ارتقائى عرش الإمبراطورية ، على اعتبار أنهم من الشبيبة ، رأيت أن اضمن لهم المواطنة السكندرية وأن أؤمنهم عليها ، مع الاحتفاظ لهم بجميع الامتيازات وكل الاعفاءات التى تتمتع بها المدينة ، وذلك باستثناء أولئك المتسللين الذين هم على الرغم من مولدهم من أمّهات منتميات إلى طبقة العبيد ، وعن طريق الخديعة والدهاء قد تحايلتم فأقحمتموهم فى سلك الشبيبة . وقد انعقدت نيتى كذلك على أن جميع الامتيازات الأخرى التى أسبغت عليكم على يد أسلافى من الأباطرة ومن الملوك والولاة ، سوف تبقى ثابتة لكل هؤلاء ، وذلك أسوة بما فعله مولانا أغسطس (المبجل) من توثيق واقرار لهذه الامتيازات [١] .

-العمود الرابع :

وفى عزمى كذلك أن السدنة والمشرفين على معبد الإله أغسطس بالاسكندرية ينبغى أن يجرى اختيارهم عن طريق الاقتراع بنفس الطريقة المتبعة فى اختيار أمثالهم ونظرائهم من المشرفين على معبد الإله أغسطس فى "كانوبوس" (أبى قير) . أما خطتكم فيما يتعلق بالوظائف البلدية وجعل الشاغلين لها يتقلدون وظائفهم كل ثلاث سنوات ، فهى تنم عن اقتراح سديد، وقد بدا لى أن هذا يمثل جادة الصواب ومنتهى التعقل ، وذلك لأن هؤلاء الموظفين سوف يسلكون سبيلاً أكثر اعتدالاً وفيه دماثة خلق ولين عريكة خلال فترة تقلدهم وظائفهم (الموقوتة) خشية المساءلة عن أى تورط يكون فيه إساءة أو استغلال للنفوذ والسلطان . وفيما يتعلق بموضوع مجلس

---

(١) كانت هذه بمثابة مكرمة وتعطف ، تحسب للإمبراطور "كلوديوس" .

"البولى" (ἡ, βουλή) فليس لدى من المعلومات ما أفصح عنه بشأن ما كـــان يجرى عليه العُرف والعادة عندكم فى وقت ما على عهد ملوككم الأســـبقين ، ولكنكم تعلمون علم اليقين تلك الحقيقة الثابتة وهى أنه لم يكن لديكم مجلـــس "للبولى" على عهد الأباطرة الذين سبقونى . ونظراً لأن هذا موضوع جديـــد ومطروح الآن أمامى (على بساط البحث) لأول مرة ثم إن فائدته وجدواه فـى المستقبل بالنسبة للمدينة نفسها ولحكومتى وشئونى الخاصة ، غير واضحـــة على نحو مؤكد ، فإنى قد قمت بالكتابة "لأيميلوس ريكتوس" من أجل القيـــام بفحص هذا الموضوع وإبلاغى أولاً عما إذا كان الواجب يحتم قيام مثل هـــذا المجلس أو السلطة (ἀρχή) وثانياً فى حالة ما إذا تعين أن يلتئم شـــمل هـــذا المجلس ، فعلى أى نحو ينبغى تنفيذ ذلك وما هو الشكل أو الصـــورة التـــى يمكن أن يتخذها مثل هذا المجلس .

أما عن موضوع أى الجانبين يُعتبر هو المسئول عن تلـــك الفوضـــى وهذه القلقلة والعصيان السياسى أو بالأحرى ، إذا لزم توخى قول الصـــدق ، تلك الحرب (ὁ, πόλεμος) ضد اليهود ، فمع أن سفراءكم وبخاصة أحدهـــم وهو المسمى ديونيسيوس بن ثيون ، عندما تمت مواجهتهم بخصومهم ، قـــد أبلوا بلاءاً حسناً وتكلموا بإفاضة ؛ فإنى مع ذلك قـــد آثـــرت ألا يجـــرى أى بحث دقيق من أجل تقصى الحقائق ومعرفة من هو الملوم ، مع أنى أكن فـــى قرارة نفسى غضباً شديداً وحنقاً كثيراً على أولئـــك الذيـــن أثـــاروا الفتنـــة وأشعلوها من مرقدها مرة أخرى . وإنى أوجه لكم القول فى جلاء وصراحة أنه ما لم تضعوا حداً لهذه البغضاء ذات الآثار المخربة وتلك الكراهية التـــى تكنونها فى عناد وإصرار ضد الغير أو الآخرين ، فـــإنى ســـوف أضطـــر للكشف عن النقاب عما يستطيعه امبراطور محب لخير البشرية ومـــدى مـــا

يمكن أن يفعله مثلى إذا انقلب وتحول بعد أن تعتريه ثورة غضب عارمة يكون لها ما يبررها ، وعلى ذلك فإنى لاأزال حتى الآن استحلف السكندريين وأناشدهم من ناحية ، أن يعملوا على تحسين علاقاتهم مع اليهود ثم يحرصوا على الترفق بهم وهم الذين سكنوا معهم منذ أمد طويل فى نفس المدينة [1] .

-العمود الخامس .

وينبغى عليهم كذلك ألا يسيئوا (لا بالقول ولا بالفعل) إلى شىء من الطقوس الدينية التى اعتاد اليهود مراعاتها فى عبادتهم لربهم (الأعلى) وإنما يسمحوا لهم بممارسة عاداتهم ومباشرة مراسمهم على النحو الذى كانوا يؤدونه على عهد الإله "أغسطس" وطبقاً لما أكدته وأقررته أنا كذلك بعد أن استمعت إلى كلا الطرفين حتى النهاية . أما اليهود من الناحية الأخرى ، فإنى آمرهم بلا أية مواربة ألا يتعبوا أنفسهم أو يكلفوها عناء المشقة من أجل التعلل بالآمال فى الحصول على مزيد أكثر مما حظوا به من قبل ، وألا يبعثوا فى المستقبل ببعثتين إثنتين ، كما لو كانوا يقطنون فى مدينتين — وهذا أمر لم يعرف له نظير من قبل على الإطلاق ، وألا يقحموا أنفسهم فى حلبات المباريات والألعاب "الجيمنازياركية" أو "الكوزموتية" بينما هم جادون فى الاستمتاع بما لديهم من خيرات وثمرات خاصة بهم وفى المشاركة فى الحصول على قدر لا بأس به من المزايا الطيبة دون ما حقد ولا حسد — وكل هذا فى مدينة غريبة عليهم وليست خاصة بهم . وعليهم ألا يجلبوا أو يستقدموا اليهود ولا يسمحوا بدعوتهم لا من سوريا (أى فلسطين) ولا من النازحين من أعالى الصعيد إلى المدينة ، فهذا إجراء من شأنه أن يضطرنى

---

(١) أى بوصفهم أغراب أو غرباء = (οἱ ξένοι) وهذا المعنى له مغزاه .

إلى الارتياب فى الأمر وأن تساورنى ظنون أشد خطورة . وإذا لم يمتثلوا ويقلعوا عن ذلك ، انقضضت عليهم ، مطاردا إياهم ومنتقما منهم بجميع الوسائل باعتبارهم دعاة فتنة يريدون ايقاظها من مرقدها ، وعاملين على نشر وباء عام (ό, νόσος) ، يخشى أن يجتاح العالم المأهول بالسكان وينتشر فيه برمته . فإذا ما أقلع الطرفان وكف كل منهما عن مسلكه وأساليبه المتبعة حالياً ثم قبل الجانبات العيش سوياً فى وئام وسلام ، يخيم على كليهما التسامح والعطف المتبادل ، فإنى من جانبى سوف أسبغ على المدينة غاية ما استطيعه من العناية والرعاية ، على اعتبار أن هذه المدينة لها من قديم الزمان صلات وثيقة بنا ، تنّم عن أواصر الصداقة . وإنى لأشهد أن صديقى "باربيللوس" الذى كان باستمرار هو النصير لكم والمدافع عنكم لدى ، قد بذل الآن قصارى جهده واهتمامه البالغ فى عرض القضية نيابة عنكم ، والحال بالمثل بالنسبة لصديقى تيبريوس كلوديوس أرخيبيوس ، والسلام عليكم .

تعليقات وتهميشات تاريخية ولغوية

إن هذا الخطاب يحمل فى طياته العديد من الموضوعات ويستحق منا الكثير من التعقيب على أهم النقاط التى وردت به وشاء الإمبراطور "كلوديوس" أن يُصيغها فى عبارات مقتضبة أو مغلقة دون الإفصاح عن مكنون ما فى نفسه فى مواضع كثيرة ، بينما كان فى مواضع أخرى حاسماً وسياسياً لبقاً وبارعاً . على أن هذا الخطاب لـه قيمته وأهميته البالغة ويستحق منا وقفة طويلة إزاء ما أثير حوله من جدل وخلاف فى الرأى فى موضوعات شتى . وعلى الرغم من تلك الأخطاء اللغوية والهجائية وذلك اللبس فى أسلوبه وعباراته وتراكيبه المعقدة والتعمل والتكلف فى صياغته

مما قد يُوحى إلى القارئ بوجود شيء كثير من الافتعال والنقل عن لغة أخرى ، لعلها اللاتينية بالطبع ، فإن هذا الخطاب يُمثل مرحلة مهمة في تاريخ مصر الرومانية ويفتح آفاقاً واسعة ويلقى أضواءاً ساطعة تكشف الطريق أمام الباحث المتقصى للحقائق فى تاريخ العالم الرومانى وكيان الإمبراطورية الرومانية . إن هذا الإمبراطور أثار فى خطابه هذا عدة نقاط، ولكنه آثر أن يمس البعض منها بطريقة عابرة بينما عوّل على تفصيل البعض الآخر فى شيء من الأسهاب . ولم يشأ أن يجارى السكندريين في غلوائهم وإصرارهم على المطالبة بتقصى الحقائق (ἐπίσκεπσις) وتحديد المسئولية عما ارتكب من أعمال عدوانية فى مستهل حكم الإمبراطور "كلوديوس" وكان القتال قد نشب من جديد بعد أن استعد له اليهود وذلك بجلب طوائف من إخوانهم وبنى جلدتهم من الصعيد (أسوان وادفو) ومن فلسطين ثم تحينوا الفرص من أجل الإنقضاض على السكندريين ، ولكن الوالى الرومانى "جايوس فيتراسيوس پوليو" (Caius Vitrasius Pollio) انقض عليهم بشدة وأقمع ثورتهم على الفور . ومن أجل هذا استحق من السكندريين الثناء والتكريم بإقامة تماثيل له على شكل فرسان وقد سمح لهم الإمبراطور بتشييدها حيثما يشاءون من قبيل تخليد ذكرى هذا الوالى القوى الشكيمة . وقد خلفه مباشرة فى الولاية على مصر الفارس " لوكيوس أيمليوس ريكتوس " (Lucius Aemilius Rectus) وهوالوالى الذى تلقى رسالة الإمبراطور وقدّم لها بديباجة فيها إشادة وتنويه بعظمة مولاه الإمبراطور . وقد توخى "كلوديوس" فى خطابه هذا منتهى الحكمة والمرونة فكان يشتد أحياناً ثم يعود فيرخى الحبل على غاربه أحياناً أخرى وأظهر شيئاً كثيراً من الحذر فى معاملة السكندريين ، فكان يتملقهم أحياناً ويستحث

نخوتهم ومروءتهم ، مطالباً إياهم بتوخى حسن المعاملة مع اليهود والترفق بهم فتقدم إلى السكندريين بالرجاء الحار فى عبارة أشهد فيها الآلهة والناس على قوله (l. 82 *διαμαρτύρομε* etc.) ثم (الأسطر ٨٢ - ٨٤) مذكراً السكندريين بأن اليهود قد عايشوهم وسكنوا معهم فى مدينة واحدة جنباً إلى جنب على مدى أجيال وقرون ، فلا بأس إذاً ، أن يغضوا الطرف عنهم وأن يتركوهم وشأنهم فى مباشرة طقوسهم وعاداتهم حسبما تقضى به تعاليم دينهم السماوى والموسوى طبقاً لما جاء فى توراة سيدنا موسى [1] (Septuagint) وفى أسفارهم وكتبهم المنزلة Pentateux . ومع ذلك فقد قطب الإمبراطور الجبين واستخدم كلمات تنم عن الأمر والنهى مثل الفعل (*ἀντικρυς κελεύωι*) سطر ٨٩ ، أملاً فى أن يكفوا عن استخدام أساليبهم الماكرة وألا يسعوا إلى الحصول على مزيد من الحقوق والامتيازات ، فهم على حد قوله ، غرباء وأجانب سكنوا مدينة ليست مدينتهم ثم استمتعوا بخيراتها والثمرات الطيبة فى كنفها دون ما حقد ولا حسد ، فأولى بهم ثم أولى أن يركنوا إلى الهدوء والسكينة وألا يجلبوا إلى المدينة إخواناً لهم يحشدونهم لشد أزرهم فى أوقات الشدة ولا يحاولوا التسلل إلى هيئات "إفيبية " (Ephebie) قوامها الشبيبة من أبناء اليونانيين وليس لليهود أى حق فى الانضواء فى سلكها ولا التسلل إلى ساحات الألعاب الجيمنازباركية والكوزموتية .

أما موضوع المطالبة برد مجلس "البولى" (*ή. βουλή*) إلى السكندريين فإنه يمثل شقاً مهماً فى هذا الخطاب وقد عالج الإمبراطور هذه

---

(1) Three Rolls of the Early Septuagint (Genesis and Deuteronomy), Bonn (Germany) 1980 by Zaki Aly and Ludwig Koenen .

المسألة الحساسة بالنسبة للسكندريين بطريقة فريدة وحاسمة . وبعد أن أفاض رجال هذه البعثة فى شرح وجهة نظر السكندريين وأنهم طالما طالبوا برد هذه المؤسسة إليهم وعددوا في بعثاتهم السابقة المزايا التي تنجم عن وجود مجلس البولى فى الإسكندرية للتحكم فى أقدار الأمور وضبط اختيار السفراء إلى روما ومنع التسلل إلى هيئات الشبيبة استطاع الإمبراطور أن يستخلص الحقائق الأساسية وأن ينوه بفضل رجال هذه البعثة وبالصلة الوثيقة التى تربطه ببعض منهم ويعلو شأنهم وما كان لهم من كعب راسخ فى الفلسفة والخطابة فى الإسكندرية وفى روما على السواء . وكان الإمبراطور "كلوديوس" قد أظهر فى معالجته لهذا الموضوع الشائك والحساس بالنسبة لهؤلاء السكندريين منتهى البراعة فتخلص من الخوض فيه بأن قال إن هذا الموضوع مطروح أمامه على بساط البحث لأول مرة ثم ذكرهم بأنهم يعرفون جيداً أنه لم يكن لهم مجلس كهذا على عهد الأباطرة السابقين ولا شأن له بما كان عليه الحال إبان ملوك البطالمة ولا مجال للخوض فى ذلك بالنسبة للماضى ، وبهذا الأسلوب أراد ألا يرفض هذا المطلب بطريقة قاطعة ، بل آثر استعمال الدهاء والمكر الشديد فطمأنهم بأنه كتب بالفعل إلى الوالى الرومانى على مصر وكلفه بدراسة هذا الموضوع وموافاته بما قد يسفر عنه هذا البحث على أساس معرفة الجدوى من وجود مثل هذا المجلس بالنسبة لمستقبل مدينة الإسكندرية فى العصر الرومانى ثم بالنسبة كذلك لمراعاة مصالح الإمبراطور وأعماله فى مصر ، ثم أشار الإمبراطور إلى احتمالات أخرى من طرف خفى فإذا صح أن هناك ضرورة ملحة تقضى بوجود هذا المجلس فهو يتساءل على أى نحو يكون هذا النظام أو الحكم (ἡ ἀρχή) وبهذا شاء الإمبراطور أن ينقلنا فجأة إلى

متاهة من الحديث عن مجلس البولى (Boulē) إلى نظام حكم ما ، له جذتـه ويشوبه شىء كثير من الغموض ولا نعرف كنهه ولا كيـان لـه أو حـدود لشكله . ثمَ إن السكندريين لم يجل بخواطرهم شىء من هـذا النحـو وإنمـا ركزوا كل جهودهم على استعادة مجلس معروف لهم ولـه كيانـه وحـدوده ومعالمه فى العالم اليونانى الهيللينستى ، وفى أثينا بـالذات ، وكـان يضـم الشيوخ (οἱ, πρεσβυτεροι) والأعيان ويكون بمثابة صمام أمن لمجلس آخـر هو الديموس أو الاكليسيا demos - ecclesia δῆμος على النحو الـذى كـان سائداً فى أثينا ثم فى صدر عصر البطالمة فى الإسكندرية نفسها . وقد فسـر لنا الفيلسوف الآثينى "أرسطاطاليس" فى كتاب السياسة هذه النظم الحكوميـة وأفاض فى شرح معالمها وقارنها بما كان سائداً فى مختلف البلدان اليونانيـة وغيرها . وهكذا كان مجلس "البولى" هذا أحد الركائز فى النظـم المرعيـة لدى اليونانيين وفى المدن التى أخذت بمذهب الديمقراطية وسايرت الآثينييـن فى وجهات النظر التى تعتمد على الديمقراطية وتحرص علـى الأوتونوميـا (αὐτονομια) والكفاية الاقتصادية (αὐταρκία) .

والموضوع الثانى الذى عالجه الإمبراطور فى خطابه فـى صراحـة تامة لا تعرف المواربة ، هو علاقة السكندريين باليـهود وتـأزم الموقـف بسبب تلك الأحداث الدامية التى جرت فـى عـهد الإمـبراطور "جـايوس كاليجولا" ثم فى صدر حكم "كلوديوس" نفسه . ويبدو أن الإمبراطور شـعر بحرج شديد إذا ما استجاب إلى طلب السكندريين بضرورة عمـل تقصـى للحقائق وتحديد المسئولية عمن هو البادى بالعدوان . وقد خشـى أن يدخلـه هذا البحث فى متاهة وأن تتشعب المواقف وهو الذى كان يـود أن يضمـد الجروح ويسوى العلاقات بين الطرفين المتنـازعين بطريقـة أو بـأخرى .

وجاءت الروح السائدة فى خطاب "كلوديوس" وهى تَنِم عـن الدعـوة إلـى ضرورة التعايش السلمى بين اليهود والسـكندريين (modus vivendi) فـلا ينبغى أن يفتات أحد منهم على الأخر ، داخل نطاق مدينة الإسكندرية العتيـدة ، وإنما يجرى التعامل (opus et modus operandi) بجميع صوره فى ظـل القانون السائد فى الإسكندرية وكانت قواعده قد أرسيت فى عصر البطالمـة على نحو ما جاء فى وثيقة بردية منشورة منذ عام ١٩١٣ فى جامعة "هـالى" بألمانيا (Papyrus Halensis) وعرفـت بالاسـم الآتـى (Dikaeometa) أى الأحكام ، وفيها التعليمات الخاصة بتحديد السلوك العـام وأنـواع الجرائـم وشهادة الزور وعدم جواز استرقاق سـكندرى حـر لآخـر ولا سـكندرية لسكندرى الخ من معاقبة المخمورين واستعمال السياط بالنسـبة للمواطنيـن (انظر مجلة كلية الأداب جامعة الإسكندرية العـدد الرابـع لسـنة ١٩٤٨) ترجمة زكى على .

والآن نعرض لبعض الموضوعـات الجانبيـة التـى أشـار إليـها الإمبراطور ومن ذلك موافقته على إنشاء قبيلة كلودية فى الإسكندرية ، وفـى هذا كناية عن إضافة حى أو قسم ديم [١] (Deme) إلى تلك القبائل والاحيـاء التى كانت تتألف منها مدينة الإسكندرية باعتبارها بولس (Polis = ἡ πόλις) وبذلك أصبحت هذه القبيلة الكلودية تمثـل إحـدى الـهيئات المدنيـة فـى الإسكندرية وهكذا يكون الإمبراطور قد توسع فى نطاق الكيـان الحضـرى لمدينة الإسكندرية وزوّدها فى الوقت نفسه بقبيلة تَكِن لـه بـالولاء وتحمـل اسمه ثم تشيد بذكره على الدوام . أما عن الإقليم الليبى الـذى أشـار إليـه الإمبراطور عَرَضاً فى سياق حديثه عن المنشآت واختياره للأماكن التى تقـام

(1) Satyros , Les Demes Alexandrins.

فيها ، فهذا الإقليم يقع فى الغرب من الإسكندرية وكان يسمى فى وقت ما فى صدر عصر البطالمة بالإقليم المنيليتى نسبة إلى أخ للملك البطلمى الأول "سوتر" وهو "مينيلاوس" (Menelaus) وقد تردد ذكر هذا الإقليم الليبى فى وثيقة بردية مشهورة ومعروفة باسم القوانين الضريبية (Nomoi Telonikoi) الخاصة بنظام الالتزام والضرائب وبعض الاحتكارات ونظام المصارف ، فعددت بياناً بالأقسام الإدارية فى مصر على عهد "فيلادلفوس" وما كان مخصصاً فى زمام كل قسم إدارى لزراعة النباتات الزيتية من أراضى فى دائرة ونطاق كل قسم إدارى ، بلغت آلافاً من الأفدنة اليونانية أو الأرورات (arourae) . وكان ذلك كله لصالح مدينة الإسكندرية وضرورة تزويدها بما يلزمها من هذه الحاصلات . ثم جاءت إشارة أخرى إلى ذلك الإقليم الليبى فى مرسوم الوالى الرومانى "تيبريوس يوليوس الإسكندر" وهو المرسوم الصادر فى عام ٦٨ م . عندما أراد هذا الوالى أن يؤمن السكندريين ويطمئنهم ، فوعدهم بالا يمس شريط المساح (schoinos) هذه الأراضى الفسيحة فى عرض الصحراء الغربية وفى تخوم الإسكندرية صوب الغرب وكان السكندريون قد خشوا أن يكون الشروع فى عمل مسح عام لهذه المناطق هو بمثابة التمهيد لفرض التزامات أو ربط بعض الضرائب عليها ولذا كثر الهمز واللمز ووصل هذا كله إلى أسماع الوالى ، فوعدهم بألا يحدث شىء من هذا ولا داعى للخيفة من جانبهم من جراء ذلك.

أما عن الوالى "فيتراسيوس بوليو" (Vitrasius Pollio) المزمع إقامة تماثيل لشخصه على هيئة فرسان ، فإنه هو الذى سحق تلك الثورة التى قام بها اليهود فى صدر حكم "كلوديوس" ومن أجل ذلك استحق التكريم من

جانب السكندريين ولذلك عرضوا على الإمبراطور إقامة نصب تذكارية لـــه يكون كل واحد منها على هيئة فارس يمتطى صهوة جـــواده . وقــد وافــق الإمبراطور على هذا المطلب منوهاً بجدارة هذا الوالـــى واســتحقاقه لـــهذا التكريم . وكان والياً على مصر فى الحقبة الأخيرة من عـــهد الإمــبراطور "جايوس كاليجولا" ولربما كذلك فى صدر عصر الإمــبراطور "كلوديــوس" وقد جاء ذكر اسمه فى كتاب "اشتين" (Stein) عن الولاة ص٢٨ ثم فى كتاب العالم الأمريكى راينمــوث (O. W. Reinmuth) عــن الوالـــى الرومـــانى ص١٣٢ وأشار إليه بلينى فى كتابـــه عـــن التـــاريخ الطبيعـــى ، ٣٦ ، ٥٧ باعتباره والياً يحمل لقب (procurator) بينما اللقـــب اليونـــانى (epitropos) على حد قول فيلون أو ابارخوس (eparchos) على حد قول استرابون . وقــد ورد اسمه فى قائمة أسماء الولاة التى دبجها "راينموث" حديثاً ســـنة ١٩٦٧ ونشــرها تحت عنوان , A Working List of the Praefects of Egypt فى مجلة أمريكية لعلماء الــبردى ـــ American Society of papyrologists العدد الرابـــع رقم ٤ الصادر فـــى ديســمبر سنة ١٩٦٧ فأبكــر تاريـــــخ له هـــو عام ٣٩ (٢٨ أبريل) .

أما فى عهد "كلوديوس" فآخر ما ورد من اشارة عنه جاء فى خطـــاب " كلوديوس" سطر ٤٣ . على أن إقامة التماثيل فى صورة فرســـان لتخليــد ذكرى كبار الموظفين فى البلاط الإمبراطورى والحكام والقناصل ومن فـــى حكمهم ممن كانوا يتولون إدارة الولايات فهى عادة شائعة ، عَـــمَّ انتشــارها حتى فى العصر الحديث . ولعل السكندريين وجدوا من الدوافع لديـــهم مـــا يبرر إقدامهم على التقدم بمثل هذا الاقتراح القاضى بإقامة تماثيل ليوليو هـذا. وقد ثبت أنه كان لايزال والياً على مصر (cpitropos) فى الأشهر الأولـــى

من حكم "كلوديوس" ، عندما تجدد الصدام والقتال بين اليهود والسكندريين ، كما ثبت كذلك أنه هو الذى أقمع بالفعل هذه الثورة وقام بسحقها على نحو جعل السكندريين يشيدون بذكره .

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نذكر كلمة عن ذلك الوالى الذى تسلم خطاب "كلوديوس" وقام باتخاذ الاجراءات نحو نشره واعلانه على الملأ فى الإسكندرية واسمه "لوكيوس أيميليوس ريكتوس" وقد جاءت ولايته على مصر عقب "فيتراسيوس" واستمر متقلداً وظيفته بعد مقتل "كاليجولا" فى ٢٤ يناير من علم ٤١م . حتى عام ٤٢م وقد قيل فى كتاب "اشتاين" عن الولاة فى مصر (A. Stein , Die Praefekten von Aegypten 1950) أنه كان ينتمى إلى ذلك الوالى المشهور على عهد الإمبراطور "تيبريوس" وكان سميا له وإن كان يحمل اسماً ثانياً هو "ايميليوس ريكتوس" فقط وقيل أنه والد لوكيوس وتولى الإمارة على مصر فى عام ١٤م . وكان مسناً وتوفى فى أثناء ولايته على مصر . ويذكره التاريخ بسبب تلك النصيحة الخالدة التى وجهها إليه الإمبراطور "تيبريوس" (Tiberius) وأشار إليها المؤرخ ديو ، ٥٧ ، ١٠ ، ٥ وقد صارت هذه النصيحة مثلاً جارياً على الألسن فى تاريخ مصر الرومانية لما جاء فيها من تقريع شديد لهذا الوالى من قبل الإمبراطور عندما بعث هذا الوالى بالخراج السنوى (annona) إلى روما ومقداره أعلى بكثير من المطلوب فنصحه الإمبراطور بضرورة توخى الاعتدال واستعمال الرأفة ، فالراعى الحاذق هو الذى يجز صوف غنمه ولا يسلخها من جراء نتف هذا الصوف حتى يدميها ، وقد سخر العالم الروسى رستوفتزف من حقيقة هذه النصيحة وقال أنها أكذوبة ، أريد بها مجرد الفكاهة ، فروما دأبت على أن تشتط وتبتز الأرزاق والأموال من مصر

متبعة سياسة كنهها ابتزاز الأموال (fiscality) . واعتبرت البلاد كالبقرة الحلوب التى لا ينبغى أن يجف لبنها أبداً . أما موضوع الشبيبة (Fphebeia) والفتيان (Epheboi) وما كان يجرى بشأن تسجيل أسمائهم فى سجل المواليد من أعمال فيها عدم تحرى الدقة ، بل والتدليس أحياناً . فقد حسمه الإمبراطور بالتجاوز عما مضى من تصرفات غير سليمة . وهذا النظام أشبه ما يكون بنظام الفتوة فمن توافرت لديهم الأهلية بحكم مولدهم من أبوين يونانيين متمتعين بالمواطنية السكندرية ، كانت أسماؤهم تسجل عند مولدهم أو بعد ذلك بقليل فى سجل خاص بهؤلاء المواليد وكان آباؤهم يحرصون على أن يتم هذا التسجيل فى حينه ليكسبوا لابنائهم فيما بعد الحقوق المخولة لهم بحق هذا المولد . وكانت هناك تسللات كثيرة عمد فيها نفر من الأبناء إلى تسجيل ابنائهم دون أن يكون لهم حق فى الانضواء فى هذا الكيان فاستحق الآباء تلك العقوبات التى نص عليها صراحة فى أحكام مقننة الاديولوجوس وذلك بمصادرة ربع أملاكهم *Τέταρτον* (البند رقم ٤٤) . وكانت السن التى يصل فيها الشاب إلى الأهلية للانضواء فى سلك مؤسسة الجيمنازيوم هى الرابعة عشرة وعندئذ يتلقى التعليم الثقافى والرياضى المطلوب فى هذه المؤسسة خلال عام واحد وبعد ذلك يصبح من ذوى الأهلية للتمتع بالمواطنية السكندرية وبذلك يعفى من دفع ضريبة الرأس وهى المسماة "لاوجرافيا" (Laographia) . وكانت هذه الأهلية تعتبر شرفاً رفيعاً . وقد ثبت أن اليهود كانوا دائبى السعى للوصول إلى هذه المواطنية عن طريق التسلل إلى هذه الفئات بالتحايل والتدليس وقد أراد الإمبراطور "كلوديوس" وضع حد نهائى لكل هذه الأساليب وحذر من اللجوء إلى ارتكابها . وقد وردت اشارة صريحة إلى أعمال التسلل هذه فى وثيقة بردية

مشهورة تسمى ببردية "البولى" واستهل بها العالم الأمريكى "موسيرللو" كتابه عن "الشهداء الوثنيين وأعمالهم" وهى تحمل رقم (١) ثم وردت كذلك فى موسوعة البردى اليهودى تحت رقم ١٥٠ وكان الزعماء السكندريون قد استندوا إلى ما يجرى من أعمال التسلل هذه واتخذوا منها ذريعة عند المطالبة من الإمبراطور (ولعله "أغسطس" أو "كلوديوس" ، فهم لم يفصحوا عن أيهما على سبيل اليقين) . برد مجلس "البولى" إليهم ولكنهم باءوا بالفشل ولم تنفع حيلتهم هذه . كما أن "كلوديوس" عمد بدوره إلى وضع العراقيل والتشكك فى جدوى هذا المطلب ، وبذا كان فى الحقيقة يعتزم وضعه على الرف . وللعالم الأمريكى "راينموث" (Reinmuth) بجامعة تكساس دراسة حديثه على نقوش "إفيبية" من القرن الرابع ، قام بنشرها حديثاً فى ليدين (Leiden) عام ١٩٧١ .

"بعثتان يهوديتان وبعثة يونانية "

وننتقل الآن إلى موضوع شائك ، حار فى تفسيره المؤرخون والكتاب الحديثون وكان يمثل قمة المشاكل وأعتى الصعوبات فى التفسير والاجتهاد (crux interpretationis) . وقد سبق أن المحنا إلى أن الإمبراطور "كلوديوس" لم يتوخ الصراحة التامة فى بعض الموضوعات والنقاط التى جاءت فى خطابه إلى السكندريين وإنما كان يعمد أحياناً إلى إشارات وعبارات مغلقة ، ومن ذلك مثلاً تلك العبارات الواردة فيما بين الأسطر من ٨٨ حتى ٩٢ وها نحن نعرض لها بشىء من التفصيل والاسهاب ، أملاً فى اجتلاء الحقيقة ، خاصة وأنها جاءت متعلقة بسلوك طائفة اليهود المقيمين بالإسكندرية وأنها صدرت عن طوائف يهودية متزمتة ومتعصبة ، مما جعل الإمبراطور يُعبر عن أسفه ومبلغ ما تملكه من غضب شديد . ثم

إنه لم يسعه إلا أن يُنذر اليهود ويحذرهم من عدم اللجوء مستقبلاً إلى انتهاج مثل هذا السبيل المجافى للحقيقة والواقع . وكان اليهود على غير العادة المألوفة قد عمدوا إلى إرسال بعثتين يهوديتين للمثول أمام الإمبراطور "كلوديوس" مما استوجب استنكار الإمبراطور وإظهار دهشته من اتخاذ اليهود مثل هذا الإجراء السقيم والتعليق على ذلك بقوله " أما اليهود من الجانب الآخر ، فإنى آمرهم بصراحة وبلا مواربة ألا يطمعوا فى الحصول على أكثر مما حصلوا عليه من قبل وألا يبعثوا لنا فى المستقبل ببعثتين كما لو أنهم كانوا يعيشون فى مدينتين (منفصلتين) ، وهذا أمر لم يحدث مثله من قبل قط " . وكان الإجراء المألوف فى مثل هذه الظروف أن يقوم السكندريون بإرسال بعثة واحدة تمثلهم ، كما حدث على عهد الإمبراطور "كاليجولا" عندما أرسل السكندريون بعثة برئاسة "أبيون" (Apion) وقام خصومهم من اليهود بإرسال بعثة مناظرة مؤلفة من خمسة أشخاص وكان خامسهم الفيلسوف اليهودى المشهور "فيلون" (Philo) السكندرى أما فى عهد "كلوديوس" فقد اختلف الوضع وكان هذا على نحو ليس له نظير من قبل وتفاقمت العلاقات بين اليهود والسكندريين ثم بين طوائف اليهود أنفسهم بظهور عنصر مُتشدد ومتعنت وآخر متسامح وممالئ .

وقد أفاض المعلقون فى محاولة تفسير المعانى التى تنطوى عليها هذه العبارة الواردة فى النص فذكر العالمان اليهوديان Victor Tcherikover & = A. Fuks , 1960 "تشيريكوفر" و"فوكس" فى كتابهما عن البردى الخاص باليهود جزء ثان صفحات من ٥٠ إلى ٥٣ ، فجاءت التعليقات المستفيضة عن هذا الموضوع ، وقد استعرضا فيها كل ما قيل فى هذا الشأن وما يمكن أن يساق فى هذا المجال ، وذلك بقصد التعرف على ما كان يجول فى

ذهن "كلوديوس" عندما كان يتحدث عن تلك الظاهرة الفريدة وهـــى إرســال بعثتين يهوديتين إليه ثم عقب على ذلك بقوله من قبيل التنديــد والســخرية " كما لو كان اليهود يعيشون فى مدينتين (منفصلتيـــن) " وقـد فسـر العــالم البريطانى الراحل سير "هارولد إدريس بل " هاتين البعثتيـــن علـــى أنــهما ينتميان على التوالى والتعاقب إلى السكندريين وإلى اليهود ولكن هذا التفسـير أصبح غير مقبول وغير مستساغ لأنه يتطلب منــا أن نفــترض أن اليــهود بالإسكندرية لم يكن من حقهم أو من المخول لهم أن يبعثوا من جانبهم ببعثــة إلى الإمبراطور وهذا يتنافى مع ما جرى عليه العرف وهم الذين بعثوا إلـــى سلفه "جايوس كاليجولا" ببعثة يرأسها "فيلون" وخلدها هذا الفيلسوف اليــهودى بما صنفه وكتبه عنها بإفاضة فى كتيب عنوانــه "Legatio Ad Gaium" أى "البعثة إلى جايوس" وإذا كان الحال كذلك فـــإن ايفــاد بعثــة يهوديـــة إلـــى إمبراطور روما كان أمراً طبيعياً ومألوفاً وله سوابق ، فكيـــف إذاً ، يجــول بالخواطر أن ينبنى اعتراض "كلوديوس" على قيام اليهود بإرسال بعثة إليـــه كلما تطلب الأمر ذلك ، بناءًا على وهم كهذا . ولدينا فى أعمـــال الشـــهداء الوثنيين أكثر من دليل على إرسال مثل هذه البعثات لتمثل أمام الإمـــبراطور (انظر الوثائق من رقم ١٥٤ حتى ١٥٩ فى موسوعة الـــبردى اليـــهودى) . وكان مثل هذا التصرف من الاجراءات العادية المألوفة . ثم أن "كلوديـــوس" نفسه ذكر فى خطابه كلمة أفصح بها عن استقبال بعثتين وعمل نـــوع مـــن المواجهة بين فريقين هما اليونانيون واليـــهود فاســتعمل العبــارات الآتيـــة (Antikatastasis) ثم (diakousas amphoteron) ومعنى هـــذا أن كـــلا مـــن الطرفين قد أدلى بوجهة نظره وأفرغ كل ما فى جعبته حتى النهاية ؛ وهــــذا يدل على أن ظهور بعثة يهودية فى روما كان أمـــراً مشـــروعاً ولا ســـبيل

للإعتراض عليه . وإذا ما قيل إن اليهود كانوا ممنوعين من إرسال بعثة إلـى الإمبراطور ، فلماذا أذن لهم الإمبراطور "كلوديوس" بالمثول أمامـه علـى الإطلاق ؟ وفضلاً عن ذلك فكيف نفسر قوله فى صراحـة ودون مواربـة ، إن تصرف اليهود على هذا النحو "يُعتبر من الأعمال التى لـم يسـبق لـها مثيل من قبل على الإطلاق "وروما تعرف جيداً أنها شهدت من قبـل ذلـك بقليل بعثتين مضادتين، أحدهما برياسة "فيلون" اليهودى والأخـرى برياسـة "أبيون السكندرى" وأنهما مثلتا أمام الإمبراطور "جايوس كاليجولا" وجـاءت الأحداث والوقائع فى هذه اللقاءات مسجلة بإفاضة تامة فيما سطره "فيلـون" عن "البعثة إلى جايوس" فذكر تلك المحاورات والمناورات والمساجلات التـى جرت على فترات قصيرة مع "جايوس" وبعض رجال بلاطه فـى القصـر الإمبراطورى . ولابد أن الحديث عن كل هذا كان لايزال ماثلا فـى أذهـان الناس جميعاً فى روما فى ذلك الحين ، لأنها تمثل وقائع حدثت منـذ أشـهر قليلة أو نحو سنة مضت قبل أن يوجه "كلوديوس" خطابه هـذا إلـى مدينـة الإسكندرية . وكان العالم الألمانى ڤيلريخ (Willrich) أول من قال بأن هاتين البعثتين المنوه عنهما فى حديث الإمبراطور كانتا مرسلتين من قِبَـل اليـهود ولعل فى توبيخ الإمبراطور "كلوديوس" لليهود ما يؤيد هذا الـرأى ويدعمـه فهو يُنحى عليهم باللائمة على إرسال بعثتين اثنتين وكـان كلامـه موجـهاً لليهود وحدهم . ومن المستحيل استقراء عبارة الإمبراطور وتفسـير جملتـه على أنها موجهة للطرفين أى لليهود والسكندريين على السواء فالمنطوق مـن وجهة نظر الاسلوب والعبارة التى استخدمها الإمبراطور ، لا يحتمل شـيئاً سوى أن الكلام كان موجهاً لليهود وحدهم . وقد لقيت نظرية "ڤيلريخ" هـذه تأييداً واسعاً لدى نفر كبير من العلماء الأعلام نذكر منهم الأسـماء الآتيـة :

Otto , Jones, Balsdon , Neppi Modona , Amusin , Lc 'sch and Eric . Turner

ولكنها وجدت بعض المعارضة من قِبَل فريـــق آخــر نذكــر منـــهم Dessau , Edgar , Hunt , etc . ولكن الجانب المعـــارض كـــان ضعيفـــاً ولا يمكن التعويل على معارضته . وكان العالمـــــان اليـــهوديان "تشـــيريكوفر ، وفوكس (Fuks) يريان في الجانب المؤيد أساساً سليماً مـــــن حيــث توافــر العناصر الأولى التى تقوم عليها هذه الفكرة ولكن نقطة الضعف فى حـــوار "فيلوريخ" ارتكزت حول أن البعثتين اليهوديتين كانتا تمثلان اتجاهين رئيســيين فى ذلك المجتمع اليهودى المقيم بالإسكندرية أحدهما يمثل العنصر المتـــهلن أو المتأغرق والثانى هو العنصر المتمسك بأهداب الدين القويـــم والمنـــبرى للدفاع عن حقوق اليهود ومطالبهم لدى الإمبراطور بـــلا خـــوف ولا وَجَـــل وكان "فيلون" يتزعم العنصر الأول ويسعى إلى الحصول على مزيـــد مـــن الحقوق المدنية فى مدينة الإسكندرية بينمـــا كـــان العنصـــر الآخـــر يتســـم بالمعارضة ويؤثر أن ينأى بجانبه ، مُفضلاً المحافظة علـــى قواعـــد الديـــن القويم فأصبح الحال كما لو أن هذه الحقوق المدنية كانت ميســـورة لليـــهود وفى متناول أيديهم أو منحت لهم بالفعل من قبل ولم يبق عليـــهم ســـوى أن يقبلوها أو يرفضوها ؛ ومن ثَـــمَّ جاءوا إلى رومـــا وهـــم منقســـمون علـــى أنفسهم ، بين فريق متعاون ومؤيد وفريق آخر متعنت ومتشدد ، ولعل هـــذا هو الذى أدهش الإمبراطور وجعله يضيق ذرعاً بالطرفين . . ومن أجل هـــذا وجب علينا أن نعاود النظر ونطيل البحث والتقصـــى فـــى موقـــف متـــأزم لليهود، تعرضوا له فى حضرة الإمبراطور "كلوديوس" .

وهناك حقائق كثيرة تكشفت لنا من الدراســـة اللغويـــة لنـــص هـــذا

الخطاب الذى صدر عن الإمبراطور "كلوديوس" ، وهذه الحقائق قد تنير لنا السبيل من أجل حل هذا اللغز والتعرف على حقيقة الأمر المتعلق بهاتين البعثتين اليهوديتين . وقد سبق أن عرفنا أن البعثة اليونانية التى وردت الإشارة إليها فى هذا الخطاب لم تتعرض للموضوع الشائك وهو مناقشة المركز القانونى ليهود الإسكندرية ولم تشر إلى شىء من ذلك ، اعتماداً على أن هذا الموضوع نوقش أمام "كلوديوس" فى تاريخ أسبق ، وعلى ذلك كانت هناك بعثتان يونانيتان على الأقل ، مثلتا أمام "كلوديوس" فى تاريخين متعاقبين . وهذا الاقتراح له قيمته لأن الذى أدلى به عالم ألمانى جليل هو "أكسكل جيلينباند" ومن المحتمل أنه فى كل مرة من هاتين المرتين كانت بعثة يهودية مناظرة تتصدى لتفنيد ما يجئ على لسان كل بعثة من هاتين البعثتين اليونانيتين . على أن البعثة اليونانية الثانية أمرها معروف ومشهور ، أما معلوماتنا عن البعثة الأولى فهذا موضع تساؤل . وفى هذا الصدد يقترح العالم الألمانى "اكسكل جبلينباند" فى تعليقه على ما جاء فى الوثيقة البردية رقم ١٥٦ ج وهى المنشورة فى موسوعة البردى اليهودى أن البعثة اليونانية الأولى جاءت إلى روما بهدف توجيه الاتهام إلى أجريبا (Agrippa) الملك اليهودى وأن الزعيمين اليونانيين المشهورين وهما "إيزيدوروس" و "لامبون" كانا عضوين بارزين فى هذه البعثة وقد عُرفا بعدائهما الشديد لليهود والكيد لهم فى نطاق الإسكندرية . على أن إرسال بعثتين فى تاريخين متقاربين خاصة وأن مهمة تحدى "أجريبا" كان فى المستطاع تكليف البعثة الثانية بها وأن توكل هذه المهمة إليها دون غضاضة، وكان هذا مدعاة فى حد ذاته إلى شىء كثير من التساؤل والتشكك. ومن غير المحتمل على الإطلاق أن يحدث شىء من هذا ، إذا ما

تذكرنا أن "ايزيدوروس" كان مقيماً فى روما عندما وفدت البعثـة اليهوديـة التى كان يرأسها "فيلون" وحظيت بـالمثول أمـام الإمـبراطور "جـايوس كاليجولا" وأشار إلى ذلك "فيلون" نفسه فى كتيبه عن "البعثة إلى جـايوس" ، فقرة (٣٥٥) وإنه لفى وسعنا أن نحدد التاريخ الذى تم فيه هذا المثـول فـى شيء من اليقين . ذلك أن "فيلون" ذكر فى كتيبه عن البعثة إلى "جايوس" فـى الفقرة ٣٥٦ أن اليهود قاموا من جانبهم بتقديم القرابين والأضاحى من قبيـل تمجيد ذلك النصر الذى أحرزه الإمبراطور على الألمان ، وهذا كناية عـن أن هذا التوقيت كان عقب عودة الإمبراطور مـن حملتـه علـى ألمانيـا . ونستنبط من هذا أن اللقاء الذى تم بين الإمبراطور واليـهود ومثولـهم فـى حضرته كان بالتبعية عقب انتهاء هذه الحملة المـؤزرة . ويقـول المـؤرخ اللاتينى "سويتونيوس" (Suetonios) فى سرده لقصـة حيـاة الإمـبراطور "كاليجولا" (٤٩ ، ٢) أن حادثاً أليماً وقع لهذا الإمـبراطور باغتيالـه عقـب عودته من ألمانيا إلى روما .

وباستقراء الحوادث والملابسات وتسلسلها تبين أنه كان قـد انقضـى على عودة الإمبراطـور هذه فترة طولها نحو أربعة أشهر ، إذا مـا أخذنـا فى الاعتبار مدى الصعوبـة التى لقيتها بعثة "فيـلون" من أجـل الحصـول على موعد للمثـول أمام الإمبراطور وكيف أن "جـايوس كـاليجولا" كـان يمهلهم دائماً ويراوغ ويُسوّف فى تحديد موعد لهذا اللقاء وفـى ضوء هـذه الظروف لن نكون مخطئين فى أغلب الظن إذا ما قلنا أن هذا اللقاء العـاصف تم فى وقت ما ، هو أقرب ما يكون مـن اليـوم الـذى اغتيـل فيـه هـذا الإمبراطور وهو يوم ٢٤ من يناير سنة ٤١ ومرجعنـا فـى توقيـت هـذه الأحداث إلى ما كتبه العالم البريطانى "بولصدن" (Balsdon) فى كتابه عـن

الإمبراطور "جايوس كاليجولا" ثم فى مقال نشره فى مجلة عن الدراسات الرومانية (Journal of Roman Studies) العدد ٢٤ ص١٩ وما بعدها ثم ما كتبه "أموسين" (Amusin) فى مجلة تصدر فى "وارسو" ببولندا عن البردى القانونى (Journal of Juristic Papyrology) العدد ٩ ــ ١٠ ص١٦٩ .

وإنه لمن الصعوبة بمكان أن يتصور الإنسان أن الزعيم اليونانى السكندرى "إيزيدوروس" كان لديه فسحة من الوقت تمكنه من العودة إلى الإسكندرية ثم الرجوع إلى روما للمشاركة فى بعثة يونانية أخرى تمثل أمام الإمبراطور "كلوديوس" فى مستهل حكمه ، فهذا أمر عسير ، خاصة إذا ما تذكرنا أن الملاحة كانت تتوقف فى البحر المتوسط من منتصف نوفمبر حتى منتصف مارس من كل عام ومع ذلك فالثابت أن "إيزيدوروس" هذا كان عضواً فى إحدى هاتين البعثتين وهذا يتضح من تلك الاشارة الواردة إليه فى البردية رقم ١٥٦ (أ) العمود الأول ــ الأسطر ١٠ ــ ١٥ ثم سطر ١٧ . فأى البعثتين إذاً كان هو أحد أعضائها ؟ والأقرب إلى الظن أنه لا ضير علينا إذا قلنا إنه كان عضواً فى تلك البعثة التى كان يرأسها "أبيون" وهذا يفسر السر فى تواجده فى بلاط "جايوس" فى اللحظة العصيبة التى مثل فيها "فيلون" أمام "جايوس" . ومن اليسير علينا أن نقول إن هاتين البعثتين ، اليهودية منهما برئاسة "فيلون" واليونانية برئاسة " أبيون " ، كانتا متواجدتين فى روما فى نفس اليوم الذى وقع فيه حادث الاغتيال وأنهما آثرتا البقاء فى روما لموالاة العمل وبذل الجهد المتواصل فى ظل العهد الجديد بعد تنصيب "كلوديوس" وارتقائه العرش الإمبراطورى سنة ٤١م ، خاصة وأن الموضوع برمته لم يكن فى نظر "فيلون" قد حسم بعد [١] .

---

(١) انظر ما كتبه "بولصدن" فى كتابه عن الإمبراطور "جايوس" =

ومن الغريب أن اليهود والمسيحيين على السواء أصبحوا يكنّون ويُضمرون ذكريات مشوبة بشيء كثير من الريبة والغموض عن العلاقة بين "فيلون" وبين "كلوديوس" وأخذوا يرتابون في اتصالات "فيلون" ومعاملاته مع "كلوديوس" ، فالكاتب اليهودى المسمى "چوسيبون" (Josippon) الذى عاش فى العصور الوسطى ذكر أن مقتل "جايوس" وقع فى اليوم الثالث عقب مثول "فيلون" أمام الإمبراطور "جايوس" وأن "فيلون" أعيد إلى وطنه فى الإسكندرية معززاً مكرماً من قبل "كلوديوس" . أما يوسيبوس فى كتابه المشهور عن التاريخ الكنسى جزء ثان ١٨ ، ٨ فقد ردد قصة وهمية وغير واقعية مفادها أن "فيلون" تلا كتابه عن "البعثة إلى جايوس" (Legatio Ad Gaium) أمام مجلس السناتو الرومانى وفى حضرة "كلوديوس" بالذات (*κατὰ Κλαυδίου*) ومع أن مثل هذه القصص ليست بذات أهمية تاريخية ولا يمكن التعويل عليها أو الإستناد إلى وقائعها ، فإن الموقف نفسه كان لايزال محتدماً ويبرر وجود كل من "فيلون" و"أبيون" و"إيزيدوروس" فى روما فى مستهل العهد الجديد ، وكان الأمل يحدو الجميع فى أن يلقى الموضوع لدى "كلوديوس" شيئاً من الحزم والحسم . ويبدو أن العالم البريطانى "هارولد إدريس بل" كان يميل إلى تأييد احتمال قبول مثل هذا الرأى ، على اعتبار أن هذا هو أحد الحلول الممكنة . وإذا صح هذا القول فإن أول بحث جدى فى المسألة اليهودية ــ السكندرية كانت أولى حلقاته فيما يبدو ، قد بدأت باقتراح صادر من الملك "أجزيبا" وهذا هو الذى أدى إلى عمل المواجهة الأولى بين اليهود واليونانيين أمام "كلوديوس" وكان

=Balsdon , The Emperor Gauis (1966) p. 134 .

"فيلون" هو ممثل اليهود و"أبيون" هو ممثل السكندريين وشـارك فـي ذلـك "ايزيدوروس" . ولعل هذا هو أول تحقيق أشار إليه "كلوديوس" فـي خطابـه في سطر ٨٨ بقوله إنه بعد الاستماع إلى كلا الطرفيـن ، لـم يسـعه إلا أن يؤكد ما أقره من قبل الإمبراطور "أغسطس" من حيث السماح لليـهود بـأن يباشروا أعمالهم مثلما كانوا يفعلون من قبل ، وعلى النحو الذى كان يـروق لهم ويتفق مع عاداتهم . أما عن ماهية أو هوية البعثة الثانية فمـن الواضـح تماماً أن اليهود بعثوا بها إلى روما كيما تقوم بتفنيد أقوال خصومهم وتدفـع عن اليهود تلك الاتهامات التى كان اليونانيون السكندريون يوجهونها عندمـا جاءوا إلى روما فى بعثة ثانية وكـان مجيئـهم فـى وقـت غـادروا فيـه الإسكندرية فى أغلب الظن فى أواخر فبراير أو فى مستهل شهر مـارس . وما كان فى وسع "فيلون" أن يناقش الموضوع الـذى حملتـه هـذه البعثـة السكندرية فى جعبتها لأنه كان خالي الذهن عما جرى فى الإسـكندرية فـى صدر حكم "كلوديوس" ولا يعرف على سبيل اليقين مَنْ هو البادئ بـالعدوان نظراً لغيابه فى روما ثم إن المعلومات التى وصلت إليه من الإسكندرية كـان فيها شيء كثير من التحريف والمبالغة . وكان الهدف منها بالطبع هو القـاء التبعات فى الشغب الذى وقع والعدوان السافر من قِبَل اليـهود هـو علـى السكندريين ، أى على خصوم اليهود . ولذلك رؤى مـن الحكمـة تجنيـب "فيلون" عن الخوض فى هـذا الموضـوع ، تذرعـاً بغيبتـه وبُعـده عـن الإسكندرية وقد خفيت عليه الوقائع والظروف والملابسات . وفضـلاً عـن ذلك كان يُخشى إحراجه ، وهذا هو السر الدفين فى تلـك البعثـة اليهوديـة الثانية التى اضطلعت بمهمة صعبة وهى مواجهة البعثة اليونانيـة الثانيـة . وقد حدثت بالفعل تلك المواجهة التى نوه عنها "كلوديوس" فـى السـطر ٧٥

بكلمة (ἡ . ἀντικατάστασις) . ويبدو أن المناقشة احتدمت وذلك استنباطا من تلك العبارات المقتضبة التى ذكرها "كلوديوس" مشيدا بتلك الجهود المضنية وهى التى بذلها "ديونيسيوس" بن "ثيون" بوجه خاص (سطر ٧٦) . وكان باقى السفراء قد ألقوا بدلوهم فى هذا المضمار وبذلوا قصارى جهدهم فى الدفاع عن وجهة نظر السكندريين . ويمكننا أن نستنبط من هذا السياق أن "ديونيسيوس" هذا قد أبلى بلاءاً حسناً فى دحض حجج خصومه وإلحاق الهزيمة بهم وأن نستشف من هذا الجدل أن المناقشة قد احتدمت أمام الإمبراطور عند عقد هذه المواجهة ذات الطابع القضائى . وقد تبين من كل هذا أن هناك من الأسباب ما يبرر وجود بعثتين يهوديتين فى روما موفدتين من الإسكندرية وليس فى هذا أى شيء يدعو إلى الغرابة . وعندئذ يحق لنا أن نتساءل عن السبب الذى من أجله غضب "كلوديوس" تلك الغضبة المضرية لوجود بعثتين يهوديتين ، مَثُلتا أمامه ، إذا صح أن فى وجودهما ضرورة تبرر ذلك ، وإذا كان الأمر يقتضى عدم السماح لليهود بإرسال بعثات من جانبهم ، فإن بعثة واحدة من هاتين البعثتين كافية لإثبات عدم شرعية هذا التصرف ، فما بالنا إذا تعدى ذلك إلى إرسال بعثتين . أما إذا كان من حق اليهود أن يوفدوا بعثات على الإطلاق فلماذا لا يرسلوا بعثتين أو ثلاثة ؟ على أن غضب الإمبراطور كان فيما يبدو منصبا لا على إرسال بعثتين فحسب من جانب اليهود وإنما تعدى هذا إلى ما هو أشد وأنكى وهو تصرف اليهود وسلوكهم المتنافر ، كما لو أنهم كانوا يمثلون ويقطنون فى مدينتين منفصلتين (السطران ٩٠ - ٩١) ثم إن هذه الفقرة كانت دامغة فى ادانتها لليهود ولا تنسجم مع القول بظهور بعثتين الواحدة تلو الأخرى وإنما تكشف النقاب عن أن هاتين البعثتين ظهرتا أمام الإمبراطور فى وقت واحد

وبصورة معيبة ومن هنا جاء فجأة التضارب فى أقوالهما . وكان ظهورهما على هذا النحو منفراً ومستوجباً لغضب الإمبراطور ودهشته . ولعل "كلوديوس" أراد أن يشير هنا إلى وجود البعثتين اليهوديتين. ويحق لنا أن نتصور أن فى وقوع صدام على هذا النحو السافر هو التفسير الحقيقى لتلك النوبة الغاضبة التى اعترت "كلوديوس" وتملكته وجعلته يعبر عنها فى خطابه إلى السكندريين بصورة لا تحتمل أى لبس أو مواربة . إنه كان يعلم علم اليقين أنه ليس من واجبه ولا من شأنه أن يتدخل فى فض نزاعات داخلية ومشاحنات ومهاترات تقع فى حضرة الإمبراطور بين أفراد من الجالية اليهودية الواحدة فى الإسكندرية . وهنا قد يتساءل الإنسان عما هى يا ترى تلك الأسباب التى حدت إلى وقوع مثل هذا الخلاف بين البعثتين اليهوديتين ، فهل كان "فيلون" معتزاً بكرامته ومعتداً بشخصيته إلى حد أنه لم يكن ليسمح لغيره بأن يقوم بأى تمثيل سياسى آخر من قبل اليهود السكندريين ؟ ولعل فى الأمر شىء من هذا القبيل . ومع ذلك فقد يعن لنا أن نتساءل عن وجود أسباب أخرى أعمق وأشد إيلاماً "لفيلون" من هذا الامتعاض الشخصى وهو العليم ببواطن الأمور وكان دائماً يخشى أن يبعث اليهود فى الإسكندرية بممثلين آخرين يُعبرون عن وجهة نظر أخرى- وينقسمون على أنفسهم على هذا النحو السافر أمام بلاط الإمبراطور فيكشفون بذلك عما فى دخيلة نفوسهم بصورة غير مُشرفة . وقد يكون منشأ الخلاف قيام نزاع فيما يتعلق بنيل الحقوق المدنية فى الإسكندرية والسعى من قبل طوائف من اليهود إلى الحصول عليها . ولعل الاقتراح الذى أدلى به العالم "فيلريخ" (Willrich) متضمناً وجود بعثة قوامها يهود متهلنون (hellenized) وأخرى مؤلفة من اليهود المتمسكين بالدين القويم (orthodox)

يُمثل الرأى الصواب فى تعليل وجود بعثتين ماثلتين أمام الإمبراطور فى نفس الوقت ، ومع ذلك فليس لمثل هذا أية علاقة بموضوع الحقوق المدنية والسعى للحصول عليها على الإطلاق ، فهذا أمر قد بُتّ فيه من الناحية القانونية ولا سبيل للعدول عنه . وقد أومأ الإمبراطور فى خطابه إلى أن السكندريين قد أثاروا مشكلة هى تحديد المسئولية فى قيام الاضطرابات وأعمال الشغب ومعرفة البادئ بالعدوان فى عهد "كلوديوس" وأن المناقشات قد احتدمت بين الطرفين بسبب ذلك ولكن الإمبراطور آثر ألا يجارى اليونانيين فى مطلبهم هذا . وقد يتبادر إلى الذهن أن نسائل أنفسنا عما إذا كان هناك اختلاف وتباين فى الآراء وتعدد فى وجهات النظر . ولما كان الجواب على هذا السؤال لا يمكن أن يحظى بشىء من التأكيد فإننا نكتفى بعرض بعض الآراء التى قد تنير لنا السبيل . ويبدو فى أغلب الظن أن تغييراً جذرياً قد حدث فى العلاقات اليونانية اليهودية وأن هذا التطور حدث بالفعل فى الفترة القصيرة ما بين عام ٣٨ حتى ٤١م. فالأثرياء من اليهود بالإسكندرية لم يكونوا أبداً معادين لليونانيين . ومع كونهم معتزين بدينهم ، فإنهم كانوا متأثرين تأثراً شديداً وعميقاً بالثقافة الهيلينية أو الهيللينستية ومبهورين بألوانها المختلفة بل وقد تذوق الكثيرون منهم بعض الجوانب فى تلك الحضارة التى أضاءت بنورها على العالم الهيللينستى برمته ، فكيف يتأتى أن يقف اليهود منها موقفاً سلبياً وينأون بجانبهم دون أن يغترفوا من مناهلها ، وهى قاب قوسين أو أدنى منهم ثم إن مراكزهم فى الإسكندرية كانت تقع بين ظهرا نيهم وهى تعج بالأدباء والفلاسفة والشعراء والخطباء والعلماء فى شتى الميادين .

ونحن نعلم أن اليهود المثقفين كافحوا بشدة من أجل الحصول على

الحقوق المدنية فى الإسكندرية كيما يشاركوا ويسهموا بقسط فى معترك الحياة السياسية اليونانية وكانوا يعتبرون أن فى هذه المشاركة دلالة مهمة على توطيد مركزهم وفيها خدمة جُلّى لمصالحهم الأكيدة . وقيل إن "فيلون" نفسه كان يرتاد المسرح اليونانى ويتردد على النوادى الثقافية والرياضية بالإسكندرية. ولابد أن كثيرين من أمثاله كانوا يتخذون منه قدوة حسنة . ولكن المذبحة الكبرى التى تعرض لها اليهود فى عام ٣٨م. وراح ضحيتها الكثيرون من اليهود الآمنين فتّت فى عضدهم وانتهت بفشل سياسى بالنسبة لهم ، أعقبه صدٌ ورفض لمطالبهم وتعطيل لمصالحهم وتخريب ونهب لمتاجرهم ، بل وتعريض حياتهم لأنواع شتى من الأخطار والأمراض والأوبئة بعد تشريدهم بالجملة وسكناهم فى المقابر وفى العراء وعلى شواطئ الساحل معرضين أنفسهم لقيظ الشمس نهاراً ولبرودة الجو ليلاً . وكان هذا المصير الأليم بمثابة ضربة قاضية لمركزهم الثقافى . وعندئذ حق عليهم أن يتدبروا أمرهم ويدركوا كنه أنفسهم بشىء كثير من الوعى والتقدير لكل الظروف المحيطة بهم . وكان فى رأى الفيلسوف اليهودى "فيلون" أن هذه المراكز التى خسرها اليهود لا يمكن استردادها بالقوة ولا سبيل إلى العودة إلى المكانة التى كان عليها اليهود قبل هذه المذبحة فى يسر وسهولة، وأنه لمن الصعوبة بمكان أن يعود اليهود إلى كيانهم الاجتماعى الذى حظوا به من قبل فى ذلك المجتمع الهيللينستى الرفيع لأن ذلك كان يتطلب شيئاً كثيراً من اللباقة والمهارة والكياسة والذكاء الدبلوماسى كيما يتحقق لهم النجاح فى استرداد مكانتهم الأولى دون اشعال نيران الفتنة من جديد أو محاولة النفخ فى نيرانها حتى تتأجج مرة أخرى ، فهذا أسلوب ينطوى على أشد الأخطار. وإذا كان هذا هو أسلوب "فيلون" فكان أولى

باليهود فى الإسكندرية أن يصبروا قليلا ويتيحوا له الفرصة كيما يحقق برنامجه . إنه حاول أن يداور ويناور ويتلمس الفرص المتاحة ولم يكن يكشف عن نواياه لأحد وكان يتكتم ما يدور بخلده متذرعاً فى سياسته هذه بالمداهنة والمراوغة ولم يكن يعمد إلى استعمال العنف أو التصدى للتيار الجارف والوقوف فى وجه الرياح العاتية إذا ما هبّت وإنما كان يُخلى لها السبيل ويدعها تمر حتى لا تطحنه طحناً أو تُجهز عليه ــ إنه سطر كتابين سياسيين كان أولهما للطعن فى الوالى الرومانى "أفيليوس فلاكوس" (Avilius Flaccus) وكان الثانى يحمل عنواناً مؤداه السفارة إلى "جايوس " (Legatio Ad Gaium) وفى هاتين الرسالتين شرح الوقائع والأحداث التى جرت فى عام ٣٨م. وندّد بالوالى ولكنه لم يهاجم المجتمع اليونانى ولم يشأ أن يصفه بأنه مجتمع معادى لليهود وإنما صبّ جام غضبه على شخص الوالى "فلاكوس" وندد بسياسته الإجرامية وسوء استخدامه لسلطته وانحيازه للجانب اليونانى ، ثم ارتمائه فى أحضان فئة ضالة من رجال العصابات والزعماء السياسيين المتحكمين فى عدد من النوادى بالإسكندرية وهم يفتعلون المواقف وينظمون أعمال التهريج والشغب . وعلى أكتاف هؤلاء تقع مسئولية تلك الأحداث الأليمة فى عام ٣٨م. فى الإسكندرية وهدفها مناوئة السامية من قبل السكندريين (anti – Semetism) . أما عن اليهود فقد نفى "فيلون" عنهم أنهم كانوا معادين لليونانيين وهو فى هذا القول كان يغالى ويكابر . وقد وصف تصرف الوالى "فلاكوس" وهو يقوم بالتفتيش والبحث عن الأسلحة فى مساكن اليهود وأحيائهم وبيوت عظمائهم بأنه تصرف ينطوى على منتهى الغباء والسخف فاليهود على حد قول "فيلون" فى بحثه (In Flaccun) لا يملكون سلاحاً ولا حتى سكاكين فهم بطبيعتهم "

شعب محب للسلام " (Pax) ويؤثر دائماً أن ينعم بالحياة الهادئة .. هـذا هـو .. الاتجاه الذى كان يسير عليه "فيلون" وذلك هو أسلوبه فى الدفاع عن القضية اليهودية . وبينما كان فى روما منكباً على الدفاع عن قومه والعمـل على تبرئتهم من التهم الموجهة إليهم ، منتهجاً فى ذلك السبيل الذى كان يـتراءى له ويحقق بغيته حسب تفكيره ، حدثت أحداث فى الإسكندرية من قبل اليـهود وهم الذين قلبوا فيها ظهْر المجن للسكندريين وانقضوا عليهم وانتقموا منـهم مستخدمين الأسلحة التى كانوا قد كدسوها وأخفوها وكانوا فى ذلك متعـاونين مع رفاقهم وبنى جلدتهم الذين كانوا قد جلبوهم من فلسطين واستدعوهم مـن جميع أنحاء مصر وكانت هذه الأحداث الجسام بمثابة حرب سافرة كما عـبّر عنها الإمبراطور "كلوديوس" وبذلك انكشف النقـاب عمـا دبـره اليـهود . وبالطبع كان هذا التصرف مضاداً للخطط التى رسـمها "فيلـون" لأن فيـها تعرية لأسلوبه وقلب للأوضاع وشل لكل الجهود التى كان قـد بذلـها فـى روما. وقد تبين بجلاء أن اليهود احبكوا هذه المؤامرة وكـان لـهم ظـاهر وباطن وأنهم قاموا بتكديس الأسلحة لديهم واستطاعوا أن يشـنوا بـها فـى الوقت المناسب حرباً شعواء بفضل القوى والعناصر التى جلبوها من سـوريا وفلسطيـن ومن صعيد مصر (ابوللونوبوليس أى إدفـو ثـم مـن أسـوان وغيرهما) وبذلك ارتكبوا هذا العدوان الآثم فكان فى هـذا العمـل الخـذلان المبين للفيلسوف "فيلون" مع أنه كان داعيتهم والمحامى عنهم . وزاد الطيـن بلـة أنهم بعملهم هذا ، كشفوه للإمبراطور على أن "فيلون" هذا هو الكـذاب الأشر فيما يقوله وفى كل ما يدعيه ؛ وقد أثبت اليـهود أن لديـهم المـهارة الفائقة فى استخدام هذا السلاح الذى كانوا يخفونه ثم حملوه ضد خصومـهم الألداء وهم السكندريون . وقد خشى الإمبراطور أن يتطور الأمر فى النهاية

من حرب محلية بين اليهود والزعماء اليونانيين المناوئين للسامية وينقلب إلى صدام عام وخطير ، ثم يندلع على أوسع نطاق بين عالمين : العالم اليونانى فى الشرق والعالم اليهودى فى أرجاء الشرق وهكذا تتحول الفتنة المحلية إلى حركة عامة تشمل بلاد الشرق برمته . وإنها لحقيقة مؤكدة أن فريقاً من اليهود بالإسكندرية لم يكن يؤيد "فيلون" فى الخطط التى انتهجها ولم ترق له الخطة التكتيكية التى سلكها لمعالجة هذا النزاع وفض الكفاح بين الجانبين . وما من شك أن هذا الوضع كان أمراً مسلماً به ؛ فبينما كان "فيلون" يدعو إلى الاعتماد على الدبلوماسية والدعاية الجوفاء كان هناك أناس من اليهود يَدْعون إلى استخدام العنف وحمل السلاح واللجوء إلى سياسة البطش والجبروت بواسطة هذا السلاح . ولسنا على بينة من الأمر من حيث التعرف على طبيعة هؤلاء الغلاة المتشددين ولكننا نستطيع إعمال الحدس والتخمين فنقول إنهم لم يكونوا ينتمون إلى المجتمع الراقى من اليهود وربما كانوا ينتمون إلى الجمهرة الفقيرة من عامة الشعب اليهودى ، وهؤلاء كانوا أقرب صلة وأشد تمسكاً بالتقاليد الدينية الصميمة لدى اليهود ، فكانوا يستميتون فى الحرب وهم على سجيتهم بدافع من الفطرة ، غير آبهين بالنتائج ولا بالعواقب ؛ فالعناد والإصرار على التمسك بأهداب دينهم القويم مهما كلفهم ذلك جعلهم يمضون فى غلوائهم ولا يلوون على شىء وغير مكترثين بالعواقب السياسية الوخيمة التى قد تعود على الأمة اليهودية جمعاء أو على الجالية اليهودية بالإسكندرية بصفة خاصة . وإذا ما تصورنا أن أمثال هؤلاء المغامرين كانوا هم الذين يقبضون على ناصية الأمور فى الجالية اليهودية بالإسكندرية وأنهم هم الذين كسبوا النصر فى حربهم ضد السكندريين عقب اغتيال "كاليجولا" وتولى "كلوديوس" مباشرة مهامه أى

خلال عام ٤١م. وإذا ما تصورنا أن رجال البعثة الثانية جاءوا فى أعقاب هذا النصر المؤزر وأنهم كانوا متأثرين بالطبع بهذا الجو المشحون بالدعاية والذى تفوح منه روح التفاخر بهذا النصر الذى أحرزه اليهود فى غفلة من الزمان ــ عندئذ نستطيع أن نفهم فى يسر وسهولة ماهية الأسباب والدوافع التى تفشت بين الأفكار السائدة لدى الفريقين من رجالات البعثتين [١] ، فهناك بعثة عنيدة وعتيدة كان يرأسها "فيلون" وأخرى وافدة لديها شعور كله نشوة واعتزاز بالنصر وفى مطالبها تشدد ومغالاة . وكان فى نظر "فيلون" أنه من الخطورة بمكان السماح لرجال هذه البعثة الوافدة وهى تمثل هذه العقلية المتشددة أن يمثل أفرادها أمام محكمة الإمبراطور (Cognitio Caesarieia) . إنهم جاءوا للدفاع عن الحق الطبيعى المخول لليهود فى القتال دفاعاً عن أنفسهم عندما يهاجمهم خصومهم من السكندريين وبذلك يكونون قد هدموا تلك الخرافة القائلة بوجود نفر من المهجرين وأعضاء النوادى السياسية ، استطاعوا تحريض سكان الإسكندرية من اليونانيين وهم قوم انطوت قلوبهم على طيبة وسماحة خلق ، فألبوهم على اليهود . وبدلاً من تصوير الأمر على هذا النحو المتواضع والمستساغ ، جاء هؤلاء الغلاة وهم يحملون فى جعبتهم صورة بشعة ومزعجة للغاية ، تنطوى على أن مدينة يونانية عظيمة كالإسكندرية أصبحت مصطبغة بروح من الكراهية للأجانب . وهذه الكراهية كان يُكنى لها بكلمة ابتدعها "هيرودوت" منذ منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ووصم بها جملة الشعب

---

(١) انظر ما رواه "Balsdon" فى كتابه عن "كاليجولا" من أن ثلاث بعثات مثلت فى روما وان تغيرا فى موقف "كلوديوس" قد لوحظ فى اجابته لرجال البعثتين اليهوديتين والبعثة السكندرية . جاء هذا فى كتاب بولصدن ص١٤٤، طبعة ١٩٦٦.

المصرى وهى (Xenophobia) ومعناها الخوف من الغرباء والأجانب . وقد عول هذا الفريق على الصاق هـذه الصفـة أو بـالأحرى هـذه الوصمـة بالسكندريين من قبيل التجاوز ، مع أن السكندريين كانوا برؤاء من كل هـذا وما عرف عنهم شيء من ذلك إطلاقاً ، فالإسكندرية مدينة بحريـة ، آفاقـها مفتوحة للغادين والرائحين من الغرباء والأجانب والسائحين والتجـار وهـى تعج دائماً بالزائرين الذين كانوا يُمثلـون طوائـف مـن جميـع الأجنـاس والعناصر . ولكن الكره الأعمى وضيق الأفق هو الذى جعل هؤلاء الغـلاة من اليهود يُصورون تلك المدينة على هذا النحو وذلك مـن قبيـل الإثـارة والتحريض فادعوا أن هذه المدينة المملوءة بأعمال الحقد والكراهية للأجـانب كانت مستعدة ومتأهبة باستمرار للقضاء على الحياة اليهوديـة والانقضـاض على أملاك اليهود وأمتعتهم فى أى لحظة بقصد النهب والسلب .

هذه هى الصورة البشعة التى أراد أولئك الغلاة من عامة اليـهود أن يبرزوها عن الأوضاع السائدة فى الإسكندرية وهى فى واقع الأمر من صنـع خيالهم وقد أعماهم تشددهم وتطرفهم عن توخى الحقيقة . وقد خشى "فيلـون" أن يجرهم هذا المسلك المتعنت إلى الاعتراف صراحة بأن اليـهود جلبـوا بالفعل من الخارج إخواناً لهم بطريق التدليس والتـهريب تحـت أى سـتار وكدّسوهم بأسلحتهم فى الإسكندرية لتدعيم قوى اليهود فى الكفـاح المرتقـب ضد اليونانيين وهو الكفاح الذى وقعت أحداثـه بـالفعل فـى صـدر حكـم الإمبراطور "كلوديوس" وجاء مكللا بالنصر لليهود على اليونـانيين ثـم تـمّ اقماعه بواسطة الوالى "فيتراسيوس بوليو" ولكن هذا الأسلوب فـى معالجـة الأمور لم يكن ليرضى عنه أحد ولا حتى "فيلون" الذى لم يسمح به ولم يشـأ أن تتاح الفرصة لأناس مثل هؤلاء الغلاة حتى يُشوهوا الحقائق ثم يغالوا فـى

تصويرها على هذا النحو المعيب لأن هناك خطر في تشكيل السياسة اليهودية وعرضها بهذه الصورة القاتمة وغير القشيبة على مسمع من الرومان وفي حضرة إمبراطورهم في روما . ولا ريب أن سياسة ، هذا برنامجها ومنهاجها ، كانت تنطوي على قصر النظر ومصيرها أن تنتهي بكارثة للشعب اليهودي . وعلى ذلك رأى "فيلون" أن من أولى واجباته أن يُجنِّب شعبه وبلاده مواقع الزلل خشية أن يكون في هذا التهلكة لهم جميعاً.

ولعل "فيلون" كان على صواب تام فيما ارتآه من ضرورة الحيلولة دون أن تمثّل هذه البعثة أمام الإمبراطور . لأنه نجم عن هذا المثول بالفعل ذلك التهديد الفجائي الذي أعلنه "كلوديوس" دون أن يفصح عن أي مبرر له وهو يقضي بأنه يعتبر اليهود دعاة فتنة ومصدر بلاء (*Νόσος*= nosos) جاء مهدداً للعالم المأهول بالسكان برمته . وكان هذا الشعور راجعاً بالطبع إلى تصرف اليهود أنفسهم مما جعل الإمبراطور يتملكه الغضب وشدة الألم من جراء ما شاهده وما سمعه على لسان أفراد البعثة الثانية [١] . على أن هذه البعثة الثانية كانت في واقع الأمر تمثل الجالية اليهودية بالإسكندرية وحظيت بهذا التفويض في غيبة "فيلون" عن الإسكندرية ولذلك لم يكن في وسع "فيلون" أن يحول دون مثولها أمام الإمبراطور "كلوديوس" . وعلى ذلك تمت المواجهة التي أشار إليها الإمبراطور بكلمة (Antikatastasis) والتي حارب من أجل تحقيقها رجال هذه البعثة الثانية ، على الرغم من معارضة "فيلون" . ولعل شيئاً من الاحتكاك والصدام وبعض المهاترات قد وقع بين رجال البعثتين اليهوديتين

---

(١) انظر ما كتبه العالم أموسين (Amusin) في مجلة خاصة بدراسة البردي القانوني ـــ تصدر في وارسو ببولندة في العدد التاسع والعاشر ص٧٧ . عنوانها Journal of Juristic Papyrology .

فى حضرة الإمبراطور وبذلك كشف اليهود عن أنيابهم وأفصحوا عن نواياهم الخبيثة وقد وصل هذا الصدام فى النهاية إلى حد لا يمكن السكوت عليه ، لأنه كان يهدد الأمن العام وخاصة بعد أن وصلت كل هذه الأخبار إلى أسماع الإمبراطور على هذا النحو السافر . وبالطبع لم يكن فى وسع الإمبراطور "كلوديوس" أن يُقحم نفسه فى نزاع داخلى من هذا النوع الرخيص وهو نزاع اتسم بالتفاهة وكان يخص الشعب اليهودى وحده . وقد حسم الإمبراطور الوضع بقطع دابر الفتنة وكان حاسماً فيما قرره فأصر بأنه فى المستقبل لا ينبغى أن يرسل اليهود بعثتين فى نفس الوقت لأن هذا أمر لم يحدث له مثيل من قبل . . وكان هذا التحريم حاسماً ولا رجعة فيه . وبذلك أنهى الشجار والجدل الذى قام به أعضاء البعثتين وأثبت بذلك أنه إمبراطور حازم وأنه لا يقبل العبث ولم يشأ أن يجارى اليهود فى تُرّهاتهم وخلافاتهم وهذا هو التفسير الذى يمكن أن نسوقه من أجل تفهم المغزى من كنه العبارات التى وردت فى خطاب "كلوديوس" فى ضوء خلفية ذات أبعاد ومدى واسع ولا سبيل إلى الإحاطة به من غير الرجوع إلى كتابات "فيلون" وما سطره من أجل التنديد بالوالى الرومانى "أولوس أفيليوس فلاكوس" فى كتاب عنوانه (In Flaccum) ثم فى وصفه لمهمة البعثة إلى الإمبراطور "جايوس" فى كتيب آخر سطره فى عهد "كلوديوس" وكان عنوانه (Legatio Ad Gaium) وفيه كشف النقاب عن كثير من الأحداث والوقائع وأسلوب المداهنة الذى اتبعه مع هذا الإمبراطور "جايوس كاليجولا" وضمن بذلك النجاة من غضب هذا الإمبراطور الغاشم والمتربص باليهود .

تحليل لشخصية الإمبراطور "كلوديوس"

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نعرض لشخصية الإمبراطور "كلوديوس" وما قيل حوله من محاسن ومثالب وهو الرجل الذى مجَّده العالم البريطانى "موميليانو" (Mommigliano) أستاذ التاريخ القديم بجامعة لندن فى مؤلف عنوانه "الإمبراطور كلوديوس" وقد أفرد له الفصل الأول من هذا الكتاب منوهاً بأن هذا الإمبراطور كان رجل علم وعلى قدر كبير من الثقافة وكان ممن اشتغل بالتأليف واهتم بالآثار واللغة وعكف على هذه الدراسات متأنياً ومتفرغاً ، ولا يستهويه شىء خاص بالوظائف ولا المراتب الشرفية . وكان مولده فى أول أغسطس من عام ١٠ ق.م. وهو الابن الأصغر لدروسوس الأكبر وامه أنطونيا الصغرى واسمه بالكامل "تيبريوس كلوديوس نيرون جرمانيكوس" وقد طغى أخوه الأكبر المسمى "جرمانيكوس" بما أوتى من شخصية محبوبة على "كلوديوس" وهو الذى عاقته بنيته الضعيفة والمرض المتواصل الذى كان ينتابه بين حين وآخر عن الظهور بين الجماهير . ومما زاد الطين بلة أنه كان يشكو من نوع من الشلل فأورثه هذا حب التوارى والبعد عن الناس [(١)] .

ولم يحظ من "أغسطس" بأى تكريم من حيث تولى بعض الوظائف العامة فيما عدا وظيفة عرَّاف (augur) وفى عهد الإمبراطور "تيبريوس" لم يشغل أياً من الوظائف العامة على الإطلاق نظراً لأنه كان غير مؤهل لتولى إحدى الوظائف السامية وقد أشار إلى ذلك المؤرخ

(1) T. de C. Ruth . The Problem of Claudius . Baltimone 1924 . Cambridge Ancient History, vol. X : Life of Claudius . pp. 667 - 701 .

"تاكيتوس" فى حولياته ٦ ، ٤٦ ، فرماه بهذه الوصمة فى عبارة لصقت بـــه كناية عن القصور العقلى Imminuta mens – or mente imminuta وحـــانت أول فرصة تولى فيها وظيفة سامية فى أول يوليو مــن عــام ٣٧م. عندمــا أصبح قنصلاً تكميلياً وكان ذلك بالاشتراك مع ابن أخيه الذى أصبح فيما بعــد الإمبراطور "جايوس كاليجولا" . وفيما عدا ذلك لم يلق من هذا الإمــبراطور (تيبريوس) سوى الإهانات المتتالية . وقــد جــاء إعــلان ارتقائــه عــرش الإمبراطورية فى يناير من عام ٤١م. بمحض الصدفة ، إذ عقــب اغتيــال "جايوس كاليجولا" تصادف أن كان موجوداً بالقصر الإمــبراطورى وعــثر عليه أحد الجند حيثما كان مختبئاً خلف ستارة تحاشياً من أن ينالـــه بعــض الأذى أو يغتاله أحد وقد اقتيد بناءًا على أمر صادر له إلى معسكر الحـــرس البريتورى حيث قدِّم إليه رجال هذا الحرس التحية ونادوا به إمبراطوراً وتــم هذا كله على عجل وفى وقت كان فيه مجلس السناتو لايزال ينـــاقش فكــرة خامرت بعض رجاله وهى احتمال إعادة نظام الجمهورية . ولم يغفـــر لـــه السناتو أبداً أنه باقتناصه هذه الفرصة وقبوله التنصيب على العرش قد ضيَّــع على هذا المجلس حُلماً كان قد راوده منذ قليل . وانبرى عـــدد غفــير مــن أعضاء السناتو-معلنين تعضيدهم وتأييدهم لثورة فاشلة شنها "سـكريدونيانوس" (Scribonianus) فى دالماشيا (يوجوسلافيا فيما مضى) فى الســنة التاليــة . وهكذا وقع اختيار رجال الحرس البريتورى عليه وقاموا بتنصيبه امـبراطوراً وأكد هذا اهتمامه بالجيــش وأصبحت هذه سياسته التى استنها لنفسه وهـــى السياسة التى أملتها عليه الضرورة القصوى نظراً لأنه هو نفسه كان يفتقـــر إلى أى نشاط عسكرى وكان فاقد الأمل فى احراز أى تقدم فى هذا المجـــال فالطبيعة حرمته من ذلك . على أنه شارك بنفسه وقام ببذل بعض الاهتمـــام

الشخصى فيما يختص بحملة شنها لغزو بريطانيا وهى البلاد التى تم غزوها فى عصره فى عام ٤٣م. وحضر الاستيلاء عنوة على بلدة كامولودونم (Camulodunum) وعندما انتهى عهد امبراطوريته فى عام ٥٤م. كان الجند قد حيوه تحية النصر سبعة وعشرين مرة . ومع أنه شغل وظيفة القنصلية أربع مرات طوال حكمه وكان ذلك فى الأعوام ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٧ ثم ٥١ م. ثم شغل وظيفة الكنسور أو الرقيب (Censor) فى عام ٤٧ ـ ٤٨ فإنه فى مجال السياسة وأسلوب الحكم لم يستهوه الحكم المطلق الذى طبقه سلفه "جايوس" ولا ذلك التفاخر والتباهى والتشبه بالالهة على نحو ما فعله "جايوس كاليجولا" الذى ادعى لنفسه الألوهية ووصم بأنه مصاب بجنون العظمة (Megalomania) وعاب عليه الفيلسوف اليهودى "فيلون" كل هذا . ومع ذلك نجا هذا الإمبراطور المفتون من أن تمحى ذكراه بصفة رسمية (damnatio memoriae) جزاء ما قدمت يداه . وكان الفرق كبيراً جداً بين أسلوب "جايوس" وأسلوب "كلوديوس" فى سياسة الحكم فقد عاد الأخير إلى انتهاج سياسة أقل اوتوقراطية ولا تتسم بهذا الاعتداد الشديد بالنفس على النحو الذى كان عليه سلفه . إنه قضى شوطاً بعيداً أكثر من سالفيه (تيبريوس وجايوس) فى التوسع فى منح المواطنية (civitas) للأفراد وفى تأسيس المستعمرات الجديدة وهاتان أمارتان دالتان على سياسة منطوية على قدر كبير من التسامح . أما عن سياسته ازاء السناتو فلم تكن مرضية وليست على ما يرام ولم يكن السبب فى ذلك أنه انتقص من سلطات هذا المجلس العتيد وإنما هى ظروف توليه عرش الإمبراطورية وكذلك إصراره على أن يعكف أعضاء هذا المجلس على الاضطلاع بمهامهم بصورة أكثر جدية . وهناك أسباب أخرى لعدم رضاء الناس عنه وهى اهتمامه البالغ

بأعمال القضاء وتدخل نسائه والمحررين من أتباعه ومعاونيه فــــى شــئون الحكم . وتتميز فترة حكم "كلوديوس" بظهور نفر من المحررين ذوى الــثراء والنفوذ العريض ونخص بالذكر من بيــن هــؤلاء اثنيــن أحدهمــا يســمى ناركيسوس (Narcissus) وهو المسئول عن ديوان المراســلات والمكاتبــات الخاصة بالإمبراطور (ab epistulis) وثانيهما يسمى "بالاس" (Pallas) وهــو المسئول عن ديوان الشكاوى (ab rationibus) وقد أصبح هــذان الموظفــان منضويــين فى الخاصة الإمبراطورية ويتمتعان بنفوذ كبير ويؤديان مــــهاماً ضخمة ثم أصبح الناس يسعون إليهما ويخطبون ودهما ويقدمون الرشـــاوى لهما كيما يصلوا إلى تحقيق مآربهم مــن نيــل الــترقى وخلافــه . وكــان "كلوديوس" منساقاً لمآرب نسائه ويستجيب لمطالبهن وهــؤلاء النسـوة كــن يتحكمن فيه وأصبح عبداً لهن ومنساقاً لأهوائهن وقد تــزوج أربــع مــرات وأصبح مزواجاً (uxorious) وولدت له زوجته الأولى طفلين توفيا وهما فــى سن مبكرة أما الزوجة الثانية فكانت تسمى "أيليا بايتيــنا" (A elia Paetina) وقد انجبت له ابنة اسمها كلوديا أنطونيا (Claudia Antonia) وكان ذلك فــى عام ٢٧م. ثم توفيت هذه الابنة سنة ٦٦م . وقد تزوج للمــرة الثالثــة عنــد ارتقائه للعرش من "فاليريا ميساليناً" (Valeria Messalina) وأنجب منها ابنــة سميت "أكتافيانا" وكان مولدها قبل عام ٤١م. ثــم ولــدت لــه ابنــاً اســمه "بريتانيكوس" (Britannicus) فى هذا العام أو فى العام التالى ٤٢م . ولكــن "ميسالينا" تورطت فى علاقات عاطفية ومؤامرات ودسائس بالأشــتراك مــع "ناركيسوس" فى عام ٤٨م . فأمر بقتلها وعندئــذ تزوج "كلوديــوس" للمـرة الرابعة من ابنة أخيه وتسمى "أجريبينا" (Agrippina) وكانت تحظى بتــأييد "باللاس" (Pallas) وقد استطاعت فى عام ٥٠م . أن تؤثر على "كلوديــوس"

وحملته على أن يجعل من ابنها المسمى "نيرون" وصيا على ابنه المسمى "بريتانيكوس" وكان يصغر "نيرون" بأربع سنوات وفى ١٣ أكتوبر من عام ٥٤م. مات "كلوديوس" وقيل عندئذ أن "أجريبينا" سمته وقدمت إليه السم فى طبق من السمك ، وقد رُفع إلى منزلة الآلهة (Apotheosis) وكان أول إمبراطور بعد "أغسطس" يحظى بهذه المنزلة الرفيعة وقد انبرى الفيلسوف الرومانى "سينيكا" للتنديد بتصرفاته وهجوه وانحى باللائمة على هذا التأليه فى رسالة له تسمى (Apokolokyntosis) كناية عن القرع واليقطين فى هذا الاختيار (The pumpkinification of Claudius) وصوّره بصورة حالكة وهو فى زمرة الآلهة وقد أفرد العالم البريطانى "موميليانو" الفصل الرابع من كتابه لشرح هذا الموضوع واستعرض الآراء التى كانت سائدة فى عهد "نيرون" عن هذا الإمبراطور وما أبداه "سينكا" من تقريع وتنديد بهذا الإمبراطور الراحل وبأعماله وتصرفاته . وقد قيل إنه كان أعرجاً وأنه كان يتلعثم ويعلوه الخجل وهو يلتقى مع الناس . ولعل إصابته بنوع من الشلل فى صباه هى التى أثّرت فى حياته المستقبلية . وكان "سينكا" يسخر كذلك من علمه واهتماماته الأدبية والأثرية واللغوية وهو صاحب فكرة ابتداع حروف أبجدية ثلاثة هى "الدياجاما" F وحرف السجما المقلوبة لتعبير عن حرف يونانى هو Σ والحرف الثالث هو أشبه بعلامة الدراخمة اليونانية ـــ| وذلك للتعبير عن الحروف الساكنة وتمييزها عن الحرف المتحرك وقد قيل فى هذا كله الشىء الكثير من النقد اللاذع الذى دبجه هذا الفيلسوف الرواقى بأسلوب جمع بين النثر والشعر متضمنا تنديدا بأحقية "كلوديوس" فى أن يرقى إلى مرتبة الآلهة ويدخل فى زمرتها بعد الموت . وكان الذى قدمه إلى الآلهة هو الإله "هرقل"

ولكن هذا الفيلسوف اتخذ من "أغسطس" بالذات أداة للتحدى وتوجيه الاتــــهام السافر إلى "كلوديوس" والدعوة إلى طرده من العالم العلوى والزج به فــــى هاديس " (جهنم وبئس المصير) . وكل هذا قد يحتاج إلى وقفات ولمحــات ، نستعرض فيها وجهات النظر المختلفة ، لعلنا نستطيع بذلك أن ننصف هـــذا الإمبراطور الذى رُمى تارة بالبلاهة (imbecilitas) وأخرى بالخور وســهولة الانقياد للغير . ولعل هذا كله كان مرده إلى صحة متداعية ولعثمة أو "تأتـــأة" فى اللسان والكلام وعرج أو شلل جزءى كان يشكو منه فى صباه ثـــم نجـــم عن هذا كله سلسلة من العقد النفسية (complexes) . ولكن هذا الإمـــبراطور كان إذا ما خلا إلى نفسه ، يُصـــدر القرارات التى كانت تصاغ بأســـــلوب ينم عن الحكمة والروية والمعرفة ببواطن الأمور . وهذا مــــا دعـــا العـــالم البريطانى "موميليانو" إلى وصفه فى أحد فصول كتابه عن "كلوديوس" بأنـــــه كان "رجلاً ضليعاً فى العلم" (A man of learning) .

فهرس

βασιλεύοντος Πτολεμαίου τοῦ Πτολεμαί-
ου ἔτους δωδεκάτου, ἐφ' ἱερέως Λεοντίσκου τοῦ
Καλλιμήδους, μηνὸς Περιτίου, ἐμ Πίτωι τοῦ
Μεμφίτου νομοῦ. ἐδάνεισεν Διονύσιος Ἀπο-
5 λλωνίου Γαζαῖος τῶν περὶ Δείνωνα Ἰσιδώ-
ρωι Θράικι τεσσαρακονταρούρωι τῶν Λυκό-
φρονος ἀργυρίου δραχμὰς τριακοντατέσ-
σαρας, τοῦτο δ' ἐστὶν ἡ τιμὴ τοῦ βασιλικοῦ
τόκου ὡς δύο δραχμῶν τῆι μνᾶι ἑκάστηι
σίτου, ἀποδότω δὲ Ἰσίδωρος Διονυσίωι τὸ
τὸμ μῆνα ἕκαστον.
10 δάνειον ἐμ μηνὶ Ἀρτεμισίωι τῶι ἐν τῶι τρεισ-
καιδεκάτωι ἔτει καὶ τὸν τόκον. ἐὰν δὲ μὴ
ἀποδῶι ἐν τῶι γεγραμμένωι χρόνωι, ἀποτει-
σάτω τὸ δάνειον ἡμιόλιον, καὶ ἡ πρᾶξις ἔστω
Διονυσίωι ἐκ τῶν ὑπαρχόντων τῶν Ἰσιδώρου
15 καὶ τῶν τοῦ ἐγγύου, πράσσοντι τρόπον ὃν
ἂν βούληται Διονύσιος πρὸς βασιλικά. ἔγγυος
Ἰσιδώρου
τοῦ δανείου καὶ τῶν κατὰ τὴν συγγραφὴν
εἰς ἔκτεισιν [[καὶ]] Διονυσίωι Δημήτριος Δάμωνος
Θρᾶιξ σύγκληρος. ἡ δὲ συγγραφὴ ἥδε κυρία ἔστω οὗ ἂν
20 ἐπιφέρηι Διονύσιος ἢ ὧι ἂν Διονύσιος παραδῶι. μάρ-
τυρες Τηρήπης Θρᾶιξ τεσσαρακοντάρουρος, Ἑβρύ-
ζελμις Θρᾶιξ τεσσαρακοντάρουρος, Ποσειδώνιος Θρᾶιξ
ἑβδομηκοντάρουρος, Βίθυς Θρᾶιξ ἑκατονδεκάρουρος,
Βίθυος
Διονύσιος Θρᾶιξ ἑξηκοντάρουρος, Ζίπυρος Θρᾶιξ σύγ-
25 κληρος, οὗτοι τῶν Λυκόφρονος.

[βασιλεύοντος Πτολεμαίο]υ τοῦ Πτολεμαίου
[ἔτους δωδεκάτου, ἐφ' ἱερέως Λ]εοντ[ί]σκου τοῦ Καλ-
[λιμήδους, μηνὸς Περιτίου, ἐ]μ Πίτωι τοῦ Μεμφί-

[του νομοῦ. ἐδάνεισεν Δι]ονύσιος Ἀπολλωνίο[υ]
30 [Γαζαῖος τῶν περὶ Δείν]ωνα Ἰσιδώρωι Θραικ[ί]
[τῶν Λυκόφρονος τεσσα]ρακονταρούρωι ἀργυ-
[ρίου δραχμὰς τριακοντ]ατέσσαρας, τοῦτο
[δ' ἐστὶν ἡ τιμὴ τοῦ βασιλικο]ῦ σίτου, τόκον ὡς
[δύο δραχμῶν τῆι μνᾶι ἑ]κάστηι τὸμ μῆνα
35 [ἕκαστον. ἀποδότω δ]ὲ Ἰσίδωρος Διονυσίωι
[τὸ δάνειον ἐμ μηνὶ Ἀ]ρτεμισίωι τῶι ἐν τῶ[ι]
[τρεισκαιδεκάτωι ἔτε]ι καὶ [τὸ]ν τ[όκον. ἐὰν]
[δὲ μὴ ἀποδῶι ἐν τῶι γεγραμμένωι χρόνωι],
[ἀποτεισάτω τὸ δάν]ειον ἡμιόλιον, καὶ ἡ πρᾶ-
40 [ξις ἔστω Διονυσίωι ἐκ] τῶν ὑπαρχόντων τῶν
[Ἰσιδώρου καὶ τῶν τοῦ] ἐγγύου, πράσσοντι
[τρόπον ὃν ἂν βούληται] Διονύσιος πρὸς βασι-
[λικά. ἔγγυος τοῦ δα]νείου Ἰσιδώρου καὶ τῶν
[κατὰ τὴν συγγραφὴ]ν πάντων εἰς ἔκτεισ[ιν]
τῶν Λυκόφρον[ος]
45 [Διονυσίωι Δημήτ]ριος Δάμωνος Θρᾶιξ σύγκλη-
[ἀρουρῶν τεσσ]αράκοντα
[ρος. ἡ δὲ συγγραφὴ ἥδε] κυρία ἔστω οὗ ἂν ἐπιφέρηι
[Διονύσιος ἢ ὧι ἂν Διον]ύσιος παραδῶι. μάρτυρες
[Βίθυς Θρᾶιξ ἑκατονδεκ]άρουρος, Τηρήπης Θρᾶιξ
[τεσσερακοντάρουρος, Ἐ]δρύζελμις Θρᾶιξ τεσσαρακον-
50 [τάρουρος, Ποσειδώνιος] Θρᾶιξ ἑβδομηκοντάρουρος,
μετ]ὰ Βίθυος ἀρουρῶν ἑξήκοντα
[Ζίπυρος Θρᾶιξ σύγκληρος], Διονύσιος Θρᾶιξ ἑξηκον-
[τάρουρος, οὗτοι τῶν Λυκόφ]ρονος.

συγγρ]αφοφύλαξ Βίθυς
(in large letters)ἔχω]κυρίαν.

Verso. — On the back of (*b*), reversed :

πρὸς Ἰσίδωρον
⊢ λδ.

بردية من أرشيف زينون ، نشرها إدجار سنة ١٩٢٥
في كتالوج المتحف المصري وهي مؤلفة من قصاصتين
إحداهما في المجموعة الايطالية (P.S.L) رقم ٣٢١

PAPIRI DELLA SOCIETÀ ITALIANA

|Κροκοδιλοπολίτου. Ἐ|δάνεισεν Διονύσιος Ἀπα-
5 | —— τ|ῶν περὶ Λεύκωνα, Ἰσιδώ- Ἐρμῆ...
|ρωι τοῦ δεῖνα — |κονταρούρωι τῶν Λυκο-
| ἀργυρίου δ|ραχμὰς τριακονταπέσ-
|σαρας ..τιμη τοῦ βασιλικοῦ
·τόκου δραχμῶν τῆι μνᾶι ἑκάστηι
| ἀποδότω δὲ Ἰ|σίδωρος Διονυσίωι τὸ
10 | δάνειον ἐν μηνὶ Ἀ|ρτεμισίωι τῶι ἐν τῶι τριακ-
| καιδεκάτωι ἔτει κ|αὶ τὸν τόκον. ἐὰν δὲ μὴ
|ἀποδῶι ἐν τῶι γεγρ|αμμένωι χρόνωι, ἀποτει-
|σάτω τὸ δάνειον ἡ|μιόλιον· καὶ ἡ πρᾶξις ἔστω
|Διονυσίωι ἐκ τῶν ὑπ|αρχόντων τῶν Ἰσιδώρου
15 |ἢ ἄλλωι ὑπὲρ αὐτοῦ | πράσσοντι τρόπον ὃν
|ἂν βούλη[ται] Διονύσ|ιος πρὸς βασιλικά. ἔγγυος
|Ἰσιδώρου εἰς ἔκτισι|ν κατὰ τὴν συγγραφὴν
| ? Διον|υσίωι Αμμώνιος Ἀμμωνος
| c. 10 ll. . ἡ δὲ συγ|γραφὴ ἥδε κυρία ἔστω ὁδ ἄν

قصاصة بردية سبق نشرها في المجموعة الايطالية

(P.S.L.) تحت رقـــم ٣٢١

وهي تؤلف مع قصاصة أخرى نشرها إدجـــــار

بكتالوج المتحف المصري تحت رقـــم ٥٩٠٠١

وبذلك إكتمل النص .

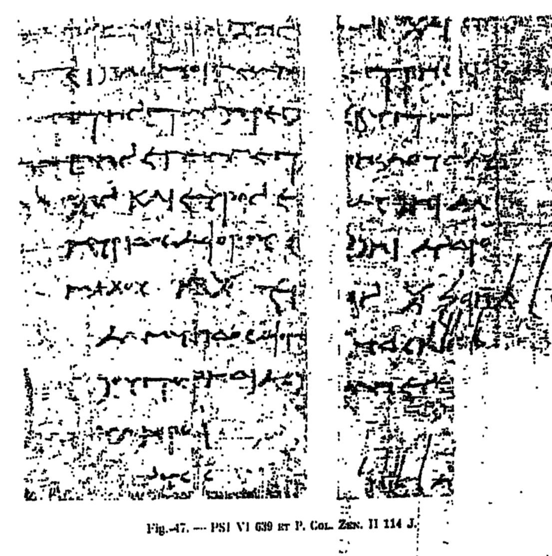


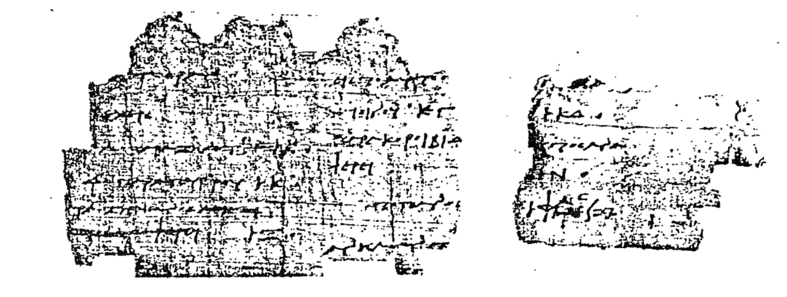
Fig.-47. — PSI VI 639 et P. Col. Zen. II 114 J.

μυρίδος ἀφόρου ἐν τῆι 'Ανδρο-
μάχου (μυρι)(αρούρου). Εἰ[σ]ιν ἄρ(ουραι) σϙη λβ' (ὧν)
ἁλμυρίδος ἀφόρου μδ (ἥμισυ) η' ις' λβ'.
Τούτων ἡ διαστολὴ ἐν ἑ[κάστωι]

10 κλήρωι·
[Διο]νύσ[ιο]ς [--]δ' η' ις' (ὧν) ἁλ[μυρίδος

Verso [(Ἔτους) λ]ι. Θωὺθ ιδ
παρὰ 'Ονν
Ζήνω[νι].

قصاصتان برديتان يؤلفان خطابا واحدا من أرشيف زينون ، وقد سبق أن نشرت إحداهما في المجموعة الايطالية والأخرى في مجموعة بردي كولومبيا ، وقد وفق عالم بلجيكي هـــو (فـان داك) في ضمهـا .



قصاصة من شقفين من أرشيف زينـــــــون

مزمع نشرها ضمن أعمال المؤتمر العالمي السابع عشر لعلم البـــردي

المنعقد في نابولي بايطاليا في مايو ١٩٨٣

قصاصتان برديتان يكملان نصا واحدا والشق الايمن محفوظ بالمعهد الفرنسي بالقاهرة ، أما الشق الأيسر فيوجد بالمتحف المصري وهو غير منشور . والنصان مقدمان للنشر في أعمال المؤتمر العالمي لعلم البردي (السابع عشر) المنعقد في نابولي سنة ١٩٨٣ ، وهو عبارة عن خطاب موجه من ثراسيمديس والاسم مبتور الي زيلون وفيه إشارة الى الاويكونومس فيليسكوس .

Papyrus 2042—Not Dated

Inv. No. 2323 26·0 × 6·3 cm. (British Museum portion)

Acquired in 1921. Light-brown papyrus, shredded and worm-eaten on the left-hand side, and worm-eaten in a zigzag line down the right-hand side (i.e. after the letter had been refolded for filing); there is thus virtually no chance of the missing central portion being recovered. Written across the fibres in a fine chancery hand.

The beginnings of the lines are in the British Museum, the ends on a fragment in Cairo (see below). As stated, the central portion appears irrecoverable, and in consequence only a general idea of the sense can be obtained. Metrodoros, an employee in the Alexandrian establishment of Apollonios, writes to Zenon enclosing a copy of a letter which he has written to a certain Artemidoros about a sum of money which had apparently been deposited with him for the use of a young brother of Metrodoros. Both Zenon and his brother Epharmostos were somehow involved in the transaction, but beyond this we are reduced to speculation. None of the possible supplements suggested below are anywhere near certain, and it is thus impossible even to determine the size of the lacuna separating the two portions.

In l. 9 the letters εμ[before the lacuna suggest *ἐμ [Μέμφει*, in which case the addressee may be identified with the agent of Apollonios known as *Ἀρτεμίδωρος ὁ ἐπὶ τῆς συντάξεως ἐμ Μέμφει* (cf. P. Cair. Zen. 59073, 11).

The Cairo fragment has been published by Prof. Zaki Aly in *Études de Papyrologie*, viii, 1957, pp. 159–162 and Pl. II, whence S.B. 9581.

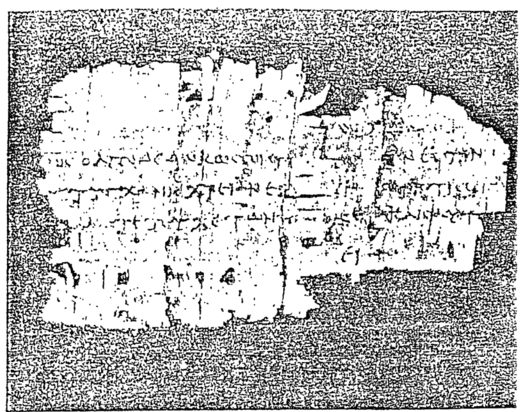
Μητρόδωρος Ζ[ήνωνι χαίρειν.]
[....].. τῶι ἀδ[ελφίωι]
[....].[.]δεμ[ὃ κα]τελίπομεν
αὐτῶι ἀργ[ύριον]λης ἀπο
5 *γέγραφα πρ[ὸ]ς α[ὐτόν]α σοι τὸ ἀντίγραφον*
ὅπως καὶ σὺ [τού]των καὶ ἀξιώσηι[ς]
αὐτῶι ποι[εῖν]ῃ.

Ἀρ[τ]εμιδώρω[ι. σ]ὺς κατελίπομεν
παρὰ σοὶ εμ[ ].ται τῶι
10 *ἀδελφίωι γ[ἀπο]στείλας*
πρὸς ἡμᾶς[ ]ι τὸ παιδάριον
Ζ]ήνωνι [illegible]
Ἐφάρμοστο[ ] τοὺς λοιποὺς
τῶν χαλκῶ[ν Ζ]ήνωνος.

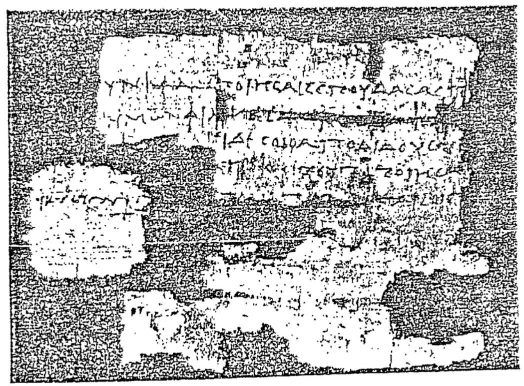
Verso (in British Museum):

]... *Μητρόδ(ω)ρος* *Ζ[ή]νωνι*

وثيقة بردية من أرشيف زينون وقد سبق أن نشر الشق
الايمن منها في مجلة Etudes de Papyrologie
العدد الثامن سنة ١٩٥٧ بواسطة زكي علي بينمـــا
الشق الأيسر محفوظ بالمتحف البريطاني واستطـــاع
العالم ت . اسكيت أن يضمهما على النحو المنشور اعلاه
في سنة ١٩٧٤ في مجموعة لندن رقم ٢٠٤٢ ولا يـــزال
الجزء الأوسط ضائعا .



Text N° 1



قصاصتان برديتان من أرشيف زينون تناولهما البتر الشديد وهما يمثلان خطابين للتوصية · وقد نشرهما المؤلف في أثينا في عمل تذكاري (Mnema) لتخليد عالم آثيني هـو بيتروبوليس Petropoulos صدر سنة ١٩٨٤ ·

THE

BULLETIN

OF THE

AMERICAN SOCIETY

OF

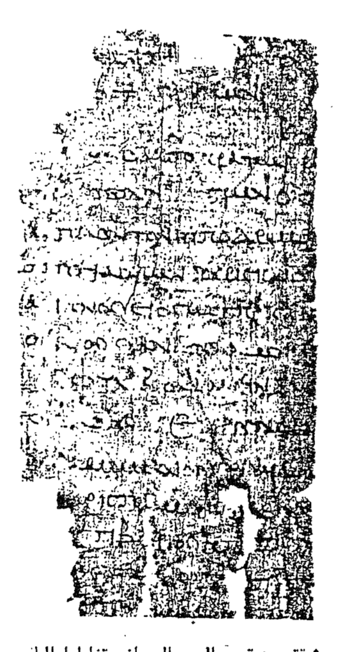
PAPYROLOGISTS

شكوى من أنتيپاتر الى الملك بخصوص الربا الفاحش وحبس ولده الحر المولد بطريقة عشوائية ، نشرها (١٩٤٠) عالم امريكي هو : وليام لين وستزمان .

وثيقة بردية محفوظة بجامعة ييل (Yale)
بأمريكا نشرها برادفورد ويلز وعلق عليها
عدد من العلماء من بينهم وليام لين وسترمان
وهي تتناول حقوق الجند المسرحين في مصر
الرومانية (٦٣ م) .

Ἀντίγραφον ὑπομνηματ[ι]σμοῦ.
[Ἔ]τους δεκάτου Νέρων[ο]ς Κλαυδίου Καίσαρος Σεβαστοῦ
Γερμανικοῦ Α[ὐ]τοκράτορος, μηνὸς Σεβαστοῦ ζ̄,
ἐν τῶι μεγάλῳ ἀτρίωι, ἐπὶ βήματος, παρόντων ἐν συνβου-
5 λίῳ[ι Ν]ωρβ[α]νοῦ Πτολεμαίου δικαιοδότου καὶ πρὸς τῶι
[ἰδίῳ] λόγῳ, Ἀουιλλίου Κουαδράτου καὶ Τεννίου Οὐέτερος
[ ]υ Ἀττικοῦ, Παπειρίου Πάστορος καὶ Βαιβίου Ἰουγκείνου
[? ἐπά]ρχων, Ἰουλίου Λυσιμάχου, Κλαυδίου Ἡρακλείδου διοικητοῦ,
[? Κλαυ]δίου Εὐκτήμονος, Κλαυδίου Σεκούνδου.
10 [Ἐπὶ τ]ῶν μισσικίων, περ[ὶ] τῆς πολειτίας·
] Εἶπον ὑμεῖν καὶ πρότερον ὅτι οὐκ ἔστιν ὁμοία οὐδὲ ἡ αὐτὴ
]ὑμῶν ὑπόθεσις· οἱ μὲν γὰρ ὑμῶν εἰσιν ἐκ λεγιώνων
[οὐετρα]νοί, οἱ δὲ ἐξ εἰλῶ[ν, ο]ἱ δὲ ἐκ σπειρῶν, οἱ δὲ ἐκ τοῦ ἐρετικοῦ,
[ὥστε μ]ὴ εἶναι τὸ αὐτὸ πάντων δείκαιον· μελήσει δέ μοι περὶ τού-
15 [του] ἔγραψα τοῖς κατὰ [ν]ομὸν στρατηγοῖς ἵνα ἡ χάρις ὁλόκληρος
[ ]ου ὑμεῖν τηρήθ[η] κατὰ τὸ ἑκάστου δί[και]ον.
: : : : : : : : : ἔγραψα.

وثيقة بردية محفوظة بالمتحف المصري ورقمها بردي فؤاد (٢١) نشرها جان شيرر سنة ١٩٣٩ وهي تعتبر بديلا ومكملا لوثيقة أخرى في جامعة ييل رقم ١٥٢٨ نشرها برادفورد ويلز وهي تحكي قصة لقاء الجند المسرحين مع الوالي الروماني كامكينا توسكوس والمطالبة بالمواطنة الرومانية وهي تمثل صورة من قرار الوالي (السطر الأول) .



وثيقة بردية من العصر الروماني تناولها الطمس وقد عرض لها نفر من أئمة علماء البردي بالشرح والتصويب وكان بيرجوجيه سنة ١٩٤٢ هو الناشر الأول لها. وهي تتناول لقاء السكندرين والجيش للامبراطور فسباسنان في ظاهر الاسكندرية سنة ٦٩ م.

]το[
]σι⁰ Ἀλεξα[νδρ
]. βωμα[
]σ?ον . κ[
5]σαντω[ν . . .]οις συνη[
]σ? . . α . των
].
]υς ὁ αὐτοκράτωρ . [
] τὴν πόλιν τῶν ὄχλ[ων
10]α [?] ς ὅλον τὸν ἱππόδρομον [
]ὅτι ὑγιαίνων κύριε Καῖσα[ρ
Οὐεσπ]α[σ]ιανὸς εἷς σωτὴρ καὶ ε[ὐεργέτης
]ο . . . ας σ' ἀνατέλλων ε[
]α φύλαξον ἡμεῖν αὐτ[
15 κύρι]ε σ[ε]βασ?έ, εὐεργέτα, σαρ[
] . . Ἄμμωνος υἱὸς καὶ ἀπλ[
εὐ]χαριστοῦμεν Τιβερίω[
]. Τιβέριος η τ[. .]τις ε[
] Θεὸς Καῖσαρ ε[. .]οτι ὑγια[ιν
20]. Θεὸς Καῖσαρ Οὐ[ε]σπασια[νὸς
]ις κύριε σεβασ?ὲ Ο[ὐεσπασιανέ?

L. 9. Un blanc après πόλιν. — L. 14. Un blanc avant φύλαξον.

2. Si le personnage mentionné ici est le même qui figure l. 17 et 18, ce pourrait être le préfet Tibère Alexandre; cf. introduction. Celui-ci, dans les documents officiels, porte généralement les *tria nomina*, Tiberius Julius Alexander. Mais les auteurs l'appellent simplement Tiberius Alexander, et *P. Oxy.* 899, l. 28, le cite aussi de cette façon.

6. Plusieurs lectures sont possibles :]στηκόντων,]στησ αὐτῶν,]στεις αὐτῶν. Cette dernière ferait penser à πί]στεις αὐτῶν. Le mot πίστις pourrait aussi se restituer à la ligne 18 et ferait peut-être allusion au serment de fidélité prêté par les soldats et le peuple.

11. On serait tenté de lire, au début de la ligne, le mot ὅτι servant à introduire une citation. Mais la lecture n'est pas sûre. Le même groupe reparaît, semble-t-il, à la ligne 19 où la lecture et le sens ne sont pas moins douteux.

12. Vespasien est qualifié de σωτὴρ καὶ εὐεργέτης dans Ditt., *Or. gr. inscr. sel.* II, 670.

13. ἀνατέλλων. Cf. *P. Giessen* 3, l. 1-2 : Ἅρματι λευκοπώλωι ἄρτι Τραιαν[ῶι] συνανατείλας ἥκω σοι, ὦ Δῆμ[ε].

15. Nous restituons κύρι]ε d'après l'analogie de la ligne 21. La fin de la ligne contenait peut-être le nom de Sarapis.

16. Ἄμμωνος υἱὸς rappelle naturellement la visite d'Alexandre à Siwa, où, lorsqu'il entra dans le temple d'Ammon, le grand-prêtre le salua du titre de «fils de Zeus» (c'est-à-dire

قراءة بيرجوجيه لبردية فؤاد رقم ٨ تلتها محاولات أخرى من
أئمة العلماء وهي تحكي لقاءا حارا بين فسياشيان الامبراطور وشعب
الاسكندرية .

ἐν Ἀλεξανδρείᾳ
ἀντίγραφα ἀποκριμάτων <προ>τεθέντων ἐν τῇ στοᾷ
τοῦ γυμνασίου η (ἔτους) Φαμενὼθ ιη (2nd hd.) Αὐτοκράτωρ Καῖσαρ Λούκιος
[Σεπ]τίμιος Σεουῆρος Εὐσεβὴς Περτίναξ Ἀραβικὸς Ἀδιαβηνικὸς Παρθικὸς μέγιστος
Σεβαστὸς καὶ Αὐτοκράτωρ Καῖσαρ Μάρκος Αὐρήλιος Ἀντωνεῖνος Σεβαστὸς
5 (1st hd.) Οὐλπίῳ Ἡρακλάνῳ τῷ καὶ Καλλινείκῳ.
τὰς ἐπιβληθείσας Ἀλεξανδρεῦσι ἢ Αἰγυπτίοις ζημί-
ας τῇ δωρεᾷ χρόνον προσαγα[γό]ντες ἀνήκαμεν.
Ἀρτεμιδώρ[ῳ] τῷ καὶ Ἀχιλλῖ.
τοῖς ἐγνωσμένοις συνκαταθέμενος βραδέως
10 μέμφῃ τὰ δόξαντα.
Αὐρηλίοις Ἀρτεμιδώρῳ καὶ Ἀνουβίωνι καὶ ἄλλοις.
τοῖς ἐγνωσμένοις πίθεσθαι.
Κιλ[. .]δις τῷ καὶ Μίδᾳ διὰ Φιλοκράτους υἱοῦ.
ὥσπερ ἀνατραπῆναι τὴν πρᾶσιν τῶν ὑποθη-
15 κῶν οὐ δικαίως ἀξιοῖς οὕτως ἀπολαβεῖν σε
τὴν νομὴν τῶν χωρὶς συνβάσεως κατεχομένων
πρὸς βίαν χωρίων ὁ ἡγούμενος τοῦ ἔθνους κελεύσι.
. . [.].θαλγη Ἀμβρήλου διὰ Ἀβδομάνχου υἱοῦ.
ἀγνοεῖν γυναῖκες δανίζεσθαι καὶ ὑπὲρ ἄλλων
20 ἐκτίνειν οὐ κωλύονται.
ιθ ὁμοίως προτέθη ἐν τῇ αὐτῇ στοᾷ
[Ἀ]πόλλωνι Ἀρνεκτώτου καὶ ἄλλ[ο]ις.
αἱ περὶ τῶν ἐπισκέψεων κρίσις κοινῇ παρέσχεν
ὁμόνοιαν Αἰγυπτίοις.
25 Αὐρηλίῳ Σαρ[α]πίωνι.
τὰς ἱε[ρ]ω[σ]ύνας ἐκ μητρῴου γένους εἰς διατοχὴν
κατέρχεσ[θ]αι πρώην ἐκωλύσαμεν.
Π[ρ]όκλῳ Ἀπολλ[ω]νίου.
τοὺς γεγρ[α]μμένους κληρονόμους, κἂν αἱ διαθῆκαι
30 π[ε]πλάσθαι λέγωνται, τῆς ν[ο]μῆς οὐκ ἔστιν
δίκα[ι]ον ἐκβληθῆναι. φροντ[ί]σουσιν δὲ οἱ
τὰ[ς] δίκας ἐπιτετραμμένοι καλέσαι τοὺς
εὐ[θ]υνομένους εἴ γε τὸ πρᾶγμά ἐστιν ἐν τῇ
τάξει τῶν διαγνώσεων.

35 *Κρονίῳ Ἡρακλείδου.*
αἱ πρόσκαιροι νόσοι τῶν πολιτικῶν οὐκ ἀπαλλάσου-
σιν λιτουργιῶν, καὶ οἱ ἀσθενεῖς δὲ τῷ σώματι λιτουρ-
[γ]οῦσιν ἐὰν τῇ φροντίδι τῶν οἰκίων πραγμάτων
ἐξαρκῖν δύνωνται.
40 *κ̅ ὁμοίως·*
Διοσκώρῳ Ἡφαιστίωνος καὶ Πιεσῆϊ Ὀσίριος
καὶ ἄλλοις.
ἀργύριον ἀντὶ πυροῦ καταβάλλιν ὑμᾶς ἐκω-
λύσαμεν.
45 *Ἰσιδώρῳ Δείου.*
τὰ μὲν ὑπὸ Κόμωνος τετολμημένα
Φ<ού>λουιος Πλαυδιανὸς ὁ κράτιστος ἔπαρχος
τῶν στρατοπέδων καὶ οἰκεῖος ἡμῶν
ἐξετάσι. πρὸς δὲ Ἀπίωνα τὸν τελώνην, εἰ μὴ
50 *κοινωνῖ τῶν ἐνκλημ[ά]των Κόμωνι, τὸν*
ἡγούμενον τοῦ [ἔ]θνους ἕξεις δικα[σ]τήν.
[Ἰσ]ιδώρῳ τῷ καὶ Ἡρακλ[είδ]ει [διὰ Ἀ]πολλων<ί>ου.
τῆς πατρῴας κληρονομίας ἀποστὰς καὶ
τὴν ἐκ τῆς ἡλικίας οὐ[κ] ἔχων βοήθειαν τῷ
55 *νόμῳ τῶν πράσεων, ἐπὶ τὴν οὐσίαν δε-*
δημεῦσθαι φῄς, πεῖθ[ο]υ.
[. .]ελαθίῳ Καιρέου.
ἐὰν τοῖς ὀρφανοῖς ἐπιτρόπους λ[ά]βῃς
ἔξωθεν τάξεως, ὑπὲρ τῶν χωρίων πρὸς τοὺς
60 *νεμομένους δικαστὴς δοθήσεται.*

هذا هو النص المصوب من وثيقة بردية
مشهورة هي الابوكريماتا (Apokrimata
نشرها هربرت يوني في مجلة (Lhionique
d'Egypte) سنة ١٩٥٥ وقد عرضنا لها
بالشرح والتفصيل في متن الكتاب) .

ثمانية من بنود مقننة الاديولوجوس ، متناولـة بعض التشريعات الخاصة بالـزواج بيـن مختلـف الطوائف في مصر الرومانيـة .

Addenda et Corrigenda

جاء في ص ٢١٧ حديث عن مسرحية (Dyscolos) للشاعر الآثيني ميناندر ، ونود أن نضيف هنا الملاحظات الآتية :

لم يكن أحد يستطيع الاقتراب من ذلك الشخص الفظ، والإ ناله الصدّ والاعتداء، ولم يكن في وسع أحدٍ أن يقول له شيئا عن زواج إبنته . أما زوجته وهي أم الفتاة فبعد أن نفد صبرها وإحتملت مالا يطاق ، تركته وذهبت إلى إبنها من زوجها الأول. ثم حدث أن وقع ذلك الفظ في البئر وكان الفضل في إنقاذه من هذه الوهدة راجعاً الى ابن زوجته من زوجها الأول وعاونه في ذلك سوستراتوس (Sostratos) الذى وقع في غرام ابنته وعندئذ حصل التغيير الفجائي الذى نراه دائما في قصص الشاعر ميناندر ، فأعطى كل ماله لابن زوجته ، على شريطة أن يقدم نصفه كصداق لاخته من أمه وهي إبنة ذلك الفظ وأن يخصص النصف الباقي للإنفاق على ذلك الفظ طوال حياته ، ثم يتوسط سوستراتوس عند أبيه وهما من أسرة عريقة وغلية في أن يُزوّج أخت سوستراتوس لأخ عروسه .

****

